

التي وضعها عز وجل . وفي الجزء الثاني انبأنا بموانع الحوادث الدينية ان العناية  
 الصمدية قادت النوع الانساني من حال الى اخرى فاوصلتهم الى المسيح الذي مبط  
 الى الارض فسن شريعة ازلية بدلاً من الشريعة الموسوية . وفي الجزء الثالث اشعرنا  
 بارتفاع الممالك ومبوطها ان العناية الالهية كانت تدبر الامور لتكون توطئة لاذاعة  
 الانجيل والدين المسيحي وان الممالك الكبيرة اصبحت في غنى عن توحيد الشرائع  
 والمعادن واللسان بعد ان توطدت اركان الدين على البساطة وقصارى القول ان  
 هذا الكتاب بمثابة تبصير للمتأخرين وتذكير للمتقدمين فنسأل الله ان ينفع به مطالعيه  
 وانا لندرجهم ان يعاملونا بالرفق ويسدلوا على ما يعثرون من الاغلاط سجاد الستر  
 والمعذرة فان لله العصمة وليس لغيره الكمال

---

## خطاب

\* في التاريخ العام \*

\* بَسِطَ لَدَى وَلِي عَهْدِ فَرَنْسَا \*

### مقدمة

في غاية تاليف هذا التاريخ ونجزته الى ثلاثة اجزاء

ان التاريخ ولو قدر انه غير مأجور على نفعه لعامة الناس فلا نُدحه للملوك ان  
يضر بول بينهم وبين مطالعته ستاراً . فانهم لا يعثرون على وسيلة ينشرون فيها  
ما طوته الاهواء والاعراض وحب الايام وحادثاتها والآراء سديكة او خاملة . وليست  
مؤلفات التاريخ من سوى ما لوفات اعمالهم الخالية . ولا تبرز الا ما يعود عليهم بالنفع  
العظيم . وان قضي لم ان الاختبار يفتح لم ابواب الحصافة والحكمة للجوا صروج الاحكام  
عادلين فمن اهم الشؤون ان لا يبدوه ظهرياً بل يقتضي ان ينسبوا الى ما عانوا منه في  
سالف الدهر ما يتهمكون فيه وهم منغصون في نعيم احكامهم طول ايامهم المتواترة .  
ولا يندعهم ان عكوفهم على علم التاريخ محجة تؤدبهم الى تعزيز ولائهم دون ان يغالوا  
في ترهات الخطر الممين لدى وقوفهم على الحوادث الغريبة فذلك بصدمهم عن ولاه  
احوال يشرفون بها على المخاطر بتفقه مرئوسهم والثناء مجدهم الخاص الى مهاوي الانتال .  
حتى اذا ما حامت طيور بصائرهم على ما كان مطويًا من مساوي الملوك الظاعين  
ورأوا ان اطروقات الثناء عليهم كانت منظومة في اسلاك الدهان عنت لهم بذلك عبرة  
وخامرهم الاستحياء بمسرة زاهقة سببتها المصانعة والتدليس وعلموا ان السوءدد موكل  
الي ما يترتب من الاهلية والاستحقاق

ومن الامور التي تبعث على الاستحياء وهي التي لا يقي في دائرتها الملوك فقط بل  
تستغرق افراد الانسان الذين يزابلون مفاوز الخشونة ويتطرقون الى مسالك المدينة

ان تذهب عن المرء معرفة شؤونه الذين هم من طينته والعلم باحواله ذات بال . طرأت على تواتر الايام في العالم . وان لم يقف المرء في التاريخ على مياية الازمنة عن بعضها ركب من الشطط والعنور وهم ان البشر كانوا في عهد النواميس الطبيعية او في عهد النواميس الموسوية كما يرام الان في عهد الشريعة الانجيلية . ولا يبعد عنه ان يذكر الفرس ايام كانت تغتالهم ايادي الذلة مدحورين في عهد الاسكندر العظيم مثل ان يذكرهم رافعين لواء الغنمة والظفر في زمان قورش الملك . ويؤمن ان بلاد اليونان كانت تترعرع فيها اغصان الحرية في ايام الملك فيلبوس المكوني مثل ان كانت في ايام تيمستوكل وملسياد وان الرومانيين كانت الشهامة تهب في هامهم ايام الامبراطورين مثل ان كانت تهب في عهد الفناصل وان البيعة كانت رانعة في مجبوحة الامن والسكينة في عهد ديوكلسيانوس مثل ان كانت في عهد الملك قسطنطين . وان فرنسا التي احلدم فيها وطيس الشجاء الالهية يوم كان على صهوة عرشها الملكان كارلوس التاسع وهنريكس الثالث قد نبتت من الصولة مكانة باذخة مثلما كانت في عهد الملك لويس الرابع عشر فلا ريب انها خلت في عهد هذا الملك المحصور من ادران الشقاق ونهضت به من حضبض الخسف الى ذرى الجهد والعزة فاصبحت على اوربا قاطبة مستظرة . فيامولاني ان ما طالما استقرائه من التواريخ قديمة وحديثة كان ذريعة ثيك من تلك القوائل . اما نحن فلن يبرح عنا ان نحيط علمك بتاريخ شعب الله الذي هو ركن الدين وعماده . وقد رمت قدما في معرفة تاريخ اليونان والرومان ولم تغادرك ذاهلا عن فرنسا العظمى التي انت مندوب ان توسع خطا سعادتها

وقد دار في خلدنا ان نرفع اليك خلاصة سلسلة الاعصار خيفة ان يتلبس لديك ما علمته من التاريخ بما ستعلمه منه اذ لا يغيب عنك ان نسبة التاريخ الكلي بالنظر الى كل بلد وشعب كسبة رسوم الخطط الكلية بالنظر الى الجزئية . فانك لا ترى في الرسوم الجزئية سوى ما تحيط به دائر الرسم من مملكة واحدة او اقليم واحد لكنك تنقف في الرسوم الكلية على معرفة اجزاء الارض بالنسبة الى مجموعها فيعود عليك ذلك بفائدة كبرى تربك مثلاً ما تكون باريس او اقليم (ايل دي فرنس) بالنسبة الى المملكة الافرنسية وما تكون هذه المملكة بالنسبة الى اوربا وما تكون اوربا بالنسبة الى البسيطة فن ذلك دليل على ان التواريخ الجزئية تدني المطالع من معرفة تسلسل الاشياء منفصلة

منوطة بشعب واحد. فالذي يسميك معرفة في الامور الكلية ما يكون رابطاً بين تاريخ واخرولا يبرز ذلك الى حيز الوجود سوى تاريخ مختصر يحوي تسلسل الاجيال كلها فيرف عليها طائر الذن لحقة واحدة فيكون فيه مطمح عظيم لنظرك ولا سيما اذ ترى فيه الاجيال الغابرة تعود اليك في برهة دانية وتعلم كيف تتعاقب الممالك ولم تعبت بالذين برائن الدثار منذ بدء العالم الى هذه الايام بعد ان تعاقبت عليه ممالك متفاوتة ويلزمك ان لا تطوي كتماناً عن ان تستظهر هذين الامرين اعني الدين والحكم السياسي اللذين هما محور تدور عليه الاحوال البشرية. فكل من سرح طرف طرفه في هذا التاريخ الموجز وتفرس في ما اودع من المحوادث انضحت له سلسلة الاعصار ونظام الكون. وراى ان عقله يعي الامور العظمى فحسب انه قابض على ازمة الدنيا باسرها وتخيل لديه انه يجالح خطّة جيله الضيقة منبعثاً الى الوقوف على كنه الاعصار الدابرة كمن يرى في الرسوم الكلية انه يزيل المسكناة التي هي مسقط راسه والموضع الذي يكون فيه خالساً فيجوب جواد فكره الامصار كافة ويستقصي مجارها الزاخة وارضيتها الشاسعة ولكي تنفوي حافظته على معرفة الحال يقتضي له ان يستظهر حاضرات المدائن ويعزو اليها ما يكتننها كلاً حسب مسافه ويعكف في تسلسل الاجيال على الاعصار الخالية وينبدي لما اشهر من ازمنتها الاصلية بالمحادثات الكبرى فيجعلها موضوعاً ينسب اليه سائرهما وذلك ما يدعى محطاً يكون للمرء موقفاً يتشوف منه الى الطوارئ السابقة واللاحقة ويامن بذلك ان يجنف عن الجادة القوية الى العنور في تاريخ الازمنة اما الان فلا تنصّر الهمة عن استقصاء بعض اعصار اودعها التاريخ القديم وهي

اولاً	آدم او التكوين
ثانياً	نوح او الطوفان
ثالثاً	دعوة ابراهيم او بداعة معاهدة الله للبشر
رابعاً	موسى او السنة المكتوبة
خامساً	افتتاح تروادة
سادساً	سليمان او بناء الهيكل
سابعاً	روميلوس او تاسيس رومة
ثامناً	قورش او انقاذ شعب الله من سبي بابل



تاسعاً سييون او انتخا ل فرطاجنة

عاشراً مولد يسوع المسيح

حادى عشر قسطنطين او سلام البيعة

ثاني عشر كارلوس العظيم او تشيد الامبراطورية الجديدة

ولقد جعلت لك تشيد الامبراطورية الجديدة في عهد الملك كارلوس العظيم  
 كهابة للتاريخ القديم اذ ينبغي منه انقراض دولة الرومان القديمة وبناء عليه لم يكن من  
 الهم الا ان اوقفك في هذا الزمن الذي يتلقى التاريخ العام اهميته بالبرة والكرامة وتنبئك  
 عما يليه بجزء اخر يجعلك تدرج الى هذا العصر الشهير الذي تكمل راسه باعمال ابيك  
 الماثورة . وان اقتداءك به انما هو ذجا يوطد آمالنا على ان ننال مجداً جديداً . ولقد سؤل  
 لي المخاطر بعد ان ابنت لك من هذا التاريخ مقصداً جليلاً ان لا اخرج عن ثلاثة  
 اشياء يتوفر لنا منها كبير عائدة وهي . علي ان افري معك الاعصار التي احاط بها ملكك  
 واكشف لك بوجيز الكلام الغشاء عن حوادث خطيرة تدعوك ان تبتطمها بكل من  
 هذه الازمنة وان اعود ذمك على ان يلقي المحوادث الى محالها عاكفاً على نظام الازمنة  
 وبما ان قصارى الامر ان افيزك بالجماعة التي تنبئك بتواتر الحقب تسلسل الامور  
 الدينية والممالك العظيمة بعد ان طابقت المحوادث التي تختص بالدين والممالك على  
 تسير الاعوام اتدبت الى ان اعود مدققاً بنوع خاص الى كل ما يبيننا عن حيوة الدين  
 المستقر وما يوصلنا الى معرفة الاسباب التي دارت بها رحى الثقلبات في الدول العظمى  
 ولا تتمكن من ذلك الا بعد ان نعرى الاحوال التي تتعلق بهذين الامرين حسب  
 مسير الاعوام الغابرة حتى اذا ما انهرت لمطالعة ماتروم من التاريخ قديماً او حديثاً  
 دانت لديك الفائة وعرفت لكل امر مندور عاقبة كبيرة وخامرك العجب العجائب  
 من توالي الاحكام الالهية في الامور الدينية فتقف اذ ذاك على تسلسل الاحوال البشرية  
 وما يقتضي لتديرها من التبصر والحكمة الشاهدة

# الجزء الاول

في الاعصار او تسلسل الاجيال

## العصر الاول

في ادم او التكوين

الاجل الاول للعالم

مشهد عظيم في ذا العصر تحارلده الفكر فان الله فطر فيه السموات والارضين  
بكلمته السامية وبراً الانسان على مثاله (٤٠٠٤) (١) ٤٩٦٣ (٢) ومثله بدا تاريخ  
موسى مبرزاً آيات الحكمة فيصلاً للحق وأقدم المؤرخين واقام لما سطر وما علم وما نص  
من الناموس عماداً قوياً ذلك عصر يعلن ان لنيف الأناس كانوا في طي انسان  
واحداً سُنْصِلت منه المرأة وان عند الزفاف ورباط الالفة البشرية موقوفين على ذلك  
وان الانسان منسحق الى ذروة الكمال ما دام بصورة الله حافظاً وان الله سخر له  
الحيوانات طراً وان عصر الشعراء الذهبي يستودع ذكرى المبرة والسعادة اللتين اقصاهما  
عن ابويننا الاولين في الفردوس نفص الوصية العالية وان روح الخناس المختلة ولجت داخل  
الشعبان فمبط ابوانا هبوطاً لحق بنسلها اجمعين واقام ذو العدل العقاب عدلاً في ذرية  
نسل الانسان الاول واضرم نيران رجزه على الجنس البشري ثم وعدهم بالفداء وعداً  
اولاً فلم يكونوا الا لينفوا من الطاغى الذميم ويمسوا عليه مستظمرين

وقد امتد بساط الارض واخذت الناس ترح عليه كثيراً وزادت جرائم العابرين  
فأرى قايين البكر الناس المحدثين دماء مهراقة امامهم فكان اول القاتلين (٣)  
(٢٨٧٥ - ٤٨٢٣) فشرعت الرذائل تترصد للفضائل من ذلك الوقت اضطهاداً  
شديداً فانجلت من ثم لدى الابصار مياينة السجاي في الاخوين فكان هايل برأ صدوقاً

(١) حسب راي بوسويت (٢) حسب كتاب يقال له فن تحقيق الاعوام

(٣) تكوين فصل ٤ ع ١ و ٢ و ٤ و ٥

يعيش راعياً للمواشي قدّم قربانه لله فحاز من لدنه قبولاً وكان قايماً غائصاً في عباب  
 الخسّة والدعاة أقام القربان لله فأنج عليه عناكب الاهمال مردولاً فبعثه المحسد على  
 الايقاع بأخيه قتلاً فعاقبه الله اليماً وزارت الشعلة في ضميره وبلاً وثبوراً مستمراً فاخذ  
 بهم على وجهه نائمًا ليتوارى من غضب الجنس البشري له وإنتقامه منه فشاد ذلك العمل  
 اللئيم مدينة في اول المدائن ليلوذ بها متوارياً من حتى الجنس البشري منه واخترع بنوه  
 بعض ما تدور به رجي صناعتهم وحكمت فيهم الاهواء النفسية عسفاً وبهاقت الجنس  
 البشري على الشر وامتلات القلوب مكرّاً غريباً لكما برز ثمة قسراً عن ذلك الفساد  
 اعقاباً لثبوت طابقي سريّة واخصلوا النية لله وتألّص احتوخ من بين الملاء الذين  
 لا يستحقون ان يكون في حوزتهم صاعداً من بينهم بامرٍ لا يتدبره عن الخوارق  
 (٢٠١٧ - ٢٩٧٨) وانفرز اولاد الله عن اولاد الانسان اي الذين يرضخون لاحكام  
 الجسد عن يرضخون لاحكام النفس بيد انهم امتزجوا فيما بعد واخذوا يعثون مسفدين  
 فهاج عليهم الغضب من لدنه تعالى فاعتمد هلاكهم بحكمه العادل واوعز الى عبد نوح ان  
 انذرهم هلاكاً رائها ان لبثوا معتسفين عن السابلة التوبة (٢٤٦٨ - ٢٤٢٨) فلم  
 يرفعوا عن غيهم بل تصدلت قلوبهم فانزل عليهم السيل مدراراً واغرقهم في غمغ  
 الطوفان هالكين (٢٣٤٨ - ٢٣٠٨) وانتد من ذلك نوحاً وآل بيته ليكونوا ذخراً  
 يتولد منه جنس البشر. فذلك ما حدث منذ ١٦٥٦ سنة وتلك بداية التواريخ طراً  
 ولاحت قدرة المهيمن المتعال وانضحت حكمته الرفيعة وجودته الفائقة واصبح عفو الارار  
 منجوداً تحت اكافه وحليف الارجاس مرضوضاً تحت اثقال نعمته غير انه لم يأس من  
 اياب الاثم الى التوبة . وبدا للانسان اسى مثابة من العظمة والرفعة لدن فطرته وامتاز  
 بخلقه منذ دخل وليمة المفاسد وظهر جنوحه الى البغضاء والمسد فامتار سيف الظلم  
 وانتشر ما كان مطوياً من الاسباب الداعية الى اهلاء نيران المظالم والفن وبابجاز  
 القول تبينت مبادئ الدين والآداب

وانتد نوح مع النوع الانساني اثار الصنائع التي كان بنوا الانسان يارسونها منذ  
 فطرتهم وهي قوام للعاش والملاذ او التي قد اخترعوها فيما بعد فاماً الصنائع التي كانوا  
 يعرفونها بداية بدء وهي فن الزراعة والرعاة وليس الكساء وربما فن البناء ايضاً فقد  
 بلوح انهم تعلموها من الباري ولهذا لا نرى بداية هذه الفنون في ارجاء المشرق حيث

امتدت الاجناس البشرية (١)

اما خبر الطوفان العام فقد تدولته الالسن في اقطار البسيطة كلها واصبحت السفينة التي كانت ملجأ لنوح وآله تلجج بذكرها الالسنه في الشرق ولسيا في الانحاء التي استوت عليها بعد نضوب الماء فمن الحوادث كلها مسطر في باطن تاريخ السنين ومروية في تقليدات الشعوب الفارطة فان الاعصار ليست عربية من المطابقة لبعضها فما حدث من الشؤون في الاعصار الآتية ينسب الى ما طرأ في الاجيال الماضية

## العصر الثاني

في الكلام عن نوح او الطوفان

(الاجل الثاني للعالم)

اخذت آجال الناس تقصر بعد الطوفان ٢٢٤٨-٢٢٠٨ وطفقوا يستبدلون امر المعيشة (٢٢٠٧-٢٢٤٧) فتخبروا لم قوتاً جديداً بعد ان كانوا يلتمهون ثمار الحقول . ومنح الله نوحاً بعض وصايا شفاهاً وذهبت من البرية خلال الضعة فشرعوا يتشامخون خيلاء وكبراً فعلقوا بينون لم برجاً في بابل شاهقاً ينطج روق السماء فتقلجت السنهم متلبلة (٢٢٠٧-٢٢٤٧) فدل ذلك البناء على استغراقهم في سبات الكبرياء وخول آرائهم معاً . ولعبت باولاد نوح الثلاثة اكف التفريق فتفاصوا في بطون الارض فاجترأت بهم اجزاء أولاً . وكانوا اصولاً تفرعت منها الامم والشعوب وترطبت السنة الانام بذكرهم خالداً

اما يافت فقد امتلأت افاصي الغرب من نسله واستمر معروفاً ما بينهم بلثب يابت الشهير . واشهر حام وابنه كنعان ما بين المصريين والفينيقيين . ونشر العبرانيون ذكر سام اصل نشأتهم مدى الدوران

ويعد ان افترق بنو الطينة في بطاح الارض نشأ رجل يقال له نمرود كان ذا خلة شرسة فاخذ يكدرح في ان يفتح المدائن فكان اول الفاتحين وهكذا كان ابتداء

التنوحات ورفع لواء حكمه فوق بابل (١) حيث كان المتمرّدون عازمين عزماً لا يشوبه الوهن ان يبنوا ذلك البرج الذي اخطأ السهم به دون مرامهم وقامت في ذلك الحين اعمدة نينوى العظمى وتأسست بعض ممالك قديمة كانت حاضرة في تلك الازمنة فقد كان في مصر وحدها اربع ممالك وهي تاب وتان ومفيس وتانيس التي كانت قاعدة لمصر السفلى ويمكن لنا ان نعزو الى ذلك العصر ابتداء نواميس المصريين ورفعة اهرامهم التي لم يطوها الى الان مرور الايام وابتداء نشأة المراقب الفلكية المنوطة بهم وبالكلدانيين (٢٨٩٣ - ٢٢٢٣) ولذلك نرى ان رقبان النجوم لا يتخطى ذاك الحين وان الكلدانيين الذين ملكوا ناصية ذاك الفن وافاقوا سواهم به قد خولوا كليستين اياه ليبقيه لارسطو ذخراً

لابد من ان يكون كل شيء قد ابتدأ ودليل ذلك انه لا يتلّف احد تاريخاً قديماً الا يعترف به سواء كان في ما عبر من الاعصار او فيما سياتي منها على اثار بيّنة تدل على ان العالم حادث وانه يرى فيه كيف تسن الشرائع وتدمت الاخلاق وتكون الممالك وانه يخرج من دباحي الجهالة رويداً رويداً ويهد له الاخبار سبيلاً يجعله بصيراً بالامور واحمل لعبه التدبير وبؤله من الاستطاعة على اختراع الصنائع او تحسينها

وكما كثر البشر فوق بساط الارض اصبحت تنبلي رويداً رويداً فانهم كانوا من قبل يدو خون قن الجبال الراسخة ويتبطنون الوهاد ويعبرون الانهار والبحار ويشيدون مواطن جديدة نقيهم من لوافح الحر ونوافح البرد فان الارض لم تكن اذ ذاك الا مفاوز فخلعت ثوبها السخج ورفلت بيرد حياً لها رونقاً وجمالاً . فقد جذمت عن عانقها الاشجار وامست مزدراً ومسرحاً ترتعي فيه المواشي وربة نقام عليها الدساكر والفرى والمدائن واخذ بنو الانسان يتعلمون ان ينتصوا نوع الحيوان فدجنوا بعض ما اقتنصوا واستخدموه قينة لهم ووطنوا يصارعون الضواري ويقاؤون اقوياءها فتال بذلك صناديدهم اعلام الظفر ويهتهم ذلك على اختراع السخج ندينهم فيما بعد الى ان يتقاتلوا بها فذاع حينئذ ذكر نرود وسبق الابطال بافتتاح المغلفات فدعاه الكتاب المقدس جبّاراً صياداً .

وكما ان الانعام كانت له الجرّة على اقتحام الحيوانات وتدجينها افضى به ذكوره

الى تخليق النار وتاميل النبات واخضاع المعادن لمشيئته واستخدم رويداً رويداً من ثم  
الطبيعة باسرها . ولما كان من الطبع ان الوقت يدرجه الى اختراع اشياء حجة قد ابرح  
تتادم الايام كثيراً منها من بالوان ما ابتداء نوح من الصنائع الاولى لنسله كان مرغياً  
بكامله حيث نوى النوع الانساني اولاً لكننا اصبحنا الابلام تغتاله كلما كانوا يتشاصون عن  
تلك الانحاء فصار من متبادر الامر اما ان يشنوا اليها عاكفين على تعليلها او ان الذين  
رسخت في ادفتهم يطرحون بها اليهم وبناءً عليه نرى ان كل شيء قد تالي من  
تلك الامصار التي ما برحت مقطونة . ولما كانت مبادئ الصناعة حجة ما بينهم  
كان الناس يتبسسون كل يوم اموراً ذات بال لم يروا لهم مندوحة عنها . فضلاً عن  
ذلك فان معرفة الله وذكر التكوين لم يكونوا يسدلون عليها حجاب النسيان في بادىء  
الامر لكنهم هوروا في ما بعد الى وفاد الاهال وغادروها نسباً نسبياً واخذت  
التقليدات تناسى وبغشها حجاب الظلام وقتنها خزعات لم ترع منها سوى تصورات  
سحرة ففتشت الالهة وذلك ما بعث الاله الحق على دعوة ابراهيم

## العصر الثالث

في دعوة ابراهيم او معاهدة الله للبشر

(الاجل الثالث للعالم)

لما رأى الله ان الشعوب كانت تجمع بهم اهواؤهم الى فيافي المجد والانكار وانهم ركبوا مطايا  
الكفر والطغيان جانحين عن جادة الحق اصطفى له شعباً من بينهم متورعاً يذلل فيهم  
تلك الخلال النبية وذلك بعد ان توالى على الطوفان اربعة ايام وست وعشرون سنة فاختر  
من بينهم ابراهيم خيلاً صفيّاً له ليكون جرثومة يخرج منها المؤمنون (٢٢٦٦ بـ ١٩٢١)  
فاوعز اليه ان يوافي ارض كنعان حيث يكرس فيها عبادته ووعد بان نسله ينمو كثيراً  
فينوق نجوم السماء ورمال البحار عدداً وانه يسخه الارض التي ولد فيها لتكون مقبولة  
ولسائر اخلاقي من بعد واعظم من ذلك ان يسوع المسيح ياتي من ذريته فيكون بركة  
علوية تمثل على الشعب الذي يرح فوق بساط الارض فلا ريب في ان يسوع المسيح  
هو الذي ابرز له ابراهيم مآثر الاكرام بشخص الخبر ملكي صادق الذي مثله وانسدى اليه

عشر الغنمة التي انتزعها من الملوك الذين ارحمهم مغالب الظفر ومن لدنه وحده قد  
حظي بالبركة

ولا يخفى ان ابراهيم كان عظيم الشوكة غائصاً في لجة الترف ورغد العيش وبالكفا  
من حطام الدنيا وحذاقها مالا يتجاوز ذور العروش السبعة ومع ذلك فلم يدع  
لعوائث الفدية بواعث تحمله على اسرارها في زوايا الاهال فلم يكن متأنفاً بالملبوس  
والمطعم وكان ذا عيشة رعائية سذجاً يداؤه لم يكن يغادر الكرم جانباً يوم كان  
يقري المتضفين

وبعث اليه العلي صبوراً (٢٢٦٧-١٨٥٦) وانذر الملائكة بمآرب الرب فاذا عن  
للانذار موعناً ولاحت عليه سمات النقي والبر والامانة ونهض في عصره ايناخوس اقدم  
ملوك اليونان قاطبة وشاد مملكة ارغوس .

وقد خلف ابراهيم ابنه اسحق وحيداً يعقوب اللذان لم يكونا الا ليقتديا بامانة  
ذلك الاب الصدوق فانها كانا عائشين عيشة الرعائية واعاد الله عليهما المواعيد  
ذاهما التي وعده بها وقادها في كل شيء كما كان ينتفد برحمته العلوية فيبارك اسحق  
يعقوب الاصغر بدلاً من اخيه عيسو البكر (٢١٢٩-١٧٥٩) وان حسب الناس ذلك  
زهماً منه وشططاً فانه قد اتم ما رآب العلي وقرر ميراث الشعيين ولم يكن ذلك الا  
امراً مقدوراً .

واما عيسو فقد لبس بادوم فخرج منه قوم يقال لهم الادوميون . واما يعقوب  
فكان يرعاه الله وياخذ بيده ففاق اخاه عيسو بكل ما ينجح اليه فكره . وازحف عليه الملك  
فقاتله قتالاً ممثلاً اسراراً ودعاه من بعد ذلك اسرائيل فقبل لاخلافه اسراييليون ونشأ  
منه اثني عشر اباً كانوا رؤساء اثنتي عشرة قبيلة عبرانية ومنهم لاوي فجاءه اخلاف بنال  
لم لاويون فانهم كانوا بينهمكون في خدمة الاسرار الالهية .

ومنهم يهوذا الذي نشأ منه النسل الملوكي ويسوع المسيح ملك الملوك وسيد السادات  
وبوسف الذي ارقت عليه عواطف ابيه فانه ارقاه الى اعلى مكانة من الاعزاز والاكرام  
فوق سائر اخوته .

وعلينا ان نستلث الانظار الى هذه المدرجة العظيمة لنرى ان الحكمة الالهية ابرزت  
اسراراً جديدة . فيتضح بر يوسف وطيب سريرته وفرط حكمته واذلاله الرذائل بحسام

ذكائه الثاقب وإعجابهم بمقامها في خوته وإحلامه السرية والنبوية وصبره عرضة  
لحسد اخوته كما كان قايين (١٧٢٨-٢٠٩٧) وبيع هذا الابي الصالح وإصراره على  
الامانة نحو سيده . وعنافة الغريب الذي سبب له اضطهاداً عظيماً (١٧١٧-٢٠٩٢)  
وسجنه مغلولاً وثباته ونبوته وخلاصة العجيب من دركات السجن وتعبيره لاحلام فرعون  
(٢٧١٥-٢٢٠٩) واستنمائه والمعينة السامية واستقامته ورعاية الله له التي اتاحه له  
السلطة مخففة ايان حل وتبصره في ما سباني من عواقب الامور وارائه السديك وقبضه  
في مصر السفلى على زمام السلطة المطلقة التي مكنته من انفاذ ابيه واسريه

اما بنو اسرائيل فقد نالوا الرضى والاعزاز من لدنه تعالى واتخذوا مصر موطناً لهم  
وقد كانت قاعدتها وقتئذ مدينة تنايس وكان ملوكها يلقبون بالفراعة ٢٠٧٦-١٧٠٦  
وبادمت المنية يعقوب ٢٠٥٩-١٦٨٩ وتنبأ عند احضاره نبوة ذائعة الصيت ايان  
لاولاده فيها الحالة التي يتعارق اليها اخلاقهم و ايان ليهوذا زمن المخلص الذي ينشأ من  
نسله فلم يمر على سرة يعقوب زمن قصير الا اصبحوا شعباً يمد يده الى الارض فاحدثت  
قلوب المصريين عليهم حسداً وبغياً وطفنوا يعاملونهم بالاساءة والجور ويطرحون  
الرحمة عنهم جانباً فاقام الله لهم موسى نصيراً ١٧٢٥-١٥٧١ واستلفت اليه انظار ابنة  
فرعون الهاماً فانفذته من مياه النيل واخذخته ابناً وقامت باعباء ثقيفة حسب حكمة  
المصريين وقد كان المصريون اذ ذاك يسبرون مهاجرين من ارضهم الى ارجاء مختلفة  
من اليونان . فناد سيكروبس نخلة من مصر الى هنالك بنت اثني عشرة مدينة او  
بالاخرى اثني عشرة قرية ١٦٤٢-١٥٥٦ تالفت منها مملكة اثينا ففر فيها نواميس  
وطنو والالهة التي يؤدون لها العبادة في مصر وحدث في تسالية بعد ذلك بوجيز من  
الزمن طوفان ديكاليون فتوسم اليونانيون انه الطوفان العرمي واتسع نطاق الحكم لهيلان  
بن دكاليون في جهة فينيقية من بلاد تسالية فانتفى اليه اليونان في تلك الامصار فتلقبوا  
بالهيلانيين بعد ان كانوا يتلقبون بالكريك واما اللاتينيون فلم يحفلوا بذلك بل لبثوا  
يلقبونهم بالاسم القديم ويعتبرون من ذلك العصر راحل كادموس بن اجينور بنخلة فينيقية  
الى بلاد اليونان آخذاً معه آلهة سورية وفينيقية فوطد اركان تاي في بلاد بهوسيا واما موسى  
فقد كان وقتئذ يبلغ اشدّه مترعاً فما وصل الى سن الاربعين من اجله نبذ ورائه  
الترف والنعم في البلاط الملوكي واستمضته مآثر الرحمة والرافة ليزحج الانتقال التي



كانت تعني اخوته الاسرائيليين (١٥٣١-١٦٨٥) فتصدى للاخطار الويلة رجاء ان  
يلصم من تلك الحبايل المكينة لكنهم لم يكونوا ليغيبوا فرصة غيرته ويتخذوا جرأة مجناً لم  
يل اجموا عليه غضب فرعون فولى مديراً من تلك الاقطار الى جهة مدين من بلاد  
العرب فعاد ثمة بلاذ اناحت له النخلة لانقاذ المضطدين فهذا الرجل العظيم سواء كان  
يعز رجاءه من خلاص شعبه او يتظر زمناً يتدبه الى ذلك قد تمهك في رعاية الضئان  
هند حيه ينيواربعين سنة الى ان رأى العليقة ملهبة ١٤٥١-١٦٤٦ في البادية فنباحه  
الله الاله ابائهم منها وبعثه الى مصر ليرفع نيران الجور عن اعناق اخوته فظمرت حيث لم يبره  
ودمائه اخلافه وجرأته وعجائته وصالدة قلب فرعون والريزايا المائلة التي اعطها الله  
عليه والنصح وعبور البحر الاحمر وفرعون والمصريون تلعب بهم ايدي اللجة غارقين وانقاذ  
شعب الله من وهاد المسكنة فائرين

## العصر الرابع

في الكلام عن موسى او السنة المكتنية

(الاجل الرابع للعالم)

برزت السنة الى حيز الوجود فبدت على ايدي موسى ساطعة وذلك بعد دعوة ابراهيم  
السنة الاربعاء والثلاثين وفاقاً للسنة الثمانية والست والخسين بعد الطوفان والسنة التي  
نزع فيها الشعب العبراني من اراضي مصر ١٦٤٥-١٤٩١ فان هذا التاريخ هام جداً  
لانه الوساطة الكبرى التي تدل على كل الازمنة القارة منذ موسى حتى يسوع المسيح  
وانه ليدعى زمان السنة المكتنية تميزاً له من زمان السنة الطبيعية الذي لم يكن فيه  
للشعر وقتئذ من شكيمة سوى العقل الطبيعي واحاديث آبائهم

ولما اراح الله شعبه من اعنات المصريين وجورهم واقتادهم الى الارض التي اصطفاهما  
متدى يعبدونه به انزل عليهم قبل ان يطئوها السنة التي قضى عليهم برعايتها وكتب  
مبادئها يد على لوجين سلمها لموسى فوق ذروة جبل سيناء وفي الوصايا العشر التي تترتب  
عليها عبادة ذي العزة والرحمت وتوقف عليها دائرة الهيئة الاجتماعية  
والتي عليه نوايس اخرى شاد حسب منطوقها قبة العهد رمزاً الى الزمان

الذي سباني والثابت وما يدل على ان العلي كان يقطنه عجائبة المخارقة التي كانت  
تدوي وانباءه ايضا بمكانه هارون اخيه الباذخه وكنوته العظيم وحبرته الوحيدة التي انيطت  
بهدته وعهدة اخلاقه وطقوس تكريسهم وهيئة كسائهم الرمزية ووظائف الكهنة اولاد  
هارون ووظائف اللاويين والفرائض الدينية التي يجب عليهم حفظها ولا سيما الفرائض التي  
تتكفل بتحسين عوائد شعبه المصطفى وحسن ادارتهم الداخلية والتجارية وقد توطأ هو  
نفسه لان يكون شارعهم اما الشعب فقد استمروا يطوون البوادي والفاروزاغوا عن  
محجة العدل متمردين فانخذلوا لم اصناما يعبدونها فانذرهم الله عذابا اليما معاقبا ثم عالمهم  
بالحسنى رجوما معزيا وقد كان ينتقدهم بعنايته يتفقهم رويدا رويدا بكل واسطة تعود  
عليهم بالنفع العليم وبعد ان فتكت بهرون مخالب الردى نبوا ولك اليعازار مكانة  
الحبرية رصينا ١٦٠٥-١٤٥٢ وبدا دينب الغيرة في فواد فينيس بن اليعازار فوعده  
الله بان يكون الكهنوت في حوزة اخلاقه وفي ذاك الحين استمر المصريون ينشرون  
مخلاتهم في جهات متغايرة ولا سيما في بلاد اليونان حيث دانوس المصري سلب الملك من  
الملوك الذين من ذرية اينوخوس واستوى ملكا على عرش ارغوس واما العبرانيون ففي  
نهاية يسارهم في البطاح والنيافي اصلوا نيران النجاء واغنىهم النصع بدعاء موسى مصليا  
معتزلا وبعد ذلك مات ذلك الفاضل التريه ١٦٠٥-١٤٥١ وترك للاسرائيليين كامل  
تاريخهم فانه اثابه الله نقر في تاليفه مدققا واوعاه كل ما حدث منذ بدء العالم الى يوم  
موته وقد اتته من يبع يشوع وخلفائه واجتثروا الى جملة اسفار منها سفر يشوع وسفر  
الفضاة واسفار الملوك الاربعة

اما ذلك التاريخ فقد اوعب بالاموس كاملا وقسم الى خمسة اسفار تحوي مبادئ  
الدين وبعد ان اغتالته طائلة الموت زارت مواقد الحرب في عهد يشوع ١٥٩٩-١٤٤٥  
وفتح الارض المقدسة مظفرا وقسمها الى اقسام فعثا الشعب وغرد وعوقب وتوطد مرارا  
متباعدة ولدن ذلك جد عشتيل في منازلة اعدائه فانتصر فائزا ورفع عن شعبه نير العبودية  
الذي الفاه على عوائدهم كوشان ملك ارام ١٥٥٤-١٤٠٥ وبعد ان تقادم على ذلك  
من الجحوشول ثمانون ظهر اهود على عجليون ملك مواب ١٤٩٦-١٢٢٥ وفي وشك  
ذلك الزمن حكم في يلبونيزيا يلبوس الفرعيمياني ابن طنطال فتسمت تلك البلاد  
الشهيرة من ذاك الوقت باسمه ١٢٢٠-١٢٢٢

وقدم الكلدانيون للملكم باعال عبادة الهية وهبط الاسرائيليون الذين لم يرجعوا  
 جيلاً الى حضيض العبودية فان يابين ملك كنعان ضيق عليهم سعة الارتياح وقهرهم  
 اذلاء منكسين ١٤١٦-١٢٠٥ اما النيثة دبورة التي كانت قاضية للشعب وباراق بن  
 ابينوعم فقد استظفرا على سيسارا قائد شعب ذلك الملك العتي واحبطا سعية مديراً  
 ١٢١٦-١٢٨٥ وبعد ان مر من ذلك الآن اربعون عاماً فاز جدعون دون قتال  
 واقتنى آثار المديانيين واعمل بهم السيف البائر ١٢٤٩-١٢٤٥ وقتل ابنه ايبالك  
 اخوته واخلاس السلطة فدانت له صاغرة ١٢٠٩-١٢٣٦ وكان ملكاً جائراً لا يبرى  
 للعدل جانباً فترعت السلطة من يمينه وهلك غير ماجور عليه واما يفتاح ١١٨٧-١٢٤٢  
 فقد خضب انتصاره بهرق دم لا يفتح الله التوبة عنه الا بسره الهى لا يطرق اسماعنا  
 النبأ عنه ولا نحن الى كنهه بتوصلين وقد طرأ في ذلك الحين اشياء كثيرة بين الوثنيين  
 يصوب اليها السمع لانه على حسب تاريخ هيرودوت الذي ترجمت صحته على غيره يجب  
 ان نحصر تاريخ نينوس بن باعال وانشاء الاولى لدولة اثور بخمسمائة واربع عشرة سنة  
 قبل تشييد مدينة رومية وفي عهد دبورة ١٢٦٨-١٢٦٧ فان هذه الدولة العظيمة  
 الشوكة والسامية العز قد كان مركز صولتها في نينوى المدينة التي كانت شهيرة وقديمة (١)  
 ومد اليها الملك نينوس يد فارجحها ابنة وزين ظاهرها . فان المؤرخين الذين يزعمون  
 ان دولة الاثوريين قد استمرت ألفاً وثلاثمائة سنة ياخذون على ذلك دليلاً قدمية المدينة  
 واما هيرودوت فانه يقول ان اجلا لم يعمر اكثر من خمسمائة وعشرين سنة واعتبر  
 ذلك وقت بدوخ مكانتها وسيادة سلطتها في عهد نينوس بن باعال الذي جعل شوكتها  
 ممتدة في اسيا العليا وقد تشيدت او تجددت مدينة صور في عهد هذا الملك الظافر  
 واصبحت في غابة قصوى من الشهرة بسبب مهارة قاطنيها في سلك البحار وبسبب الرحل  
 الذين جاحوها وامتدوا في افطار العالم . وبعد عهد ايبالك بنقيل من الزمن  
 ١٢٣٠-١٢٥٢ لاحت اعمال هرقل البطل الصنديد ابن انقيريون وبدت الحروب  
 التي الهب شرارها تازي ملك اثينا الذي احرز في مدينة واحدة كل الدساكر والفرى  
 التي بناها سيكروبس وسن لاينا قوانين سادت لدى الناس شهرة ففي عهد يفتاح

كانت ممبراميس أرملة نينوس ووليه ابنها نينياس توسع مملكة الاثوريين بكثرة فتوحاتها  
 هبت النار المحرقة في ابنية تروادة الشهيرة التي فتحها في سالف الزمن اليونان في عهد  
 لومودون ملكها الثالث وهوت دائره باليونان انفسهم واصبحت كأن لم تكن شيئاً مذكوراً  
 وذلك في عهد بريام بن لومودون بعد ان حاصرها اولئك اليونانيون عشر  
 سنوات ١٢٧٠ - ١١٨٤

## العصر الخامس

في الكلام عن افتتاح مدينة تروادة  
 (الاجل الخامس للعالم)

في نحو السنة الثلاثماية والثاني بعد ان جلا اخصاء الله عن مصر وسنة الالف والمائة  
 والاربع والستين ٢٠٣٨ - ١١٦٤ بعد الطوفان عثت بتروادة ايدي الدثار فاصبح طود  
 عزها مذكوكا هابطة هبوطاً رائعا فكان عصر سقوطها مهماً وسبب اهميته اما ان يكون  
 بالحوادث الرائع الذي انشده الشاعران الختريزان اكبر شعراء اغريقيا وابطاليا ولا مكنانية  
 ما نراه الى ذاك الحين انه اهم ما بطراً في تلك الاحقاب التي تدعى خرافية او بطلية  
 فسبب تسميتها خرافية موقوف على ان الحوادث التاريخية كانت وقتئذ مكتنفة بالخرافات  
 وسبب تسميتها بطلية موقوف على اولئك الذين دعاهم الشعراء اولاد الالهة وابطالاً ولم  
 تكن ايام حياتهم قاصية عن فتوح تروادة العظمى فقد بدا في عصر لومادون ابو بريام  
 ابطال التوازن الذهبية وهم جازون وهرقل واورفا وكاستور وبولكس ومن كان  
 مشهوراً من نظرائهم في ايامهم السالفة ونشأ في عصر بريام يوم ان حوصرت تروادة  
 حصاراً نهائياً اشيل وكامنون ومينيلوس وعولوس وهكتور وسريديون بن جوييتار  
 وانه بن الزهراء الذي يتخذ الرومانيون اصل نشأهم وابطالاً اخرون قد كانت شعوب  
 عظيمة واقوام حجة ينتخرون بانهم اليهم يعتزون فبناء عليه اصبح ذلك العصر يستأهل  
 ان يعزى اليه احراز الحوادث ذات التحقيق والعظمة التي جرت في ايام الخزعبلات  
 الباطلة

اما الكتاب الاقدس فقد انبأنا عن هم اشد باساً وعظمة منهم فانه ذكر لنا قوة

شمشون ووهنة الغربيين ١١٥٢-١١٧٧ وعالي الحبر الاعظم الذي نال الدرجة القصوى  
من الميرة في الزاخرة ولقد بادته الذلة والحمول بجرائر اولاده الخاملين ١١٥٢-١١٧٦  
وصموئيل من ندر بدثار العدل نبياً عفا الازار مصطفى من العلي ليمسح الملوك  
١٠٨٠-١٠٩٥ وشاول الملك من كان اول من دانت له الامرة على اصفاء الله فباز  
مظفراً وقم الفرائين متعظاً لا يطلب من الكهنة اذناً يعاصي او امر الله معتذراً بالدين  
فلم يكن عذره مقبولاً فاذله الله مردولاً وجعله هاوياً هابطاً الى اسفل الخضبض  
وكودروس ملك اثينا في عصر من اسنات خفية عن شعبه فكان لم بذلك فوز وغلبة  
وتنازع من بعد الملك ولداه ميدون ونيله فاغنم حيثذ الاثينيون الفرصة والقوا السلطة  
الملوكية واعلنوا ان لا يكون عليهم سوى جوينار ملكاً واقاموا لهم ولاية وازعين دعوم  
اركونت وقسروهم على ان يستمروا مبرزين لم حساباً على كل ما يتجشمون من مهام  
الامروكان اول من قبض على شكية الملك ميدون بن كدريس ودان الحكم لعصيته  
من بعده زماناً مديداً وتناثرت النحلات من اثينا الى انحاء اسيا الصغرى فدعيت تلك  
الانحاء ابونية وفي ذلك العصر نفسه كانت تمتد الرحل الاهوليون فعدت من ثم انبيا  
الصغرى مغربة من المدائن اليونانية وبعد ان شرب شاول كأس الخوف  
١٠٤٠-١٠٥٥ نهض داود فانتكاً على اريكة الملك وقد كان في بادية الامر راعياً  
للضئان عجبياً وجندل جليات الجبار صريعاً واستظهر على كل اعداء الرب فرحبت له  
ساحات الصولة فاتحاً فتجماً ميبناً وتنبأ صالحاً ورعاً وكان اهلاً لابراز مكنونات الشيد  
للعة الصمدية وقصارى الامرانه كان راضحاً لمشيشة الله كما دعاه هو نفسه وشط بعدئذ  
مجرماً تائباً فاحال زبغانه لمجد الرب ١٠٢٢-١٠٣٤ وخلف هذا الملك الصالح الجافع  
الى الحرب سليمان ولده الحكيم عادلاً وراعياً في الهدوء والسكينة ١٠٠١-١٠١٤ فلم  
تخضب يدهم بالدماء المهرقة ولذلك كان قميناً بان يشيد هيكل الله عظيماً  
١٠١٢-١٠٩٨

## العصر السادس

### في الكلام عن سليمان او اتمام بناء الهيكل

(الاجل الخامس للعالم)

ان سليمان اتم بناء الهيكل لله ١٠٠٤ — ٩٩٢ في تشرين الثاني سنة ثلاثة الاف بعد الخليفة وفاقا لسنة اربعماية وثماني وثمانين بعد نزوح شعب الله من مصر وان قبول زمن التاريخ دينيا معه دينويا نقل ان سليمان انجز بناء الهيكل سنة مائتين وخمسين قبل تشييد رومية وسنة المائة والثمانين بعد افتتاح تروادة وسنة الاف قبل المسيح فاقام باعباء تكريسه بمظمة وورع عظيمين وكانت معجزات احكامه في امسى مكانة من الشهرة وتناهت احكامه بالثريب والمعائب لانه نصي النساء عاشقا فحدث انوار عقله وضعف قلبه وفسدت ثقاه وتصدى لعبادة الاوثان جاحدا فالنقى الله عليه غيظا عادلا ثم هامله بالرفق والرحمة كرامة لذكر داود الصدوق عبده لكنه لم يترك عقابه لنكرانه الجبيل نسبيا منسيا بل جزا بعد موته مملكته على عهد ولدك رجبعام فان ذلك الملك العاتي تكبر وطفى فاخسره الله عشرة اسباط اقصاهم باربعام عن الهمهم وملكهم ٩٦٢ — ٩٧٥ وصددهم عن الذهاب الى هيكل اورشليم ليندموا فيه الثرايين خيفة ان يهودوا الطاعة والرضوخ لملك يهوذا ولهذا اقام لهم آلهة عجولا من ذهب دعاها آلهة اسرائيل طمعا في ان لا يرى الشعب ذلك امرا غريبا لكن هذا الصدد حمله على ان يرعى الشريعة الموسوية التي كان يقوم بتاويلها حسب امياله وكان يحض شعبه على رعاية الجنايب الاوفر من التاموس نظاما مدنيا ودينيا فكانت خمسة الاسفار لموسى مرفعة المقام مرغية من اولئك الاسباط الضالين المنفصلين فاتصعب لذلك مملكة اسرائيل التي اصبح الكفر فيها سائدا فعثا اهلهام منسددين ونصبت لمملكة يهوذا حباثل البغضاء والشحناء واما مملكة يهوذا فقد كانت لاتنبذ الدين جانبيا وان كانت تلم به كوارث المحجد والكفر الذميم ولقد كان وقتئذ ملوك مصر يصعدون الى اطوار العنق والشوكة فان اربعة الممالك كانت مخازة الى مملكة ناب وقد ذهب الناس الى ان سيزوستريس الفاتح الذي ذاع صيته لدى المصريين هو اسزك نفسه الذي قواه الله على ان يبيل رجبعام العناب الرهيب لسبب كره المنط ٩٥٨ — ٩٧١

وان ايام البر ابن رحبعام قد انتصر على الاسباط المنفصلين في ايام ملكه انتصاراً عظيماً .  
واما ولد آسأ ٩٣٧—٩٤٤ فقد كان متديناً ورعاً ونال في الكتب المقدسة اطروقة  
من الثناء على ذلك غير انه كان يثق بالاطباء يوم كان ممنوعاً بالامراض الملة اكثر مما كان  
يثق بتعبد الله وقد بنى عمر بنى ملك اسرائيل في عصر مدينة السامرة ٩١٤—٩٣٤ وجعلها  
مقر السدة الملوكة واحكم بعد ذلك يوشافاط ٩٠٤—٩١٤ فازدهرت في عصر  
ادواح الدعة والبر واستوى قسطاس العدل وتمهد السبيل لسلك التجار وسادت صناعة  
الحرب فنوسم آل اليهودية فيه احكاماً داودية وقد كان في عرض حكمه احاب وامراته  
ايزابل مسدلين لواء السلطة فوق اسرائيل وكادحين في انتهاك حرمة الهيئة يزوران  
عن طريقي الهداية الى الترهات الباطلة وبمهافتان على الكفر والمجود فضلاً عما كانا يتسنان  
بعبادة ياربعام الوثنية ٨٩٠—٨٩٩ فتكت بهما برائن البؤس صاغرين وهويا الى  
دركات الشقاء هالكين اما الله فقد ابقى لها في فكره عقاباً رائعاً فاراد ان يثار نابوت  
الصدق الذي قتله لئمنه عن ان يبيعها سرمداً ارث آبائه حسباً نامره السنة الموسوية  
فانذرهما بقم عبده اليا النبي عذاباً فاخذ الملك احاب يترصد سبيلاً يقيه من غائلة  
الردي فلم يجده ذلك نفعاً فانه هلك مقتولاً ٨٩٧—٨٨٨ وقد تشيدت به في ذلك  
الوقت مدينة قرطاجنة ٨٦٠—٨٩٢ فشادتها ديدون الصورية على ضفة البحر  
الرومي حيث تكون محطاً لرحال التجارة وتكون لها السيادة البحرية . ولقد عسر علينا ان  
نعرف الوقت الذي به خففت اعلام الحكم الجمهوري في تلك المدينة لكننا نهد ان  
امتزاج السوريين والافريقيين جعلهما مثابة سامية للتجار والصدام واما المؤرخون  
الافديمون الذين وقفوا على ابان بنائها وعلموا ان ذلك كان قبل اندراس تروادة العظي  
فقد يؤخذ من كلامهم ان ديدون جعلها في غاية السعة وقوتها وان بنائها لم يكن  
موقوفاً عليها . واما مملكة يهوذا فقد بادتها الشعوب المتغاية لان عتاليا بنت احاب  
وايزابل اتت الى بيت يوشافاط باو حال الكفر والفساد ٨٨٠—٨٨٥ واما ياربعام  
فقد نبذ وراء ظهره اعمال ابيه وتهمك في ما يقوم بعينه حمزة فحلت عليه يد الرب وكانت  
ايام حكمه قصاراً ومات شراً ميتة ٨٧٦—٨٨٥ وقد كانت معجزات الرب في خلال  
تلك العنابات جليلة الوقع بل كان اجالاه مصروفاً في سبيل انقاذ الاسرائيليين الذين  
كان يدعوهم الله الى التوبة فاهم عبديه ايليا واليشع ان ياتياهم بالمعجزات تنبئاً واتيا

بالعجائب الينة فلم تدمت بذلك خالماً فقد رأيت ابصارهم وعمت عنها بصائرهم فلم  
 يتوبوا . فان دينك النبيين تنبأ في عهد الملك احاب وخمسة من خلفائه واشتهر اذ ذاك  
 هوميروس وذاع صيت ازبود الشاعر من قبله ثلاثين سنة فاعزز اليها عن تلك العوائد  
 القديمة والسذاجة الباقية التي هي حرية بان تكون ذات بال وتشعر بقدمية الآثار ومن  
 ذلك فائده كبري تبعتها على اليقين بعظمة اثار الكتاب المقدس وقدميته وان اموراً  
 رهيبة قد حدثت في مملكة يهوذا واسرائيل فان الملك ياهو قد حرق من ايزابل حنفاً  
 بعثه على الايناع بها فامر بطرحها من قبة برج حالي الى اسفل ٨٧٦-٨٨٤ ولم تجد لها  
 الحل التي كانت لتخرج بها نفعاً فانه قد امر بها ان تداس تحت سنابل خيلك وقتل ايضاً  
 ملك اسرائيل المدعى يورام بن احاب فانقضت كل سراة احاب وكانت السلالة  
 الملوكية في يهوذا قد اوشكت ان تنكس بها ايدي الابداء والافتراض لان اخزيا الملك  
 الذي ابوه يورام ملك يهوذا وامه عتاليا قد تعرض بدمايته قتيلاً في سامرة هو وسائر  
 اخوته بحجة انه كان يمين وثاق الاخاء يمينه وبين اولاد احاب ولما تناقبات الالسن ذلك  
 الخبر واصبح شائعاً في اورشليم ازمنت عتاليا على ان تبعد كل من تراه باقياً من بيت الملك  
 حتى انها فتكت باولادها فتكاً ذريعاً وقد بعثها على ذلك الكلف بركوب تحت اورشليم  
 بعد موت بنها اما يواش ابن اخزيا فقد نجى من مكائد خدته بوساطة يوشاباع اخنوخ  
 امرأة يوياداع رئيس الكهنة التي وارته في مخدع الرب وبذلك الوسيلة الماثورة انتقلت  
 هذا السوء الثمين من نسل داود . وكانت عتاليا في دعة واطمئنان لانها كانت تنكر  
 ان ايدي المية قد اغتالته مثل اخوته . وفي تلك الايام كان ليكورك يسر شرايع باهظة  
 على مدينة لسيديمون وقد اصابته سهام اللوم والتفديد لانه جعل موضوع كل تلك الشرائع  
 الحروب اقتداءً بمينوس الملك غير آت بنظامات يترتب عليها آداب النساء بل  
 كان يجعل الشبان في شطف شديد من العيش رجاء ان ذلك يكسبهم فيما بعد قوة على  
 الانحدار الى كل معصية رائعة وقد كانت عتاليا وقتئذ يخلو لها الجوف في اليهودية لا يفتخر  
 اخذ لماضيتها فخالته ان عرش ملكها لا يشل لانها لبست حاكمة ست سنوات ولم يثر عليها  
 احد لكنما الرب اعد لها في ميكلو من يوم بالانتقام منها جزاء لنفسها بما فعلت فان يواش  
 لما بلغ من العمر سبعة اعوام ٨٧٠-٧٧٨ رفع امره يوياداع الكاهن الى بعض ظهراء الجيش  
 الذين تخرج نفوسهم اليه واستنصر اللاويين على تنصيبه فوق سرير الملك فبسطه اذ ذاك



ملكاً في الهيكل فدانت له الرعية ووثقوا به خليفة لداود ويوشافاط ولما ذاع النبا عنه  
اسرعت عناليا على تشعبت المتخالفين له لئلا بدرت اليها الاكف فشد وثاقها وقيدت  
الى حيث غودرت تستقي صاب الردى الزوام عتبا على جرائرها المستكرهة اما يواش  
فاستوى بعدها على صورة السلطة واعنصم بعري السنة الموسوية برعى زمامها طالما كان  
يوياداع الكاهن حياً فبعد ان فتكت يواظفار النية انفس المصانعون فبعد الاوثان  
فتق ذلك على ذكرى المجران يوياداع واراد ان يوبى فاعز الى يواش ان ارشنة  
بالحجارة رجماً ففعل ذلك نابذاً كل مبرات ابيه ٨٢٢-٨٤٠ ولا رب في ان تلك  
المجرية تأتي بعدها العناب صاراً فان السريان اوسعوه في السنة الثانية تهرجاً واعتاناً  
وامننه الشعب وقتله آل بيت فخلته ابنة امصيا فطاطاً له راس العرش سالكاً احسن  
منه ٨٢١-٨٢٩ واما مملكة اسرائيل فقد ومن حولها وطولها لكثرة ما ارهتها عياء ملوك  
سوريا وما توالى عليها من الحروب الالهية لكنها بعد ان اوشكت ان تكون ظامسة نهضت  
في عهد الملك ياروبوعام الثاني الذي جر رداء السلوة على سلفائه بتقواه ٨١٢-٨٢٥ واما  
عزرياً او امارياس بن امصيا فلم تكن احكامه في يهوذا باقل شوكة ومصال منه  
٨٠٢-٨١٠ لكما عراه بعد ذلك داء البرص منضياً واقم عليه القريب كما انبأنا  
الكتاب المقدس نظراً الركوب في اواخر حياته من المجرأة على ان يجلس وظائف  
الكهنة بتقدمه كباء الجور على المذبح العطري عالماً ان ذلك من الامور التي لا يسوغ  
لغير الكهنة ان يقوم باعبائها فافرز عن الناس محرراً طبقاً لما نصته شريعة موسى وان  
يكن ملكاً فخلته ابنة يوناث واستوى على طود العز عادلاً يسوس البلاد بكل دراية  
ودراية وقد شرع الانبياء في عصر الملك عزرياً ان يكتبوا نبوانهم اكتتاباً في اسفار  
خاصة ويتركونها في الهيكل رغبة في ان تكون آثراً قديمة للاجيال الآتية واعظمهم هوشاع  
واشعيا واما النبوات الصغيرة التي كانت تلى شفاهاً على المسامع فقد اثبت حسب  
المعاد مع حوادث العصر في دفاتر الهيكل وتجددت في سنة ٧٧٦ العاشر الالمياك  
التي انشأها هرقل بعد ان كانت مطوية في غابر الايام ملقبة زمناً مديداً فتأتى لنا  
حساب الاولياك باعادة القاب الالمياك ومن ذاك الحين كان حساب اعوام  
اليونانيين واليه كان انتهاء الآجال التي يصنفها قرون العالم انها خرافية فان التواريخ  
الدنيوية كانت الى ذاك الحد مشوهة بالخرافات ولم يكن لها نظام سديد ومن ثم

حصل شزوع في قصص الحوادث التاريخية بكل تحرر وتدقيق واشتهرت الألعاب الاولى بانتصار كوريب وكانت اذ ذاك تتجدد كل خمسة اعوام او بعد مضي اربع سنوات كاملة ولقد كان يصير الاحتفال ثمة امام اليونانيين في بادىء الامر في بينا ثم في ابيد وكل من دانت له النصرة ظافراً قابله المشاهدون بتصفيق الاكف وصحج الاستحسان يضعون على راسه اكليلاً وبناءً عليه كانت تلك الألعاب مرعية بعين الاعتبار لانهم كانوا يزادون بها فقهً وهذياً وفي ذاك الوقت كانت ايطاليا ترفل باثواب الخشونة والتغول وكانت للملوك اللاتينيين الذين هم من اخلاف اينة حيازة على مدينة الب واما قول فقد كانت له صولة الملك على الاثوريين وزعم الناس انه كان اباً للملك سردانابال الذي يلقبه الشرقيون حسب عادتهم بساردان بول اي ساردان بن بول وظن ايضاً ان الملك بول اوفول الذي اعتريه سرير الملك في نينوا تاب هو وشعبه عن سيئاتهم تنفيذاً للانذار الذي اوعز به اليهم يوناس النبي وقد حملت هذا الملك الثورة التي تعناها الملوك الاسرائيليون على ان يشن عليهم الغارة ٧٥٨-٧٧١ بيد ان منجم اخمد جذوة غضبه فاقامه سردانابال على اريكة الملك فجازاه منجم على ذلك بالف وزنة ابريزية وفي عهد ابى سردانابال واخر ولاء لكممنون على الاثينيين اخذ هؤلاء الذين قد اغرهم العادة بان يخفوا حيناً بعد حين الى المحالة الجمهورية بوجزون الادارة الاركونية وافضى بهم الامر بعد ذلك الى ان يحصروها في عشرين سنوات وكانت اول من حكم على ذاك النمط شاروبس

واما روميلوس وريموس اللذان هما من ذرية ملوك الب لاهما ايليا فقد اقاما ثانية نيميتور جدها حاكماً على مملكة الب وهو الذي كان اخوه اميلوس قد نزع الملك من يد ومن ثم شادا اعمد رومية في عهد يونام الذي كان وقتئذ منبواً تحت يهودا.

## العصر السابع

### روميلوس او تشيد مدينة رومية

ان مدينة رومية التي كانت تروم ان تجعل العالم تحت حيازتها وتكون مقراً للدين ترحاه حشية انتهاكه قد تأسست في ثالث سنة من الاوليات السادس وفي نحو سنة

اربعاية وثلاثين بعد فتح مدينة تروادة العظمى التي يعتقد الرومانيون انها جرثومة  
لاجنادهم وفي سنة سبعمائة وثلاث وخمسين قبل المسيح ٧٥٤-٧٥٣ وان روميلوس الذي  
ترعرع بين الرعاة النساء القلوب مارنا على الحروب قد كرس هذه المدينة لاله الحرب  
الذي كان الناس يزعمون به انه ابنه وقد حدث في حين بناء رومية طوبس مملكة  
الاثوريين الاولى وذلك بسبب شمول رأي سردينا بال ووهن قواه ٧٥٩-٧٤٨ لان  
الماديين الذين كانت تطيب نفوسهم بزيور سبب الحرب طغوا وتردوا على ذلك الملك  
الخنث واصبحوا انوزجا بامهاته لدى الرعية وكان السبب في اثارهم غايه ارباس والهم  
فلما شعر شعبه بشورة الثائرين وترددم اقتدوا بهم هائجين وجامروا بعدم الرضوخ فلما  
راى ذلك منهم صغرت لديه نفسه وكبر الامر عليه فذهب الى عاصمته نينوا والتي بنسبه  
الى النار وبخصباته ونسائه فاثار حجة حربيا فتكونت من خراب هذه الدوكة ثلاث ممالك  
عظيمة واما مملكة الماديين التي كانت عرضة للتشكيل فقد اتى عنها ارباس او اورباس  
المدعوى لدى البعض بقول نيرالاسرافاق وبعد ان شوهتها النظامات النافذة قبض  
زمامها ملوك اشدها وفضلا عن ذلك ففي الحال بعد حكم سردانا بال ٧٤٧-٧٥٩  
نشأت للاثوريين مملكة اخرى استمرت نينوا حاضرة لها ومملكة اخرى لبابل فانها  
لملكيتان تناقلت ذكراها مولفات المورخين الدنيويين واشهرنا في صفحات التاريخ  
المقدس فمملكة نينوا الثانية شادها تجلت بن فلاسر وبناء على ذلك دعي حسب  
عادة الشرقيين تجلت فلاسر ولقب بنينوس الحديث واما مملكة بابل فقد شادها  
بالادان الذي يلقب اليونان بلزيس لكنه مشهور بلقب نابونصر ولقد كان ذائع  
الصيت واشهر لدى بتوليوس والملكيين الذين يجعلون حسان سنهم من عهده . . .  
ومن الامور التي ترفعت اهميتها ان نوه ان الحسان او تعداد الحمول اصطلاح  
يقفه بنو الانسان ابتدى في وقت موجل قد اشتهر بمجداث ذات بال حملت الناس  
على ان تشبه اليه ولقد كان آحاز ملك يهوذا غائصا في لجة الكفر والثناء فانقلب  
الى هذه الضيق والازمة الشديدة فقد ضايته راسين ملك سوريا وفتح بن رمليا ملك  
اسرائيل بالزحف عليه ففاضلاه شديدا ولم يحلها على ارغام انفو الا دعوة من العزة  
العمدية فبدلا من ان يستنصر الله الذي اثار عليهم هذين العدوين ليعاقبه على شره الفجاء  
الى تجمات فلاسر ملك الاثوريين الاول ٧٣٥-٧٤٠ فاروهن هذا الملك مملكة اسرائيل

وطبق معاقلة مملكة سوريا فاضطحت به اضمحلالاً وفي الوقت نفسه نهب مملكة  
يهودا التي كانت قد استعبدته. ولذلك هب ملوك اثور مستنظفين واهتدوا الى بلاد  
اسرائيل فاتحين ففتحها شلمناسر بن نبجلت فلاسر وجعلها عاقية دارسة ٧١٨—٧٢١  
اما هوشع ملك اسرائيل فقد كان يامل ان سياكون اوسوء ملك ايتوبيا الذي فتح مصر  
ان ياخذ يده يده ولو كان عظيم لباس والصولة فقد ضاق ذرعاً عن ان ينفذ من  
ابدي شلمنصر واما الاسباط العشرة فلما اضحت عبادة الرب في درجات الثلاثي  
والاهال سينوا وتبددوا ابدي سبا بين الوثنيين وتواروا عن الوجوه فلم يبق  
للعيون سبيلاً لان ترى لهم اثرًا او عيناً وفيهم عددٌ نزرٌ ظلٌ بمتزجاً باولاد يهوذا  
فاضحوا جميعهم قمماً صغيراً من مملكة اليهودية وفي خلال ذلك مات روميلوس  
٧١٥ وقد كان ذلك الباسل الصندي يقضى ايامه في مقاواة الصعاب لا يفتحم نائبة الا  
اذها وقال بها لواء النصر ولقد كان في عرض عافته على تاجح نيران الحروب يشيد  
قواعد الدين ويسن نوايس لمؤسسه يستنوب بها ولما سادت السكينة وخففت  
الوية السلام في عهد نيم خليفته اتخذ له ذرية يتذرع بها الى نعمة اعمال روميلوس  
فوطد اركان الدين ودمت اخلاق الرومانيين بعد ان كانت في حالة الخشونة والتغول  
وقد انشأ في ايامه المهاجرون الذين اتوا من قورنتيه ومن بعض مدائن اخرى في بلاد  
اليونان سيراكيز في جزيرة سيسيليا وكروتون وتارنت واربا يكونون قد شادوا مدناً اخرى  
في انحاء ايطاليا التي لقبها رُحل اقدم منهم قاطنون في تلك الانحاء ببلاد يونان العظمى  
وفي ذاك العصر كان حرقيا افضل الملوك طراً واعد لم بعد داود حاكماً في يهوذا  
فخاصه في اورشليم سخر يب بن شلمنصار وخليفته وضيق عليه بجيشه العظيم لكنما ملك  
الرب اباد الجيش في ليلة واحدة ٧٠٧—٧١٠ ولما رأى حرقيا تلك النعمة التي بعث  
بها اليه العلي رَضَحَ وعرف مندار المنة فتعبد لله هو وشعبه بامانة صادقة وسريّة  
خالصة وبعد ان افتقدت يد الرب نفسه ٦٩٤—٦٩٨ نسي شعب اليهودية في عهد ابنه  
منسى التاكر الجميل خالفهم واخذوا يفسدون في الارض ويتدنسون باوحال المنكرات  
وزادت قبائحهم واخذ في ذلك العصر الحكم الجمهوري بنمو بين الاتيين الذين طفقوا  
ينتخبون الاركونت كل سنة وكان اول من تسلم زمام ذلك المصال كرهون ٦٨٤—٦٨٧  
وبينا كانت القبائح والكفر تمتد في اليهودية كانت شوكة ملوك الاثوريين المزمعين ان

بنقلوا منهم تعزز في عهد الملك أصرحدون بن سخاريب وضم هذا الملك مملكة بابل  
الى مدينة نينوى ومد شوكته في اشيا الكبرى كما كانت اثنا شوكة الاثوريين ٦٨٠-٦٨١  
اما الماديون فقد شرعوا ان يعزروا شوكتهم وبرهبوا بها المشوقين اليها فانثا ملكهم  
الاول ديجوس الذي يزعم بعض المؤرخين انه ارفكساد المذكور في سفر يهوديت مدينة  
اكتنان المشهورة واقام له ركبا لمملكة عظمى فاصطفاه الماديون عليهم ملكا جزاء على ما  
انام به من الامتنان ورجاء ان يدرأ كل شعب اثبت بينهم من علم النظام وقد اصبحوا  
وهم تحت قيادته لم الثقة على اذلال ما يجاورهم من الاعداء لكما ملكهم كان غير رحب  
وشوكتهم غير ممتدة واما مدينة رومية فقد كانت في ذلك الوقت ماثلة الى النبو على مهل  
في عهد نوابوس اوستليوس ملكها الثالث ٦٧١ وتنكست اعلام مدينة الب بانتصار  
الاورباس على الكورباس وانحاز سكانها الى رومية النائرة وتوسعت بذلك دائرتها ونفوت  
شوكتها وكان اول من ألع الى توسيع المدينة على ذاك النمط روميلوس فانه احاز اليها  
السايبين وكل الشعوب الذين ذلتهم ايادي الغلبة فبعد ان انضموا الى قلب المدينة  
لاحت على اجبتهم سمات السرور والجدل وجعلوا ما تحشوه من المكائد والاعتنا  
نسبا منسيا واصبحوا رعاة امناء لرومية . وكانت هذه المدينة تنظم جنودها وتحسن داخلتها  
كلما كانت تزداد بنتوحاها وقد شرعت تعتم بصوثاق ذلك النظام في عهد الملك  
اوشليوس فان ذلك قد جرهما الى ان تملك العالم قاطبة

واما مملكة مصر فبعد ان لعبت بها ايدي الشقاق واحذقت بها النوائب من  
كل جانب نهضت من حضض الخسف والحوول وتجددت قوتها في عهد الملك  
بسامتيك ٦٧١-٦٧٠ وهذا الملك الذي قام بناصر اليونانيين والكاربون وطنهم  
في مصر وقد كانت لا تطأها ارجل الاجني الى ذاك الحين لكما ذلك زال منها بعد  
ان تسلح حكمها هذا الملك الرصين وبسبب ذلك جعل الصلات التجارية بين المصريين  
واليونانيين ومن ثم اصبح تاريخ مصر صادق الرواية حقا بعد ان كان مشحونا بالخزعبلات  
التي كان يفتريها المكته كما قال هرودوت

وقد كان ملوك الاثوريين يبنون شوكة واقتدارا الى ان اصبحوا رعية وارهبا للشرق  
كافة وقد ظهر على اركسناد ملك الماديين في موقعة عظيمة ساوسريشان بن اصرحدون  
الذي روي عنه انه بختصر المنوه عنه في سفر يهوديت ٦٥٧-٦٥٥ وان هذا الملك

المستولي عليه وان لم يكن ديجيس نفسه اول من اقام اعمدة اكبانان فبن الحمل ان  
 يكون ابنه فراهورت او افراهورت الذي اقام اسوارها ولما رأى ذلك الملك الاشوري  
 الجبار ان المنعة دانت له والفوز اصبح رقاً يلي مقاله سولت له نفسه على ان يفتح الارض  
 برمتها ٦٥٤-٦٥٦ فجدّ يطوي الارضين الى ان وصل نهر الفرات فعبره ومخرق سيفه  
 البلاد عاثياً من الموضع الذي خرج منه الى ان وصل الى اليهودية واما اليهود ولو كانوا  
 في ايامهم السالفة اجموا ضدّهم غيظ الله بكثرة جرائمهم وهبوا الاصنام امثالاً لنساذ منسى  
 الملك لكنهم تابوا فيما بعد وايّاه وبناء عليه قد ترأف عليهم الرب واطلم تحت ستر  
 حمايته ولذلك قد توقف بمختصر وقائد جيشه اليفانا عن الفتح بواسطة امرأة صديقتها  
 عن اتمام ذلك ولو كان ديجيسيس قد تنكل تحت صدمات الاثوريين فان الماديين  
 اصبحوا بعد موته يعرجون في سلم النجاح والتقدم في عهد خلفائهم وبينما ان فراهورت ابنه  
 وحفيده يسمعان الفرس ويمتدان على بساط الارض فاتحين من اسيا الصغرى الى شواطئ  
 نهر الهليس كانت مملكة يهوذا قد شاهدت نهاية ولاه آمون الشقي ابن منسى ٦٤٠\*٦٤٢  
 وكان يوشيا بن آمون برآفاضلاً صدوقاً من صغرسه وقد اخذ وقتئذٍ يصلح الشوائب  
 التي اتي بها جدد الملوك اسلافه ٦٣٩\*٦٤١ وقد انتصب انكوس مارسيوس على عرش  
 رومية التي ثابرت على ان تمنع بعض شعوب لانيية وتضم اليها اعداءها لتعلم من  
 قاطنيتها وتكتنفهم تحت اسوارها واما سكان مدينة فيث فقد تكبدوا خسائر جمة في عهد  
 خلفاء الملك روميلوس الذي اذاقهم في ما مضى شدة الهول والتصب وقد اخذ انكوس  
 مارسيوس يمد فتوحاته في البلاد الى ان وصل الى ساحل البحر الذي بداني رومية واقام اذ  
 ذاك على ضفته مدينة وسمي لدى مصب النهر وفي ذاك الحين اغار نيولا صار على مملكة  
 بابل ٦٣٦ بيد ان هذا الخائن الذي اقامه شينالادان اوساراك وسلمه قيادة جيشه امل  
 ان يرهق سياكسار ملك الماديين قد اتحد مع استياج بن سياكسار وقبض عليه في  
 نينوا وادمرها بعد ان كانت متسلطة على المشرق وذاتة الصولة في اقطار البسيطة وجلس  
 اذ ذاك على عرش مولاه . وكانت بابل ترفل برداء التيه والكبر في عهد هذا النائح  
 المطاع . ولما تكاثر العثيان والنساذ في اليهودية اصبحت عرضة لما يداهمها من الغوائل  
 ولهذا خيف عليها من كل نائبة ملية وسية ٦٣٢-٦٢٤ توقف غضب الرب عن ان  
 يباده يهوذا نظراً لما كان عليه يوشيا الملك من خفض الجناح وطول الاناة بيد ان

المناسد فشت في عهد اولاده ٦٠٩-٦١٠ وبعد ان مات نبو بولصر خلفه ابنه  
 نبو كودنصر الثاني وانه كان هيباً يفوق ابيه ترويعاً ٦٠٥-٦٠٧ ولقد غمادي  
 باعتزاز النفس والخيلاء وحكته الايام المرهبة التي نظى بها سحر النوايب ففتح فتوحات  
 عظيمة شرقاً وغرباً ولقد سؤلت له الحوارياء على ان كل من يسطر الارض لابد ان يكون  
 تحت نير عبودية بابل وتم ذلك الوعيد والانذار فان اورشليم فتحت ابوابها له لما رآته  
 مقبلاً عليها وولجها ثلاث مرات اولاً في ابتداء ملكواي في السنة الرابعة من حكم يوباقيم  
 الملك ومن ذاك الان يجري تعداد السبعين عاماً لسي بابل الموعز اليها في سفر ارميا  
 النبي وثانياً في عهد الملك جكونياس ابو ياكين بن يوباقيم ٥٩٨-٥٩٩ واخيراً في عهد  
 صديقاً الملك ففي هذه المدة طوى اسوار المدينة وطمس معالمها واحرق الهيكل  
 واستأسر الملك الى بابل وسرايا الكاهن واكثر الشعب ٥٨٧-٥٨٨-٥٩٨ وقد كان  
 اشهر هؤلاء الاسرى حزقيال ودانيال والنبية الثلاثة الذين لم يكن من وسع نبو كودنصر  
 ان يجعلهم يعبدون تمثاله ولا ان يحرقهم بلهب الانون وكانت في ذاك الان بلاد اليونان  
 زاهية زاهرة وحكامها السبعة يتأرجح ذكرهم في ارجاء الكون وكان سولون احد الحكماء  
 السبعة يسكن نوايس للاثينيين قبل اندراس اورشليم بزمان قليل ٥٩٤ وقد كان  
 يجعل للحرية ركناً هو العدل وفي ذلك الان هاجرت اول نجاة من الرحل الفوسيين  
 الفاطنين بلاد ابونيا الى مرسيليا ولما نظفر ترکان القدم ملك رومية وبرح بتسم عظيم  
 من بلاد توسكان واخذ يزين حاضرة ملكه ويدّخر لها عمارات كثيرة انقطع وربد ملكه  
 ٥٧٨ وجاء في عصر الغوليون وكان مقدمة طلبتهم يلويس فحلوا في نواحي نهر الب  
 في ايطاليا ولقد كان في اثناء ذلك اخوه سيجوفيس قاصداً جرمانيا وتحت قيادته نجاة  
 كبيرة من تلك الأمة ٥٦٦ واما سرفيوس تليوس خليفة ترکان القدم فقد نظم الاهلين  
 وربب لنفوسهم حساباً وعليه اصبح رومية ذات نظام بين كيت خاص واما نبو كودنصر  
 فقد حسن مدينة بابل وزينها ولا ريب في ان بابل كانت في ذاك الان تجذب اليها  
 غناء الشرق وغنائم اورشليم يد أنها لم تلبث متمتعاً بتلك الغضارة اياماً مديدة فانها انقضت  
 عن مقامها السامي وهورت الى دركات النذل وقد شاهد ملكها الجبار المهاب قبل  
 انقضاء اجله خرابها الذي كان على واشك الحدوث ٥٦٣ فان ابنه افيلبروداك الذي  
 منته رعاياه لكثرة رذائله لم تدم له ايام السلطة فان تيريكليسورصره قتله واخلس بذلك

ملكه ٥٦٠ وقد كان في الحين ذاته ييزيسنراط يتصدى لاختلاس السلطة السامية في  
 اثينا وابنت تحت يد ثلاثين عاماً رغماً عن نوابس الدهر ورزاياه وخلفها بعد ذلك  
 لاولاده فلم يمكن للملك نرجيليصوران بتحمل شوكة الماديين التي كانت لا تبرح تمتد في  
 الشرق ولهذا شهر عليهم الحرب وبينا كان استياج بن سياكسار الاول يتخز المدافعة  
 اغتاله برائن الردي فحنقه ابنه سياكسار الثاني الذي يدعوه دانيال داربوس ملك  
 الماديين فاخذ حينئذ يتخطى طرق المدافعة فاقام قورش ابن اخيه مندان فائداً على  
 جيشه ابن كميس ملك الفرس الذي كان وقتئذ خاضعاً لسلطة الماديين ٥٥٩ ولم  
 يند عن المعرفة ان شهر قورش التي بانست في حروب متباينة سارت بها الركبان ودوخت  
 الاقطار والامصار في زمان جب استياج فجعلت اكثر ملوك الشرق يرزحون تحت راية  
 الملك سياكسار وسنة ٥٤٨ قبض قورش على كرزوس ملك ليديا في عاصمته وسلبه  
 خزينة العظيمة وبدد الذين يحالفون ملك بابل على اليهود وجعل شوكتة سائدة في  
 سوريا واسيا الصغرى ٥٤٣ ثم تقدم الى بابل وفتحها ٥٣٨ واطلق لخاله سياكسار السلطة  
 عليها ولما اصبح هذا الملك في امتنان لافعاله وامانته كافاه بان زف اليه ابنته ورثته الوحيدة  
 وفي عهد الملك سياكسار ٥٣٦\*٥٣٧ كان دانيال النبي الذي تخبره الله ليكون نبياً  
 يحل غوامض الخفيات ذائع الصيت كما كان في عهد اسلافه فرأى ان كثيرين من  
 الملوك والمالك كعابرين السابلات امامه وراى اخيراً سبعين اسبوعاً كانت دليلاً على  
 وقت مجيء المسيح وحالة اليهود فان تلك الاسابيع تدل على الاعوام ومحصل مجموعها  
 اربعماية وتسعون عاماً وكان ذلك الحسبان يستعمله اليهود الذين كانوا يغادرون السنة  
 السابعة دون شغل مثل ما كانوا لا ينهمكون في الاشغال النهار السابعة وبعد ان مضت  
 تلك الرويا بابايم وجيزة عبت اظافر الحمام بالملك سياكسار ٥٣٦ والملك كميز اي  
 قورش واما الملك قورش المصور فند ضم مملكة الفرس التي كانت الى ذاك الحين  
 منكورة العرفان الى مملكة الماديين التي جعلتها فتوحاتها من السعة غاية كبرى وبناء  
 عليه اصبح قورش مستولياً على كل الشرق واقام له مملكة تستصغر عندها الممالك  
 ومن الامور التي تستلفت اليها الاحداق لتسلسل الازمنة ان نعلم ان هذا الفاتح  
 اصدر الاوامر من اول ملكه الى من هم تحت امرته ليجددوا في اورشليم الهيكل ويشبوا  
 اليهود الى اليهودية اما الان فليس علينا الا ان نسرّح طائر الطرف في هذا الان فنراه



زماناً أصبح حساباته من المعوصات فيعسر جداً انطباق التاريخ الديني في فيه على التاريخ  
 المندس وإذا حشفت ودققت يأسدي رأيت ان ما اخبرته عن قورش يباين كثيراً ما  
 طالعه عن جويستان المورخ الذي لا يذكر البتة مملكة الاثوريين الثانية ولا الملوك  
 الذين تسامت شهرتهم عندهم وذاعت ذكراهم في بابل والكتاب الاقدس وقضاري الامور  
 ان ما انبأتك عنه لا يطابق ما يوعز اليه هذا المورخ بشأن الممالك الثلاث ومن مملكة  
 الاثوريين الاولى التي انقرضت في عهد الملك سردانا بال ومملكة الماديين التي انقرضت  
 لدى موت اسناج جد قورش ومملكة الفرس التي اقامها قورش وعلمها اسكندر  
 المكودي ويمكن لك ان تستقري ما نصه ديودور واكثر مولفي اليونان واللاتين الذين  
 تداولت ايدينا تأليفهم فانك ترى ما يروونه لا يطابق ما نص الكتاب الاقدس فيتضح  
 لديك جلياً ان ما اجره يقاس على ما اجراه جويستان ومن نص التاريخ الديني  
 وراي ما بينها وبين الكتاب الاقدس مباينة واضحة ليس له حق للدهشة من ذلك فانه  
 اذا تحرى الامر بعين البصرة راي ان تلك التواريخ نفسها ليس يخلو بعضها من ان  
 يباين البعض الآخر ودليل ذلك ان اليونان رويوا عن قورش روايات مختلفة وان  
 هيرودوت بنوه عن ثلاث منها عدا تلك التي اعتمدها هو نفسه ولم يثبت في مولته انه  
 تلقىها من رواية اكثر ثقة منه اقدمين وقد نبه ان قد اخطئت الروايات على موت  
 قورش فاعتمد هيرودوت رواية زعم انها تثارن الصدق دون ان يثبت لنا عنها حجة  
 يينة واما اكرتوفون الذي دوح بلاد الفرس مراتفاً قورش الشاب اخا ارتخشاشا  
 الملك الملقب بمهنون قد تشوف الى كل اعماله قورش القديم وتلن ترجمة حياته من تواريخ  
 الفرس وكل ما روي عنه ومن كان ذا خبرة في الآثار الندية لا يمالك ان يجاري  
 القديس ابرويفوس بايثار كرتوفون الفيلسوف الحكيم العريق في مهارة القيادة على  
 كينزياس الذي لا ثمة برواياته التاريخية وعنه روي اكثر اليونان الذين اخذ عنهم  
 جويستان واكثر مؤرخي اللاتين ويوشه ايضاً على هيرودوت ولو كان مؤرخاً فغيري  
 الامور بكل ضبط واتقان وان ما حملني على ان اعتمد ان هذا التاريخ الملسل الذي  
 لا يخلو عن مدار صدق الرواية يحوي صفة اخرى تزيد في انطباقه على الكتاب  
 المندس الذي قد ساد على كل التواريخ اليونانية لسبب قدمته واعازته عن ارتباط  
 الشعوب اليهودية بالشرقيين فذلك يزيد كمالاً فضلاً عما تقررته منبعث من

اما ثلاث الممالك الاولى فان كل مارواه عنها اليونانيون ظهر مشتبهاً لدى اعتقادها فان افلاطون لدي كلامه عن كنه مصر بلوح ان اليونانيين يجهلون بوجه عالم الآثار القديمة وان ما كتبه بخصوص الاثوريين لا يحسبه اروسطو الا خزعبلات وما ذلك الا لانهم قد اثنوا مؤخراً ولما ارادوا ان ياتوا اهلهم الذين يميلون الى ارتباح النفوس بتأليف يتفكرون بها اعتماداً على تواريخ ليست ثابتة النقل وعكفوا على ان ينفوا عبارات كتاباتهم دون ان يهتموا بالمصادر الحقة التي لا يشوبها ريب وبهتان .

وما لاربية فيه ان كيفية ترتيب الممالك الثلاث الاولى يباين واقعي الامر فان اليونانيين بعد ان انقض ساردانبال والاثوريون يذكرون دولة الماديين ثم يتعقبونها بدولة الفرس كأن الماديين خلفوا صولة اثور وكان دولة فارس سمت الى ذروة السيادة عقيب ان حظمت شوكة الماديين . لكننا دخيلة الامر بعكس ذلك فنقد بلوح مقررًا ان ارباس لما اثار الماديين متمردين على ساردينا بال لم يستخدم من الامر الا ان يطلق لم زمام العتق دون ان يخضع لم دولة اثور . وقد يميز هيرودت نفسه بين حين استقلالهم وحين ملكهم الاول ديموستاس وكانت فترة الزمن بين ذينك الحبيين نحوًا من اربعين عامًا حسبما قومه ارباب فن حسابان الاعوام . ومن الامور الحقة حسب رأي هذا المؤرخ العظيم وراي كزنوفون ضارين صحتًا عن التوبة عن غيرهما ان قد كان الزمن الذي يعزى لدولة الماديين يرى في بلاد اثور ملوك اشداء عظام الصولة بينهم الشرق طراً وقورش الملك هو الذي قوض بابل فانحأ ولو قدر ان اكرمولي اليونان واللاتين الذين تبعوهم لا يذكرون ملوك بابل ولا يستقون هذه المملكة التوبة في مرتبة الممالك التوبة الذين يدنون منا التبا عنهم وان لم نعتد في تأليفهم على امر هام يتعلق بهؤلاء الملوك المشهورين كتجلت فلصر وسلمتصر وشخر يب ونبو خوذنصر والملوك الذي ينوه عنهم الكتاب المقدس والتواريخ الشرقية فليس علينا ان نعزو ذلك الا الى جهل اليونان الذين يبيدون في ان يعتمدوا على النصيحة اكثر من اعتمادهم على تحري الحفنة في رواياتهم او ان نعزو الى فقدان كتبهم التي ربما كانت محررة ومدققة

وذلك ان هيرودوت كان قد اعان الله بيرز الى عالم الوجود تاريخيًا يتعاقى بمملكة الاثوريين ومع ذلك فلم نره عيانًا فليس لنا به علم دل فصر عن الوصول اليها وان

يد القندان قد اغتالته او الظروف لم تسخ له بتاليه ولو قدرنا وجود ذلك التاريخ لندرنا انه يتضمن الكلام عن ملوك دولة الاثوريين الثانية لان احدهم سخرىب قد ذكر عنه انه كملك للاثوريين والغرب في موهلات هذا المؤلف المتصلة الينا وقد نفل سترابون الذي كان في عهد اوغسطس ما برويه مكاستين المورخ القديم والداني من عصر الاسكدر بشأن فتوحات نيوخوذ نصر ملك الكلدانيين المشهورة ميينا انه عبر اوروا ووصل اسبانيا بالاسلحة الى عواميد هرقل واما ملك اثور الذي يدعوه المؤلف دميان تيلناموس فهو دون ربة الذي يدعوه الكتاب المقدس نجلت ويرى في بتولياوس تعداد الملوك الذين حكموا في المالك العظام ومنهم جم غفير من الملوك الاثوريين الذين يجهل معرفتهم اليونانيون ويسهل مطابقتهم للكتاب المقدس ولو استقرنا كل ما رواه مورخو سوريا كبروز وايدانوس ونقولا الدمشقي لضاق دوننا المتنام باسهاب العبارة . فاذا خزلنا ازيبوس القيصري وبوسيفوس المورخ نبذات ذات فائدة عينية سمعت بها افكارها وافكار غيرها الذين كانت تالفهم لم نبرج في ذاك العصر وان ما يذكرونه ينطبق على كلام الكتاب المقدس بالنظر الى الامور الشرقية القديمة ولا سيما على توارىخ الاثوريين

واذا احدثنا النظر في دولة الماديين التي يحسبها اكثر المورخين الدنيويين في المرتبة الثانية اذ يعدون المالك العظام ويعملونها كأنها منفصلة عن دولة الفرس فاننا نرى اذ ذاك ان الكتاب المقدس يحملها دولة واحدة ولذلك ترى ياسيدي ان نسلل الحوادث ذاتها بحملك على ان تستقصي هذا النمط فضلاً عن استنادك على الكتاب المقدس وان الماديين وان كانوا وصلوا الى درجات الشوكة والعظمة قبل قورش الملك فان بابل كانت لها شوكة عظيمة تسود قوة واقنداراً واما قورش فانه كثر على بل كرهه ضافه عليها الماديون والفرس ففتحها فتحاً مييناً وقضت له الاقدار بان يسي ملكاً على الشعبين بخلافة شرعية تطبيقاً لما اوعزنا اليه فيما مضى حسب ما رواه كزنوفون ولقد اتضح ان تلك الملكة العظمى التي اقام عمادها ذلك الاصيد البسول قد تلتبت باسم الامتين وبناء على ذلك فقد اصبحت دولة الماديين ودولة الفرس امراً واحداً قسراً عن محمد احشوروش الذي جعل اسم الفرس متغلباً وقد يسوغ لنا التقديران ملوك الماديين قبل ان يرحوا ببابل وفتحوا مغلتانها اتسع

نطاق حكمهم من جهة عمارات اليونان في اسيا الصغرى فذاع كبا ذكرهم لدى اليونانيين وعزوا اليهم الاحكام في اسيا الكبرى وايقنوا انهم الملوك كل الملوك ولم يبقوا في خربة البابل لغبرهم من ملوك الشرق زاوية

ومع ذلك فان ملوك نينوا وبابل الذين تسامت عظمتهم واصبحوا ذوي شوكة تفوق شوكة الماديين لم نر لهم في ما وصلنا اليه من تواريخ اليونان ذكراً يتيماً وما ذلك الا لانهم كانوا منكرين لديهم وما يؤيد مصداق المقال ان العصر الذي خلى منذ سردنبال الى قورش نموه الى الماديين وحدهم . ولهذا لا نجد الفكرة ياسيدي حتى تقابل ما بين التاريخ الديني والتاريخ المقدس لان التاريخ المقدس ليس فيه شيء من متعلقات الاثوريين الا كلمة مفردة ليست مقصودة ولا يعرض بذكر نينوس موصل دولتهم ولا باحد من خلفائه الا قول وما ذلك الا لان تاريخهم لا علاقة له بتاريخ شعب الله واما دولة الاثوريين الثانية فليس عندنا من البناء عنها ما يزيد الامر جلاء فلا نفقه هل اليونان جهلوا امرها او البسوها رداء الدولة الاولى لسبب ما شطوا عنها معرفة وعلماً ولرب منتقد ما قيل يستند على موافق اليونان الذين سؤلت لهم النفوس على ان ينظروا الممالك الاولى الثلاث حسب احوالهم وامياهم وطفقوا يذكرون ان الماديين يخلطون الاثوريين الاقدمين دون ان يذكروا البتة الدولة الثانية التي انبأ عنها التاريخ المقدس انها مؤتلة المجد ورفيعة المثابة . واذا كان الامر على هذا النمط فيكون منا الرد على ذاك الانتقاد قائلين ان اليونانيين لم يعرفوا من ذلك التاريخ فصلاً يبطونه بهذا المعنى وانهم يناقضون بما يروونه ما اودعه الكتاب المقدس وما نصه المؤرخون المشترعون المدققون الذين هم من اترابهم والهم يتسمون

وبما يجاز القول فحل هذا المشكل قائلين ان المؤرخين الدينيين كانت اعصارهم ومحا لم اقرب من سواهم من الممالك الشرقية وفضلاً عن ذلك احرزوا تاريخاً لشعب الله الذين لم يكونوا منفردين في شؤنهم عن الممالك العظيمة وان لم يكن التاريخ المقدس جيلاً الا بهن السمة فكفاه بان يقضى به على اليونان ومن قفاهم من اللاتين بالصمت مخلداً .

ومع ذلك فلواصروا على ان يرفعوا تلك الممالك الثلاث نظاماً ويحتسبوا الماديين في المرتبة الثانية ويجعلوا ملوك بابل راحين تمت نير شوكتهم روضاً مغربين ان اولئك

يزحزون عن عوانتهم بعد مائة سنة ائثال العبودية متمردين لرعى بنوع تسلسل  
 التاريخ المقدس ولكن هذا ليس بمطابق لما نصه المؤرخون الدنيويون العظام الذين  
 يدنو من اجلهم التاريخ الديني الذي تكون فيه دولة الفرس والماديين في سالك واحد  
 ومن الامور التي تؤيد المثال بان التاريخ القديمة عربة عن الجلاء والوضوح هوان  
 ملوك الشرق جرهم العادة الى ان يلبسوا باسماء كثيرة والاقاب حجة نسي المشوفين اليهم  
 اسماءهم الخاصة وان كان الناس يلهجون بها ويلفظونها بانواع مختلفة حسب اختلاف  
 اللهجات وبناء على ذلك لم يبق لتلك التاريخ الا ادلة نادرة تدل عليها فاصبحت  
 في حيز الاجهام ولا ريب في ان اختلاف اللفظ بتلك الاقواب ارجى سجايف الريبة وهوش  
 اسماء باسماء والاقاب بالاقاب ولهذا شق علينا جدا ان نثبت في تاريخ اليونان الملوك  
 الذين تلقبوا باسم احشوروش وهو اسم يجهل اليونانيون ويعرفه الشرقيون . ومن ذا  
 الذي يتخالف فكره ان كياكار هو اسم احشوروش نفسه فانه مركب من كلمة كي اي سيد  
 ومن اكسار كلمة تدل على لقبه فاذا امتزجا معا تحول بحسب اختلاف الترجمة الى  
 كسيوروس او احشوروش

وقد تلقب ثلاثة ملوك او اربعة بلقظة احشوروش وهم ملقبون بمخلافنا وبدل على  
 ذلك ان داريوس المادي قد كان ياتى باسم اوساروش او احشوروش ودلائل كثيرة  
 كانت تدل على انه كان ملقباً باحد هذين الاسمين

ولو لم يصر الاملاع بان نبو قودونصر ونبو قودونصر ونبو قودونصر ونبو قودونصر اسماء  
 لمسى واحد لشق على الذهن الوقوف على الحقيقة يدان ذلك لم يخامره هتان ولا  
 تمويه فان لفظه نابو هي اسم مطلق لكل من الالهة التي يتعبد لها الناس في بابل وقد  
 حيرت العادة بان يضيفوها الى اسماء الملوك حسب روح اللغات ويعتبرها التحريف لكثرة  
 ما بطرا عليها من اختلاف اللهجات فان ساراكون هو تخريب نفسه واوسياس هو  
 ازادياس وسيدسياس هو ماتانياس ويواكيم هو سيلم وقد ظن ان سوء اوسيا هو سياكون  
 ملك الحبش واسرحدون الذي يلفظ بانواع مختلفة هكذا : ازرحدون واوزورحدون  
 بدعوه الكوتيون اسنفر وبظرة ان سردانبال هو الملك نفسه الذي دعاه بعض  
 المؤرخين سارك ويعرف هذا الاسم عند اليونان باسم نونوس كوتكوليروس وانه لاسم  
 خفيت عن المحدثين حقيقته . وقد نوهنا سابقا ان سردانبال هو ساردان بن قول اوبول

ومن يعلم ان فولا المذكور في الكتاب المقدس ليس هو الملك فلصّر نفسه فان اسماء  
 الملوك بعد ان ثاقلمها اقلام المترجمين اخذوا التحريف يعتبرها فمهم من كان يختصر الالفاظ  
 ومنهم من كان يطيلها ويردّها بما يقتضيه اسلوب اللغة وعلى ذلك لا يبعد ان يكون  
 تجلّت فلصراي تجلّت بن فلصّر احد اولاد فول الذي هو اشد من اخيه سردانبال  
 ولذلك رعى جزءاً من الملكة التي اخلست من بيت ابيه وليس بصعب علينا ان نأتي  
 بمجدول عظيم يتضمن كثيراً من الشرقيين الذين بذكرهم التاريخ اسماء مختلفة فتلك  
 مزينة قد انها اللاتين فانهم قد ازالوا اسماء ملوك حجة عن دائرة وضعها بان الصفواها الالفاظ  
 والكنى الصاقاً غير متفرق وبناء عليه فقد اصبح لقب اوغسطس والاغريقي علمين لقبصر  
 او كنيان وسيون واصبح النبرونيون قياصرة فكل ذلك لا يعرجانية شيء من الريب  
 ولا بنال المدقق في شأنه نوعاً كبيراً وبالعري من ذا الذي يغالي في لجة الاستغراب  
 عندما يسمع بعدد الحوول الذي يعزوه المصريون اليهم فليس له اذ ذاك الا ان  
 يتصفح تاريخ هيرودت الذي يؤكد لنا بتدقيق ونجدة كما انف المقاتل ان تواريخ  
 المصريين ليست بذات وثوق الا منذ زمن بساميتيك اي نحواً من ستماية او سبعمائة  
 سنة قبل المسيح

ولاريب ان من اشكلت عليه معرفة الزمن المعزوا الى دولة الاثوريين الاولى ليس  
 عليه الا ان يعلم ان هيرودت ذهب الى انه محصور في مدة خمسمائة وعشرين سنة ووافقه  
 على ذلك ايون ودانيوس البكارناس الذي تسامت معارفه في فن التاريخ وطال باعه  
 في تاليفه وان استمر احد بعد ذلك جانفاً عن دائرة الحساب السائر قصد ان يستفري  
 الحوادث حادثة بعد حادثة والتواريخ التي يخالها حقة تاريخاً بعد تاريخ فيمكن له ان  
 يغالي في الحساب السبعيني الذي غادرته البيعة حسب الاوطار والاميال لتنبه الخواطر  
 الي الملوك الذين دارت رحى احكامهم في نينوا والى السنين التي كانت تتألق بها بروق  
 حولهم وطولهم والى سلالات ملوك مصر باي نوع يود تنظيمها وتاريخ بلاد الصين دون  
 ان يتأني له جلاء

وليس من دأبي يأسيدي ان اموه فيما بعد على افكارك بصعوبات حساب التاريخ  
 الذي لا تجدك منه منفعة بيد ان الصعوبة التي طرأت لدينا هنا تبعثني على ابضاها  
 لانها ذات بال واما الان فبعد ان غالينا في سرد ما تقتضيه غايتنا الماثورة جدت بنا

النكحة الى ان نشئي الى تسلسل الابعصار مدققين .

## العصر الثامن

في قورش او عود اليهود من سبي بابل

(الاجل السادس للعالم)

ان الملك قورش لما اتبرى الى رفع عماد دولة الفرس دبت الغيرة في فواده جاهداً واصدر الامر الى ظرائفه وحواشييه حسب اصطفاء العلي له لينفذ شعبه من مخالف الرق ويشيد هيكله الاقدس وقد كان ذلك في سنة ٢١٨ بعد بناء مدينة رومية سنة ٥٢٦ قبل المسيح سنة ٧٠ بعد سبي بابل . ولما ذاعت اوامر في الاقطار والامصار وقرعت عوافها ابواب الاذان عاد زربابل ويشوع بن صادق عظيم الكهنة بالاسرى فسادوا الهيكل الثاني واقاموا ريم المذبح واما السمنة الذين طالما اخدمت في افئدتهم نيران الحسد عليهم فقد رغبوا في ان يضافروهم على ذلك العمل المبرور متفقين معهم بوحدة الكلمة والرأي ولذلك هرولوا الى زروبابل طالبين اليوان يؤذن لهم باسعاذه على بناء الهيكل بحجة انهم يعبدون اله اسرائيل وان خلطوا بعبادته عبادة الهتهم الكذبة لكنهم اولاد يهودا سببت منهم نفوسهم ضجراً وعياً وانفوا من تلك العبادة المجترئة فرفضوا طلبهم واقاموا عليه تكبراً ٥٢٥ فلما تخفى ذلك لديهم ورأوا خيبة مسعاهم جدوا في احياء الخديلة والخداع ونصب حبال المكر وتظاهروا بالعسف والجور . واما في رومة فبهتة من ذلك الان عزم سرفيوس تولىوس بعد ان اوسع اسوارها وابذخها ان يجعل الحكم فيها جمهورياً لكن مسعاه اصبح حابطاً فانه قتل وهو خائن في غرب ذلك الفكر براي ابنته واور صهره تركوين المتجبر ٥٢٢ فحكم حينئذ هذا الجائر عاتياً واستمر طويلاً يعثو في الارض مفسداً واما دولة الفرس فاستمرت تنقوى يوماً بعد يوم وامتدت شوكتها في الاخياء والانحاء وتعزز مصالها في قلوب الاولياء ففتحت المدائن وفضلاً عن انها رفعت لواء سطوتها فوق اقاليمها المجهة في اسيا الكبرى رضخت لشوكتها اسيا السفلى الشاسعة البرور وطأ طأت لها رؤوس الاعراب والسريران ومع حرص المصريين على شرائهم رضخوا الى سننها وحافظها على نظامها ومبادئها وكان الفتح ٥٢٥ بواسطة كيش

بن قورش يد أن ذلك الملك الذمير لم يحيَ طويلاً بعد موت اخيه اسمرديس الذي قتله خفية ثميناً لما بدا له في حلم ذي غموض ٥٢٢

وأما اسمرديس المجوسي فقد تولى الملك حنبة بلنق اسمرديس اخي كميس ولما نفي عنه غشاء النفاق توامر على قتله سبعة من الامراء فاهرقوا دمه غير ماسوف عليه واستوى واحد منهم مكانه على الفرس ملكاً ٥٢١ يدعى داربوس بن هيسناس ونص كثيراً في توارىخه انه منفرد في الشائل ونزاهة النفس وانه اوجد بني الطيبة ودلائل كثيرة تدل على انه احشوروش الملك المذكور في سفر استير وقد تم فيه غرق ملكه الهيكى بعد ان كان السمرة ذريعة للتقاعد عن اتمامه مراراً كثيرة ومن ذلك الزمن تسعرت لب البغضاء والتي بين تينك الامتين فاخذت اورشليم والسامرة تتناظران وترصد كل الشحاء للآخرى وفي عهد الملك داربوس نشأت الحربة في رومية واثينا ولاح مجد اليونان العظيم لدى الفاصي والداني وانفذ ارمودبوس واريستوجيتون الاثينيان منبت شعبتهما من عنوهيبارك بن بيزيترات وجوره لكتما تصدى لها ظمراهه المقربون لديه واما توهمها بقرار الحسام ٥١٢ واما هيبياس اخوهيبارك فقد شمر عن ساعد العزيمة لبقى مكانه اخيه فحبط مسعاه وطرده الشعب ممهناً ٥٠٩-٥١٠ ولم تعد اذن تسع بجور آل بيزيترات واعسافهم . ولما تخلص شعب اثينا من وثاق العبودية اقاموا نمائل تذكراً لمنقذهم اللذين زحزحوا عن عوانتهم ائثال المكروه وبعد ذلك ازهرت حالة الجمهورية واما هيبياس فاذا رأى ان لامل له بالعود الى وطنه إلا باعانة الملك داربوس ترمى عليه ملتبساً فراه على اهمة التسيار الى بلاد اليونان فاتحاً وفي الوقت الذي طرد فيه هيبياس كانت رومية تتحرر ويتمزق عنها رداء الظلم واذا رأى الناس استبداد تركوين الجبار وما سؤلت له نفسه من البؤس والسوء كرهوا الحكم الملوكي كل الكراهية وانقاد ابنه سكستوس الى هتك الحرمه وارتكاب الفحشاء فكان ذلك علة تنفيذ دثار يتيه فان ليكريس اني اغتصمها عراها المنجل والاستحياء وشق عليها الامر فانثرت فاثار نجيحها وخطاب برتيوس الشعب على كل سالته وقاموا على قدم وساق ونائبوا على الملوك فطردوهم مروعين وشيدوا حكم القناصل حسب قصد سرفيوس تولىبوس ٥٠٩ لكتما الشعب فقبرت في صدورهم يبايع الحسد فوهنت قوى الساطة وتناقصت الشوكة ومنذ تأسست القنصلية الاولى اساء المرثوسون الظن بنلاربيوس الذي



ذاع صيته بنصره المبين وقوة بأسه في مساورة العدو ولكظم حتى الأهلين من نوابس  
 يصير بموجبها احالة الدعاوى من مجلس الندوة والتناصل الى الشعب اذا مسبت  
 الجريمة احد الاهالي ليكون عليهم اقامة العتاب في حق جريرته واما الملوك المجاورون  
 فلما سمعوا بطرد التركوبين وجسوا من ذلك خيفة وقالوا ان هذه النعلة ائتمان لنا  
 وخرق لحمة نوايسنا ولذلك انبروا الى ان يكونوا لم محامين واما بورسينا ملك  
 الكليزيين القاطنين اتروريا فقد استشاط من ذلك حنقا وثقله بالسلاح المبرح وكر  
 على رومية منتقا ٥٠٧ ولما اصبحت المدينة على وشك الدثار واشتكت ابوابها ان تنفتح للعدو  
 نضا هو راسيوس كوكليس الضامي وفهم على الاعداء بقلب اقسى من الصخرة الصماء وقناه  
 الرومانيون رافعين الوية النصر واظهروا بسالة احييت لهم حريتهم بعد ان كادت تفصل  
 ومن الامور العجيبة ان شابا من المدينة يدعى سفولا احرق به بسعير النار عتابا لها لانها  
 لم تصب بورسينا ونالت كليله الفتاة الشهرة العظيمة على ما ابدت من الجرأة الفائقة في  
 مضار القتال وادهشت بورسينا نفسه بفرط بسالتها فافضى به الامر حينئذ الى ان بدع  
 المدينة مضروبا عليها سراق الامان فتركها وشانها وبقي تركوين واهل بيته لانصير  
 لم ولا معين واما ايباس الذي تحرش للاخذ بناصر الملك داريوس فقد كان املة في  
 النجاح وطيدا ٥٠٠ لان بلاد الفرس تحفرت لاسعاده على نوال الغنيمة فصارت من  
 ذلك رهبة في القلوب واستنظر الناس شبوب نار محرقة في اثينا وبينما كان داريوس  
 يتأهب لتلك الحرب الهائلة اوشكت رومية ان يهوي الى دركات الخمول هالكة بعد  
 ان كانت دافعت عن نفسها ضد الاجانب فان المحسد الذي ناصل فيها عزز العداوة  
 والبغضاء بين الاعيان والشعب فان سلطة القناصل الباهظة ولو دمثها فلادبوس  
 بشر بعنه فقد بقيت ثقيلة على عواتق الاهلين الذين كانوا كثيري الحرص على استقلال  
 الحرية ولذلك نزحوا من المدينة وتوطنوا جبل افنتين ٤٩٣ فقد حاولوا ان ينصحو لم  
 بالوعيد فكان ذلك عبثا لكما كلام ميتيوس اكريبا المؤثر الرائع حملهم على الانشاء  
 لاخوف عليهم ولا هم يجزنون . فالتزم حينئذ الاعيان ان يروا لذلك الداء دواء ويقبها  
 للشعب محامين ضد القناصل يدافعون عن حقوقهم ودعوا لاذ ذاك الشريعة التي صار  
 بموجبها هذا القضاء مقدسة ومن ذاك الان صار المحامون للشعب واعلن داريوس الحرب  
 على اليونان واما صهره ماردونيوس فقد جاز اسيا متوجها انه يقع اليونانيين بكثرة جيوشه

فوافاه ملسياد الى سهول مرتون ومعه عشرة الف محارب من الاثينيين فزارت الحرب بين الفريقين فدارت الدائرة على داريوس وأذيق مر النكال ٤٩٠ وكانت وقتئذ رومية تظفر بأعدائها الجاورين ولم يكن يخشى عليها الا من شفاق اهلها

وكان في ذاك الوقت رجل له الغيرة الصرفة لحزبه الاعيان يقال له كورثولان وهو من اعظم قادة الجيش فبدلاً من ان تؤدى له الكرامة ويثاب على خدمته المخلصة لوطنه حكم عليه بالطرد من حزب الشعب فشق عليه ذلك جداً وعول على خراب بلاده فجمد له عسكرياً من الفولسك ٤٨٩ وزحف على رومية وإتاناها بالنكبات الويلة وأغلق عليها طرق الامان مضيقاتاً لكنما امه طلبت اليه ان يكظم عنها غيظته فكف عن التبرمج بها ٤٨٨

واما بلاد اليونان فقد تالت السكينة عقيب موقعة مرتون لكن تلك السيادة لم تبق فيها مديداً فان كركساس بن داريوس وخليفته وحفيد قورش لاه اطوس عزم على ان ياخذ بشار الفرس وايه من اليونانيين فجهز من العساكر الهائلة احد عشر كوة اوسبعة عشر كوة على مذهب البعض من المؤرخين والى من البلاتيين

وزحف على اليونان وتاججت مواقد الهيباء بعد ان سير بجراً الفاً ومايتين سفينة فيها عسكرياً كلهم فساور فصلت الأسلحة وأبرقت الاسنة وتطابرت الهامات عن المناكب وانساع الدم على الفهراء غمرق ومسيلا اما هونيداس ملك سبرتا الذي لم يكن معه سوى ثلاثمائة مقاتل فقد قتل من جيش الفرس عشرين الفاً في مضيق جبال الترمويل ثم قتل ورفقائهم طراً ٤٨٠ واما كركساس فقد فئت قواته البحرية باراء تيمستوكل الاثيني في تلك السنة عند جزيرة سلاميني ثم رجع عابراً بحر الهلسبون والرعبة والخشية تقفوان اثره ولم يحل من ذلك الحين حول الا تصدى لجيشه الارضي ٤٧٩ عند بلاته بوزانياس ملك لاسيديونيا واريستيد الاثيني المدعو الصديق واعلامي وبقائهم ماردونيوس حذاً الحسام وابتصر عليه وكان ذلك وقت انبثاق الصباح ولما امسى ذلك النهار الرائع وثب يونانيوا اسيا الصغرى الذين كانوا قد اتوا من عوانتهم نير عبودية الفرس واهلكوا من فارس ثلاثين الف راجل في موقعة ميكال تحت قيادة ليونشيد

فأشاع ذلك الفائد الاصيد خبراً معناه ان ماردونيوس وجيشه تنكروا في بلاد اليونان وما ذلك الا ليلي الجراة في قلوب جنوده لكنما الاقدار جعلت ذلك الخبر

صادفنا ولم يعلم ان كان علمه بوقوعه موكولا الى تواتر الانباء او الى الصدفة الغربية . ولدين  
 ذلك قطع كل يونان اسيا الصغرى رباط العبودية ورفعوا فوق رؤوسهم راية الحرية  
 ودوخوا الافطار والامصار وتسلفوا على جبال الغنينة والانتصار . وقبل ذاك الحين  
 جرعوا القرضيين الاشداء وقتلوا صاب الذلة في صنفا صاغرين اذ بعثهم المطامع  
 الذاتية على ان يوسعوا نطاق سلطتهم اجابة لما حضهم عليه الفرس فكان ذلك وسيلة  
 لارغافهم والابتغاع بهم بيد انهم قسرا عما احبط بهم من النكبات كانوا لا يبرحون يجددون  
 مناصدهم في نوال تلك الجزيرة التي تنوي شوكتهم البحرية التي نهامت على طيها جمهوريتهم  
 ولم تكن تلك الجزيرة تناط وقتئذ الا بعمدة اليونان ولم تكن محدقة الا لجبهة الشرق  
 والفرس ولما كان الفرس مستولين على جزيرة قبرص استنزفت الفيرة بوزانياس ولمصها  
 من حباله العبودية ٤٧٧-٤٧٦ ومن ثم قصد ان يجعل وطنه رادحا تحت نير عبوديته  
 فحبط بذلك مسعاه قسرا عما وعده الملك كسر كساس من النجاح وقد وقعت الخيانة في  
 حقه من فاق الجميع بمبادئه فكانت صباينة المنرطة علة لموته ٤٧٧-٤٧٤ وقتل ارتبان  
 رئيس شرطة الملك كسر كساس في تلك السنة عينها وامر قتله اما لان هذا الخائن ود  
 الاستواء على عرش سين اوانه خاف قسوته الرائعة لانه لم ينفذ بسرعة اوامر المجائفة اما  
 ارتحشتا الملقب باليد الطويلة ابن كسر كساس فقد دانته له هامة الحكم ولم يلبث ان  
 يتبوا سرير الخلافة الا بعث اليه نيمستوكل بكتاب ماله ان يوازره على اليونان لانه كان  
 منفيًا من منبت شعبه ٤٧١-٤٧٢ فتلاين الملك وتساهل في امر هذا الفائد الماهر وقربه  
 اليه ورثله راتبًا يقوم باوده ونظر اليه بعين الرعاية قسرا عن اوليائه الحاسدين وضم الى  
 اكثاف حمايته الشعب اليهودي ٤٦٧ وفي السنة العشرين من ملكه المشتهر بما يعزى  
 اليها من الحوادث المهمة اصدر امرا الى تحميا ان يقيم اورشليم من حضبض دثارها ويرفع  
 اسوارها ٤٥٤ وامر ارتحشتا بشأن ذلك بخلاف عن امر قورش لان امر قورش موعز  
 به الى اقامة الهيكل وامر ارتحشتا الى المدينة وان الاربع مائة والتسعين سنة من حساب  
 الاسابيع تبدأ منذ صدور ذلك الامر المذكور الذي تنبأ عنه دانيال وهو مذكور في نبوته  
 وان هذا التاريخ المهم مركن على اساس غير مزعزع وقد نص في تاريخ اريوس  
 ان نيمستوكل صار نفيًا في اخر سنة من الاوليات السادسة والسبعين وذلك يطابق  
 سنة ٢٨٠ من تاسيس رومية وفي غيره انه اُبعد قبل ذلك الزمن بقليل من الحوول

ولما كانت المياينة جزئية بعثتنا الظروف الزمنية على ان نعتقد تاريخ ايزيبوس . وهذه الظروف التي اعتمدها ايزيبوس مأخوذة من تاريخ اتوسيديد المورخ الصادق الذي قد تدره مولفه من شائبة اليهتان واشتمر في ثبات النقل وصدق الرواية وقد كان معاصراً لنيستوكل فضلاً عن كونه تقريباً من أبناء اترايه فقد وصل اليها النبأ منه ان نيستوكل بعث بكتايه الى ملك الفرس ارتخششتا في غرة ملكه وليس من مآرب كورنوليوس نبوس المؤلف القديم العظيم ان نس الرية احداً في ان هذا التاريخ معول عليه بالاستناد على قول نيسيديد ومصدق مقاله ثبته البراهين السديكة فان مولفنا اقدم من نيسيديد هوشارون من لميساد الذي يذكره المورخ بلوتارك تصفح المنقرون مقاله فراوه منطقياً على ما اثبتته في باطن تاريخه وبلتارك نفسه يقول ان تواريخ الفرس اجمع تنطبق على ما ينصه هذان المورخان ومع هذا كله فانه لم يستند على شيء من مقالها ولم يبرز لنا ادلة على عدم اعتماده عليها واما المورخون الذين حصروا حكم ارتخششتا ثمانى او تسع سنوات بعد المحين المذكور فليسوا من ارباب ذلك العصر وليس عندهم من الحجج اليينة ما يؤيد اراءهم فتصارى الامر ان ابتدا حكم هذا الملك لا بد من ان يكون في اواخر الاوليات السادسة والسبعين وفي مقربة من وقت تشييد رومية ٢٨٠ وبناء على ذلك يتبع ان السنة العشرين من حكمه تنطبق على اخر سنة من الاوليات الحادية والثمانين ونحو ٢٠٠ سنة من تشييد رومية وفضلاً عن ذلك فان المورخين الذين حصروا قبل هذا المحين المعتمد عليه حكم ارتخششتا ليطلقوا بين المولفين قد توهموا ان اباه قد شاركه في ملكه لما بعث اليه نيستوكل بتلك الرسالة وفي كل حال نرى ان تاريخنا لم يشوه بشيء من اليهتان والمين بل ديدنه الفخري والتدقيق وصدق الرواية وهذا الركن مأسوس وما بقي من الحساب سهل صنعة وان تهلل الاحوال بجملة لديك محسوساً وبعد ان صدر امر الملك ارتخششتا على اليهود بينون مدينتهم ويرفعون اسوارها تأييداً لما تنبأ دانيال (١) وكان شهيماً يدبرهم ذلك العمل بحكمته وحصافة عفه وقوة جناته فسراً عن السمرة والعرب والعومنين والشعب بجهدهم كادحاً في احياء هذا العمل الماثور وكان الباشيب الكاهن العظيم بقومهم بملكه وكان الاولياء المحدثون الذي اصطفوا لان يكونوا حاكمين الشعب

قد زادوا البلبله والاضطراب

ورومية التي تشيدت في عهد الملوك كانت في احتياج عظيم الى شرايع هامة تسير بموجبها جمهورية حسنة ولما اشتهر اليونان بسداد الاحكام اكثر من الانتصار اتخذهم الرومانيون انموذجاً لهم وطفقوا يقتدون بهم ويعلمون حكمتهم فسبروا مبعوثين الى المدن اليونانية ولا سيما اثينا لياتوم بشرائعها المناسبة لاحكامهم الجمهورية ٤٥٣-٤٥٢ وفي السنة الثانية ٤٥١ اقاموا عشرة ولاه اولي ايهه وصوله واطلقوا لهم السلطة ولقبوهم باسم ديسمفير فسئوا لهم شرائع كتبوها على اثني عشر لوحاً على نسق الشرائع اليونانية وقد جعلوها ركناً للشرعية الرومانية فلما نظر اليهم الشعب ورأوا فيهم حسن الطوبه وعدم الجور في نص الشرائع تركوهم يتفقدون السلطة المطلقة لكنهم لم يبقوا في دائرة العدالة بل جنسوا عن تلك المسالة وامسوا يعثون ويظلمون ٤٥٠ فكثرت حيثثر في رومية الفلاقل والشغب وتاصلت الاحن والفساد واول ما سبب ذلك فساد ايوس كلوريوس احد هؤلاء (الديسمفير) اي الولاة العشرة. واما فيرجيني فقد تصباها ايوس وانضاه شوقها وهيامها فاخذت الغيرة عليها اباهما ورغب في اهلاكها فقتلها خشية ان تقتنصها حبائل الهوى ولما اهرق دم ليكراس الثانية هاج الرومانيون وازيدوا وطردوا الديسمفير بكل حناره وامتهان وفي اثناء ما كانت تسن شرائع رومية ويهذبها ذوو الامره في عهد الديسمفير كان عزرا العالم بشريعة الله ونحميا النابض على زمام الشعوب الاية الى اليهودية يصلحان الشعب ويعشانهم على رعاية شريعة موسى تستنبا بها لانها كانا اول من يعكف على رعايتها واول بند من اصلاحهما هوان الرجال ولا سيما الكهنة مندوبون ان يغادروا النساء الغريبات اللاعي اتخذوهن قسراً عما حرّمته الشريعة واما عزرا فقد عكف على الكتب الهندسية وجعل لها انتساقاً ونقحها كل التنقيح واحرز روايات شعب الله القديمة والف منها سفر اخبار الايام وازاف اليها تاريخ عصه الذي اتمه نحميا وبكتبهما ينتهي هذا التاريخ القديم الذي باشه موسى وما زال المؤلفون الذين اتوا فيما بعد حتى الان الذي نهضت فيه اورشليم من دنارها بتميمه بكل جد وكدح وبما كان عزرا ونحميا يتمان السفر الاخير من هذا التاليف العظيم كان هيرودوت الذي يدعوه المؤرخون الدنيويون ابا التاريخ قد شرع يكتب تاريخه وعلى هذا يلقي مؤرخو الكتاب المندس الآخرون باول مؤلف لتاريخ اليونان ولما برز هذا التاريخ الى عالم الوجود تبين ان

تاريخ شعب الله تقدم عليه خمسة عشر جيلاً من عهد ابراهيم ولقد تصفحنا تاريخ مبرودوت  
الذي اتصل لدينا ونقشنا في هوامشه لنرى لنا فيه نبأ عن تاريخ اليهود فحبط مسعانا  
وسقط سهمنا دون القرض المرام وما ذلك الا لان اليونان لم يكونوا يهتمون الا في  
النقص عن الشعوب الذين كانوا يعرفونهم بسبب الصلات الحربية او التجارية او بسبب  
شهرتهم . واما اليهودية فبعد ان عثت بها ايدي اليباب كادت تكون حلقة الحية بعد  
طوسها ومع هذا فلم تستأهل ان يزنوا اليها باحداق بصائرهم وفي ذلك الزمان المشوه  
بشوائب الاكدار والحوادث المدلهمه اخذت اللغة العبرانية تمزج باللغة السكلدانية التي  
كانت لغة بابل لما كان الشعب العبراني فيها في اغلال الاسر . ولقد كان القسم الاكبر  
من الشعب يفتهمها كما يظهر من تلاوة عزرا كتب الشريعة مد امام الجماعة امام الرجال  
والنساء وكل ذي فهم . . . فقرأوا في سفر تورا الله مبلغين المعنى حتي فهموا القراءة ٢٢  
( ١ ) ومنذ ذاك الان اخذت تغل حيناً بعد حين فلم تقدم عليها اعوام كثيرة الا  
ولم تعد لغة سائرة لان اليهود قد تعلموا من سبي بابل اللغة السكلدانية وبعد ذلك  
بسبب اتصالهم مع السكلدانيين لانها كانت تضاهي لغتهم مادةً ولهجةً وبناءً على  
ذلك بعثهم الضرورة على ان يغيروا احرف لغتهم العبرانية وطفقوا يكتبون  
الانفاظ العبرانية باحرف كلدانية لسهولة تراكيب الفاظها وشيوع استعمالها فيما بينهم وقد  
جرى هذا التغير دون عناء وصعوبة لئلا يرب محارج احرف اللغتين ومنذ ذاك الوقت  
لم تتناقل اليهود الكتب المقدسة الا بالاحرف السكلدانية .

بيد انه وجد في ايامنا هذه خمسة اسفار موسى في ايدي السرة مكتوبة باحرف  
عبرانية قديمة كالا حرف التي على النصامات ( اي الابقونات ) والآثار التي تنبي عن  
الاجيال الدائرة وهذه الاسفار لا تختلف عما هو في ايادي اليهود الا في محل واحد يلاحظ  
محل العبادة لله ومع هذا فقد حكم على ذلك بالتزوير فان السرة رعو ان الله او عز اليهم  
بانماها على جبل غاريزايم بالقرب من السامرة وقال اليهود لا بد من ان يكون ذلك  
في اورشليم

وقد يرى ايضا بعض مباينات جزئية وتضح ان الاباء الاقدمين الذين منهم اوسا يوس

وايرونيوس طالما هذه الاسفار السامرية ونجد في النسخة التي ننداؤها الايدي في هذا  
الحين كل السمات التي رسم الاباء بها النسخة التي تكلموا فيها فيا سيدي انني مندوب ان  
افصح لك باوجز العبارة عن تاريخ السامريين واسفارهم الخمسة رجاء ان تشعربا ثار شعب  
الله القدسية ولذلك يقتضي ان تذكر ان يارب عام ابان عشرة اسباط عن مملكة يهوذا  
ليوفلف منها مملكة اسرائيل التي حاضرها السامرة ٩٢٤-٩١٤ وذلك في عهد رحبعام  
بن سليمان بعد ان اغتالت سليمان المنية ٩٧٥-٩٦٢ وكان ذلك عناباً على آثامه . ولما  
قضي على هؤلاء الاسباط بالانفصال شق عليهم الامر ونزلوا جانباً الكتب المقدسة التي  
كانت من عهد سليمان وداود وتقاءدوا عن تقديم القرابين في هيكل اورشليم ولم يعشوا  
باوامر دينك الملكتين اللذين احدهما مبعاً الهيكل واعه والاخر شاده وكرسه  
اما مدينة رومية فقد أسست ٢٢٥٠ بعد التكوين ٤٢٠٩-٢٢٥٠ وبعد  
ان مضى عليها ثلاث وثلاثون سنة من بنائها اي ٢٢٧٢ بعد التكوين  
سبق عشرة الاسباط المنفصلون عن يهوذا اسرى الى نينوا وتشعثوا ايدي  
سبا بين الوثنيين

وبعث حصرثون ملك اثور في عهد بالكوتيين ( ١ ) الى السامرة ليعظموها  
٦٧٢-٦٧٧ وقد كانوا قبلاً اثوريين فدعوا فيها بعد سامريين وقد اجتزئوا عبادتهم  
بين الله العلي والاصنام ومنهم الملك حصرثون كاهناً اسرائيلياً دمت سجاياهم وعلمهم  
عبادة اله الحل اي معرفة النواميس الموسوية لكنه لم يهزمهم الا اسفار موسى التي حتمت  
اليها عشرة الاسباط بكل رضى ووقار ونكصوا عن الاسفار المقدسة الاخرى  
لاسباب ذكرناها انفاً . فعلى ذلك ارتفع هؤلاء الشعوب من افوايق ذاك التعليم ولبثوا  
يثابرون على البغضاء التي كانت كامنة في صدور عشرة الاسباط ضد اليهود . ولما  
لاين قورش اليهود واباح لهم ان يقيموا هيكل اورشليم ٥٢٥ تصدى لهم السمرى سراً  
معارضين مشروعم وتظاهروا علناً انهم يرغبون في الاشتراك معهم بذلك الصنع الجديد  
بحجة انهم يعبدون اله اسرائيل وهم لا يفتكون يودون العبادة والسجود لاصنامهم ولبثوا  
بعارضونهم وبضادونهم لما اخذوا يرفعون اسوار مدينتهم تحت قيادة نحميا فكثرت

الشجاعة بين الامنين واصبحت كل امّة تساور الاخرى وتظر اليها شزراً

وغدا اولئك الاقوام لا يسلكون السابلة التي بطرقها اليهود واجتهدوا في ان لا يفتندوا بهم في امر من الامور. ولذلك لم يغيروا الاحرف العبرانية باحرف كلدانية وبناء عليه بنيت خمسة اسفار موسى مكتوبة بينهم بالا حرف العبرانية القديمة كما اسلطنا في ما مضى وهرعوا الى الملك اسكندر يستاذنونهم ببناء الهيكل على جبل غرزائم ٢٢٢ فاستأذن عليه عبيدهم منسى اخويثوس الكاهن الاعظم وقرش الدخلة عن لسان النوم فحاز الطلب لدن الملك قبولاً. وقد لاح ان السمرة طفقوا برعوون في ايامه عن عبادة الالهة الافاكة واصبحوا لا يباينون اليهود ويتخذونهم واحداً وهو انهم لا يهودون عبادة الله في اورشليم نفاذاً لامر بل على جبل غرزائم ومن ذلك تحلو العلة التي لاجلها حرقوا في اسفار موسى الكلام الذي يوعز الى الجبل قصد ان يؤموا لدى الابصار ان التنديس والتكريس ليسا منوطين باورشليم بل به. ولبثت العداوة والنفي بين الامتين فزعم السامريون ان هيكل جبل غرزائم يستأثر بذاته ولا تكون العلاقة بينه وبين هيكل اورشليم فكثرت المناظرة والمنازعة وبقيت تخدم نار المشاحنة الى ان ركب متن خلافة مصر الملك بولماوى فيلوميتور فطرحوا حجتهم الدعوى لدى ارباب الحل والعقد واخذت الادلة والبراهين تدور على رحاما فكسبها اليهود استناداً على تواتر الاحوال والتنايد اليينة وصدر لهم الحكم من لدن الملك نفسه واما السمرة ففي عرض اضطهاد اتبيوخوس وملوك سوريا لليهود آل بهم الامران بنحازوا اليهم فانبري لم يوحنا هيركان ابن سمعان وفتح بلادهم وطس هيكلهم على جبل غرزائم ١٢٠١٢٩ يدانه لم يمكن له ان يصددهم عن ان يستمروا عابدين الله على ذاك الجبل حيث كان هيكلهم ولا ان يعبدوا ربهم في هيكل اورشليم فلبثوا معصيين بعروة تلك العبادة في عهد المسيح الذي قضى بالحكم عليهم فنشوا من ذاك الحين في محلين او ثلاثة في الشرق. فدوخ الامصار احد سواحنا فغتر بهم واتانا بنسخة من خمسة اسفار موسى تدعى سامرية فانضمت لدينا قدميتها ومن ذلك تنف على البواعث التي حملتهم على ان يستمروا على تلك الحال وتجزع اليهود في عهد الملك ارتخششتا كوروس الطمانينة والامان واما سيمون بن ملسياد قايد جيوش الاثنيدين فاغضب الملك ارتخششتا على ان يبرم صلحاً يخرق ناموسة. وقد قنط من ذاك الحين ان يظهر على اليونانيين بالارهاب والاذلال فتهاقت على ان يتنزهة شفاقهم. ودخيلة الامر



أن قد حدث تنور عظيم بين الاتيين والاسيدومونيين وغرت صدور الاتيين بالحمد  
 واخذنا ننتحان كل بلاد اليونان واوقد باريكس الاتيني نيران الحرب في شبه جزيرة  
 البونينتر ٤٢١ فاشهر اذ ذلك تيراني ورازبول والسياد والاتيين وبعث العبرة  
 برازيداس ويمندار الالاسيدومونيين على ان يذودا عن الوطن فهلكا قتيلين . فاستمرت  
 تلك الحرب ثلث عشرة مائة سبع وعشرين سنة وكانت نتيجةها حنة للاسيدومونيين فانه  
 رفقوا برده النصر والاستظهار لان داربوس النغل اي البدوق ابن ارتخششتا كان يقوم  
 بتاصرهم وساوراينا قائد جنود لاسيدومونيا البحرية ليزندر فاذاها ذئاب المون وفخيا  
 وغير هية حكومتها فشرع الفرس انهم عززوا الالاسيدومونيين وانجح لم شوكة عظيمة  
 ولاسيما اذ مت وثاق اخائهم ثوروش اليافع ٤٠٤ يوم تمرد على ارتخششتا المثلث بمونون  
 لفرط الميعة فترصدوا لم بذلك رهبة واحترسوا من وقبح الغائلة لان ثوروش اليافع لما  
 كان في وهاذ الجن احالت امة ياديزايس على اخراجه منه فخلص من الادام والاعلال  
 واخذ بنوق الزمن لاخذ ثاره فامال اليه الولاة لفرط حناي وتطو وطي اسيا الصغرى  
 وكر مقاتلا اخاه فوجج ملكته هجوما وجرحه يدي واخذت به الخيلاه كل ماخذ فاصح  
 شديد الختروانة ظاننا ان النصر طوع بينه قات قاتل الجسارة والجرأة اما عشرة الالاف  
 من اليونانيين الذين كانوا يناضلون معه فابوا الى اوطانهم ايايا تحييا اذ كان يتولى قيادتهم  
 في غاية سيرهم كرتوفون الفيلسوف والحفيد المتضال والثائد الجري الذي ألف تاريخ  
 رجوعهم . وواصل الالاسيدومونيين الحمل على مملكة الفرس التي اذاتها اجريانوس  
 صاب الشاويق والارهاب في اسيا الصغرى غير انه التجأ الى الاباب الى وطه لما شعر  
 بالشناق السائد بين اليونانيين ٢٦٦ وفي ذلك الوقت زحف الرومانيون تحت قيادة  
 كميل على مدينة في فناصرها عشر سنوات ونحوها بعد نجاحات متباينة وكانت تلك  
 المدينة قصاصي رومية بالسودد والجد . وبعد ان فاز كميل بالنصر المين صوب  
 اسنة قوتو على مدينة اخرى يقال لها فيليك فعلق يضيق عليها محاصرا قائما احد معلي  
 النصية مسلما اليوالاد اعيان المدينة امل ان يحظى من لدته باسمي المكنانة قدبت الشهامة  
 في رأس الثائد واعاده الى المدينة متكلما مهنا فاضهر الموالو المدينة امتنانهم منه وسلموه  
 نفوسهم والمدينة راضين ٢٦٤ فلم يشأ الرومانيون ان ينفوزوا غنرا ولا ينجينوا الوقت  
 للصرة بياطة ذلك الخائن الشيم الذي خدع المولانك الاحاث السذج ثم دخل

الغوليون السونيون ايطاليا واحاطوا بمدينة كلويوم ٣٩١ وحاصروها فاستظهروا على  
 الرومانيين في معركة اليا الشهيرة ٣٩٠ واستولوا على رومية واحرقوها وبما كان  
 الرومانيون يدافعون عن نفوسهم في الكييتول كان كميل المنفي منهم يصلح شوئهم في  
 الخارج واستمر الغوليون متبوتين رومية سبعة اشهر ولما التجأ الى ان يجالوا عن ابراهيم  
 وبهاجروا الى انحاء اخرى ترحوا من البلاد واصحبوا معهم الميام والغنائم . وفي اثناء  
 الثورة التي احدثت بين اليونان اشهر ابا مينونداس التيباني بعده واستقامته وانتصاراته  
 ٣٧١ ومن مبادئه المألوفة ان لا يمين ولو هزلاً . واشتهرت اعماله الماثورة في اواخر حكم الملك  
 مثنون ونحت ادارة هذا القائد المفضل نال التهبانيون الفوز على اللسدوميين ونكسوا  
 شوكتهم واما ملوك مكدونيا فقد اخذت سلطتهم تبدو في عهد الملك فيلبوس ابي اسكندر  
 الكبير ٣٥٩

اما فيلبوس ففسراً عن تصدي ملكي الفرس له اخوس وابنه ارسيد وما بادته من  
 الموانع التي سببها له في اثينا ديموستينوس بفرط فصاحته وذوده الشديد عن الحرية  
 ظهر على اليونانيين مدة عشرين سنة واثقلهم بوعسا ودانت له السلطة المطلقة بعد ان قبض  
 على عنان النصر في موقعة كبروني حيث تنكس الاثينيون والتخدين معهم ٣٣٨ واذا كان  
 يصلح على الاعداء ويجول ويتلقى صدماتهم بمنح تجلك حانت منه النفائة فرأى ابنه  
 الاسكندر وهو في سن الثاني عشرة سنة يحرق صفوف التهبانيين فافتد لذلك سروراً  
 وهؤلاء الجنود كانت بينهم الفرقة المقدسة التي تدعى جنودها الاصحاب وكان يحتاج  
 فكرها مراراً ان تنكسها من الامور المستحيلة . وعلى ذلك استولى فيلبوس على بلاد اليونان  
 كافة وكان يضافر ابنه الذي كان منتهى آماله واوطاره واخذ من ثم يصلح الشؤون  
 ويقدم على المقاصد الحسنة ولم يهجم في بادى الامر الا بتقويض اركان دولة الفرس  
 فاغرى اليونان بان يولجوه قيادة جيشهم العام ٣٣٧ ومع ذلك بقي دثار مملكة  
 الفرس الى ان يقوم بعث الاسكندر . وفي ذاك الحين وشب على فيلبوس الملك احد  
 خطيري المدينة وقتله في غضون حفلة زفافه ٣٣٦ وما ذلك الا لانه كان قد قضى  
 عليه جوراً واعسافاً وفي تلك السنة عينها ابتدر باغواس الخصي لقتل ارساس ملك  
 الفرس ونصب مكانه داربوس بن ارزام الملقب بتودومانوس الذي يحملنا فرط باسه  
 على اعتقاد الراي الاحق وهو المقول به انه من السلالة الملوكية . وعلى ذلك عكف على

نبؤ المملكة ملكان ذوا بسالة وشما داريوس بن ارزام واسكندر بن فيلبوس فقد كان هذان الملكان يتناظران وتقر صدورهما حسداً وانجلي لدى الناس انهما لم يلدوا الا ليتنازعا في امتلاك العالم . اما اسكندر فقد ازمع على ان يثبت قدمه على مملكته قبل ان يكر على خصمه حاملاً فتأراً بادىء بدء اباه وقهر الشعوب الذين طغوا عليه وتمردوا واستهانوا حدائنه وحطم اليونانيين الذين سولت لهم نفوسهم عبداً على ان يطرحوا عن مناكبهم نير عبوديته وجعل مدينة ناب طامسة دارسة ٢٢٥ ولم يعرض الا عن مواخنة عترة بندان الذي رثت اشعاره في البلدان اليونانية ولما قوي واصبح مظنراً بتلك المعامع الهائلة زحف على داريوس متولياً قيادة اليونان وواقعه مرات ثلاثاً فاذاقه عرق القربة وقمعة مذلاً ودخل بابل وسوز فائراً ٢٢٠ وجعل برسوبوليس حاضرة الفرس عاقبة دارسة وبسط فتوحاته الى بلاد الهند ٢٢٧

وبعد ان فرى النياقي ودوخ الحواضر مدثراً بشعار الفوز عاد الى بابل ومات فيها وهو في سن الثلاث والثلاثين سنة ٢٢٤ وزفت في ذاك الان ابنة سنايلا السامري الذي تولى بلاد اليهود بامر من داريوس الى منسى اخي الكاهن العظيم فاوقد شرارة الشغب بين اليهود فرغب اليه اخوه يادوس ومجلس اورشليم ان يطلق هذه المرأة الغربية فاي ذلك وانحاز الى السمرة فقتله كثير من اليهود ليكونوا قاصدين عن تلك الاحكام وعزم منسى منذ ذاك الحين على ان يبني هيكلًا بالقرب من سامرة على جبل غرزائم الذي يراه السامريون مقدساً وغداً كاهناً فيه . ولما كان جموعه مقرباً الى داريوس وحائراً من لدنه النعمة وترف العيش وعده بان يجعله مستظلاً تحت ستر حمايته غير ان الاقدار الطارئة كانت أشد عضد له لانه اذ بدا الاسكندر غادر سنايلا ملك الفرس واتاه بجريفة من الجنود ليقيم بناصه وهو محاصر صور ٢٢٢ وبناء على ذلك احسن مثواه وانه كل ما شاء وتمنى واقيم بذلك هيكل غرزائم وقبضت مطامع منسى على غاياتها اما اليهود الذين استمروا مصرين على مواخاة الفرس فقد اتفقوا من اسكندر واجمعوا على ان لا يهودوا له الجزية التي طلبها فزحف عليهم قاصداً الانتقام منهم في اورشليم فشعر بذلك المحبر الاعظم والكهنة فيادروا الى لقاء امامهم الشعب راقلين بانواب يتقنه فكظم اذ ذاك غيظه وعاملهم بالرفق والعناية ولما استقر به وبهم الميثاق اسدوا لديه نبوات النبي دانيال التي تنبى عن انتصاره فرنا اليهم بعين الرعاية ومنهم كلما رغبوا اليه

فيه فانتقلوا له اوداء اصفياء كما كانوا للملك الفرس  
وفي عرض الفتوحات التي كان يقوم الاسكندر باعيانها كانت رومية شاهقة الحرب  
على السنينيين الذين بناوحوها وكانت تضيق ذرعاً عن ان تقعهم باعظم قادتها بايروس  
كبرسور ٢٢٤-٢٢٦-٢٢٥-٢٢٤

وبعد ان اغتالت اسكندر برائن الردى تجزأت مملكته اجزاء وذلك لان برديكاس  
وبولماوس بن لاغوس واتيكون وسلاكوس وليرماك وانتيباطرواينه كساندر وكل  
الفادة الذين تمرنوا تحت يده على افتحام المعارك حملوا بعد موته على مملكته وقاوها  
بالاسلحة وجعلوا كل سرانه اي انسابه واخيه ٢١٨ وامه ٢١٦ واولاده ٢١١ وشقائقه  
٢٠٩ ضحية لمطامعهم فانساع في ذاك الحين الدم مداراً ولم يكن يرى الا معامع مشوكة  
بالدم الناصع ومواقع لم ير مثلاً من مواقع وشعوب كثيرون من اسيا الصغرى وما يجاورها  
عضدتهم تلك الكوارث والبلابل على الاستئلال فبنوا المعازل المحصنة والممالك المحسنة  
مثل مملكة البون وبركام وبيتيني . ولما كانت ارضهم خصبة ودانية الفطوف اثروا واصبحوا  
في ما بعد ممالك قوية غنية والثقت في ذاك الزمن نفسه ارمينيا عن عانتها نير عبودية  
المكدونيين واصبحت مملكة عظيمة مثرية رجة البرور والبلدان وشيدت متريدات وابنه  
الملقب باسمه مملكة كبادوك وكانت مصر اعظم الممالك التي شيدت في تلك الاحقاب  
وقد اقامها بولماوس ٢٢٣ بن لاغوس وملوكها يدعون لانغيديين وسوريا التي وطد  
اركانها سلاكوس ٢١٢ وملوكها يدعون السلوسيديين وكانت تخر لصولها اقاليم في اسيا  
العاليا اراضيها رجة وغنية كانت من ذي قبل مخازة الى عهد الفرس وعلى هذا نرى  
ان كل قاطني الشرق رضخوا لليونانيين وتعلموا لغتهم . واما قادة جيوش الاسكندر فقد  
كانوا يعثون ويحورون على بلاد اليونان نفسها واصبحت مقدونية التي نشأت منها  
سلاطين الشرق فريسة لمن يتبوء عرشها ونظار اولاد كساندر منها فطرد ديمتريوس  
بوليورسيت بن انتيكونوس بيروس ملك البيروت ٢٩٤ الذي كان قد حل في قسم  
من جنك المملكة ٢٩٦ ثم طرده ييروس المذكور ٢٨٩-٢٨٧ فطرد ييروس ليرماك  
٢٨٦ فطرد ليرماك (٢٨٢ - ٢٨١) سلاكوس الذي قتله بولماوس سيرانوس المطرود  
من مصر وذلك عدداً غير مكثرت بما افضل به عليه ٢٨٠-٢٨١ ولم يلبث ذاك  
الخائن ان تبوء مقدونية الا باغته الغوليون حاملين وجندلوه قتيلاً في معركة تعانها

الفرقان ٢٨٠ - ٢٧٩ وفي أثناء الثورات الشرقية اتى الفوليون الى اسيا الصغرى يتقدم  
 القائد برنوس وتوطنوا غلاسيا التي دعيت باسمهم وهجوا من ثم على مقدونية فسلبوها ووقعوا  
 الرعبة والنشعرب في كل بلاد اليونان ولما حملوا على ميكل ديلف ٢٧٨ بغزوته  
 رجع جيشهم القهري هالكين وكانت هذه الامة تخرك من كل الجهات ولم  
 تفربشي .

وقبل الحرب التي زارت في ديلف بقليل من الحمول ٢٨٣ اثار السمينيون  
 والبروسيون والاتريرون الفوليين القاطنين ايطاليا بان بزحوا على الرومانيين  
 وبروعوم فانقضوا عليهم واكثروا قتلاهم وجرحاهم لكنهم لم يكتفوا بما قتلوا ومخرقوا بل  
 تطالوا الى قتل السفرا فاستشاط من ذلك الرومانيون واعادوا كيدهم الى مخورهم لانهم تجدوا  
 في مضمار الوغى واثبهم مائة الضواري وتكلم اي تنكيل ودخلوا اراضيهم وماجر البعض  
 منهم اليها وحملوا عليهم مرتين اخريين فتهروم واغصبوا الباقيين على ابرام الصلح ٢٨٣  
 ولما طرد غوليوا الشرق من بلاد اليونان ٢٧٨ - ٢٧٧ اغار على مقدونية دون مانع  
 انتيكونوس غوناناس ابن ديمتريوس بوليوريسيت الذي كان حاكماً بلاد اليونان منذ  
 ١٢ سنة دون هدء وسكبة اذ كان يروس مشغولاً في جبهة اخرى . ولما طرد يروس من  
 هذه المملكة حملته المطامع على ان يفتح ايطاليا وذلك بعد ان استدعاه الترنستيون  
 لاغاثهم ٢٨٠ لان الرومانيين ظهروا عليهم وعلى السمينيين فلم يكن بهم وقتئذ سند الا على  
 يروس فراع يروس الرومانيين بافباله التي كانت ذريعة لان يولوا مدحورين وتغلب  
 عليهم في مواقع سيبت له خراباً ٢٧٩ واما التفصل فايريسوس فاعلن الى الرومانيين  
 ان الظهور على يروس ليس من الامور المستحيلة وكان ذلك الملك والتفصل يتنازعان  
 في كرم النفس منازعة اكثر منها في الاسلحة فاعاد يروس الى التفصل الاسري كافة  
 دون فدية قائلاً له ان الحرب تكون بالحديد لا بالفضة وبعث فايريسوس الى يروس  
 بطيبيه الخائن الذي وكل على نفسه قتل سيك الملك بالسهم ٢٧٨ . ومن ذلك الوقت  
 ذاع دين اليهود وظهر لدى جميع اليونانيين وكانوا عاثشين بالرفاهية والطائفة حسب  
 شرائعهم وملوك سوريا يستلثون انظارهم اليهم ووطن كثيراً منهم في اسيا الصغرى  
 اتيوخوس المسمى الاله حنيد سلاكوس فامتدوا من هنالك الى بلاد اليونان وتمتعوا في  
 كل الجهات بمجنوق الالهالي وحرمتهم وكان قد وطنهم قبلاً في مصر بتولاموس بن

لاغوس . وفي عهد ابنه بتولماوس فيلادلفوس ٢٧٧ ترجمت كتبهم الى اللغة اليونانية  
 وعرفت اذ ذاك هذه الترجمة بالترجمة السبعينية وترجموها كانوا الشيوخ العلماء الذين  
 بعثهم اليغازر الكاهن العظيم الى الملك اجابة لامر صدر منه اليه . وقد زعم البعض  
 انهم لم يترجموا الا خمسة اسفار الشريعة وان ما تبقى من الكتب القدسية ترجم الى اللغة  
 اليونانية في عهد اليهود الذين كانوا في مصر واليونان . اذ من الممكن ان يكونوا قد نسوا  
 لغتهم العبرانية القديمة واللغة الكلدانية التي تعلموها وقت سبي بابل . وقد اختلفوا لهم  
 لغة جديدة مزوجة من العبرانية واليونانية كتبت بها الترجمة السبعينية والعهد الجديد  
 يقال لها اللغة الهلانية . ولما امتد اليهود على وجه البسيطة وتداولت انباءهم السنة البرايا شاع  
 صيت هيكلهم في العالم كله فآمنه ملوك الشرق وقدموا فيه المحرفات والقرابين . واما  
 الغريون فقد كانوا يرتقبون العواقب التي تنجم من الحرب بين يروس والرومانيين  
 واما القنصل كيربوس فقد قمع الملك ٢٧٥ واجأه الى عبور البحر والانشاء الى بلاد  
 الايرونم يستكن الا زمانا قصيرا لانه عول على الاغارة على مقدونية رجاء ان يعوض  
 عن خسائره في ايطاليا . وحصر انيكونوس كورناتاس في نسالونيك وضيق عليه ووضع يده  
 على مملكته ٢٧٤ ثم تقوى انيكونوس لما كانت المطامع النفسية تبعث يروس على الحمل  
 على اللاسيدمونيين والارجيين فالتقى الملكان معا في مدينة ارغوس حيث احزاب مختلفة  
 استصرخوها فدخلوا المدينة من باين مختلفين ونشأت فيها موقعة تشعشع منها الابدان  
 فدنا من الملك يروس شاب وجرحه في يده جرحا بليغا ففناه مطاردا قصد الانتقام  
 فرائه ام الشاب وهي على سطح صرحها فاهوت عليه حجرا من فوق اخذت به انفاسه  
 ٢٧٢ ولما ملصت الظروف انيكونوس من احبولة عدوه الالاد اثني راجعا الى مقدونية  
 التي بقيت منوطه بمن سلاله غنيب ثقلات عظيمة . ومعاهدة الاشبين صدت هذه المملكة  
 عن سعة ارضها وقد كانت هذه المعاهدة كبحن الحرية الاخير في بلاد اليونان ومنها نشأ  
 البطران اللذان رفعوا راية السوءد والنخرفوق اليونانيين وهارثوس وفيلبومين  
 واما التراتونيون الذين كان يروس يعدم باسعاده ايام مواعيد عرقوية  
 استنصروا بعد موته اهل قرطاجنة . ومع هذا فقد خابت امالم لان الرومانيين قد نكسوم  
 والبروسيين والسمنيين الذين كانوا يواخونهم وبعد حرب استمرت اثني وسبعين سنة  
 رضح السمنيون للرومانيين واقتنাম قرب ذلك التراتونيون وكل الشعوب المجاورين

الذين لم يمكن لهم المصادمة والدفاع وعلى هذا أصبح كل الشعوب الناطقين ايطاليا يخضعون لشريعة رومية وخشي الغوليون الذين داهمهم مراراً الجيوش الرومانية ان يبدأ ثورة مرة اخرى . وبعد ان تقادم على تلك الحروب المستمرة اربع مائة وثلاثون من الحمول استولى الرومانيون على ايطاليا وطفقوا يترقبون الشؤون الخارجية ويعادون القرطبيين الذين يجاورونهم لما نالوا من القوة فتوحهم ضلقة حيث كانوا ياتون ليشنوا الاغارة عليهم وعلى ايطاليا بحجة ان يقوموا بناصر التارتاريين

وكانت وتنتدج جمهورية قرطاجنة مسئولية على ضفتي بحر الروم وشاطئ افريقيا ومنته في افريقية من جهة بوغاز المحيط ومتصلة بواسطة البوغاز الى شاطئ البحر من جهة اسبانيا ومالكة البحر والتجارة . وقد اغارت على جزيرتي كورسيكا وسردينيا ودافع الصقليون كل الدفاع لكنهم فاسوا بذلك عبا وقد طالما اندرت ايطاليا عذاباً وويلاً . وماك علة حروب مع قرطاجنا نشأت قسراً عن المعاهدة التي نكثها القرطاجان ٢٦٤

فحرب قرطاجنة الاولى علمت الرومانيين القتال في المجر ٢٦٠ وقد اقتبسوا فنا مجهولاً ضافهم فوراً على نوال النور فان الفصل دويلوس الذي جاهد اولاً في المجر متجسماً المشاق ظفر بالاعداء فرعى ذلك الجند رغولوس وزحف على شواطئ افريقية حيث استخدم كل جيشه في سبيل مساورة الافعى الهائلة . واصبحت قرطاجنة في ازمة شديدة ولم ينقذها من غائلة تلك الحرب الهائلة الاكراتيب السدموني فانه انتفض على القائد الروماني فقمعه واقتاده اسيراً ٢٥٥ وأما رغولوس فان سجنه انالة شرقاً أكثر منه في انتصاره وفوزه لانه بعث به الى رومية لكي يسعى في تبديل الاسرى وليس انه كفيل سوى كلامه فلما لم يج مجلس الندوة بك رأياً من شأنه الاياس لكل من يقع اسيراً ثم اتنى ليموت بقضاء محنوم واما الاسطول الروماني فقد غرق مرتين غرقاً مرعباً فالتجأ الرومانيون ان يغادروا سلطة البحر للقرطبيين وبقي الانتصار زماناً طويلاً في ريب بين الامتين واوشك الرومانيون ان يفتقروا وبذلوا لولا ان ينظروا الى امر مستعمراتهم ويصلحوها وقد حصلوا على غنيمة النصر في معركة واحدة اتم حربيها الفصل لوتاسيوس ٢٤١ وأرغم القرطبيون على ان يهودوا الجزية وأخرجوا من صقليا وكل الجزائر التي بين صقليا وايطاليا وتسلط الرومانيون على صقليا برمتها الا ما كان يناط بهمة ملك كان عاقناً معهم الاخاء وهو بنزون ملك سيراكوز . وبعد ان انتهت تلك الحرب الرائعة اخذ

ذوو المناصب السنية بماطلون المجنود بدفع رواتبهم فجاثوا من ذلك وثاروا طالين  
 حقوقهم فاوشكت قرطاجة اذ ذاك ان تهوي الى مهاوي التاخر واسعدهم على ذلك  
 اغلب مدن دولتهم فاصبحت المدينة على جرف هار من الدمار والويل لولان اميلكار  
 وحن الملئب بياركاس لم ينقذها من ذلك لانه وحن حمل على عاتقه مشقة الحرب الاخيرة  
 مع الرومانيين ومكن آل وطنه من ان يفوزوا بالمتمردين المرة الثانية ٢٣٩

وبسبب هذه الحرب فقد القرطاجيون جزيرة سردينيا فان محافظيها المتمردين فتحوا  
 ابوابها للرومانيين. وخشية من ان يطرأ طارىء وتسرع حرب جديدة مع الرومانيين  
 سلم القرطاجيون الجزيرة اليهم قسراً عنهم وأثقلت عليهم الجزية وسولت لهم نفوسهم على ان  
 يحافظوا في اسبانيا على سلطنتهم التي اوهنها تمرد الاهالي. ولهذا جاز اميلكار تلك البلاد  
 مصحوباً بابنه انيبال الذي كان له من الاجل تسع سنوات فمات هناك في موقعة قتيلاً  
 ٢٣٩-٢٢٠ وفي اثناء ما اضرم نارا لهيما تسعة اعوام بشدة البطش والبسالة كان ابنه  
 انيبال الحديث السن يتعلم فن الحرب تحت دراسته وتناجح بوساطة البغضاء الدموية  
 في فواده ضد الرومانيين. وبعد موته خلفه صهره ازدروبال وقبض على عنان  
 السلطة بدرابة ودرابة وشاد مدينة قرطجة الجديدة التي كانت بسبب مركزها حاملة  
 اسبانيا على الخضوع للقرطاجيين

وكان حينئذ الرومانيون يضرمون نارا للوغي على تونا ملكة الليريا التي كانت  
 تعتدي على السفن في كل جهات البحر دون مانع. ولما كانت الخيلاء اخذتها كل ماخذ  
 لكثرة الغنائم التي سلبها من اليونان ولايروت اهانت الرومانيين وقتلت سفيرهم  
 فنهاضوا عليها حالاً وقهروها ٢٢٩ ولم يبقوا تحت سلطتها الا جزءاً صغيراً من الليريا  
 ٢٢٨ ونزعوا من يدها جزيرة كورفو التي كانت قد اخذتها واثروا حرمتهم في بلاد  
 اليونان بسفارة بعثوها اليها رسمياً فذاعت شوكتهم مرة اولى في تلك الامصار

وكان نجاح ازدروبال يحيج في قلوبهم الحسد واما القوليون الناطقون ايطاليا  
 فكانوا يصدونهم عن الاهتمام في احوال اسبانيا ولقد كان القرطاجيون راتعين في مجبوحة  
 السكينة والسلام منذ خمس واربعين سنة وكان الشبان الذين بلغوا اشدتهم في ذاك  
 الحين لا يفكرون في ما خسروا انما من الاتعام والمهام ولذلك اخذوا ينظرون الى رومية  
 بعين التلى ويتهددون بها عذاباً مبرحاً. اما الرومانيون فلكي يهروا اولئك القوليون



الجاورين المتشاعبين فكروا في ان ينالوا طمأنينة من جهة الفرطحيين ولذلك ابرموا عهداً مع ازدروبال واعدا اياهم انه لا يعبر البتة وراء نهر الابر. واحتدمت في ذاك الحين نار العجاء بين الرومانيين والغوليين بحجة من الفيتيين ٢٢٤ وانضم الترتزليانيون (١) الى السيزيلانيين (٢) وقامت الحرب هائلة زائرة فتكلم الرومانيون بالنصرالميين ٢٢٤ واسروا من وسط المعركة كونكوليتانوس احد ملوك الغوليين. وملك اخر منهم يقال له آبروهستوس اخذ به الكمد كل ماخذ فانتحر. فحينئذ عبر الرومانيون الظافرون نهر البومة اولى وعولوا على ان يستولوا على كل نواحي النهر التي كانت الغوليون يتسلطون عليها منذ اجيال عديدة وكان النصر يرافهم ايات رحلوا وحلوا وفتحوا مدينة ميلان وقصارى الكلام ان اكثرية البلاد رخصت لشوكتهم

وفي ذاك الحين توفي ازدروبال ٢٢١-٢٢٠ وخلفه انيبال وهو في سن الخامس والعشرين فاجمع الكل حينئذ على الحرب وعزم انيبال على ان يقع اسبانيا لا يكثرث بما تنص المعاهدات السابقة فنهض الساكوتيون وشكوا امرهم للرومانيين الذين كان وثاق الاخاء شديداً بينهم ٢١٩ فسمع الرومانيون الشكوى بكل اصغاء وبعثوا سفرا الى قرطجة ٢١٩ واما الفرطحيون الذين كانت قد اصطلحت احوالهم فلم يعبثوا بالتسليم ولما كان الحقد على الرومانيين متأصلاً فيهم لكونهم اخذوا منهم صفلياً وسردنيا وقتلوا عليهم الخراج تحبثوا الوقت لاخذ النار ولذلك لم يفر الحزب الذي كان يرغب في تسليم انيبال وكان هذا القائد المجري يزوالى كل امر بعين البصيرة فارسل سفراء سرا الى ايطاليا ليقرروا له ميعاد الغوليين الفاطنين فيها واذا كانت هذه الامة غير قادرة ان تبرم امراً بذاتها تحبث الوقت عند مرور ذاك القائد لتنهض من مهاوي حالتها التعمية. فعبر انيبال حينئذ نهر الابر وجاز جبال البيراني وكل بلاد الغوليين الفاطنين وراء جبال الالب وعبر جبال الالب نفسها وحمل على ايطاليا بغتة فاخذ الغوليون يدافعون اشد الدفاع عن حريتهم غير متعادين عن اكنار الجنود فتعكس الرومانيون اربع مرات وظن الجميع ان دثار رومية قريب ٢١٦-٢١٧-٢١٨ وانحازت صفلياً الى المظفر النازلان ابرونيوس ملك سيراكوزا اعان انه عدو للرومانيين ٢١٥ واكثرية

(١) الغوليون الفاطنون وراء جبال الالب (٢) الفاطنون نجهة الالب من ايطاليا

شعوب إيطاليا عرضوا عليهم ولاح ان لم يبق لهذه الدولة ثمال ولا عقد في اسبانيا بعد ان قتل سيبون واخوه ٢١٢ ولدى تلك الآزمة نالت رومية راية الفرج بعد الياس ونجحت من مكائد المعتدين فان ثلاثة من اعيانها وهم فايوس مكسيوس ومرسيلوس وسيبون الشاب قد انقذوها من مخالب العدو ونصروا عنها لفاغ العار. فان فايوس مكسيوس كان صبوراً على ملاقاته النائبات ثابت القدم عند الصدام ولم يكن يخجل بالانباء الذائفة بين البرايا فقبض على زمام القيادة وطلق بحارب انيبال بكل بسالة ونظام. ومرسيلوس حمل انيبال على ان يرفع الحصار عن مدينة نول ٢١٤ وفتح مدينة سيراكوز ٢١٢ وتوفت المجنود باعماله. واما رومية فاخذها الحجب والدخنة من ذبلك الباسلين فشعرت ان في سيبون الشاب امراً اعظم من ذلك فان آراءه السديكة التي عنيها نجاة اثبت ما سمع عنه انه من نسل الاله وان له معهم حق المفاوضة. ولما كان في اجل الاربع والعشرين سنة عول على ان يذهب الى اسبانيا ٢١١ حيث قتل ابيه وعمه فناجته نفسه ان يحمل على قرطجة الجديدة كان ذلك الهام سماوي ٢١٠ واطبقت جنوده على المدينة ففتحوها عنوة وكان كل من يراه يواخي الشعب الروماني واخلى له القرطجون اسبانيا مغادريها له ٢٦٠ ولدى نزوله الى شواطئ افريقية طأ طأ له الملوك صاغرين. ولما رأت قرطجة ان الويها منكسة من كل الانحاء افسحرت رهبة وفاجأها الكرب ٢٠٣ فاستصرخت انيبال لياخذ بيدها ويكون لها نصيراً فذهب استصراخها ادراج الرياح فلم يمكن له ان يذود عن آل وطنه. فسيبون ظهر عليهم وابرم عليهم شروطاً ٢٠٢ فتلقب بالافريقي جزاء لما صنع وبعد ان تغلب الرومانيون على الغوليين والافريقيين لم يبق شيء برهيم ويهيلم ومن ذاك الحين شرعوا بحاربون دون خشية ورهبة

وفي اثناء الحرب الاولى في قرطجة سطا يهودوت والي بكتريان على اثيوخوس الملقب بالاله ابن اثيوخوس سوتر ملك سوريا واخلس منه الف مدينة ٢٥٠-٢٥٦ واتخذ اغلب الشرقيين ذلك الصنع انموذجاً لهم. فتهض البريتون عاتين متمردين تحت قيادة ارزاس الذي شاد مملكة امتدت على مهل في كل اسيا العليا وكان ملوك سوريا ومصر لا يهتمون الا في ان يبدا بعضهم بعضاً بالثورة او الخداع وكانت موضوع نزاعهم دمشق وارضها المدعوة سيلي سوريا او سوريا السفلى التي على ثغور الملكتين. وكانت

حيث تدير إدارة الأمور في آسيا منفصلة عن أوروبا وفي ذاك الآن كانت رياض الفلسفة زاهرة زاهرة لدى اليونانيين وكان المذهبان الإيظاليك والإيونيك ينشأ بهما جهابذة سامون وأناس لا يعول عليهم دعاهم اليونان بمحبي العلم وشرع فوثاغورس يشيد في عهد الملك قورش وابنه كمبر المذهب الإيظاليك في بلاد اليونان العظمى قرب مدينة نابولي وكان تاليس الميلازياني يثبت نحو ذلك العصر عينة المذهب الإيونيك ونشأ من هذه المذاهب الفلاسفة الكرام وهم هرقليطس وديموقريطس وامبيدوكلس وبرمينيدس وأناكراكورس الذي أبان لدى وشك حرب البلوبونير أن العالم فطره روح أزلي . وبعد ذلك الآن نشأ سوفراط وحصر الفلسفة في فحوص السجاياء الحسنة وأضحى اذ ذاك أباً للفلسفة الادبية وأبد تلميذ افلاطون مذهب الافادمية وأصبح اريسطو تلميذ افلاطون ومعلم الاسكندر رئيساً لمذهب المشاة . وفي عهد خليفة الاسكندر أصبح زينون الملقب بسنيان من مدينة في جزيرة قبرس في مصفط رأسه اساس الستوسيين وإن كان يسوغ ان ندعو الذين يمجدون العناية الصمدية والواجبات الانسانية فلاسفة فاييكتور الابتياني أصبح رئيس الفلاسفة الذين يتقنون اليه ويعرفون الفضيلة بالملكة وبعد ايوقراط ابوالطب من الفلاسفة الكرام وانه زاهر بين اقاربه في تلك الاحيان السعيدة لدى اليونان وكانت في العصر نفسه عند الرومانيين نوع اخر من الفلسفة لا يتوقف على الجدال والخطابة بل على الفناعة والنافعة واشغال الحقول والحرب ويو كانوا يحوزون الفخر لم ولوطنهم والاسم الروماني ويتقبلون على ابطاليا وقرطجنة

## العصر التاسع

### في سيبيون اودنار قرطجنة

رضخت قرطجنة للرومانيين سنة الخمسمائة والاثنتين والخمسين بعد تشييد رومية ونحو ٢٥٠ بعد تشييد مملكة الفرس ونحو ٢٠٢ قبل المسيح فقد كان انيبال يثير خفية الاعناء طالما امكنه ولم ينجم من تمهكاته الا انه بعث اخذاته الاقدمين والمحدثين على تجشم الثنائيات السود والتهافت على الهلاك كما انه سبب الهلاك لوطيو وشخصه . فان فيلبوس ملك مقدونية الذي كان الاخاء بينه وبين القرطجيين تشكل ودايمت

قوة التنصل فليبيوس واصبح ملوك مقدونية تدار عليهم دوائر الضيق وانغلس اليونانيون من تحت اقبال رقم ١٦٦ وازمع الرومانيون على اباداة انيبال الذي كانوا يرهونه حتى بعد انكساره . يُد ان هذا القائد الباسل بعد ان التجأ الى ان بولي من وطنه مدبراً آثار عليهم الشرقيين واتى بالسلحهم الى اسيا ١٩٥

واذ اخذ انيبال بيت براهين سديك على انتيوخوس الملقب بالعظيم يحذر من شوكتهم كل الاحذار ولم يلبث ان شهر عليهم الحرب ٨٩٣ غير انه لم يعأ بما نصحه انيبال فتقهزراً ومجرأ وأغصب على ان يرضخ لما اوعز اليه به ليسبوس سيبون اخو سيبون الافريقي وجعلت جبال الثوروس حداً . واما انيبال فبعد ان ولي مدبراً من بلاد الرومانيين نخذ بوزانياس ملك بتوني ثمالاً له فبعث اليه الرومانيون بمن سفاه سماً فاماته ١٨٢ واصبحوا رهبة في كل الارض لانه يحملون على دولتهم دولة فتقاطرت اليهم الملوك واسدوا اليهم اولادهم تاميناً ومكث انتيوخوس ملك سوريا الملقب بايفان ابن انتيوخوس الاعظم زماناً مدبداً في رومية مرهوناً لكن في نحو اخر حكم اخيه البكر سيلاكوس فيلويانور بدله الرومانيون ١٧٦ بديمتريوس ابن الملك وكان له من العمر عشر سنوات . وفي عرض ذلك اغتالت المنية سيلوكوس واخلس انتيوخوس مملكة خنيد ١٧٥ وكان وقتئذ الرومانيون يفكرون في شومون مقدونية ١٧٣ حيث الملك يرمي كان يلقى مجاوريه ولم يكن براعي حرمة الشروط التي التبت على ابيه فيلبوس . ولدن ذلك اصبح شعب الله تحذفه الابصار ويلم به الامتهان والاضطهاد فان انتيوخوس ايفان كان يحكم كانه معنوه مجنون ولا ينظر الى اليهود الا شزراً وعول على هدم هيكلهم وانلاف شريعة موسى وكل الامة اليهودية ١٧٠-١٧١ لكننا سلطة الرومانيين صدرته عن ان يتبرأ مصر فانهم كانوا يباشرون تاجيح الحرب على يرمي الذي اشتهر بكونه سريع الفصد بطي العمل ففتر منه مواخوه لحسته وجنوده لجباته فقبض على سلطته التنصل بولوس اميليوس واغصبه على ان ياتي امامه صاغراً ١٦٨ واما جنسبوس ملك الليريا فقد عند حبل المواخاة مع ييروس وعاهد على الدفاع والهجوم فلم يجده ذلك نفعاً فان قائد جنود الرومانيين نكأه وتخن من يعد ذلك اسيراً فاصبحت مملكة مقدونية ولاية من السلطنة الرومانية بعد ان استمرت مملكة مستقلة مدة سبعة سنه ونشأ منها مائة مائتين سنة ملوك لليونان وسائر المشرق .

وكان انتيوخوس الملك يزداد حقاً وغيظاً على شعب الله ١٦٧ فظمرت اذ ذاك  
 مقاومة كاهن من نسل فينه افتناه بالغيرة يقال له متتيا وبدت اوامر التي غادرها بعد  
 موته لخلاص شعبه ١٦٦ . وظهر ابنه يهوذا الملقب بالمكابي على اعدائه الكثيري العدد  
 ١٦٥ وسما المكابيون وتدرس الهيكل ثانية بعد ان دسسه الوثنيون ١٦٤ وحكم يهوذا  
 وبدا مجد الكهنوت المتمر ثانية ومات انتيوخوس ميتة ذريعة بعد ان تاب توبة  
 لا يبالغ الميمن بالرضوان والرجة . فان الله كان عليه غضوباً لكثرة ما كان عنلاً زنياً .  
 وخلفه ابنه انتيوخوس اوباتور القاصر وكان مهذبه استاذ ليزياس . وفي اثناء صغره  
 دخل الهاجس في عقل ديمتريوس سوتر المرهون في رومية ان يتبوا العرش الملوكي  
 لكنهما مجلس الندوة لم ينو له العود الى مملكته لان السياسة الرومانية كانت تؤثر على  
 ذلك ملكاً قاصراً . وبقي اضطهاد شعب الله مستمراً في عهد انتيوخوس اوباتور والبصر  
 الميمن بيد يهوذا المكابي يومئذ كيف شاء ١٦٣ واخذ الشقاق يجي في مملكة سوريا  
 ١٦٢ فان ديمتريوس فر مدبراً من رومية ورضخت له الرعية صاغرة وانتيوخوس القاصر  
 قتل هو ووصيه ليزياس واما اليهود فلم يقابلوا بالاساءة . في عهد ديمتريوس اقل ما  
 كانوا يقابلون في عهد سلفائه . وقد الم ابو ما لهم لان قواد جنوده ارفعهم يهوذا المكابي  
 وتعلت يد القايد نيكاتور الجبار بالهيكل الذي كان يندره بها خراباً يباباً . وبعد ذلك  
 بقليل من الزمن ضاق يهوذا ذرعاً من كثرة الاعداء فقتل وهو يدافع دفاعاً غريباً ١٦١  
 فخلفه بالمنصب والشهرة اخوه يونانان ولما ضايقته العدو وسد عليه ابواب النجاة لم بكل عياء  
 وانتهر الرومانيون الزمن لينكسر الوية ملوك سوريا فاضلوا اليهود تحت سجاج باسهم  
 وكان يهوذا قد واخاهم فاستمروا على الاخاء محافظين . ولما كان الرومانيون رهبة للقاضي  
 والداني كان شعب الله لا يسهم صبر ما داموا متسكعين في بطاح حمايتهم ولقد كانت  
 سوريا تيمد من كثرة الرزايا زماناً طويلاً واقام سكان انطاكية على العرش ملكاً  
 اسكندر بالاس الذي كان يدعي بانه ابن انتيوخوس ايفان ١٥٤ وقد كان ملوك مصر  
 اعداء الداء للدولة السورية ولهذا تمهافتوا على ان يكون لهم ضلع في الانقسام رغبة في  
 نوال الفائدة من ذلك فاحراز بتولماوس فيلوميثور الى الملك بالاس واستعرت نيران الحرب  
 شديداً . ففضت الاقدار على ديمتريوس سوتر فجنبد قتيلاً ١٥٠ ولم يخلفه للاخذ بدمه  
 الا ولدان حديثا السن يقال لاحدهما ديمتريوس نيكاتور والاخر انتيوخوس سبطاناس

وعلى هذا بقي الخنلس غير مذعور ولا مرثات وزفت اليه كهوباترا ابنة ملك مصر واما بالاس فقد ناجته نفسه انه فاز بكل شيء فحاض في بحر النساد فاصبح ممتهنا لدى كل الرعية. وفي الوقت نفسه قض فيلوميتور الدعوى المشهورة بين السامريين واليهود ١٥٠ وكان لا يريح المنشقون المناقضون شعب الله يخازون الى اعدائهم. ولكي يجعلوا التيقوس ايفان يتوسم فيهم بعين الرضى كرسوا هيكلهم على جبل غرزائم لجوييتير المضياف ١٦٧ وزيادة على ما كفروا ودنسوا طوحوا في المسئلة تطويحاً وعلقوا يبرهون بعد ذاك الحين امام الملك بتولاموس فيلوميتور في الاسكندرية ان هيكلهم له حق الاوبوية على هيكل اورشليم فتبادر الفريقان الى حلبة المحاكمة والى كل فريق بقطع راسه ان لم يأت بالبينة الصادقة من ايات شريعة موسى على صحة الدعوى. فخصص الحق لليهود وعوقب السامريون بقطع الروثوس حسب اليهود وسخ ذلك الملك لاونياس من نسل الكهنة بان يبي في مصر هيكل هيلوبوليس على رسم هيكل اورشليم فصدر الحكم من مجلس اورشليم ان هذا المشروع مناقض لمنطوق الشريعة

وفي ذلك الوقت كانت قرطجة تتحرك وتجتشم بكل عناء ومشفة ما ائفها به سبيون الافريقي الظافر ولهذا عزم الرومانيون على تطيسها. ومن ذلك انتشبت الحرب في قرطجة من ١٤٩ — ١٤٨ ولما اصبح ديمتريوس نكتاتور يافعا هجم في ان يهبوا ثانية عرش اجداده. وملاينة الخنلس جعلته يتأمل بذلك فوزا ١٤٦

ولما علم بالاس بشبوية ديمتريوس وما آل الامر الى التضا اضطرب من ذلك جدا فانتهب حموه فيلوميتور مناقضا له لان بالاس لم يدعه يتولى على مملكته السورية وطلفته عرسه كهوباترا التي طالما اغراها الطبع بان تزف الى عدوه. ثم قتل هذا الملك جنوده بعد ان نهز في المعركة ومات فيلوميتور بعد بقليل من الحين لكثرة ما اثن من الجروح. وبناء على ذلك تملصت سوريا من مخالف عدوين الدين وقضى التدر على مدينتين عظيمتين اصبحت عرضتين للدثار في آن واحد. فان سبيون اميليان بعد ان فتح قرطجة الهب فيها النار فاحرقها وقرر بهذا الفوز لقب الافريقي في عائلته وابدى انه اهل لان يكون وريث جبه سبيون العظيم وجرى على مدينة قورنتية ما جرى على قرطجة وتلاشت جمهورية الاشيين في الوقت نفسه. فان التصل مومبوس طبق اسوار هذه المدينة لانها

كانت مفر الخلاعات والزخارف اليونانية وقد كان فيها تماثيل ثمينة لا يعرف لها قيمة عند الرومانيين ننقلها الى رومية . فان الرومانيين كانوا لا يقدرون فنون اليونان وصناعاتهم ولقد كانوا يفتخرون بمعرفة فن الحرب والسياسة والزراعة . وفي أثناء الرزبا التي كانت تلم بسوريا كان اليهود يفتخرون بالقوة والبأس وكان كل من الحزبين يزدحم لاستئالة يونانان اليه وكان نيكاتور الضافر يعاملهم معاملة اخيه ١٤٤ ولم يلبث طويلاً الا جوزي على ذلك جزاء مشكوراً . فان اليهود لما رأوا ان الشعوب ثاروا عليه امرعوا اليه منتشدين من ايدي العصاة المتبردين فانقل هذا الملك يونانان بالانعام ولكنه لما علم انه ثبت في ملكه رجع الى مشرب ابائهم وعلق يلقى الاذى على اليهود كالسابق . فبدت حيثئذ البلايا والنائبات في سوريا ثانية فان ديودوط الماثل بترينون اتوى على العرش الملوكي وليداً من اولاد بالاس وسماه انتيوخوس الاله واستمر له وصياً مدة بضاعتها واخذ ديمتريوس يعنو ويجور في الرعية فهاج الشعب ضده فثارين وجامروا بالعتيان . واصبحت بلاد سوريا مضطربة في افواه الحروب الرائعة وانتهز الفرصة يوناناس وجدد المعاهدة مع الرومانيين ١٤٤ - ١٤٣ وقبل ان قتل تريبون مع اولاده مخالفة لكلامه كان النجاش ياتيه كيف شاء . وخلصه اخوه سمعان ارضن المسكانيين واسعدهم طالعا فضافه الرومانيون كما كانوا يصافرون اسلافه

واما تريبون فلم تكن خيائته للملك الناصر اتل ما كانت ليونانان فانه امات هذا الولد بواسطة احد الاطباء بحجة ان الملك الحديث مريض بالمحصاة . فعلى يعالجه معالجتها فاماته ولم يكن مريضاً بذلك ابداً . وبناء على ذلك وضع تريبون يده على قسم من المملكة ورغب سمعان في ان يخرج الى ديمتريوس نيكاتور الملك الشرعي ونال منه حرية وطنه التي تصدى لحرثها تريبون المتبرد . فدافع عنها اشده الدفاع ١٤٣ ثم طرد السوريين من المعتل الذي حلقا فيه في اورشليم واخرجهم من كل محال اليهودية

والتى عن عوانتي اليهود نير عبودية الوثنيين يسالة سمعان قلده المفقود الملوكة وحافظوا عليها لتمامه . وقبل ديمتريوس نيكاتور ذلك النظام الحديث ولدى ذلك بدت مملكة شعب الله الجديدة وولاية الاسموتيين المتفرقة بالسلطة الكهنوتية وفي ذلك الحين كانت دولة البرتين تمتد في بلاد بكتريان والهند بانتصارات الملك

ميريدات اشهم الارزا سيدين وابسلم . وبينما كان ميريدات زاحفاً على شواطئ النرات  
اصبح ديمتريوس نيكاتور الذي استنجد الشعوب الذين داهمهم ميريدات يبي آماله على ان  
يخضع البرنيين الذين طالما اعتدّهم السريان عاتين مقربين . ففاز بذلك احياناً حجة ولما  
ثم بالرجوع الى سوريا امل ان يعني تريفون نصب له احد قادة جيوش ميريدات  
فتما فوقع فيه فلبث اسيراً عند البرنيين ١٤١ وصدّ عن تريفون اصحابه بغتة لان كبرياءه  
انقلبتهم يوماً وجعلتهم لا يتأسسون على ارتفاع انفه . وفيه مئة اسر ملكهم الشرعي خضع  
السوريون لحكم امرأتهم كلوبترا واولاده ولكنهم الجثوا الى ان بقيوا لهؤلاء الملوك النصر  
حمايماً . وذلك الالتزام كان منوطاً طبعاً بانتيوخوس سيدريس اخي ديمتريوس فجددت  
كلوبترا بان تجعل جميع الرعية يعترفون به وقد صنعت اكثر من ذلك لانها لما شعرت  
ان قهرت اخا ميريدات وخليفته كان يعامل نيكاتور معاملة ملك وانّه زوجته بينته  
رودوغونة اقترنت في نفسها بانتيوخوس سيدانيس واخذت من ثم تحكم بكل اصناف  
الاثام والجرائم فحمل انتيوخوس الملك الجديد على تريفون وانضم اليه سمعان لكنا الجائر  
بعد ان طرد من كل مستحباته ثم حياته حسبما يستحق ١٢٩ واما انتيوخوس فلما تسلط  
على المملكة نسي حالاً خدامة سمعان وقت اصطلاء نار الحرب وقتله ١٣٥ وبينما كان  
يحرز اليه كل قوات سوريا ليناضل اليهود خلف يوحنا هيركان ابن سمعان اباه في  
الجهريه وخضع كل الشعب له خضوعاً كاملاً ودافع في حصار اورشليم بكل جرأة وبساله  
واما الحرب التي تمهك فيها انتيوخوس ضد البرنيين رجاء ان يخلص اخاه من وثاق  
الاسر جعلته يلقي على اليهود شروطاً ليست باهظة

ولدن وشك ابرام الصلح رأى الرومانيون لهم اعداء الداء اشدّاء بقاؤون  
الملمات وبصادمون الثائبات عبدّاهم تخار بكثرتها الابصار ولما كان امونوس من  
العبيد محدداً اداج العبدى في صقلية وافضى الامر بالدولة الرومانية ان تستعمل كل  
قوتها لتقهرهم . وبعد ذاك الحين شبت نار الفتنة في رومية بسبب ارث اتاكوس ملك بركام  
الذي اقامه له الشعب الروماني حسبما اوصى قبل موته ١٢٣ فاخذت البلابل تشب في  
المدينة . ومن ثم احتدمت ثورة الكريك واصبح الشعب الذي نشأ في عرض ذود  
طيارينوس كركوس احد اعيان رومية ذريعة الى هلاكه وذلك بامر صدر من مجلس  
الندوة وكان من تولى هذه القلة سيبون نريكا واما سيبون اميليانوس فقد كان ينفذ



نظام الجنود وهذا الرجل الذي كان قد هدم قرطاجنة هدم أيضاً في اسبانيا ١٢٢  
مدينة نوماس التي كانت موضوع رهبة الرومانيين

واما البريتون فلم يمكن لهم ان يصدوا اثيوخوس سيدانيس الذي دان النصر  
لجنوده قسراً عن فسادهم الناشئ عن تبرج غرسيا وبدت من بوجنا هيركان الذي  
كان قناه في تلك الحرب الرائعة مع اليهود بسالة لانضامها بسالة وطلق الملك يحترم  
دين اليهود وعبادتهم وتأيداً لذلك فانه اوقف جيشه ليكون لهم فرصة يحتفلون بها  
باحاد اعيادهم

وقد رضى كل شيء امام سيدانيس خضوعاً والتجاً الملك فراهورت الى ان يرجع  
تغور مملكته الى اصلها القديم لكنه لم يأس من النجاح في اموره واخذ يهجم ان اسيره  
ديتريوس يكون الواسطة الكبرى لتخسين احواله امكان شن الاغارة على مملكة  
سوريا. وحدث في هذه الظروف لديتريوس احوال متباينة فآونة كانوا يطلقون سبيلاً  
وآونة كانوا يحجرون عليه حسبما كان يتنوى الامل او الخوف في قلب حبه ولما مكر  
فراهورت انه لم يبق له نجاة الا بنهك يجره في سوريا بواسطة ديتريوس اطلق له  
عنان الحرية تماماً

فتغارت حينئذ الشؤون ١٢٠ فان سيدانيس الذي لم يكن عنه شيء من  
المجد على احتمال المصاريف الباهظة الا بالسلب رأى الشعب ثائرين عليه طراً قائمين  
على قدم وساق فهلك هو وجيشه الذي نظفر مراراً عديدة وبعت فراهورت الى  
ديتريوس يطلب اليه الحضور فكان ذلك عبثاً فان هذا الملك كان قد عاد الى  
المملكة ورجعت اليه امرأته كلبوبانرا التي لم تكن تود الا ان تكون بيدها الامرة. واما  
رودوغونة فقد وقعت في مهاوي النسيان واغتتم هذه الفرصة هيركان ونزع مدينة سيشيم  
من السامريين وطس هيكل عزيزايم وذلك بعد ما شاده سانابلا بمايتي سنة. ولم يكن  
ذلك الدثار مانعاً للسمرة عن ان يستمروا عابدين على ذاك الطود وليست الامنان  
قاطعتين رباط اللفة والاتحاد. وبعد ان مضى على ذلك المحين عام ضم هيركان كل  
بلاد ادوم الى مملكة اليهود بانتصارائه وجعلهم يتبعون شريعة موسى ويتقبلون الختان  
١٢٩ واستمر الرومانيون يحامون عن هيركان واغصبوا السوريين على ان يعبدوا له  
كل المدن التي نزعوها منه ١٢٨ واما ديتريوس نيكاتور فلم يرجع طويلاً الطائفة والسلام

لكثرة ما كان عند من الكبر والعنف فثار عليه الشعب قصد العصيان . ولكي يوجِّهوا  
 نيران الفتنة اقام المصريون الذين هم اعداء للسوريين ملكاً اخر وهو اسكندر زبيينا ابن  
 بالاس ١٢٥ فتشكل جيشه ديمتريوس وتوهمت كلويترانها تنال سلطة الحكم باسم اولادها  
 اكثر منها في عهد زوجها فقتلته ولم تحسن معاملة ابنها البكر سلاكوس الذي شاء ان  
 يتولى السلطة بالرغم عن انهما ١٢٤ واما ابنها الثاني انتيوخوس فكان قد حمل على  
 العصاة وقهرهم ورجع مظفراً فدنست منه والدته وقدمت اليه كاساً مفعمة سماً ففطن لما  
 استبطلت وارغمها على شربها فشربتها فماتت قتيلة الجناية ١٢٠ - ١٢١ ولدى موتها  
 تأصل النور والشقاق بين اولادها الذين اولدتهم بزواجها الاخوين ديمتريوس نيكاتور  
 وانتيوخوس سيدانيس وبقيت مملكة سوريا مضطربة واهنة القوى لا تستطيع وعبد اليهود .  
 وفتح لدى ذلك يوحنا هيركان السامرة ١٠٩ لكنه لم يمكن له ان يهدي السامريين الى  
 الايمان الحق ثم عبثت يدي المنون بعد ذلك الحادث بخمس سنوات ١٠٧ - ١٠٤  
 وبقيت اليهودية ساكنة راضحة لهده ولديه اريستوبول واسكندر جاني الذين تعاقبا بنوال  
 السلطة بدون ان يقلعها ملوك سوريا ١٠٦ - ١٠٣ وكان الرومانيون لا يتصدون لهذه  
 المملكة الغنية بل غادروها ثلاثي بذاتها لما كانت تمتد عساكرهم في جهة الغرب . وفي عرض  
 الحرب التي شبت بين ديمتريوس نيكاتور وزبينا ١٢٥ كانوا قد اخذوا بنسطون وراة جبال  
 الالب . وسير سكستوس الذي ظهر على الغوليين الملقين بسليمانين الى مدينة آسيس مهاجرين لم  
 يزالوا يلقبون باسمه ١٢٤ وقد كان الغوليون بدافعون عن نفوسهم بوهن فان فايوس قهر  
 اللبرج ١٢٢ - ١٢٣ وسابر الشعوب الجاورين وفي نفس تلك السنة التي فيها ارغم  
 جريبوس امه على ان تشرب كاساً فيها سم اُجلبت الغول النربونية الى مقاطعة رومانية  
 ولقيت هكذا ١٢١ - ١٢٠ ولقد كانت الدولة الرومانية تمتد ونخل في كل الارضين  
 رويداً رويداً ونخوض كل البحور المتعارفة . لكن بمقدار ما كانت هيئة الجمهورية تبدو في  
 الخارج عظيمة لعظم فتوحاتها كانت داخلتها سيئة وذلك منات من مطامع اهليها المخارقة  
 ومنازعاتهم المدنية لان اشرف الرومانيين واشهرهم اصبح اعظم مضيق للدولة الرومانية واني  
 الكركاك الاخوان بانقسامات لم تنته الا بانتهاء الحكم الجمهوري واما كابوس اخوطباريوس  
 فقد شق عليه ان يتاسى على موت اخيه العظيم بتلك الهيئة الدموية فتأهب هائجاً للانتقام  
 بحماسة بعثت الناس على ان يخلوا ان روح اخيه تحركت فيه . فاخذ يدحج الاهلين بالسلاح

ضد بعضهم ولما هم على ان يوهي كل شيء مات ميتة اخيه التي كان يود لو يستمر لها مفتاح  
وقد كانت الرشوة سائكة في رومية فان جوكورنا ملك نوميديا ١٠٩ الذي التظ بدماء  
اخوته الذين كانوا تحت حماية الشعب الروماني دافع عن نفسه بالرشوة أكثر منها بالسلاح  
١١٢-١١٦-١١٤ وماريوس الذي فاز به اخيراً لم يكن له  
وسيلة للقبض على عنان الصولة والسلطة إلا بأثارة الشعب على الاعيان ١٠٦

وقامت العبدى مرة اخرى على قدم وساق وجاءوا بالعصيان في صقليا ١٠٣  
فلم تكلف ثورتهم الثانية الرومانيين اقل دم من ثورتهم الاولى . وتغلب ماريوس على  
الثونيين والسبريين والام الاخرى الشمالية التي كانت قد ولجت غالبا واسبانيا واطاليا  
١٠٥ . وعنت له فرصت بانتصاره لبرزرابا بتجزئة الارضين ١٠٠ واما ميثلوس الذي  
مانع عن ذلك فقد النجا الى ان يتقاعد عن ذاك الشأن بسبب الظروف ولم ينجده نار  
الشقاق الا بدم سانونيتوس عثمى الشعب وبينما كان الرومانيون يدافعون عن كبادوسيا  
ضد متريدات ملك اليونين ويقمعون هذا العدو الالددولتهم وبلاد اليونان التي  
تمرشت له ٩٤-٨٨ كانت ايطاليا التي اعتادت خوض ٨٦ المعامع بسبب ما تيسرت  
من الحرب مع رومية او عليها تمرد عليها واشكت الدولة الرومانية ان تلتاشى ٩١  
وفي الوقت نفسه كانت السلطة الرومانية تمزق بسبب غضب ماريوس وسيللا ٨٧-٨٨  
الذين احدهما امد الغرب والشمال رهبة والاخر ظفر باليونان واسيا واصبح سيللا ينكل  
وطبه الذي اقلته اوقار الرق والعبودية ٨٢ وقد امكن له ان يغادر السلطة المطلقة  
اخياراً ٧٩ لكن لم يمكن له ان يدرأ غوائل مثاله السيئ لان كلاً كان  
يود التسلط

وسرتوريوس المنحرب لماريوس بكل جرأة جند عساكر في اسبانيا ٧٧-٧٤ واتحد  
مع متريدات ٧٦-٧٣ فلم يمكن للقوة القسرية ان تظهر على هذا القائد الجسول ولان  
تضييق عليه مذهباً ولم يستطع ماريوس قهر ذاك المنحرب الا بيث الشقاق بين اعضائه  
واما سبارتكوس الفارع بالحسام في المراسم ناجته نفسه ان يتفقد السلطة المطلقة بين  
الجيوش ولقد كان هذا العبد يرهق البرنورين والتناصل متدار ما كان متريدات  
يعي ليكولوس ٧١ . وتسمرت نار الوغى بسبارتكوس واحزاه حتى اصيبت خطراً على  
الشوكة الرومانية . وتسمر على كراسوس اخمادها والجا الامر ان يسير ضد العبدى

وقد كان ليكيلوس يرقل برداء النصر في الشرق ٦٨ واجتاز الرومانيون نهر الفرات  
 وشق على قائدهم غير المنكل من العدد اغصاب جنوده على تادية فريضتهم وكان  
 متريدات الذي تنكس مراراً حجة وهو غير ايس من الفرج بعزّز ويتقوى  
 وبدا ان حضور بمبيوس كان لابد منه لاهاد سعي الحرب ولما ارسل لعني متريدات  
 طرد من البطار القرصان الذين يدوختها من صفات سوريا الى عواميد هرقل ٦٧  
 وتبين حينئذ ان مجده اصبح كاملاً. وقهر هذا الملك الشديد الياس واعسف ارمينيا التي  
 اصطفاه متريدات ملجأ وإباريا والباينا اللتين قامتا بناصر وسوريا التي مزقت  
 احشائها الاحزاب الداخلية ٦٥ واليهودية ٦٣ حيث الانقسام المتسع نطاقه بين  
 الانتميين لم تذر ليركان الثاني ابن اسكندر جاتي من السلطة الاخيلاً وقصارى  
 الكلام انه اخضع كل الشرق. يدائه لم ير محلاً يتم فيه احتفال الظفر بكل اعدائه  
 الالاء لولان الفصل شيشرون لم يخلص المدينة من شوب النار التي اعد لها كانيلا  
 وعضابة من خطيري رومية. وقد اصبح هذا الحزب الهائل كالحيا المنفور بفصاحة  
 شيشرون الخطيب اكثر من انكساره بالسلطة انطونينوس رصيفه في التوصلات. ومع ذلك  
 فقد بقيت الحرية في رومية مزعزعة الاركان فان بمبيوس كان متوجهاً ادارة مجلس  
 الدولة وكانت المداولات في المسألة يدبر رجاها دولاب لسانه

ولما فتح جوباوس قيصر غالباً وارضى لشوكة وطنه هذه البلاد التي هي اكثر افادة  
 من كل فتوحاتها ٥٩-٥٨ هان عليه هذه الخدمة ان يشيد سلطته في وطنه ولهذا عزم  
 أولاً ان يساوي في المجد بمبيوس ثم يفوقه. وكان كراسوس يهجم في ان يضاهي ذينك  
 الخطارين في الكرامة والمجد مثلما يضاهيها في الصولة فتكران غناءه الجسيم يضافه على  
 ذلك ولهذا شهر الحرب على البرتين دون تبصر في العاقبة ٥٤ فكان ذلك الدأب  
 كيداً في حلقومه وشرارة تهب في وطنه ٥٣ وامتنع الارزاسيد المختلفون الرومانيون  
 يهزئون بما يطعمون وينددون في خسة قائدهم. واما الغوائل العظمى التي سببها انكسار  
 كرسس فلم تكن العار الذي مس الاسم الروماني بل ذلك متأت من اليقضاء بين  
 بمبيوس وقيصر ولقد كانت سلطة كراسوس حاجزاً بين الشوكتين لكن ذلك لم يلبث  
 طويلاً بعد موته فان الخصمين المسئولين على كل القوات الرومانية اصبحا مطايع العنان

وانقطع جبل نزارهما في معركة دموية فرفل قيصر يرد النصر ويدت قواته في وقت واحد في مصر ٤٥ واسيا ٤٧ ومورثانيا ٤٦ واسبانيا ٤٥ ولما فاز في كل الحال اصبح منسلطاً في رومية وكل السلطنة الرومانية ٤٤ واما برتيوس وكاسيوس فسوّلت لهما انفسهما على ان يقتلاه ليزحزحا عن عاتق وطنهما انقال عبوديته فقتلاه كانه ظالم قسراً عن حله وحيثئذ صوبت على رومية سهام الجور والعنوة فسقطت ثانية بين ايدي مركوس انطونينوس وليبدوس واكتوثيران القيصر الشاب خنيد جوليوس قيصر وابنه بالذخيرة واصبح هؤلاء العتاة الثلاثة المعتسفون عن طريق السكينة يلقون الرهبة في القلوب وهذه الحال كانت كرج زعزع تززع اركان السلام واجتزؤا المملكة الرومانية فتحذ قيصر ايطاليا وظهرت عليه علائم الدعة والحلم بعد ان كان انفاً عاتياً ذمياً وعلق يدي ابيه سيق للاعمال السيئة يشركائه في السلطة وكل من بني من الجمهوريين تلاشى هو وبوتوس وكسيوس ٤٣ ولما آباد انطونينوس وقيصر ييدوس ٢٦ ناباريا في حلبة التزل واخذوا يتناضلان ٢١ فامتطت حيثئذ كل القوات الرومانية البحر فحاز قيصر النصر في معركة اكسيك ٢١ وتددت كل قوات مصر والشرق التي كان قد استاقها انطونينوس وراه فصد عنه اخذاته جنوباً ونفرت عنه كهوباترا التي لاجلها انكف ماله وقوته وسلم لقيصر هرودوس الاديماني المديون له بكل شيء ٢٠ ولذلك لبث منبوءا عرش مملكة اليهود وخضع الكل له صاغرين ففتحت له مدينة الاسكندرية ابوابها واصبحت مصر اقليماً من الدولة الرومانية ولما ايست كهوباترا من رعاية هذه المملكة انفرت بعد انطونينوس ومدت رومية ذراعها نحو قيصر الذي استمر وحك يامر وينهي في الدولة الرومانية باسم اغوستس ولقب امبراطور ٢٧ وسنة ٢٥-٢٤ ذل بالقرب من جبال اليراني شعوب الكتيريين والاسنوريين العتاة الجائرين وطلبت مملكة الحبش اليه ابرام الصلح ٢٢ وذعر البريتون منه رهبة فاعادوا اليه الوية الرومانيين التي نزعوها من كراسوس وكل الاسرى . وطلب الهنديون ان يربطوا وثاق الاخاء بينهم وبينه واذعر صليل السلحة الرومانيين كل من وطأ الارض حتى بلاد الرائيين او الغريزيين الذين ضاقت عليهم جبالهم ولم يمكن لها ان تكون لهم مرساً يقيم من الغوائل وخضعوا له بلاد بنونيا ١٢ وارعد فرائص جرمانيا ٧ ورضخت الامم القاطنة صفات الفزيرلنواميس ولما رفل يرد الظفر برّاً وبحراً قفل ابواب هيكل جانوس وكان حيثئذ كل العالم راتعياً

في مجرحة الامن والطمانية من ملكه وولد اذ ذاك يسوع المسيح سنة ٧٥٣-٧٥٤ بعد  
تشييد رومية

## العصر العاشر

في مولد يسوع المسيح

\* الاجل السابغ والاخير للعالم \*

ما قد تطرقنا الى الازمة المطلوبة من آباءنا وهو ما أتى المسيح وهذه اللفظة مشتقة من  
المسيح واسمنا هل يسوع ان يتلقب بها لانه كان كاهناً وملكاً ونبياً وقد تبانت آراء  
المؤرخين على وقت ميلاده بيد انما قد اتفقت على صحته بضع سنين قبل حسابنا السائر  
واما نحن فعمدنا عليه لسهولة ماخذ اذ لا نتوقف بالفحص عن ذلك ومهما يكن من  
الامر فحسبنا العرفان انه ولد سنة ٤٠٠ او ٤٦٢ بعد التكوين. وذهب بعض المؤرخين  
الى ان ميلاده كان قبل ذلك بقليل من الزمن وذهب غيرهم الى انه كان بعد  
وذهب اخرون الى ان ميلاده كان في تلك السنة عينها. وهذا الاختلاف ياتي من  
عدم التحري في تاريخ التكوين او في ميلاد المسيح وعلى كل فان نحو ذاك الحين  
ابي السنة الالف بعد تكريس الهيكل وسنة ٧٥٤ بعد تشييد رومية تجسد يسوع المسيح ابن  
الله في الازلية وابن ابراهيم وداود في الزمان من كاعبر عناء. وذلك العصر دعاه  
المؤرخون اعظم الاعصار لسبب هذا الحادث العظيم ولان المسيحيين كافة يتخذونه من  
اجيال عديك مصدراً لحساب سنهم ولا ريب في ان هذا العصر في غاية الغرابة فانه  
موافق لعود الدولة الرومانية الى السياسة الملكية في عهد اوغسطس

وازهرت في ذلك العصر الفنون قاطبةً ونسأى الشعر اللاتيني الى اعلى درجة من  
الجودة والكمال بواسطة فرجيليوس وهوراسيوس وكان الملك اوغسطس يقوئها ويجزل  
اكرامها ويؤذن لها بالدخول امامه

ومات بعد المسيح هيرودس واجتراً اولاده مملكته من بعد واستولى الرومانيون  
على القسم الاوفر من تلك السلطنة السنة الثامنة  
وتكامل حكم اوغسطس بالسودد والمجد السنة ١٤ وخلفه طباريوس الذي تمخض

بالذخيرة ابتالة . واصبحت السلطة تتوارثها السلالة القيصريّة وتحتسبت رومية مشنات  
عظى لكثرة ما اعتسف طباريوس بسياسة وجار لكما الطمانينة كانت في غير الحال  
في اعلى السيادة . واما جرمانيكوس ابن اخي طباريوس فقد كدح وجهه في اخماد نار  
الفتنة التي سمرها الجيوش المتردون وبئذ السلطة المملوكية ظهرياً وقهر ارمينوس الجبار  
ووصل بفتوحاته الى صفات نهر الالب ١٦ وبذلك رضي عنه الشعوب بواسطة اعماله  
واخلصوا له السريّة وحسد عمه البربري المتوعر الذي امانه غماً او سماً ١٩ وبعد ان  
مضى على حكم طباريوس اربعة حوول ظهر يوحنا المعمدان ٢٨ واعتمد يسوع المسيح بيد  
هذا السابق الالهى ٣٠ واعترف الالب الازلي بابنه الحبيب بصوت سماوي . وحل على  
يسوع الروح القدس بهيئة حمامة وديعة وظهر اذ ذاك كل الثالوث الاقدس . ولما كمل  
السبعون اسبوعاً لداينال النبي علق المسيح بنذر ولقد كان الاسبوع الاخير اهم الاسبوع  
كلها واعظمها ومازه دانيال عن غيره حيث كان فيه التعاقد على وثك التفرير ولان  
الذبايح القديمة كانت في وسطه قرية الزوال ٨ ويمكن لنا ان ندعو اسبوع الاسرار  
لان تثبيت رسالة المسيح قد كان به . وظهرت به تعاليمه بجانب شتى وموته ٢٢ الذي  
حدث في السنة الرابعة من اذاره وتوافق تلك السنة للسنة الاخيرة من اسبوع دانيال  
الاخير واجترئت بموت يسوع المسيح الى جزئين

وبناء عليه لا يكون حساب الاسبوع من النضاي المشككة او بالاحرى هو مصنوع  
طبعاً فليس علينا الا ان نضيف الى ارباعية وثلاث وخمسين سنة خلت منذ ثلثاية سنة  
من تقييد رومية وعشرين سنة من حكم الملك ارتخششتا الثلاثين السنة الاولى من بداية  
الحساب السائر وهي التي نصل الى السنة الخامسة عشرة من ملك طباريوس ومعهودية  
المخلص فيكون الحاصل من مجموع هذه السنين ارباعية وثلاث وثمانين سنة ومن سبع  
السنوات الباقية الى ثمة الارباعية والسبعين سنة تكون السنة الرابعة الوسطى هي التي  
مات فيها المسيح فعلى ذلك يكون كل ما تنبأ عنه دانيال ظاهراً في الحد المعين بكل  
صراحة (١) . وليس لنا من الامر ما يبعثنا على كل ذلك التفسير ولا شيء يلجئنا ان  
نعتمد في كل تلك الصعوبة ما اوعز اليه دانيال لان المؤرخين المدققين يكتفون ان

بروا في بضع تناطٍ نشأت بين الطرفين ما تفوت به حتى ان الذين ينجسون انهم اولو حج ينة بان يحصروا بداءة حكم ارتحششنا او موت المخلص قبيل ذلك او بعيداً لا يلبسون في حسابهم وان الذين يرغبون في عویش هذا الامر الصريح بتراج حسابات تاريخية يملصون من تفكيرهم الذي لا يجديهم نفعا

وماك ما يقتضي معرفته لاجتناب الاشكال في المؤرخين الديوبين وادراك الآثار اليهودية على قدر الحاجة . ولا عبرة بالبحث عما يناط بياتي حساب التاريخ . وعدم التجري في تاريخ سنة العالم وسني المسيح يبعث على عدم ادراك سنة ميلاد المسيح قبل او بعد . ومهما كان الامر فن تصف مقالنا وكانت الالمعية متوفرة فيه يثقه ان ذلك لا يبعث بتوالي المارب الرية . ومع ذلك كن قويم السلوك ياسيدي بحساب التاريخ لتلا تشكل عليك الحادثات ودع العلماء يتنازعون فانهم في كل واحد يهيمون . ولا تعباً بمن يذهب الى ان في التواريخ الديوبية كل عجائب المسيح ورسله . وسوف نرى ان في التواريخ خفائش شتى أكثر مما يخالون كالكسوف الذي حدث لدى موت المخلص فان الظلمة المدلهمة التي غشت رداء الارض وقت صلبه في رابعة النهار قد احسبها المؤرخون الوثنيون الذين نقلوا ذلك الحادث الواجب التذكار كسوقاً اعتيادياً واما المسيحيون الغابرون الذين اذكروا ذلك الحادث العظيم امام الرومانيين فقد اعتبروه عجيوبة كبرى نقلها مؤرخوهم المدققون واثبتوها في السجلات العامة واثبتوا ان الشمس لا يعتبرها الكسوف في السنة التي مات فيها المسيح حيث الهلال في غاية كماله . وان طراً شيء من ذلك فلا يكون الا من خوارق العادة وقد تصفنا نفس القول في تاريخ فليمون معنوق الملك ادرينانوس وقوله مبثوث في العصر الذي كانت ايدي العامة تتداول تاريخه وبقائه بذلك نالوس المؤرخ السرياني وأشير في تاريخ فليمون الى السنة الرابعة من مايتين واثنين من الاوليات بانها معتبرة كالسنة التي مات فيها المخلص

وقد تمضى المسيح من النبر اليوم الثالث تسمياً للاسرار وبدا امام تلاميذه وصعد الى السما بمشهد منهم . وبعث اليهم بالروح القدس وتوطدت حيثئذ اركان البيعة واخذ الاضطهاد يسود ورجم القديس اسطفانوس والقديس بولس آب الى حجر الايمان وبعد ان مضى على ذاك الحين قليل من الزمن مات طباربوس ٢٧ وادهش الناس ابنه بالخبرة كالفنولا بمجشوته وعنوه البربري وارغم الرعية على ان يعبدوه



ووضعوا تمثاله في هيكل اورشليم ٤٠ فقتله شيريماس وانفذ العالم من هذه الآفة ٤١  
ثم تولى زمام الامور كلوديوس قسراً عن خموله وبطله وخرقت عرضه امراته ميسالينا  
التي كان يطلبها بعد امانتها ٤٨ وتأمل باكرين بنت جبرمانيكوس ٤٩ وفجحت الرسل  
مجمع اورشليم ٥٠ فتقدم فيه بطرس على حسب عادته أولاً. وان الوثنيين الذين آمنوا وسعوا  
على الحجة القوية تملصوا من رعاية الشريعة الموسوية بموجب نص الجمع وأبرز الحكم  
باسم الروح القدس والبيعة القدسية واذا ع بولس وبرنابا حكمة في الامصار والاجباء ويعثوا  
المؤمنين على ان يكونوا له راضخين وهكذا كانت هيئة الجمع الاول

وكان كلوديوس في ذلك الحين قد حرم ابنة برتينايكوس ميراثه وتحذ يرون بن  
اكرين ابنا له بالذخيرة فحقت من ذلك امراته وعاطنه كاساً من السم فمات ٤٥ فخلته  
ابنة يرون فبرح بها وانتقل على الملكة جوراً واما كوريلون فقد جعل وحن ولا يرون  
مرتفعاً الى طبقات المجد والسودد بظهوره على البرتين والادوميين. واخذ في ذلك  
الحين يرون يوقد نيران الحرب على اليهود ٦٦ ويضطهد المسيحيين وبذلك كان  
امبراطوراً ولا جرت الوقاحة وصفاقة الوجه الى اضطهاد البيعة وامات في رومية الرسولين  
بطرس وبولس ٦٦-٦٧ ولما كان في ذلك الحين يجور على كل بني الانسان تألبت ضد  
الفلوب من كل صنع وناد واذا علم ان مجلس الندوة قضى عليه بان يموت ذريعاً تخير  
الانتحار ٦٨ واصبح كل جيش يتخير له امبراطوراً وانضم جبل الشحاء قرب رومية  
وزارت فيها معامع هائلة دموية قتل بها غلباً وأنون وقيتليوس ٦٩ واكتست الدولة  
المبرحة في عهد قزباريان جلاب الازناح ٧٠ بعد ان كانت تصنها اكف الاضطراب  
لكنما اليهود وصلوا لدى ذلك الى جرف هار من التلف وفجحت اورشليم ابوابها فاندثرت  
اي اندثار وابتلعها افواه النار واصبح طيتوس بن قزباريان وخليفته سروراً تنتريو تغور  
العالم وتطليب به النفوس. ومضت ايامه كانها لم تكن مذكورة لانها لم تكن تمر في خلال الحبر  
ثم حيي يرون متفصلاً بجسم دومثيان وتغرز حيث لا اضطهاد ٩٢ وبعد ان اخرج التديس  
يوحنا من الزيت السخنان أقصى الى جزيرة بطموس فكتب ثمة رؤياه ٩٥ وبعد ان مضت  
على ذلك مدة كتب انجيله وهو معمر تسعين عاماً وانصف بعد ذلك بكونه انجيلياً ورسولاً  
ونبياً واستمر اضطهاد المسيحيين منذ ذلك الوقت يذيع ويسود سواء كان يتولى السدة  
ملوك اصفياء ام ملوك اشقياء. فتارة كان الملوك والاولياء المغضون المتربون بشيرون

الشعوب ويسبّرون اليهم او امر نخمهم على ذلك الاضطهاد وتارة كان الشعب يثور عليهم  
 وينقم منهم ويرفقهم وهم صابرون. وأتت كان مجلس الندوة يبرز القضاء مبرماً باعنائات المسيحيين  
 واذلالهم بموجب اوامر من الملوك او بحضورهم ففشا الاضطهاد واصبح عاماً حيث شذ وانساع  
 الدم على الارض غديراً. وصم المجاهدون على ان يهدموا البيعة فهاجوا وازبدوا ودبت  
 الحكة فيهم دينياً مستمراً وعلقت الاضطهادات تتوالى حيناً بعد حين. ولذلك قد حسب  
 المؤرخون الكنايسيون الاضطهادات فكانت عشرًا تمت في عهد عشرة من الملوك ولم  
 يأس المسيحيون من نوال الارتياح طول ذلك العناء ولم تسول لهم النفوس على إثارة  
 الثورة في غضون التبعاعهم وتعتيمهم. وقد كان الكرب يسّ الاساقفة وذوي القربى أكثر  
 من سواهم وكانت كبسة رومية معرضة للاضطهاد أكثر من غيرها تخرق فيها ابدي  
 المجاهدين الظالمين. فقتل من الباباوات كثير فاثبتت دماءهم الانجيل الطاهر الذي  
 كانوا يندرون به ومات دوميسيانوس قتيلاً وعلت الدولة تستكن في عهد نيرفا ٩٦  
 ولما كان هذا الملك قد اشرف على الزوال نظراً لما اعتراه من الهرم لم يمكن له اصلاح  
 شؤون المملكة فرغب في ان تسود فيها الطائفة والسكينة. ولذلك اصطفى طراجانوس  
 وريث ملكو وخليفة له ٩٧ واذا كانت الدولة الرومانية مستكنة داخلها وفي مضفة  
 ذبول النصر خارجاً استمرت تنزوا الى ذلك الملك العظيم بعين الاعتبار ٩٨ وان من  
 اقواله التي تداولتها السنة القوم ان الرعية لابد لها من ان تود ان يتصف من مناقب  
 الملك بما يود ان يرى في الملك لو لم يكن ملكاً. وقمع الداسيين وذل ملكهم ديسيبال  
 ١٠٧-١٠٦-١٠٣ ووسع فتوحاته في الشرق ١١٦-١١٥ واقام على البرتين ملكاً  
 وجعل الرعية تستولي على قلوبهم اجمعين وهبهم الى السلطنة الرومانية. ولله دره من ملك  
 سعيد لولا ان اغنياق الخيرة وصباغة حملاه على ان يمتطي من امور تطرح بالعدل جانباً..  
 وخلف هذا الحكم الجدير بالنفع للدولة الرومانية حكم الملك ادريانوس الذي تجاذبه  
 طرفان من الحسنى والبؤسى فرعى النظام في الفياتى ١٢٠ وبقي هو نفسه جدياً عائشاً  
 عيشة قروية ١٢٢ وخفف عن عواتق الاهلين اثنال الخراج ١٢٥ فايتمت اغصاف  
 الفنون في بلاد اليونان التي هي منهل ذلك ١٢٦ وراع البربر بالسلاح والسطلة ١٣٠  
 وانقض مدينة اورشليم من هذه اليباب ودعاها باسم ١٢٥ فلبت حيث شذ باليا. لكنه طرد  
 منها اليهود الذين لبثوا يقرّدون على الدولة ويثرون فكان عليهم شديد الانشام لايامهم

بالتودة ولا يرفق بهم . وهناك حكمة الزافي مجروره وبهاتفه على جهده الصبابة والغرام واصح  
 انطونيوس المردول المتاله علة لعاره طول حياته ١٢١ واصلح مجده لما اذخر ابنا له  
 انطونيوس الصالح الذي تبني مركوس اوريليوس الحكيم الفيلسوف ١٢٨ ولقد كان ذاك  
 الملكان يرخ فيهما خشتان حميدتان ١٦١ - ١٢٩ فان الاب لم تكن نفسه تنجح الا الى  
 ابرام الاخاء والصلح ولم تاخذ عن الاغارة سنة الكرى اذا افضى به الامر الى ايجاد نار  
 الوغى . وكان الابن يساور العدو في ساحة التزل وبتمك في ان يمتن ربط الصلح بين  
 الدولة الرومانية ومنازليها فان اباه قد اوعز اليه ان يفضل انفاذ واحد من رعيته على  
 اوراق دماء الف من اعدائه الكاشحين . ولطالما ضرى البرينين ١٦٢ والمركومانيين  
 ١٦٩ واغرام بيسائه . اما الماركومانيون فهم قلل جرمانية قمعهم مركوس اوريليوس لذي  
 مونه وفضائل هذين الملكين بعثت الرومانيين على ان يتفادوا باسم انطونيوس . ولا جرم  
 ان مجد هذا الاسم لم يكن خاملا بتفنى لوسيوس فرسيوس اخي مركوس اوريليوس  
 ورصينه في الملك اوبسوة لومود ابنه وخليفته ١٨٠ اما لومود فلم يستأهل ان يكون ولدا  
 لايه الاروعي فانه نبذ تسمية غير منسنة باعماله ولذلك اقام عليه مجلس الندوة والشعب  
 تكبرا وقد كاشحو بالضغينة وقتلته ولقته وتدماره الاصباء ١٨٠ وخلفه برتيكس وكان  
 باسلا ذائدا عن النظام الجندي عزبرا ولذلك لم يبعد عن ان يكون هدفا للثائرين  
 الذين اتاموه على العرش الملوكي قسرا عن ميله وطرح الجنود الملكية الرومانية وقتلوه  
 في سوق الشراء فانبرى المشتري ديدوبس جوليانوس ليشريها فقتله سفاريوس الافريقي  
 انشاما وكيدا واخذ يدم برتيكس وجدا في السرى طاولا بساط الارض شرقا وغربا  
 ونال راية الظفر في سوريا وغاليا ١٩٧ - ١٩٤ - ١٩٥ وبريطانيا العظمى ٢٠٧ - ٢٠٩  
 ولقد بارى قيصر في النور والتفوحات لكنه لم يكن نظيره حيا حازما ٢٠٧ وهبت بين  
 اولاده قبسة الشقاق فلم يمكن له اخمادها ولما توفاه الله وثب حالا ابنه اليكر باسيان على  
 اخيه جيتا وقتله في جبراما جوليا ٢١٢ ولقد كان تسمته باسكدرنسنا كاذبا . واستمر  
 طول ايام حياته يقامي الصروف الرزية بتهك حرمة السكينة فانلا عاثيا فمات موتا  
 ذريعا . ولم يكن يعبا بما زرع له ابوه فانه كان قد امال له قلوب الجنود والشعوب بتسمية  
 انطونيوس فبذ ذلك الاسم غير حافل به ولا مكترث بمجده ٢١٨  
 واما هيليوغال السرياني ( او الغابال ابنه او المزعوم كابنه ) فقد ستمت منه النفوس

وافى منه النجوم مزياين المودة التي بعثهم عليها لقبه انطونيوس<sup>٢</sup> الذي سبب له الظهور على  
 ماكريوس . ثم جرته رذائلة الى ان يتجرع كأس الحمام وخلفه ذو قرنيه اسكدرس ماريوس  
 بن ماما فلم يبق لسوء نجت العالم على الارض طويلاً بل قضى عليه بعد ان حكم قليلاً .  
 فكأن موته للناس خيراً وقد طالما ابناً انه كان يشق عليه قمع جنوده النافرين  
 أكثر من قمع اعدائهم الكاشحين . وكما ان امه التي كانت تقوده باعاله كانت ذريعة لمحبه  
 وبذوخ مكتمل كذلك كانت علة لهلاكه ٢٢٥ وقتل في عهده ارخمستس النارسي الباسل  
 سيب ارثيان الذي كان اخر ملوك البرتيين وقام بتاصر دولة فارس فرفع منارها مرة  
 اخرى في الشرق ٢٢٢-٢٢٣

وفي ذلك الحين تعززت اركان البيعة الحديثة في كل الارض ولم تمتد في الشرق  
 حيث بدت اي في فلسطين وسورية ومصر واسيا الصغرى واليونان بل  
 انما انتشرت في ايطاليا وبين الشعوب الغالبة المختلفة الاجناس وكل مقاطعات  
 اسبانيا وافريقيا وجرمانيا وكل انحاء بريطانيا العظمى حيث لم تطرق ابداً  
 اسلحة الجنود الرومانية . وامتدت الى خارج الدولة الرومانية في ارمينية وفارس والهند  
 والبلدان البربرية كبلاد السرماتيين والداسيين والفرس والمغاربة والجيوتولين وكل الجزائر  
 المجهولة . ولقد نمت بدماء الشهداء والتي الى ضواحي الوحش اسقف انطاكية القديس  
 اغناطيوس في عهد تريبانوس ١١٧-١١٦ واما مركوس اوريليوس فقد كان لابنته  
 عن ان يجدل على المسيحيين لكثرة ما كان يرفع التهمة اليه عنهم المنسودون فعمد على  
 عمامي الدين المسيحي القديس يوستينوس الحكيم وامانه قتلاً ١٦٣ وقضى بالحرق في  
 عهد هذا الملك نفسه على القديس بوليكر بوس اسقف ازمير وتلميذ القديس يوحنا وهو  
 في سن ثمانين سنة ١٦٧ وتبحم الشهداء مصائب شتى وعذابات كثيرة في ليون  
 وفيينا ١٧٧ اقتداء باسقفهم القديس فونان الذي كان يبلغ من العمر تسعين  
 سنة وانتشر مجد بيعة غالباً في العالم كله . واما خليفة القديس فونان القديس  
 ابريلوس تلميذ بوليكر بوس فقد اقتدى بسالفه ومات شهيداً في عهد سفاربوس هو  
 وحجم عظيم من المومنين ٢٠٢ فكثيراً ما كان المسيحيون يتنفسون الصعداء التبعاعاً الى  
 ان تولوا من الاضطهاد ارتياحاً وبناءً على ذلك يذكر ان مرقوس اوريليوس بعد ان  
 دوخ بلاد جرمانيا وصل بعساكره الى مفازة هيا فاختار الظلمة ويومجنوده كل مأخذ

فاورع الى فرقة من المسيحيين ان استغيثوا من ربكم عسى ان ياتينا بالغيث من عند  
 مدبراً فتنالوا من لدني الحسنى ونكونوا من المفرجين فخرؤا على الارض جيئاً وطفوا  
 يجارون الى الله فاستجاب الدعاء وغاث البادية بطير غزير شفعه بانقضاض الصاعقات  
 المرميات لاعدائه فارزوى الملك والجود وبعتهم هذه العجوبة على ان يلقبوا الفرقة  
 باسم صاعقية فراف الملكهم واصل اليهم المسار فكانوا يواثقين واورعوا الى مجلس الندوة  
 ان يرفق بالمسيحيين. واسباب شتى كانت ذريعة الى توقيف الاضطهاد الى وقت ما او  
 تطفئه لكما السحرة الافاكون توافدوا اليه واخذوا يهدون تلك العجائب الى اذنيه وانه  
 اهبطها باستصراخه وبه وان لم يكن ذلك بخاطر على بال الوثنيين. فاصاخ الملك لكلامهم  
 وزعم ان منهم مفرغ في اناء اليقين ولذلك لم يتالك ان ياده المسيحيين بالاضطهاد  
 والى القلى ولبت يعنتهم طالما كان يتم الحديث اليه عنهم المنسودون وبورشون. ما بينهم وبينه  
 واسترحند الوثنيين عليهم محمداً والملك يحدل عليهم وهم بائسون ودماهم تصيب في كل  
 انحاء المملكة بيد انهم لم يتفاعدوا عن ادمانهم الارشاد والاذنار في عرض تاويفهم واذلالهم  
 ففي عهد سفاريوس وبعد بقليل من الحين ثلاث في البيعة انوار ترتوليانوس الكاهن  
 القرطبي ورعاها وائر الدفاع عنها يقلب نجيحت فيه حماسة لكنه بعد ان كانت تواجيه القلوب  
 ونفريه المثل اصبح مرشوقاً بسهام المثل والنفيذ فان الكبرياء اضلت بصيرته عن روية  
 الهدى فخرج من حجر الكنيسة وتخذ موتانوس المتنبئ الدجال مثالا له وديدناً لاعماله  
 ٢٠٥-٢١٥ وكان في ذاك الحين قد بحث الكاهن المفضال القديس اكليمندوس الاسكندري  
 عن آثار الوثنيين القديمة قصد ادحاضها اما اوريجانوس بن لاندوس الشهيد فقد كان وقتئذ  
 عالماً نعتزه الكنيسة منذ نعومة اظفاره وعلم حقائق عظيمة بخامرهما من الضلال شي تكبير ولقد  
 كان الفلاسوف امونيوس يسمهم بامر الدين المسيحي فابرزله من فلسفة افلاطون ادلة  
 وحججاً يترتب عليها ثبوت واستحقاقه الشان والكرامة من كل من يعرفه حتى من الوثنيين  
 ايضاً. وفي ذاك الان قامت شيع كثيرة منها الغنوستيكيون وتباع والتينيانوس وغيرهم من  
 المجاحدين ونصدوا لخرق شان البيعة والانجيل بالثرهات والتقليدات الباطلة فانبرى  
 اليهم القديس ايريناوس وعلق يقاومهم بتقليدات البيع الرسولية وسلطانها ولاسيما بالاستناد على  
 كنيسة رومية اعظم الكنائس التي شادها القديسان الرسولان بطرس وبولس. وهالك ما قال

عنها ترتيليانوس ان البيعة راسخة الاركان لا يززعها المبتدعون ولا تنكس اعلامها اذا  
ناوشتها المشقة او اوسقط اشهر علمائها الاحوذيين . وان لها من العادات المقدسة ما بعثت  
اليها الاطراء من الفاضل عنها

ولقد كانت الدولة الرومانية تخطط خطب عشواء فان اسكندر بعد ان اغنائه مخالب  
المنون ٢٢٥ تولى قاتله الجائر مكسيمينوس في مثالبه مع انه كان من اخلاف القوتيين  
اولي العجبة والخشونة . واقام مجلس الندوة من الملوك اربعة بمقابلته ماتوا طرا مدة ستين  
غير كاملين منهم غورد يانوس وابنه المقربان لدى الرومانيين ٢٢٦-٢٢٧ واما ابنهما  
غورد يانوس اليافع فقد كانت بضافته لاتصلح ٢٢٨ عن ابراز الحكمة المخارقة التي  
يفضّر عنها الكحول المتهكون فاصبح مجتبا للدولة الرومانية التي اوهنتها الانقسامات  
وفتكت بها ايدي الجائرين . فوثب على الفرس اعدائها ٢٤٢ ونزع من ايديهم كثيرا  
ما غنموه من الماهم منها وما سلبوه لكنه لم يمتح طويلا فان فيليبوس العربي نازل هذا  
الملك الصالح وسلبه روحه ٢٥٤ ولما شعر بتولية ملكين اقامها مجلس الندوة انجاز الى  
صابور ملك الفرس خشية ان يعتاه وابرم معه صلحا خرق عرضه وحمله الفتح والذين  
٢٤٤-٢٤٥ وقد تقرر ان هذا الملك هو اول الرومانيين الذين غادروا بعض اراض  
من المملكة بموجب معاقبة ومخالفة

وقد روي انه لما سعى على السيل القوم جد في سبيل الله وتحذ الكنيسة له ثمالا  
مستمسكا بعرونها الوثقى والحق يقال انه طرح بالعسف جانبيا واستحال ملاذا للمسيحين  
يستنصرونه فكاشحه لداسيوس الذي اهرق دمه وجدد الاضطهاد بكل قسوة . وبناء عليه  
اخذ العاثون يلون ببناء الله ويضطرونهم

اما البيعة فقد كانت تمتد في الامصار كافة ولا سيما في غالبا يدرا عنها الملك داس  
النائب الدامسة فتدبر عليه بزهوق الروح ٢٥١ فكان ذلك عليها وبلا وثورا . واما  
غاليوس وقوليز يانوس اللذان خلفاه فلم يلها عن الايقاع بالبيعة سوى مواليتهم لذلك  
ولم يكن لاميل يانوس امر سوى بروزه فانيطت الساطة المطلقة بعمة فالير يانوس  
٢٥٢-٢٥٤ فجذب من الهمة جاد واخذ يسلح شؤون المملكة بكل اقدام وجراة وهو في  
حيز الهرم . لكنه لم يكن جائرا الا على ابناء بيعة الله ٢٥٧ ونال في عهده البابا اندريس  
اسطفانوس والتديس قير يانوس استغف قرضنا اكليلي الشهادة قسرا عن خصامها

الذي لم يقطع من بينهما وثاق الإخاء ٢٥٨ ولم يكن ضلال التديس قيريانس الذي كان يشد على معمودية الهرطقة تكبراً لم بنفسه ولا بالكيسة ٢٥٦ واستمر تقليد الكرسي الرسولي مرعياً بقوته الخاصة قسراً عن حجة الفاسدة وحجج بعض انام لم اهمية اخذوا يوميدون مثاله . ولما لبث الجدل قائماً مستمراً نشأ منه كبير مضرة فان سبالوس قد مزج ثلاثة الاقانيم معاً . فقد ذهب الى ان العلي له اقنوم واحد مثلث الاسماء ٢٥٧ فذلك تعلم تعترف البيعة بغرابة الفاتنة . وابان التديس دنيسيوس اسقف اسكندرية لدى البابا سكستوس الثاني كل غي ذلك المبتدع وضلاله اما البابا فقد اقفى الذي تكبده سالته التديس اسطفانوس فبقي مجاهداً الى ان بر المضطهدون راسه واخذوا برهقون شماسه التديس لورنسيوس ومجملونه ما لا يستطيع عليه صبراً . وحيث اخذ البربر يشنون الاغارة على الدولة الرومانية ٢٦٠-٢٥٨ فان البرغونيين وشعوباً أخرى جرمانية والقوتيين الذين كانوا يلقبون في ما غير ييجيتيين وشعوباً أخرى من الشعوب الذين يقطنون شواطئ البون توكسان وراء نهر الدانوب تراحضوا برمتهم الى اوروبا واندفعوا يخرقون واغار الفرس والشيبيون الاسبيرون على الناحية الشرقية منها وطفنوا بذللون الصعاب ويفسدون . وقبض وقتل الفرس على الملك فاليريانوس غدراً واستاسروه هناك ذليلاً يكابد طول حياته الثبور والشاق وسبوا من بعد ذلك جلته بعد ان مزقوه كل ممزق واستخدموه العوبة لا يديهم علامة للنصر وركوب متن الفلاح . اما مضافه في الملك ابنة غليانوس فقد كان خامل الراي هيوباً للامور بعد الجبن عن الهيماء فكان ذلك سبباً لانحطاطه الى حضيبض الذلة مدحوراً ٢٦٠-٢٦١ وزاحم الملكة الرومانية ثلاثون رجلاً من الظلة العتاة واقسموها قسمة ضئى . واما مدينة تدمر القديمة التي شادها الملك سليمان فكان قطان عرشها ملكاً عسوقاً يدعى اودينات يفوق كل الظلام الآنين عسناً وتأويماً فانه ضيق على البربر وعسف من ايديهم الامصار الشرقية واستوى على العرش ملكاً مجلولاً وطولاً . ومن الامور التي تبعث على الدهشة ان امراته زنبوا كانت عاكفة على التسيارعة امام الجيوش وبعد ان زهمت روحه تربت عليها قيادة الجنود فاشتهرت بقوة النواد وزامة النفس وفي اليقين انها كانت محرزة الجبال والعناب والمعارف والبسالة ورنا كلودبوس الثاني ٢٦٨ الى الملكة الرومانية وقفاه اورليانوس ٢٧٠ واوسعاً خطا فلاحها ونجاحها فرقلت ببرد العز بعد

ان كانت صاغرة ذليلة . وفي غضون تعينها الوثنيين والجرمانيين بانتصارات علنية كانت زنوبا الملكة الاروعية ترعى لبنها ما فتح ابوم من المدائن وكانت راضية عن الديانة اليهودية . فاهتم بولس السموزاتي بان يجعلها تستمسك عن تلك الديانة قصد ان تعتنق الدين المسيحي فاخلى لها مذهباً على حسب الدين اليهودي فربما يتعلق بالبحث عن اقنوم المسيح وخيله اليها انه انسان محض وبعد ان اسر تعليمه زمناً نفي الغشاء عنه في مجمع انطاكية وحكم عليه . وقد كان اسقفاً زهوقاً في مدينة انطاكية ينهافت على الفاء الشعب وامانة السكينة . واما الملكة زنوبا فقد دافعت في الحرب التي اجمها اورليان ٢٧٢ متوهمه انها تنال بذلك النصر والغلبة فحبط مساعها لان اورليان نازها غير مستخف بها . وفاز لدى قتالها بلواء الظهور عليها ٢٧٤ . وفي عرض تلك الحروب المستمرة لم يطو كسحاً عن ان يرعى للجنود الحرية الرسوم الرومانية وابان ان ادارة فيالق كثيرة داخلاً وخارجاً دون ان تضيق الدولة موقوفة على ان الجنود لا بد من ثبارهم على اقتفاء النظام وخشونة العيش الفديين

اما الرئيس فقد جدوا في ان يذيع باسم ونجم الرُواع منهم على بلاد الروم . وقد ثبت انهم ليسوا من مائدة واحد بل انهم قلل جرمانيون كانوا يقيمون في شواطئ الرين . ومن اسمهم دليل على انهم كانوا يتسكعون في مجبوحة الحرية فباصبهم ارليانوس مستظراً قبل ان يتبوا سرير الملك . ولما تلك امر قومه نصهم لهم وتجرعوا البؤس طول ايام حكمه . ولقد تقرر انه كان عيلاً عانياً لا يمسك عن اهرباق الدماء فتجهمت له الوجوه وصار الناس يكتمون له بالبغضاء والشناء وقصارى الكلام ان شدة جوره وبهيمته في اهراق دماء العباد بعثاه على ان يفرج كاس الحمام ٢٧٥

وكل رؤساء الجيش الذين كانوا يمسون منه خيفة ويتوهمون انه سيبادهم بالخطر الويل غايت عليه قلوبهم للثك به واقم عليهم كاتم اسرارو رئيساً واقوعوا به فجدلوه قتيلاً . ولما اصبح من الغابرين نقاعد الجنود عن ان يتجربوا لهم ملكاً خشية ان يكون من يتقونه احد قتاليه . واذابت لجلس الندوة حقوق الخيرة التديم انتخب تيسينوس ملكاً مكانه وفي اليقين ان هذا الملك كان شيخاً وقوراً اهوياً لا تاخذ عن الفضيلة سته . بيد انه اقام على الجيش من انسابو رئيساً مستكبراً جائراً فنشرت منه القلوب وثارت عليه الجيوش فازهتوا بروحه وروح ذلك الرئيس العاتي وكان ذلك في الشهر السادس من



ملكه ٢٧٦ وعلى ذلك لم يحج من الاستواء على العرش سوى سبع دمه على بساط  
الارض . واما اخوه فلوريانوس فقد تم بان يرث اخاه حكماً لانه كان اخص ورثته  
فانكر ذلك عليه الرومانيون فاماتوه بحمد الحسام ونصبوا على السدة بروبوس  
الذي قسر الجيوش على ان يعيشوا طراً كالجنود الذين هم متخربون بسلك النظام  
فعزيزت احكامه واصبحت السيادة صاغرة لولائه والسلطة لاهله وسلطانه فان الجرمانيين  
والفرنسيين تراحموا في قتاله قصد ان يدخلوا بلاد غالبا فالتفاهم الى مضمار التزل  
وخرق صفوفهم فحاصوا من امامه مدبرين فحشي البربر غرباً وشرقاً بأس الرومانيين  
ورعوا لم الحرمه ربه من الغائلة ٢٨٠-٢٧٨ ومن ثم رغب في ابرام الصلح واخذ يواتق  
الرعية بان الدولة ليس لها اية الى جنود محنة فبدرت من الجيوش بوادر وتغذوا  
كلامه باعتماد على الاستشارة ولما بداهم منه الارهاق والتذليل ثاروا عليه مشغبين . وبعد  
ان مضت على ذلك حبة من الزمن اسنوا عليه ورأوا انهم اجمعوا به عداء وعدواناً  
فأثروا من بعده كاروس خليفة له وكان بطلاً صديداً مستميتاً لدى العراك يؤد  
الانهاك في تنظيم الجنود ٢٨٢-٢٨٣

وبعد ان استقر به منصب الملك ثار مخلوقه وقع البربر الذين كانوا قد اقتنوا  
بعد موت بروبوس ومضى من ثم الى الشرق ليضرب الفرس مصحوباً بابنه الثاني  
نومريانوس . ووصل الى ابنه البكر كارينوس مناصبة الاعداء في ناحية الشمال وكان  
قد لقبه بقمصر ( هو لقب اقرب مدرجة للوصول الى رتبة الملك ) اما الشرقيون فقد  
هالهم حرب كاروس جداً لان الشعوب الناطقين بين النهرين تطاطبوا له تطاطب  
الدلالة ولم يكن للفرس الذين كان الشقاق بينهم سائداً ان ترسخ امامه اقدامهم بل مرق  
شملهم فتنرقوا ابادي سبا . وبينما كان يخنض نفوس المستكبرين ويسفل لديه كل طامع  
رفيع استأثر به الله بصاعقة بغتة قبل انتهاء مسيره فاصبح ابنه نوميانوس من بعده رثاء  
يوصل بيكائه الليل بالنهار فاوشكت مثله ان تسح لكثرة هيام الدموع . لكن من  
سبر الامور بتنباس البصيرة بشعران الغراء بالترشح الى مدارج الملك يبعث على النسوة  
والنساء فان حماء آيبر بدلاً من ان يكتب لآكتساب ويرنو اليه بعين الرعاية والرفق  
اغراه بتلك الطامع في الملك ٢٨٤ فتطير ديوكيسيانوس من ذلك الجبل العظيم وثار  
التبل بتلك قاتله ومن ثم رفع في دست الخلافة التي كان يقبها من صميم فؤاده . واما

كارينوس فقد كان هيباً وكلاً تخبو نيران الحق في قواده ولكنه لما فقه ما وصل اليه ديوكليسيانوس تقوى وبرز الى مضار القتال فاستحال بطلاً دعيماً واحرب الحرب حينئذ عليه ففجعة وشعث عساكره. واذ رأى جنود عدوه تغلوا منهزمين فقام مطارداً فتصدى له اذ ذاك احد انصاره وقتله كيداً وانتقاماً بحجة انه اغتصب امراته ٢٨٥

فتملص حينئذ الدولة الرومانية من وثاق اعظم الظلمة المتمردين والبقاة المنسدين واما ديوكليسيانوس فقد تولى الامر اما بجوله وطوله واما بتكبر فائق ولما اعتز على سرير الولاء شيخ بانفسه صلناً فرحف عليه المكاشحون داخلاً وخارجاً وقتلوا عليه ابواب المحيص من كل جانب فضاقت عليه عند ذاك المذاهب. واذ لم يجد للتخاح سيلاً سولت له النفس على اقامة مكسيبيانوس امبراطوراً يسعك على تخبة الاعداء عن ملكه ٢٨٦ غير انه استبقى لنفسه السلطان والامر فترزز حينئذ الملكان فوق الاسق وانتقيا لساكنهما وازعين لقباً كلاً منهما بقيصر فكان من رشح لتلك المرتبة السامية قونستنسوس فلورس وغاليريوس ٢٩٢ - ٢٩١ وانتصبا حينئذ طراً للدفاع عن الاوطان فلتوا من الاعداء عرق الزربة. وثار رومية على ديوكليسيانوس طالبة الحرية فهاجر منها الى نيقومودية حيث اقام سدة لعرشه الباذخ واغرى الرعية بان يعبدوه حسب عادة الشرقيين. وفي غضون ذلك ظهر غاليريوس على الفرس فجالوا عن مثاوبهم وغادروا للرومانيين اقاليم هبة ومالك كثيرة ٢٩٧ - ٣٠٢ وبعد ان رأى ان النصرة حازنها جرأته اعتز على قومه ورام ان يخازع الرعية فامتن لئب قيصر وعلق بوعد مكسيبيانوس بالامر الويل واما ديوكليسيانوس فقد عراه داء عيائه او هن عتله فاضطره صهره غاليريوس الى ان يتخى عن العرش الملوكي فتخذه مكسيبيانوس اسوة تسن بها. وبعد ذلك أنيط الملك بهمة قونستنسوس فلوروس وغاليريوس ٣٠٥ - ٣٠٤ ونخب الملكان المعتزلان قيصرين حديثين يقال لهما سفاريوس ومكسيبيانوس

ونالت بلاد غاليا واسبانيا وبريطانية العظى ترف العيش وغضارة النعيم زماناً وجيزاً في عهد قونستنسوس فلوروس وكان هذا الملك لا ينجف عن الهجة القوية بل كان يراعي حرمة العدل ويعامل الرعية بحسب العنابة. وقد اتهمه الظهراء والخواشي بانه ثابت العزم على اسقاط بيت المال فابان لم ان عنك خزان شتى تقدمها الرعية اختيارياً لدى الاقتضاء. وكانت سائر الامصار يتجشم اهلوها مشاق الجور والعسف لكثرة

ما كان يعنهم الملوك والقباصع وكان اولوا المناصب السنية يكثرون ظالماً يكثر الملوك فزادت المظالم زيادة جاوزت الحد.

وفي ابان ذلك ذهب بين الناس صيت قسطنطين الشاب ابن قونستنتينوس فلوروس فاخذت الالسة تلجج بالاضرار عليه وتشوف به النوم الى سوءدد عظيم . بيد انه كان وقتئذ تحت سلطة غاليريوس فاخذ هذا الملك الذميم يطوح به الى مناوئ الخطر والهلاك فاغراه يوماً بمواثبة ضواري الوحش في ملعب كثر فيه المتطلعون . فلم يكن لديه الاسترها ب من الوحش اكثر منه من غاليريوس . فاسرع الفرع من امامه مدبراً واتى اباه فراه مشرفاً على الترع . وفي الحين عينه ٢٠٦ اصبح صهر غاليريوس مكسانس بن مكسيميانوس ملكاً في رومية رغمًا عن حميه . فاخذت نيران الشقاق وتسمرت جنوة البغضاء والشحناء فعاد ذلك على الدولة بالامور الويلة . وقد بعث الى رومية تبعاً للعادة بصورة قسطنطين الذي خلف اباه فجاره مكسانس بعدم قبولها ( فقبول الصور كان دليلاً على الافرار بسلطة الملوك الحديثين ) فاخذت التآهبات الحربية تقوم عند الملكين . ومن جهة اخرى سير غاليريوس النيصرسناريوس الى رومية للاجحاف بمكسانس فضيق عليه مذاهب النجاة واستط على الرعة والتشعيرين ٢٠٧ فتبنى اذ ذاك ان يكون له عضد يقوم بناصر فاستصرخ اباه مكسيميانوس لياخذ بيده فبرز ذلك الشيخ الهرم المطاع من كه حيث هو قسراً عنه وكدج في ان يطرد حريته ديوقلسيانوس من الحديقة التي كان يحترث ارضها في سالونية فذهب جهده في ذلك درج الرياح

ولما شعر الجنود بان مكسيميانوس امتطى صهوة الملك مع اخرى شقوا عصا الطاعة لسناريوس واتوا امامه صاغرين وقتك ذلك الهرم بسناريوس . وفي الحين ذاته لما ابفن ان غاليريوس ثابت القدم في مضمار العراك زف ابته فوستا الى قسطنطين رجاء ان يجازاه له نصيراً . فدرى بذلك غاليريوس فاقام ليسيتيوس امبراطوراً يضافن على مقاومة العدو فوغر من ذلك مكسيميانوس حسداً لانه كان متقلداً الرتبة النيصرية التي لما حتى الاولوية في الحصول على مدرجة الملك اكثر من غيرها من المناصب الرفيعة ولذلك تعسر عليه الخضوع لليسيتيوس . فجاره بالعصيان واستمر مستقلاً في الشرق ولم يبق لغاليريوس من حكمه سوى اللبريا التي تخذها ثمالاً ولجأ بعد ان طرد من ايطاليا . اما

الشعوب الذين تابشوا متمكنين في الغرب فقد دانوا مكسيميانوس وابنه مكسانس وصهر  
 قسطنطين بيد ان مكسيميانوس لم يرغب في ان يشاركه في الملك احد اولاده اوسوام  
 ولذلك عن له ان يوقع بابه مكسانس فقصده الى رومية لينزعها من يده ويطرده  
 منها . فحبط بذلك مسعاه لانه اصبح مظهرًا به لاظهارًا ولما اضاف قسطنطين في غالبا  
 استبرغور خثله فراه منطوبًا على الكناحة وجانحًا الى الغدر والمخديعة وبعد ان كثر  
 العدوان وفشا الفجني عول مكسيميانوس على ان يحناز ابته فوسنا امل ان يستفزها على  
 يعلم . فعلفت تداهيه وتواربه وهو غير عالم بما استبطنت فلما بطن قسطنطين ما ازمع عليه  
 مكسيميانوس من قتله اضجع احد خصمته في سريه تحقيقًا لذلك فوثب على الخصى  
 مكسيميانوس وقتله فايقن اذ ذاك قسطنطين منه الغدر والوقية فاجهد النفس في قتله  
 فعلم مكسيميانوس بذلك فتيير الانتحار ٢١٠ فدرى بذلك مكسانس مولوده فجد في ان  
 ينار اياه فعالن بالعداوة قسطنطين واحربت عليه الحرب شديدة فجد قسطنطين جيوشه  
 وزحف على رومية ٢١٢ واكب على الثرى ثماثيل مكسيميانوس وديوقليسيانوس فذهب  
 قلب ديوقليسيانوس من ذلك شعاعًا واشرف من كثرة النكد والغم على الهلاك فمات  
 واهن الجسم كثيرًا . واما رومية فقد جدت في ذاك الآن ان ثلاثي الدين المسيحي ولذلك  
 اخذت تجهد في سبيل اضمحلاله فكان جهدها وسيلة لتفويته ونشيدته وقد روى  
 المؤرخون ان غاليريوس كان محندًا للابتداع واصلاً للفساد والاضطهاد للذين طرأ على  
 الدين المسيحي اخبرًا . فانه قبل ان الجأ ديوقليسيانوس الى الاعتزال عن منصب الملك  
 بسنتين بعثه على ابراز القسوة ضد المسيحيين وبذل الهبة في سبيل اعتنائهم وارهاقهم وانتهاك  
 حرمة مذهبهم ٢٠٢-٢٠٣ واما مكسيميانوس فقد كان يانف منهم كل الأنفة ولذلك لم  
 يكن ليندفع عن اذلالهم والابقاع بهم . ولقد ظالمًا اثار عليهم اولى الامر والسائين ومع ذلك  
 كله فلم يصل الى ما وصل اليه مكسيميانوس وغاليريوس من الخشونة والعنف فانها كانا  
 بينهما كل يوم في اخلاق ذريعة يتفرعان بها الى الاسخفاف بالمسيحيين وتأويقهم وحملتهم  
 الخلة الدينية على خرق عرض العذارى الابرار اللاتي لم يباهد الضهد عفانهم اقل من  
 ايمانهم . وجد كثيرًا في البحث عن الكتب القدسية قصد ازلتها وازهاق اثرها وبناء عليه  
 لم يكن المسيحيون يجترئون على ان يدخلوها الى مساكنهم او تداوها ايديهم ولم يتوال على  
 ذلك الاضطهاد الرائع حولا الا تعزز البغي والفساد ولبث المسيحيون يعنصون بالصبر

مستعسكين بالعروة الوثقى . ولما رأى الشعوب ان لم في الحيرة رمناً تدلّت قلوبهم دمهنةً  
وتحيراً وعلموا انهم على الحق المبين فصرخوا اليهم سرايات يتدينون بدينهم وبعد ذلك لم  
يبق لغاليريوس سبيل يمكنه من الظهور عليهم فبعث به دالا عيالا التي به الى المملكة  
فأتى نائباً كانطيوخوس الى الله متاباً كاذباً ٢١١ وأما مكسيمينوس فقد استمر غاتي  
القلب بعنت المسيحيين وبيّح بهم الياء وأرعوى قسطنطين الكبير الظافر عن غري  
وناب الى بارثو صالماً فتدين بدين المسيح جهاراً ٢١٢

## العصر الحادي عشر

### في الكلام عن قسطنطين او سلام البيعة

ان قسطنطين الملك قد حنح الى الدين المسيحي مستعسكاً به سنة ثلاث مائة واثني  
عشر من ميلاد الرب فاتم لما اخذ يناصب ماكناس في رومية قافلاً عليه ابواب المناص  
والمنز بدا له في الجوامع اعين الجميع صليب نوراني مكتوب عليه ان النصر بيده  
مأناه وشيك فابن ابن ذلك عدة من الله له وراه في الحلم ايضاً فلم يكن من بعده  
مستريباً ولما غدا بعد ليلة على الحرب قضى له المولى حسب وعده فافاره بالنصر على  
العدو الالذ فلم يلبس رومية من عبودية مكسانس والبيعة من اضطهاده ولدن ذلك رفع  
الصليب فوق هام الشعوب كانه منيرة في الدولة الرومانية وبنها من غوائل الدهر  
وحدثا ٢١٢ فلم يضر على ذلك حين قصير الا قنرليسينوس الخراز الى قسطنطين  
مكسيمينوس وافضى به الى منافسة الويل والثبور فكانت نهاية اجله كهابة اجل  
غاليريوس فجعل للبيعة بعد ذلك امناً وطانية واستوثق بنوما منه لنفوسهم فطرت  
بقسطنطين الذي لم ينته ان ارتفاع الاخطار باقتحام الاخطار . ودان له الاستظهار والنصر  
ايان رحل وابان حل وقع البربر برباسه وبأس اولاده . اما ليسينيوس فقد امسك  
الشحناء في قلبه وتربص لفرصتها فاستحين واخذ يياده البيعة بالضمم الذم فنهض اليه  
قسطنطين واذكي عليه نيران الحرب برأً وجرأ فاذهله والجرأ الى ان هوى عن سرب  
المملكة الرومانية ومن غمة لم يلبث ان عشت به برائن المنية ٢٢٤ .  
وفي ذلك الحين التأم المجمع الاول العام في مدينة نيقية ٢٣٥ من بلاد بيتينية بامر

من الملك قسطنطين فضوى اليه ثلاثمائة وثمانية عشر اسقفاً انبط بهمدهم امر البيعة .  
 فحرموا اربوش الكاهن مجده الوهبة ابن الله وانشأوا قاعدة الايمان بأن اجمعوا على ان  
 الاب والابن سيان في الجوهر . فكان كنة البيعة الرومانية الذين بعث بهم البابا القديس  
 سيلستروس لم صدر المظام في ذلك الالتئام وكان من زمره وكلاء الكسري الرسولي احد  
 مورخي اليونان القدماء وكان الجميع منعقداً تحت رئاسة اربوس اسقف غوردو الشهير  
 فتصاغر امامه قسطنطين راضحاً لاحكامه معتقداً انها منزلة من لدن الله . اما الاريبوسيون  
 فقد اضرؤا على غرهم وضلالهم كتماناً وتظاهروا بالرضوخ امام الملك يصانعون ويداهنون  
 ومن الامور المبررة ان الملكة كانت في عهد قسطنطين راتعة في مجبوحة الامن  
 والارتياح . وبينا كان هذا الملك يظب على ادامة الطمأنينة سائئاً في احياء الملكة  
 باسرها اذ دبت الفتنة والمشاحنة بين سرة قصر فان فوستا زوجته اتهمت ٢٢٦  
 كريسبوس ابن ضرمتها بانه جد في ان يعاقرها فحنق جداً من ذلك ابوه وطرح  
 بالرحمة الوالدية جانباً وعامله بالنسوة اشدّ معاملة واما هي فقد بدا لدى الجميع افكها  
 وعلموا انها اختلفت لزوجها ذلك النبا الفاحش اخلاقاً فلم تنقاد عليها الايام الانالت  
 جزاء ما فعلت فانها ولجت يوماً الحمام لتستحم فقدر الله عليها ان تموت فيه خيفة فعار  
 ذلك الامر قسطنطين فاستنجا امام القوم لذهاب مكرها وخداعتها بين الخاصة والعامة  
 بيد ان ذلك لم يخفف مقامه فان والدته غنمته من الفضائل وتلته من الشرف ما ينسبه  
 ما قرفته به فوستا طول ايامه فانها اكتشفت في خراب اورشليم القديمة عود الصليب  
 الذي تكاثرت عجائبه والقبور المقدس وقد ازان قسطنطين وهيلانة مدينة اورشليم الحديثة  
 التي كان قد اقامها اوريانوس والمغارة التي ولد فيها مخلص العالم وكل المحال المقدسة  
 بها كل حسنة . وبعد ان توالى على ذلك الحين اربعة من الخوول رم قسطنطين  
 مدينة بيزانس ودعاها القسطنطينية وجعلها مركزاً ثانياً للدولة ٢٣٠ واما البيعة فقد  
 كانت في عهده مضروباً عليها سرداق السلام والطمأنينة لكنما لم تدم لها تلك الحال لانها  
 كانت في بلاد فارس عرضة لمناسبة المبتدعين . وكثيرون من بنينا استعز بهم الله  
 مشهدين ٢٢٦-٢٢٦ ولما كان حريصاً على الشهور العظيمة مترفعاً عن الخسائس  
 بعثة الشهامة على ان يكلم غبط صابور ملك الفرس عن البيعة وبنينا ويدينه بدين  
 المسيح فاصبح كانه ارتكب امراً غير معلوم النائدة لان جدّه في ذلك الشأن ذهب عبثاً

يبدأ أنه استمر بخلص السعي في ان يهد للمسيحين سبيل الايمان فلم يتمكن الا من ان  
يجعل لهم ملجأ في دائره حكمه . واستأثرته زوجه المولى ٢٢٧ راضياً عنه لما جد في شأله البر  
والتي عفت الإزار لابشويه وزر ولاشين ولكنه قبل ان اغتالته المنون شطرا الملكة ثلاثة  
اجزاء بين اولاده قسطنطين وقنسطانس وقنسطانت فلم تطل مدة احكامهم حتى ذكت  
بينهم نار ان المكاشحة والفتن فان قبسة الحرب أضرمت بين قسطنطين واخيه قنسطانت  
لانهم اختلفا على بعض تخوم في ملكتيهما ٢٤٠ فدارت حيثئذ على قسطنطين الدائرة وقتل  
في تلك الحرب الهائلة . وكما ان قنسطانت كان يكاشح اخاه قسطنطين ويتنق له ما اوصله  
اليه كذلك كان يكاشف اخاه قنسطانس بالبغضاء فانه لما رآه يلجأ بايمان نيقية وبيادي  
المتهاقين عليه بالاضطهاد والارهاب برز محامياً وعلق بعالته وعبيداً واغنيالاً ومع ذلك  
فان القديس اثناسيوس بطريرك الاسكدرية والحامي عن ايمان نيقية كان قد ضاق  
ذرعاً لكثرة تجشيه المشاق الويلة فبعث البيعة من ذلك عجبا عجاباً . وطرده قنسطانت  
من كرسي البطريركية مهاناً ممتناً . لكنما البابا جولوس الاول أمر به ان يعود الى  
مقره تطبيقاً للقانون فصدق على الامر قنسطانت فاشفي البطريرك الى ابرشينو راجعاً  
واما ذلك الملك الصالح فلم ينجي على الارض زماناً طويلاً بل استعز به الله بان قتله  
ماغناس الجائر غدرًا ٢٥٠ فلما علم قنسطانس بذلك أثر على ان يقتله بان يثار اخاه  
فنازله وضيق عليه كثيراً فآثر حيثئذ ماغناس ان يتنحر ٢٥٢ ولما علم الاسقف  
فالانسوس الاربوسي ان عسكر ماغناس الخائن سينشعثون بمبدين استناداً على ما  
علم من بعض اخدائه الخلفين اقبل على الملك واخبره ذلك مدعيًا أنه استوحى الهه  
مستصرخاً فواحي اليه انه ياتي قنسطانس بالفتح الميمن وفرج من عنده قريب . فدعن  
له الملك غير عالم انه افك مصانع ووطأه على تلك النبوة المائنة وتدين اذ ذاك  
بدين الاربوسيين واهبط الاساقفة الكاثوليكين عن مناصبهم وصوب سهام غيظهم وحنوهم  
على البيعة . واما البابا ليباريوس فقد اوهن تبرمه وقنابطه ثباته ٢٥٧ وقد كان  
اوزيوس الشبح عضداً للبيعة فبرحت به العذابات الموقبة فأرغم على ان يكون جاحداً  
واما مجمع ريمية فبعد ان كان قوي العزم اذعن بالخديعة والجور ٢٥٩ ولم يكن في  
ذلك الحين شيء بدور على محور القانون بل كان القانون ما يرثيه الملك وما يرغب  
فيه . واما الاربوسيون الذين كانوا ناعمين في تلعات الضلالة ويعملون كل شيء طوع

اهوائهم واغراضهم فلم يكونوا في ما ابتدوا بنوافيق بل كانوا كل يوم يغيرون قاعدة  
ايمانهم بناعدة اخرى تصبو اليها نفوسهم لكننا ايمان نيقية لبث مستمرا قسرا عن  
المفسدين وجاهد في شتيلا القديسان اثناسيوس وابلازيوس اسقف بولايه فنفازا ودوخ  
صينها كل الامصار والافطار

واستمر قنسطنس عاكفا على تعزيز شئون الاربوسيين وابدا وراء ظهره شئون  
الملكة . ولذلك كانت تنكس اعلام قادته بمنازلة الفرس في انحاء متباينة . وزحف  
الامانيون والفرنسيس على غاليا واندفقوا عليها من كل جانب فدفعهم يوليانيوس  
اخذ انشاء الملك وذادهم عن الملكة ومن ثم ظهر عليهم متصرا ٢٥٧-٢٥٨-٢٥٩  
وهب الملك من سبات غفائه واخذ يبع السرمانيين ويخطف نحو الفرس ٢٦٠ وهناك  
عنا يوليانيوس واستكبر عليه نائرا ومات قنسطنس ٢٦١ وحكم يوليانيوس غير حاد  
على الرعية لكنه علق فيما بعد يعني المسيحيين وباني عليهم عبء الاضطهاد وثابر على  
تعزيز الشقاق ومنع ابناء المسيح ركوب من المناصب ومطالعة العلوم ولقد طالما تسنن  
باعمال البيعة رجا ان يطعنها بسلاحها وكان لا يغالي في العذابات ولا يعنت المؤمنين  
الا يخرج خارجة عن دائرة الدين واطال المسيحيون من الرضوخ له . واما السوء الذي  
كان يتهافت على الحصول عليه فقد اصبح وسيلة هلاك ٢٦٢ . ولما ولج بلاد الفرس  
واخذ يتجول فيها دون تبصر في ما يحدث به من الملمات والكوارث قضى عليه بان  
يصبح قتيلا فخلقه يوفيانوس وكان رجلا عزيز الجانب مسيحا فسرّح طائر بصره في  
احوال الملكة المغيرة فرأها في حالة الياس والاضطراب فابرم صلحا مع الفرس  
الحاجة الضرورة اليه

وبعد ان انشبت به اظفار المنية نهض والتينانوس وتقلد قيادة الجيش وسعر حيث  
نار الحرب على العدو ٢٦٦-٢٦٧-٢٦٨-٢٧٠ الخ واستصحب معه طول مدتها  
ابنه غراشيانوس وهو بافع السن رجا ان تحمكه الثمار وتحمكه ورعى النظام الجندي  
وقوي على البربر فذلهم وبني على ثغور الملكة معاقل منيعة محصنة . وناضل في الغرب  
عن ايمان نيقية بيدان اخاه والنس الحريف له في الولا قد انتهك حرمة الدين في  
الشرق ولما عسر عليه ان يمتاز القديسين باسيليوس وغريغوريوس التريتي اوان  
يلجأ اليه قط من ان يظهر بلاشاة دين نيقية وقد اضاف بعض الاربوسيين الى قاعدة



دينهم بدعاً خرافية تبعث على الضلالة والفساد فان كاهناً منهم يقال له امريوس قال له  
 الاباء القديسون ابتداءً وتشيعاً فانه لم يفرق الاستغنية عن الكهنوتية وفي بيوتهم ان  
 الصلوات والقرابين التي تضحي عن انفس الموقى ليست الا كالحباء المشور لا تعود عليهم  
 بادنى جداء ومنفعة وان الامساك عن المطعوم ان هو الا عبودية للشريعة واس على  
 المرء من جناح او حرج ان لم يصم بل ذلك منوط باختياره . واستمر حياً الى ان  
 ابرز الى الوجود القديس ايفانوس كتابه في الابتداغ والخرطانات الذي رفض به تعاليم  
 امريوس كل الرفض . واما القديس مرتينوس فقد اصطنع استغناء على مدينة تور  
 وضاع شذاه قداسه وعجائبه في العالم باسره طول حياته وبعد موته . واما الملك  
 والتبتيانوس فتوفاه الله برحمته ( سنة ٢٧٥ ) باثر تلاوته خطبة عتيقة ثم باعداء الدولة  
 فخنة الذي كان يميل سواه من المنشوفين اليه عاد عليه بالأس والتعاسة وخلقه  
 غراسيانوس الذي لم يلبث ان رأى اخاه الاصغر والتبتيانوس الثاني متدرجاً الى صهوة  
 الملك ففرت بذلك عينه ولم يوغر عليه صدره حسداً وبغياً مع ان ذلك المترشح الى تلك  
 السكة الباذخة لم يكن له من العمر سوى تسع سنوات وقد كانت والدته بوستينا الذائبة  
 عن الار بوسيين تقوم بسياسة الدولة اثناء صغره . وفي ذلك الان قد كانت نظراً حوادث  
 تبعث على الدهشة والعجب فان الغلط ( كذا يسمي القوتيون ) ثاروا على الملك والس  
 او فالانس ٢٧٧ وبعد ان كان الملك يرهق الثمن ويعتصم عدل عن ذلك وعكف  
 على تصغير نفوس الغلط المستكبرين وتذليلهم وانبرى غراسيانوس الى مضمار القتال قائماً  
 بناصره بعد ان اوقع بالالمانيين واسمهم تبرجاً وارهاباً . بيد ان والس طمع ان يجال للنصر  
 مفرداً ٢٧٨ فاسرع الكرة على العدو فتبل قرب اذنته وحرقة الغلط الظافرون في القرية  
 التي تخدما مؤثلاً وملاذاً . ولما عاركت الحاد ثات غراسيانوس وناوشته النوايب كل رقبته  
 الم كثيرأ فاشرك في ملكته ثيودوسيوس الكبير فانا ط بهدته الشرق ٢٧٩ فكسر حينئذ  
 الغلط وقمع البربر واسمهم كريباً والبياعاً . واما الامر الذي رآه ثيودوسيوس ان لا بد له  
 منه ارهاقه المراطنة المكذوبين الذين حجدوا الوهمه الروح القدس فتبط اقدامهم عن  
 السعي في طريق الغرة والضلال وحكم اذ ذاك مجمع القسطنطينية انهم منسدون ٣٨١ ولم  
 يكن ذاك المجمع ملتئماً الا من ابنا الكنيسة الشرقية واما رضوان الغربيين عنه وقبول  
 البابا دماسيوس به جملاً مجملاً ثانياً عاماً

وسمّا كان ثيودوسيوس قابضاً على عيان الدولة وبند النصر تخفّفت فوق هامته  
 كان الملك غراسيانوس الذي كان يضاف إليه بالتقى والبسالة يغادره جنوده الذين كانوا  
 مؤلفين من الأجانب . فاندفع اليه مكسيموس العاتي وقتله وكان ياسلاً إلى النفس  
 صديقاً ٢٨٢ فكتب عليه البيعة والدولة كل الأكتساب لكونه مختفئ الجناح وبأذخ  
 الهمة في مبارزة الأبطال وأما مكسيموس فقد حكم في بلاد غاليا يغنو ويطغى ولاحت  
 عليه سائر الرضوان عما دخل في جوزته ٢٨٢ - ٢٨٠٦ واصدرت الامبراطورة جوستينيا  
 باسم ولدها لاثينانوس المغبون في حياته اوامر مآلها التسارعة لاسعاد الاربوسيين والقيام  
 بناصرهم ولم يكن اسقف ميلان القديس امبروسيوس يفاوضها الا بالتعاليم المحقة  
 والصلوات وطول الاناة وبهذه الذريعة تذرّع لان بقي للبيعة البيع التي كان في عزم  
 المبتدعين ان يستولوا عليها واحتاز الملك الشاب اليها . وفي ذاك الحين كان مكسيموس  
 الجائر على اهبة تاجع الحرب ولم تغر الملكة جوستينيا على احد تستوثق لنفسها منه سوى  
 القديس الاسقف الذي كانت تعامله معاملة العصاة المتمردين . فبعثت به الى الظالم فقبلة  
 بها بوثول لعدم الحاج ولذلك اركن فالثينيانوس الى الفرار مع امه وفتح مكسيموس رومية  
 ووسع فيها طرائق الغواية وعبادة الاصنام قصد ان يرضي مجلس الندوة الذي كان  
 اكبر اعضائه من الوثنيين ٢٨٨ وبعد ان تبرأ سريراً القرب وفكر ان ذلك غنمة باردة  
 ساوره ثيودوسيوس بضافه الفرنسيين وظهر عليه في بثونية وضيق عليه في أكيلة محاصراً  
 وانحدر اليه انصاره المتخيشون وقتلوه .

ولما اصبح متسلطاً على الدولتين اناط دولة الغرب بهمة فالثينيانوس فلم يرعها  
 زماناً مديداً لانه غالى اولاً في رفع مقام القائد الافرنسي اريوغاست ثم اسفله الى وهاد  
 الخيبة فانه كان بطلاً دعيماً شهياً مقدماً وانه كان لا يتقاعد عن الجهد في تسوية شئون  
 الجيش فاهبطه عن منصبه . وبناء عليه وثب على فالثينيانوس وهراق دمه واقام في متابعته  
 ايجانيوس الذي لم يكن له من المآثر سوى الخطابة ٢٩٢ وقد طرأت هذه الفعلة الذميمة  
 في غاليا بالقرب من مدينة فينا فبكى عليه القديس امبروسيوس كثيراً لانه طلب اليه  
 قبل اغتياله ان يعتمد بيده غير انه لم يأس من ارتياح نفسه عند ربه فان ثيودوسيوس  
 فاز بالنصر على ايجانيوس باعجوبة بينة لدى الابصار وطمس الالهة الكذبة التي جدّد  
 عبادتها فعند ذلك ألقي القيص على ايجانيوس . ولكنة حتى الشعب منه قد موه قرباناً

عن نفوسهم وكادوا بذلك انصاره المتمردين ٢٩٤ واما اريوغاست الجبار فلما رأى  
 التأثيرين بطاطنون للملك الظافر ويرضخون شق عليه الامر واثار الانتحار على ان يرضخ  
 لاحكامه فرح ثيودوسيوس في الارض واستأثر بالولاء واصبح اعجوبة في العالم كله فانه  
 عزز دعائم الدين الحديث وثبط اقدام المخزفين وصد الثوبين عن ان يقدموا محرقات  
 وقربانا وشدد العزائم والهلم والجأ الدولة على ان تعيش بالافتصاد واعترف بجرائمه  
 الكبرى وناب الى الله نادماً ٢٩٥ واصاح للقدس ابروسيوس معلم البيعة الشهر الذي  
 ونيه على وصية وحيد فيه هي العيب واستمر مظفراً طول حكمه ولم يكن يضم قبسة الحرب  
 الا متي المجيء الى ذلك فاستظل شعبة تحت لموائه في رغد العيش وغضارة النعم ومات  
 سعيداً نذهب ذكرى امانته في اقاصي الارضين وتداول الالسنه مائتاً وانتصاراته  
 الفائقة ٢٩٥

وفي عصر اي سنة ٢٨٧-٢٨٦ جد كاهن كان مزوياً في مغارة بيت لحم يقال  
 به ابرونيوس في ان يفسر الكتب المقدسة ولذلك عكف على مطالعة التواريخ الدينية  
 والديوية التي من وسعها توضيح الكتاب المقدس وتخذ النسخة العبرانية سنداً له فالف  
 ترجمة الكتاب المقدس المعروفة لدى البيعة باسم الفولفات

وبعد ان كانت الدولة الرومانية في عهد ثيودوسيوس قوية العزم عزيزة المثال  
 اهوت في عهد ولديه الى دركات الضعة والحوول فان اركاديون وهنوريوس زاحفها  
 واذاهما فاستولى الاول منها على الشرق والثاني على الغرب وكان كلاهما يحمل اعباءهما  
 وزيراها ويسعدانها بالراي والتدبير ومع ذلك فلم يجركا سكوت السلطة الا لما رب  
 نفسية . واما روفينوس واوستروبيوس فقد كانا نديي اركادوس بالتواتر فاتخذوا الشره  
 ديدناً لها فهلكا معاً ولم تستقم الاحوال بعد موتها في عهد هذا الملك الواهن العزم  
 فان امرأته اودوكسيا اغرته بان يضطهد القديس يوحنا فم الذهب بطريرك القسطنطينية  
 وسناء الشرق ٤٠٤-٤٠٣ فانحاز البابا اينوسنتوس والقربيون الى ذلك الحبر  
 العظيم وعلقوا ياخذون بيده ويعززون على مقاومة الصعاب ويضافرونه على ثيوفيلوس  
 بطريرك الاسكندرية الذي كان وسيلة لاتشار جور الملكة واعسافها . وماد الغرب  
 اضطراباً لكثرة ازدهام البرابرة ٤٠٦ الخ فان رجالاً وثباً من نسل الوثوبين يقال له  
 رداغيز حمل على ايطاليا . والاندايسيون الذين هم قتل غوثية . واربوسية تبوثن جزاً كبيراً

من غالبا وامندوا في اسبانيا وارغم الارنك ملك ( الفيزيقوسين الاربوسين هونوريوس  
على ان يغادر له تلك الاقاليم الرحبة التي كان الاندلسيون قد تولوا عليها . واما ستيلكون  
الذي كان قد ستم من عظم البربر فقد كان آونة بناكرهم فيظهر عليهم ويفضاهم وآونة  
بوائهم ثم يكاشهم باغلا والبغضاء وقد كان يعمل كل شيء ضحية لماربه الخاصة ومع ذلك  
فلم يكن ينفك يري المملكة قصد ان تكون خلسة لحوله وسلطانه وفي ذاك الحين استأثر  
الله بالملك اركادوس ٤٠٨ وقبل موته اقام ابنه ثيودوسيوس عند ابزديجردوس ملك الفرس  
وكل اليه امر تثقيفه وهو في سن ثمانية سنوات ولم ير نائي ذلك الا لظن ان الشرق يند  
عن ان يكون فيه اناس لم الاهلية للتثقيف مع ان يملكاريا شقيقة هذا الوليد البض كانت  
فيها الاهلية لان تقوم باعباء تثقيفه فعكفت عليه اذ ذاك واسبلت عليه سجايف الصيانة  
والرعاية واجمعت عليه سيول البر والقي . واما حكمومة هونوريوس فقد ناوشها الدثار لان  
هذا الملك احجف بوزيره ستيلكون فاهرق دمه واضاق ذرعاً عن ان يرى له وزيرا يذيق  
لمتابته ولذلك اشرف ملكه على الاضمحلال فان هلاك ذلك الوزير الممازرا الجأ  
قسطنطين الى ان يثور منرداً على الملك فترع من يد غالبا واسبانيا ٤٠٩ وحمل  
الاريك ملك الفوزيقوت على رومية مجنوده ففتحها واستاق منها الاسلاب ٤١٠ واما  
اتواف فقد كان عنلاً جائراً يفوق الاريك حقاً وغيظاً ولذلك اعاد على رومية الذهب  
والسلب واستاق منها الغنائم ولم يكن يفكر الا ان يمحو من البسيطة الاسم الروماني لكما  
ذلك لم يكن قدراً مندوراً فان بلاسيديا شقيقة الملك هونوريوس زفت اليه فهذه  
المملكة التي اصبحت لديه اسيرة علفت جيشاً تكدر في ان تدمت اخلاقه السجية  
وتسترضيه على الرومانيين ٤١٤ فابرم القوتيون الصلح مع الرومانيين وامتنوا وثاق الاخاء  
٤١٣ وقطنوا بلاد اسبانيا ٤١٥ برعون لم في بلاد غالبا الاقاليم الدانية لجمال التيرانه  
من الميكائد والمكاره . وقد تم كل ذلك بحكمة ملكهم ثاليا ودرايته وايدت جيشاً اسبانيا  
ثابتة القدم ولم تطراً على ايمانها شائبة الزيفان والخلل في عهد هؤلاء الولاة الاربوسين  
وفي ذاك الحين زحف شعب من جرمانية يقال لهم البرغونيون على الانحاء التي  
تداني نهر الرين وتبطنوا فيها ثبوا بالحوول والمصال واخذوا من ثمة يتدون رويداً  
رويداً في البلدان التي لم تزل تثقب باسمهم واما الافرنسيس فلم تاخذهم سنة الغفلة عن  
مصالحهم واغراضهم الدانية ولذلك حملوا على نفوسهم ان يفتحوا بلاد غالبا فاقاموا مزمون

بن مركومير عليهم ملكاً ٤٢٠ ونهضت حيثش في عهد فرنسا التي هي اقدم الممالك  
واخطرها

وتوفي الله في ذاك الحين هونوريوس القيس ٤٢٢ دون عتب غير متبصر في  
حالة المملكة واقام ثيودوسيوس ذا قرابته قائلينانوس الثالث ابن بلاسيديا ملكاً ٤٢٤  
وكل امر الى والدته ريثما كان صغيراً ولقبها بملكة .

وفي ذاك الحين محمد سليستويوس وبلاجوس ٤١٢ المخطئة الاصلية والنعمة التي  
بها بصبر المرء مسيحياً فشر مجامع افرقية بما مكرها فاصدر عليها القضاء مبرماً ٤١٦  
فصدق على ذلك المحكم البابوات القديسون اينوسنسوس ٤١٧ وزوزيموس وسليستينوس  
واذاعوه في اقطار البسيطة وامصارها اما القديس اغوستينوس فقد ضرب على  
ذنيك الكافرين سرادق الدحوض والبطلان وانار البيعة بتعاليمه الفائقة واسعده تلميذه  
القديس بروسبر على اصحاب نصف البلاجيين الذين غلبوا ابتداء التبرئة والايمان لثوة  
الارادة الاختيارية وحدها

ولا يخفى ان ذاك العصر قد كان يشوه وجه الدولة ويعود عليها بالوبال والتفكك  
يبدانه ولو ساد فيه الابتداع وكثر الضلال والعثور فقد كان فيه الدين المسيحي مترفعاً  
الى درجات الجدم مترها عن شوائب العثو والفساد فان الرزايا والمخطوب المدهمة لم  
نقو عليه ولم تصبه منها مله وقد كانت البيعة تعثر بلافنتها العظام وتزيد بهم كالأوباء  
عليه ضحكت كل ما نشأ من الابتداع والشيع وبعد ان كثر الاضطهاد اظهر العلي فخر  
شهادته فان التواريخ طراً والمؤلفات قد وعت العجائب الفائقة التي كان الله عز وجل  
يهبطها على الارض باستصراخهم وقبورهم المكرمة

واما فيجيلانس ٤٠٦ الذي طالما تصدى لتلك العنائد السائرة فاحبط القديس  
ايرونيموس سعيه ولبس عليه المسالك فاعنسف عن ثمة اعماله ولبث اذ ذاك الدين  
المسيحي يثبت كياناً ويمتد في كل صقع وناد .

واما الدولة الغربية فقد كانت موشكة ان تزول لان الاعداء كانوا يتدفعون  
اليها ويصادمونها كل الصدام وقادتها كانت تلعب بهم نشوة الحسد فان يونيناسيوس  
والي افرقية مكر به اماثيوس وخدعه لدى بلاسيديا فاشتمت في امره ٤٢٧ فغند  
ذلك استدعى اليه ذلك الوالي جنسريك الاندلسيين من اسبانيا بعد ان كان الوثنيون

قد طاردوه منها وندم من ثم على ذلك الاستنجاد ولات ساعة مندم . فان الاندلسيين  
 حملوا لى ذلك على افرقية ونزعوها من الدولة الرومانية فنجشت حينئذ البيعة  
 المشاق وعثت بها ايدي الاربوسيين العتاة واشهد نفر عظيم من ابناءها ٤٢٩ ونشأ من  
 ذلك بدعنان سيثان فان نسطوربوس بطريرك القسطنطينية ذهب الى تجزئة اقنوم  
 المسيح . وبعد ان مر على ذلك عشرون عاماً ذهب افثيوس ( ويسى اوطينا واوطاخى )  
 رئيس احد الاديرة الى مزاج الطبيعتين فانبرى القديس كبرلوس بطريرك الاسكندرية  
 الى نسطوربوس وفند رأيه واصدر عليه الحكم البابا شلستينوس ٤٣٠ فنذاذ ذاك جميع  
 افسس وهو الثالث العام قضاء البابا المنه عنه واهبط نسطوربوس عن كرسيه مهاوئبت  
 امر البابا شلستينوس الذي دعاه اساقفة الجميع في تحديد بابا ونقرر عد ذلك ان مريم  
 العذراء هي والدة الله . وذاعت تعاليم القديس كبرلوس في اقاصي الارض وبعد ان  
 ابدى الملك ثيودسيوس في بادىء الامر قليلاً من التردد في ما ارثاه الجميع دان له صاغراً  
 وابتعد نسطوربوس . واما اوطينا الذي لم يتمكن من مدافعة هذا الابتداع الا بسقوطه في  
 في طرف اخر ٤٤٨ فلم ترفضه البيعة باقل عزم من الاول وقضى البابا الاول عليه  
 واذاذ ضدّه رسالة تلقاها العالم كله بالكرمة وحسن القبول . وقد حرم الجميع الخلكيدوني  
 وهو الرابع العام ٤٥١ اوطينا ودیوسفوروس بطريرك الاسكندرية الدائد عنه وكان  
 للبابا في هذا الجميع الرياسة اعتباراً لسمو تعليمه وسلطة كرسيه وبثت الجميع اليه برسالة  
 بوخذ منها انه كان بواسطة وكلائه متراساً على الجميع كالرأس على اعضائه وحضر الملك  
 مرشيانوس نفسه الى الجميع افتدآ بما فعل قسطنطين الملك وقابل قضاء الجميع  
 بالرضوان وكال الوقار

وقبل ذاك الحين بقليل من الزمن كانت بولشاريا جعلت مرشيانوس ملكاً  
 بتزوجها به لانها بعد ان اغتالت النون اخاها انصرفت اليها مرتبة الملك لانه مات  
 دون عتب فبنآ على ذلك انيطت السلطة بيد مرشيانوس وتبدت به دائرة الولاء .  
 وقد نقرر ان فضائله بعثته على تلك المأثرة السامية وفي غضون ذيك الجميع من ذهب  
 بين الناس صيت توادوريطوس اسقف قورش ولو لم يكتب ما كتبه ضد القديس  
 كبرلوس لكانت تعاليمه مترفة عن المعائب الا ان ذلك لم يكن صادراً منه عن سوء  
 مأرب بل كان عن طيب سريرة واستمر اسقفاً كاثوليكياً

وأما بلاد غاليا فاخذت تهودي للفرنسيس رضوخاً وكان اهاسيوس قد ياري  
 فرمون وكلوريون الملقب المنسدل الشعر يقصد ان يدافع عن غاليا لكن مبروفي كان  
 اكبر حظاً بنواله رابة الفوز في وشك ذلك الحين حيث كان الانكليز (شعوب سكسونية)  
 ينبتون بريطانيا العظمى ودعوها باسمهم وشيدوا مالك حجة  
 وفي الوقت نفسه كان الهونيون (شعوب من جهات بالوس مهونيد اي بمراروف)  
 يعذون في الارض ويخربون بكثرة جيوشهم الزاحفة . وقد كان في مقدمتهم ملكهم اتيلا  
 الرابع . واهاسيوس الذي استظهر عليه في بلاد غاليا عسر عليه صدق عن دنار بلاد  
 ايطاليا ٤٥٢ فارعب القلوب بشدة حتى وغبطه فولى كثير من امانه وتغيروا جزر  
 الادرياتيک ملجأ وثملاً وتشيدت مدينة البندقية في وسط المياه وفاق القديس  
 البابا لاون قوة على اهاسيوس والجنود الرومانية والجماع هذا الملك العاتي الوثني على ان  
 يهودي له المحرمة والمكرمة وبذلك بعدت عن رومية غائلة الدمار ولكن لم تطل عليها  
 فسحة الارتياح فان ثالينيايوس ملكها طوَّح بنفسه الى الفساد واصبحت اماره بالسوء فانه  
 راود امرأة مكسيوس عن نفسها وهتك عرضها فشعر بذلك مكسيوس فحنق اشد  
 الحنق وطعن ذلك في صدره واخذ من ثم يدايه ويواربه الى ان حمل هذا الملك الاجنح  
 على ان يميت اهاسيوس وغادر الدولة الرومية تندب مجنبا . ٤٥٤ وأما مكسيوس الذي  
 كان علة هذا القتل فانار اصحابه ان باخذوا بدمه فقتلوا الملك ومن ثم صعد مكسيوس  
 على صهوة الملك وارغم الملكة اودوكسيا ابنة ثيودوسيوس الشاب على ان تكون له زوجة  
 فعند ذلك ترامت على جنسريك مستنصرة رجاء ان تخلص من يديه فاصبحت حينئذ  
 رومية فريسة لاجلاف البربر ذوي الخشونة . فتصدى له القديس لاون وصاح عن ان  
 يزيل كل شيء بالسيف والنار واقتم الشعب على مكسيوس ومزقوه كل ممزق فكانت  
 هذه النعلة وحدها سلواناً لم على ما طراً من الملمات والكوارث  
 وقد كان الغرب يمد اضطراباً ولطالما كان كثير من الملوك يعذرون فوق  
 كراسيهم ثم يستطون ونال ما بينهم مجوريان الشهرة السامية ٤٥٧ وأما افيتوس فلم يكن  
 له ان يحفظ صيته ويخلص من الملك الابان يوشع بطليسان الاسقفية ٤٥٦ ولبت  
 بلاد غاليا ثنن من باهظ الاحمال التي عاناها بها مبروفي وشيلدريك ابنه .  
 وقامت الرعية على شلدريك بتأليب القلوب واتحاد الكلمة والراي وطردته منها

٤٥٨ وجد احد ظرائره المزدلفين اليه في السبي بانثائه الى الملك فعاد واوشك الجلاك ان يباغته لكثرة فساد ٤٦٤ - ٤٦٥ واستمر رعبه ورهبة في قلوب اعدائه وامتدت فتوحاته حتى واسط غاليا

وكانت الدولة الشرقية في عهد لاون التراسياني خليفة مارسيانوس في كل طائفة وسلام ٤٧٥ - ٤٧٤ واخذت نيران الثورة التي اضرمها بازيليسك ولم يصل منها اليه ٤٧٦ - ٤٧٥ الا قليل من الفلق والاعتراج . واما الدولة الغربية فقد اكتشفها الحن والرزايا فاصبحت دارسة طامسة فان اوغسطس الملقب باوغسطيس ابن اوريستوس كان اخر الملوك الرومانيين . فبعد ان امتطى غارب الملك بوجينر من الحين نزعه المملكة اودواكرس ملك الهرويلين . وهؤلاء الشعوب كانوا تحالفاً توافدوا من انحاء بحر البوان نوكان بيد انهم لم يستمروا حاكمين زماناً طويلاً .

ومن الامور اليبينة ان الملك زنون تلقنت الاذان عنه انباء لم تكن تسمع بها من قبل فانه استحال الى ان يكون اول الملوك الذين يتهمون في حل مشاكل الايمان وفي غضون ما كان المبتدعون النصف الاثوخيون يناصبون جميع خلقيونية ويقاونه ابرز ضد المجمع المنع عنه براءة دعاها هنوتيك ٤٨٣ اي براءة الاتحاد التي بانف منها الكاثوليكيون فابرم عليها البابا فيلكس الثالث قضاء ٤٨٣ وقد كان تيودوريك ملك القوت الشرقيين الذريعة الكبرى لطرد الهرويلين من رومية وشيد هذا الملك مملكة ايطاليا ٤٩٠ وان يكن اريوسيا فقد غادر للدين الكاثوليكي فسحة كافية من الحرية . واما الملك اناستاسيوس فبان بينك حرمة الدين في الشرق ٤٩٢ فانه فشا اثر زنون منها فتاً على ان يكون للمبتدعين عضداً وسنداً ٤٩٣ فعند ذلك نفرت عنه القلوب واخذ الشعوب يكتمون له بالعداوة واعسف جداً عن طريق استرضائهم لا يجدو نفعاً ما زحزحه عنهم من اقبال الحراج . واما ايطاليا فقد كانت صاغرة لولاه الملك تيودوريك وقد كان ادواكر في مدينة رافين بكابد الم الحصار فدان اليه وولاه عاقداً معه عهد لم يبرح تيودوريك المشار اليه ذمامها وافضى الامر بالهرويلين الى ان يخلوا له كل البلاد وفضلاً عن انه كان متبوعاً ايطاليا فقد كان مسئولاً على البروفنس طراً . وفي عصر ٤٩٤ كان القديس مبارك متروياً في احدي مناويز ايطاليا منذ نعومة اظفاره معتزلاً عن العالم أمل ان يتخذ الفضيلة له ديدناً . وبعد ان استقرأ بعضاً من



قواعد الكمال الرهباني اتخف بها رهبان الغرب فقلقوها بالنكرمة والحرمة مثلاً كان  
 الرهبان الشرقيون يودون الكرامة لقوانين القديس باسيليوس  
 وأما الرومانيون فقد نازلم كلوفيس بن شيلدريك فظهر عليهم وانتزع بلاد غاليا  
 يرمونها من أيديهم وعارك أيضاً الألمانين في توليكا فنكس أعلامهم ظافراً ٤٦٦-٤٦٥  
 وأوجب على نفسه أن يتدين بدين المسيح إذ كانت تحضه على ذلك زوجته كلوتيلدة . أما  
 كلوتيلدة فكانت من سرة ملوك بورغونيا وكان ألكا اربوسيين وهي كاثوليكية سامية الهبة  
 غيرة جداً نجو مذهبها وعلم القديس قاهمت كلوفيس الدين المسيحي وعمد في مدينة ريمس  
 أسقفها القديس ريجي مع كل الأفرنسيس الذين كانوا يفتنونه وقد نفرد في إبعاد الدين  
 الكاثوليكي بين ملوك الأرض طراً فانصف خلفاءه بمسيحيين وبعد أن قتل الأريك ملك  
 الفيزيغوت في معركة هائلة ٥٠٧ ضم إلى مملكته تولوزا والأكتيان وأما انتصار القوت  
 الشرقيين ٥٠٨ فكان له مانعاً عن أن يتطوَّح في الاستيلاء إلى جبال البيرانية . ومحت  
 أعماله في غاية ملكه كل ما ناله من السوود والجد في بدء حكمه ٥١٠ واجتزا بنوه  
 الملك من بعده واستمروا يتشاحنون ويتباغضون وهبطت من السماء صاعقة منقضة على  
 الملك انستاسيوس فاودت به إلى الهلاك ٥١٨

وأقام مجلس القديس ملكاً على سرير الملك يقال جوستينوس مع علم المبالاة بما فيه  
 من سفالة النشأة والجدد لأنه كان ذا الميعة نافية كاثوليكية ملتجئاً بنار الفتوى والعنف فرسخ  
 هذا الملك ومريوسه لأوامر البابا القديس هورميسداس واستمرت البيعة الشرقية رافلة  
 يبريد الطائفة والارتياح وبدأ في عصع بوهسيوس الشهير بتعاليمه الحقّة وجودة أخلاقه  
 وبدأ أيضاً حموه سيماك وتقلد كلاهما مهمات ذات شأن . أما الملك ثيودوريك فقد غرّ  
 عليها صدره جسدًا فاحمهما بأنهما توثقا بما يعود على ملكه بالخبية والخسران فامانها  
 بغيًا واعسافاً . وبعد أن فعل تلك الفعل الذريعة جاش باله ندمًا على جريزته ولما  
 أدنيت منه جفنة فيها مأكولة خيل له الوهم أن فيها راس سيماك ففحق من ذلك فوادته  
 وكانت عفاه بالموت عقيب ذلك ٥٢٦ وأما التوتيون فلما رأوا ابنته أمالازوتة قائمة  
 بصيانة وليدها اتالريك ومهمكة في شأن تنقيفه رجاء أن يترشح لركوب تخت بعد حين  
 منعوها عن ذلك أشد المنع فأرغمت على أن تغادره فيجول بين أتباعه وقد رآته مراراً  
 معرضاً للنائبات وهي غير قد يرق على الأخذ بيده

وبعد ان مرّ من ذلك الحين حول غيشت براتين المنية يوستينوس الملك ٥٢٧  
 بعد ان اشرك معه في ملكه حفيده يوستينانوس الذي اشتهر طول ولائه باعمال  
 تريبونيانوس المستترى الناميس الرومانية وبحروب بلنزارماخصي نرسيس ولهمري ان  
 ذيك القائدين الماهرين قد ارفقا النرس وقبعا بم بالحول والبسالة ٥٢٨-٥٤٢ ونكسا  
 اعلام الفطاط الشرقيين ٥٢٦-٥٣٩-٥٤٠-٥٥٢ والبندالة ٥٢٤ واعاد لسيدھا افرقية  
 وايطاليا ورومية . واما الملك فلما رآھا بخطوان خطوات السعد ولاء النصر معفود  
 بايديھا دب في قوادر الجسد عليها وعلق يدهما بما يعود بالحنية وانخطاط  
 الشان غير قائم بناصرھا

وكانت مملكة فرنسا في ذلك الآن تنمو وتتعزز يوما بعد يوم وفتح بعد حرب  
 طويلة ولد الكوفيس شلدبيرت وكلوثير مملكة نورغونيا ٥٢٢ وفي الوقت عينه اغراها  
 الطامع بان يقتل اولاد اخيھا كلودومير الاحداث ويقسما ملكھم بينها وبعد ذلك  
 بقليل من الحين اضرم بلنزار الحرب على الفطاط الشرقيين فاستخيم عند ذلك  
 النرسيس وقبضوا على املاكھم في غالبا وانتزعوها منهم غنيمة باردة وكانت فرنسا  
 وقتئذ تمتد كثيرا وراء نهر الرين وقد كانت املاكها مجتزئة بسبب اقتسامات امراءھا  
 الى ممالك شتى اھما نوستريا (اي فرنسا الغربية) واستارازيا (اي فرنسا الشرقية) ولذلك  
 شق عليها ان تكون راجعة لاصولجان واحد. وفي السنة التي اعاد نرسيس مدينة رومية  
 لام يوستينانوس في القسطنطينية لجمع الخامس العام الذي اثبت احكام الجامع القاهرة  
 وقضى على بعض تآليف موافقة لمذهب نسطوريوس كانت تلعب بثلاثة الفصول  
 بسبب انها لثلاثة مؤلفين كانوا ماتوا قبل ذلك بزمان شاسع ولم تزل مقالاتھم  
 موضوعا للجدال فشجبت تآليف نوادوروس اسقف المصيصة ورسالة ايبيبا اسقف  
 الرھا ومن تآليف ناودوريطوس ما كتبه ضد القديس كيرلس واما التآليف  
 التي قام باعيانھا اوريجانوس ولم تزل تخيم على الشرق منذ جيل بسرادق  
 الاضطراب اھملت ونبذت جانبا. وبعد ان كان ذلك المجمع غير محمود  
 البداية نال حسن العاقبة وحازت اعماله لدى الكرسي الرسولي ارفع مكانة  
 من القبول ٥٥٥. واما نرسيس الذي ملص ايطاليا من ايدي الفطاط فبعد ان

مضى على ذلك المجمع حولان برزالى الفرنسيس بوائهم ويدفهم عنها قصد رعايتها من شر الغائلة وحينئذ ظهر على بوسالن فائد جيوش افرنسة الشرقية ومع كل ذلك فلم تلبث ايطاليا زماناً طويلاً في أكف الامبراطورين وشاد البوين مملكة لمبردية ٥٦٨ واخذ مدبولان سنة ٥٦٩ وباني ٤٧٢ وكان ذلك في عهد يوستينوس الثاني حينئذ يوستينيانوس بعد موت نرسيس . وقد كانت رومية ورافنة تكادان لانتجوان من حباله فان الرومانيين قد كانوا يتجشمون المشاق والمجور من المبردين ورومية لاناخر لما من قبل ملوكها الذين ارهقهم الافاريون التتر والشراسة والعرب ولاسيما الفرس كل الارهاق واوسعهم تبرجاً واعنائاً في الشرق كله ٥٧٤ . اما الملك يوستينوس الثاني فقد كان يستبد برأيه زهواً وصلفاً فرحف عليه الفرس وملكهم كسرى مجنوده واستمر بذله ويسلبه خير ما يملك حتى اودى به الى ان يصح معنوها . واخذت حينئذ امراته صوفيا تدبر المملكة . واصبح ذلك الملك في حالة كبرى من السوء والعتار اياماً عديدة وبعد ان صحا من غشيان جنونه عرف لدن احتضاره خبث ما كربه ومصانيعه ومن ثم امسى عرضةً لخالب المنون ٥٧٨-٦٧٩ وخلفه طيباريوس الثاني فناضل اعداء الدولة وقمعهم وارحب للرعية فسج الفرج وكشف عنهم ما تائف منه النفوس وآسى واحسن كثيراً ٥٨٠ واقام موريس الكبادوكي على الجيش قائداً فكان سميحاً مستنبهاً يعنوله النصر صاغراً فمات من ذلك كسرى الجبار كمداً وقهراً ٥٨٢-٥٨٣ فاسفر حينئذ طيباريوس عن ميسم المسرة والارتياح وجازى موريس بان اورثه عند موته السدة الملوكية وزف اليه ابنته قسطنطينة ٥٨٢-٥٨٣

وفي ذلك الحين كانت فردغونة الطاعة امرأة شيلبيرك الاول تذكي نيران الحرب بين ملوك الافرنسيس فاستعرت بسببها جذوة القتال في مملكة فرنسا . وفي غضون ما كانت ايطاليا يتباها من النازلات الكبرى شي كثير ويشند في رومية الوباء الهائل اقيم القديس غريغوريوس الكبير على الكرسي الرسولي رغماً على ارادته ٥٩٠ فعلى هذا البابا يجأ الى ربه بالدعاء ليفتقد عباده بازالة ذلك الداء العيا فاستجاب اسطراراً ومن عليهم بقبول الدعاء وقد كان يوجب الملوك ويوعز الى الرعية ان يؤدوا لهم كامل الرضوخ وابرز لا فريقيا سلقاً وعزها وثبت في الايمان الغلط الغربيين الذين في اسبابها

خفوا عن المذهب الاربوسي ولكم ريكارد الكاثوليكي الذي ارعوى عن غيه وغرته  
ورنع في حجر الكنيسة . وانذر انكلترا بالايمان القويم ودمت عوائد الافرنسيس واسى  
شان ملوكهم الكاثوليكين فوق كل ملوك البسيطة وكظم غيظ اللومبردين وانذر رومية  
وابطاليا اللذين لم يتمكن ملوك القسطنطينية من القيام بناصرها ودفع عن بطاركة  
القسطنطينية الخيلاء والازدهاء وانار البيعة كلها بسنا تعليمه وساس الشرق والغرب بعزمه  
وانضاعوا وترك من بعده للعالم انموذجاً يتسنى به في سياسة الكنيسة

وليس في تاريخ البيعة امرٌ يبعث على المسرة اكثر من السرور بدخول القديس  
اوغسطينس الراهب في مملكة كونا اي انكلترا هو واربعون من اخوانه الذين كانوا  
يقدمون عليها ناشرين امامهم الصليب ومثال السيد يسوع المسيح ملك الملوك وكانوا  
كافة ينجأون بالطلبات المحافلة لربهم كي يسعدهم على ارتداد الشعب الانكليزي الى  
حجر الايمان ٥٩٧ وان القديس غريغوريوس الذي حضهم على ذلك وبعثهم على تلك  
المأثرة العظيمة لم يكن يألو جهداً عن ان يرشدهم برسائلك الرسولية الحقة وجعل القديس  
اوغسطينس يعتبر وناخذه الرعدة من العجايب التي كانت تلوح من ادن الله على يده  
وقد الجأت برتا الاميرة الافرنسية بعلم ايدلبارت ان يعتنق الدين المسيحي واجمع  
الملوك الافرنسيون والملكة بريوت على ان يقوموا بناصر تلك الرسالة الجديدة  
واشتركت اساقفة فرنسا في ذلك العمل المبرور . وهم الذين كرسوا القديس  
اوغسطينوس اسقفاً بامر من البابا والاعانة الجديدة التي امد بها القديس غريغوريوس  
ذلك الاسقف الجديد انت بشار ترفعت الى اسي الالهية ٦٠١ واخذت البيعة في  
انكلترا تنشأ كل النشأة ٦٠٤ ولما تيقن الملك موريس خلوص الخبر الاعظم القديس  
وصفاء سريره اذعن لنصائح المؤثرة واقبل منه الثناء اللائق بكل ملك مسيحي واصبح  
المتدعون لا يحسرون ان يبدوا في عصره كلاماً ومع ذلك كلفه ارتكيب جريرة كبرى  
وهي ان نارا عظيماً من الرومانيين اسرهم البربر فقاتوا ممتنين ولم يفد احداً منهم بفلقة من  
الفضة ٦٠٠-٦٠١ لكثرة تندم فيما بعد على ذلك كثيراً واستغاث من العلي ان يعاقبه  
في الحيرة الدنيا اخلق من ان يعاقبه في الموقف العظيم فتمض فوق المتبرد وذبح  
امام مقليه كل آل بيته ٦٠٢ ومن ثم نحره . ومع ذلك لم يتفوه لدى تلك الملة الرائعة

الأبابة من مزامير داود وهي هنا عادل أنت يارب وإحكامك مستقيمة (١) . وعند ذلك نسلق فوقا الى العرش الملوكي بهذا العمل المكروه وعلى يمينه في ان يستميل الشعب اليه بتادية المكربة للكرسي الرسولي ٦٠٦ وتثبيت حقوقه ولكن الحكم عليه كان ابرم ٦١٠ لان هرقل اقامه الجنود في افرقيا ملكا قزحف عليه يحنده فشرع حينئذ فوقا ان الفساد يلم بشأن الملوك اكثر من الظلم لانه كان قد اغتصب قبلا امرأة فوثان فسلمه زوجها الى هرقل فاماته قتلا . وجري بعد ذلك في افرسة حادث دموي هبل جدا فان الملكة برينوت قيد بها الى الملك كلوتير الثاني فاربق دمها على الارض لترويح مضامع هذا الملك ٦١٣-٦١٤ واضمح خامل الذكر حتى ان فضائه التي كان يثني عليها القديس غريغوريوس استمرت عرضة للتنديد والتفتيد الى ايامنا هذه . واما الدولة الرومانية فقد كانت وقتئذ مشرفة على الدثار فان كسرى الثاني ملك الفرس احرب الحرب على فوقا محتجانه يثار موريس واخذ يثخن فتوحاته الى زمان هرقل الذي دارت عليه الدائرة ٦١٠-٦٢١ وانتزع الكثرة خشية الصليب ٦١٤ لكن هرقل لم يلبث ان ظهر على العدو خمس مرار متوالية ٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦ وولج الروم بلاد الفرس ٦٢٧ وقتل كسرى من يد ابنه وبعد ذلك استرجع الظافرون عود الصليب ٦٢٨ وفي عرض ما كانت الفرس تذوق عذات الهون وتخطم شوكتها ظهر مذهب الاسلام واعترف العرب نبوة محمد فهاجر مكة في تلك الايام سنة ٦٢٢ واخذ المسلمون من ذلك حساب الهجرة الذي يتعارفون به الى الان وفي مدة تسع سنوات استولى على بلاد العرب عنوة او اخيارا وبذلك اسس دولة الخلفاء .

وكانت حينئذ ارطنة المونوتوليبيين فهولاء كانوا يعترفون بوجود طبيعتين في المسيح والامر الغربيانهم لم يعترفوا الا بمشيئة واحدة فيه وفي مذهبهم ان الناسوت ليس بوسعه ان يشاءه راوان ليس في المسيح الا ارادة الكلمة وان قد كان اولئك المشيعون يسرون مقام بدعهم تحت الالفاظ المروعة بالالتباس والختالة الى ان البعض منهم لرغبتهم الكاذبة في السلم عرضوا عليهم ان لا يتكلموا عن مشيئة او مشيئين واقدموا على البابا انوربيوس الاول بالختالة والمصانة واغروه

بان يتداخل معهم بمداواة خطرة ٦٣٢ وارضى بالصمت الذي تجع منه ان الهن ان والمحى  
 قد زهنا ، وشرع الملك هرقل بعد ذلك بنقل من الزمن يفض ذلك المشكل العظيم  
 بسلطته الملوكية وبناء عليه اصدر من لدنه اشعاراً يقال له الاكثرازي البيان يعي ما ينجح  
 اليه المونوتولينون واما الخداع الذي تمهك فيه المراطقة المبتدعون فقد ارتفع عنه الغشاء  
 وبدا بينا لدى العيان فان البابا يوحنا الرابع حكم على الاكثاز وباده من لدنه بالحرم  
 واخذ من ثم قنسطانت خفيد هرقل يدافع عن اشعار جده باشعار صدره دعاه تيب  
 ٦٤٨ فتصدى لذلك المشروع البابا ثيودوروس والكروسي الرسولي ولأم البابا مريتنوس  
 الاول مجعاً في لاطران وعند ذلك باده التيب وروساً المونوتولينين بحرم جسيم ٦٤٩  
 واما القديس مكسيموس الذي اشتهر في الفتوى وتعليمه في الشرق كافة فقد نفي عن  
 البلاط الماوكي لما خافه من شائبة الابتداع الحديث واخذ من ثم يجاهر الملوك في التنديد  
 والتثريب لانهم اجترأوا على الايمان بان يقضوا عليه . وكابد بعد ذلك المشاق الجسدية  
 غيرة على الدين الكاثوليكي ٦٥٠ واما البابا فقد واصل الملوك عذابه بنفاه من  
 متفى الى آخر وعاملوه بالاساءة والاذلال معاملة البربر ذوي الحشونة والهجية . فاستأثرت  
 به رحمة الله في غضون اعنائه وتعذيبه ومع ذلك كله فلم يتغضب ولا يتقاعد عن اتمام  
 ما تنبئه اليه مرتبة ٦٥٤ وفي ذلك الحبس كانت بيعة الانكيز الحديثة تبرز اركانها  
 ويرعى مقامها البابا بونيفاسوس الخامس وهونوريوس واخذت من ثم تشهر في العالم كله  
 وكثرت فيها العجائب والنضائل مثلما كانت تكثر في ايام الرسل . وقرل ملوكها باردية  
 النضائل والمائر المحيية فان ادوين الملك الهندي هو وشعبه الى حجر الكنيسة وادى به  
 ايمانه الى التدثر بدثار الغيبة والنصر على اعدائه . وعلق حينئذ ينصر من بدانون ملكه  
 ٦٥٧ وكان الملك اوزوالد ترجمان المنذرين بالانجيل ٦٥٤ وقد تفر رانه ملك عظيم  
 الصولة نالت فتوحاته ارفع مكانة من الشجرة ومع ذلك فقد كان يوهن عليها اسم مسيحي  
 وتنصر المرسيون بمجهد اوزوين ملك نورمبرلند ٦٥٥ ومن بدانهم وقفنا اخلافهم آثارهم  
 وكانت اعمالهم الماثورة تجاوز الحد

واما الشرق فقد كان وقتئذ على جرف هار فان الملوك كانوا ثمة بينهم كون في  
 الجدل الديني ويستبضعون تجارة الابتداع وبينما كانت تلك شؤونهم كان العرب يشنون  
 الاغارة على المملكة ويسولون على تخومها ويخربون سوريا وفلسطين ٦٣٥-٦٣٤ وادت

ثم المدينة المقدسة المنحسرة وفتحت لم بلاد الفرس ابوابها بسبب الشقاق فيها واخذوا  
 هذه المملكة العظيمة غنيمة باردة ٦٢٧-٦٢٦ ونظروا الى افريقيا فانتزعوها وجعلوها  
 اقليما من مملكتهم ٦٤٧ وطاطأت لم جزيرة قبرس رضوخا ٦٤٨ وفي برهة لا تبلغ  
 ثلاثين سنة ضل كل تلك الفتوحات الى فتوحات محمد

واما ايطاليا التي كانت تخرج كوموس الذلة واليومى غير مرتو اليها بعيون  
 الاسعاد فقد كانت حينئذ تحت اقبال ولاة اللومبرد واخذ الملك قنسطانت يجاهد في ان  
 ييادهم بالمقات. فحبط سعيه وخامن الفشل وعول عند ذلك على ان يتلف كلما لم يكن  
 يستطيع على رعايته وكان هذا الملك اشد قسوة من اللومبردين ولم يلج روية الا  
 رجاء ان يسلب كنوزها ٦٦٢ ولم بطور عن التشنيع في الكنائس كتحا. ونهب صقلية  
 وسردينيا فاصبح مردولا من الجميع يأنف منه كل ذي ذوق سليم فاضر على قتله  
 اصحابه ٦٦٨ وفي عهد ابنه قسطنطين بوغونات (اي لحوي) فتح العرب سيليسيا ووسيا  
 ٦٧١ ولم تنج القسطنطينية من الفتوح الا باعجوبة ٦٧٢. واما البلغار يون فهم نخل  
 هاجروا الى مصب الفولغا وقد تولوا في بلاد التراس على قسم. يقال له ميزيا دعي من ثم  
 بلغاريا ٦٧٨ واما بيعة الانكليز فكان ينشأ منها بيع جديدة فان القديس ولتريد اسقف  
 يورك المنفي من كرسية اغزى الفريسيين بان يتنصروا

واخذت البيع كلها تسطع وتزهر بالانوار التي انبثقت اليها من مجمع قسطنطينية  
 السادس العام ٦٨٠ حيث البابا القديس اغاثون كان قابضا فيه على زمام الرئاسة  
 بواسطة وكلائه العظام. واما في التعليم الكاثوليكي برسالة بليغة. واصدر المجمع المحرم على  
 استنف ذاع فساد تعليمه وعلى بطريك الاسكندرية واربعة من بطاركة القسطنطينية.  
 وقصارى القول على كل رؤساء المونوتوليتيين ومع ذلك لم يعف بالعدل عن البابا  
 هونوريوس الذي كان قد واظم. وفي اثناء التمام المجمع مات البابا اغاثون وعند ذلك  
 ثبت البابا القديس لاون الثاني احكام المجمع وصدق على كل ما حرم. واما قسطنطين  
 بوغونات الذي تسنن باعمال قسطنطين الكبير ومرسيانوس فدخل المجمع على مثاها  
 ولما رآه المجمع انه ادى المنحصر مثلها لقبه بملك كاثوليكي محب للصلح مصلح للدين.  
 وخلفه ابنه جوستينيانوس الثاني وهو يافع ٦٨٥ فكان الدين في عهد هذا الخلف بزرع  
 بالنضارة والازدهاء في ناحية الشمال. فان القديس كيليانوس الذي بعث به البابا كونون

الى بلاد فرنكونيا ليكون هنالك نذيراً بيشارة الانجيل اتم ما هو مندوب اليه ٦٨٦ وفي عهد البابا سرجيوس أم شدوال احد ملوك الانكليز رومية ليعترف بعلاقته بالبيعة الرومانية من حيث دخل الايمان المسيحي جزيرته . واعتمد على يد البابا واستأثرت به رافة الله حينئذ حسب مقياسه ٦٨٩

واصبح في ذلك الحين آل كلوفيس هابطين الى مهاوي الذل مدحورين واخذت الاحكام الملوكية نخط الخطا طاً يستحق الرثاء . ولما كان كثير من هؤلاء الملوك برقون النحت الملوكي وهم قصر سناً فلم يكونوا يعكفون الا على التنازع عما من شأنه الفلاح والنجاح فكان ذلك مندوحة لان يربوا بالترف والرغد ولا يخرجون عنها بعد بلوغهم وكانوا منغمسين في عباب الثواني والكسل لانهم كانوا ملوكاً نظماً لا معنى يكون رعاية الملك لامراء يقال لهم بابر واخصهم يبين هرستال الذي كان جل الحكم يناط بهدته ٦٩٣ فانه اسي آل بيتي الى ارفع الآمال ونما الايمان في بلاد قريزيا التي ضمها فرنسا الى فتوحاتها بواسطة سلطانه وموت فيبير الشهيد . وان القديس سوبارت والقديس ويلبرود ورسلون سواها اوسعوا خطا الانجيل في الاقاليم المجاورة ٦٩٥ وفي ذاك الحين انتهى ملك كون بوسستيانوس قاصراً وكان لاونس استظهر على العرب وقمعهم ونوطدت اركان الدولة الرومانية في المشرق ٦٩٤ ولكن قبض على هذا القائد الجريء عدواناً وحل وثاقه دون تبصر في العاقبة . فجدع انف سيده ( ولذلك ائيب بوسستيانوس بالاخرم ) وطرده ٦٩٥-٦٩٦ فنجثم هذا الخائن الوقح نفس العذاب من قبل طباريوس المدعو اسيبار الذي لم اقل اياه من بعد ذلك على الارض

فاعيد بوسستيانوس الى ملكه ٧٠٢-٧٠٥ ونكر جميل اخوانه الخالصين واخذ ينغم من اعدائهم الكاشحين فبداله اعداء الداء خلاصهم جرعه كاس المنيعة ٧١١ ولما استوى خليفته فيليكوس على صهوة الملك بعث تصوريه الى رومية فلم تحز قبولا لانه كان ينجح الى المونوتوليبيين ويعلن عداوته للجميع السادس العام فخير من ثم في القسطنطينية انطاسيوس الثاني ملكاً للكاتوليكيين وسلمت عينا فيليكوس ٧١٣ وفي ذاك الحين فتحت رذائل الملك رودريك ابواب اسبانيا للغاربة وكانى يدعون بسراكة افريقيا



فانه ارتكب الفحشاء باينة اليكونت يوليانوس فاستغاث هذا بالسراكية ليستم عن  
 الالهانة التي المت باينته فزحف المغاربة الي اسبانيا فيقالن حجة وغارب الجيشان فقتل  
 رودريك ورصفت اسبانيا وانقضت دولة الفسط وتواليت الاجن والرزايا على البيعة.  
 في اسبانيا غير ان المسلمين لم يضادوا الايمان الكاثوليكي بل بقي سلا كما كان في  
 عهد الارويسيين واطلقوا لذويه بداءة بدع اعنة الحربة في الدين وان تواليت بعد  
 ذلك الحروب في القرون التالية . واما الملك انسطاسيوس فلم يبق امدًا طويلاً فان  
 الجيش اجبروا ليودوسيوس الثالث على تقلد السلطنة وشجوه بطيلسان الارجوان  
 ٧١٥-٧١٦ وبعد ان استوى على اريكة الملك آل به الامر الى ان يحرب  
 العمياء فظهر على انسطاسيوس واغراه بان يتزوي في احد اديرة المتعبدين . واما  
 المغاربة الذين لخبوا فتوحاتهم في اسبانيا فقد عولوا ثمة على ان يدوخوا باقي الامصار  
 فاجازت عساكرهم ما وراء جبال اليرانه لكن ذلك لم يستمر لان كرلوس مرثال  
 الافرنسي استظهر عليهم فتهنروا . وهذا وان يكن فغياً فانه خلف اياه بين  
 هريستال واستقر على سرير الخلافة بعده . وكان ابوه اخنص لسرانه اوسترازا  
 ابي افرنسة الشرقية لتكون لم اماره مطلقة والولايه على نوستريا ابي افرنسة الغربية قياماً  
 بحقي كونه اميراً في البلاط فكرلوس ضم المليكين باقدايمه

واما احوال الشرق فكانت وقتئذ في ازفة عظي فانت الحاكم هنالك  
 لاون الايسوري لم يخضع ليودوسيوس فلنأز حينئذ الملك دون كره عن  
 الملك الذي لم يقبله الا بالاكراه واتجأ الى افسوس ولم يهتم الا في العظيمة الحنة  
 وفي عهد لاون استظهر على السراكية مراراً كثيرة وأرغموا على ان يحصوا  
 عن القسطنطينية ويرفعوا عنها الحصار ٧١٨ واما في اسبانيا فيلادجيوس تسلي  
 على جبال استوريا ٧١٩ هو ومن بقي معه من الفسط وبعد ان انتصر  
 على العرب نصراً مبيناً انشأ مملكة حديثة كانت معدة لطردهم من اسبانيا  
 وكرلوس مرثال لم ترعه بسالة قائدهم عبد الرحيم وكثرة جيوشهم فظهر عليهم في موقعة طور  
 الشهيرة ٧٢٢-٧٢٥ حيث قتل كثيرون واخصم عبد الرحيم القائد الباسل وقتت

تلك البصرة نصرة اخرى ثبطلت اقدام المغاربة واسرع الكفة واوصل سلطة الفرنسيس الى جبال اليراني . ومن ذاك الحين اخذ الفوليون يفاوضون الافرنسيس بالنفوس المستغرة راغبين وبمد الجميع اعناقهم لكارلوس مارتال واما هذا السري البسول فاصبح ذا سطوة في الصلح والحرب وشوكة مطلقة بين المملكة فانه تولى الحكم باسم كثيرين من الملوك فند ولى من ولى ونزع من نزع منهم دون ان يتطال الى ان يتقلب بذلك اللقب الرفيع فان الافرنسيس الذين كانت صدورهم واغرة من الحسد اغروه بان يداهمهم ويصانعهم وكان الدين في المانيا في ذلك الان تزيد نشأته ٧٢٣ ودين الكاهن القديس بونيفاسيوس اولئك الشعوب بدين النصرانية واقام عليهم اسقفا من بعث به اليهم البابا غريغوريوس الثاني واما الدولة الرومانية فكانت اذ ذاك مترعة كوروس السكينة والسلام عبران لاون بادبها بالرزايا والناياب حثبا متواليه فانه طوح بنفسه الى ان يوقع بابنونات المسيح وقديسه معتبرا انهم انما ثنائيل صنية ٧٢٦ ولما ضاق ذرعا عن ان يجاز الى القديس جرمانوس بطريرك القسطنطينية استاثر بقوته وسلطانه . وبعد ان برزت الاوامر من مجلس الدوة بعد صورة يسوع كانت مركوزة فوق باب كنيسة القسطنطينية الكبير وحطما تحطبا ومنذ ذاك اخذ المجائرون يحطمون الصور وينسدون وان الثنائيل التي اركرها الملوك والاساقفة والمؤمنون في المحال المقدسة العامة منذ كانت البيعة في غصارة النعيم والرفاهية اصحمت كالمها المنشور . واما الشعب فلما رآوا ذلك اصبحوا في بهوش واضطراب واخذوا ثنائيل الملك وكسروها فاستكبر ذلك وابقن انه اهانة لحقت به فونية الشعب قائلين ان الاهانة التي يدعي بانها الملت به فانه هو نفسه يقاذع بها يسوع المسيح واوليائه الاطهار وانهم باخذون من استكباره تحطيم تماثيله دليلا على ان اهانة الرسم اهانة للعين . واما في بلاد ايطاليا فند اتسع الخرق جدا لان الشعوب لما رآوا ان الملك جنف عن سراط الحق واستبضع تجارة الكفر والطغيان اصرروا على ان لا يودعوا له جزية وتسمن بذلك لو يتبران ملك اللومبرديين رجاء ان يقبض على مدينة رافين مركز الاكررك ابي الولاة فان الولاة الذين كان بيعت بهم الملوك الى ايطاليا كانوا بيعثونهم على ذلك واقام البابا غريغوريوس الثاني المنجة على تحطيم الصور وفي الوقت نفسه كان يفاوضي اعداء المملكة ويناكهم ويحض الرعية على الهدنة والسلام وتادية الرضوخ المنعجب للدولة واما الملك فانه ابرم صلحا مع اللومبرديين ٧٣٠

ووائهم باليهود والأخاه وثقذ الأوامر المملنة بالانتفاع بالصور والتقاليل جائراً عاتياً .  
فاجابه بوحنا الدمشقي المشهور انه لا يطاطب لسوى أوامر البيعة في المشاكل الدينية  
وان امره ليس له عين رعاية الا التبت جانبا . فحنى الملك من ذلك جداً واخذ يبالغ في  
الاعتبات والاذلال واعزل البطرك جرمانوس عن كرسيه ونفاه الى حيث استأثرت به  
رحمة ربه وهو في من تسعين عاماً ٧٢٣ - ٧٢٩ ولم يضر على ذلك الحين قليل من  
الزمن ٧٤٠ الا عاد اللومبرديون بهرجون وهرجون واخذوا يحشسون الرمايين المشاق  
فاقتصر البابا غريغوريوس الثاني كارلوس مارلوس فلبى الاستصراخ جاهداً ودراً عن  
الرومانيين الخطوب المدققة . واما مملكة اسبانيا الجديدة التي كانت تدعى وقتئذ مملكة  
اوفياد فكان ظفر الفونس صهر يلاج يسرعان في نشاتها ويزيدان في شباهها وقد تلقب  
هذا الملك بكنائليكي اقتداء بريكارد الذي كان يزعم انه من نسله واستعز الله في ذلك  
الان بلاون الملك ٧٤١ تاركاً المملكة في اضطراب والبيعة مفثودة النواد

وقبض على زمام الملك ارطاباز والى ارمينا بدلاً من قسطنطين كبروني بن لاون  
وراعى حرمة الصور واصدر الامر بارجاعها وبعد ان عثت النية بكارلوس مارتال شرع  
لويثيراند يوعد رومية ثانية بالامر الهائل واصبحت حينئذ اكرركات رافيت (ولاية)  
مشرفة على الدثار العظيم ولم يبتذ ايطاليا من فتكات العدو الا لاداة الأرصانة القديس  
زكريا البابا وفرط حصافته ٧٤٢ واما قسطنطين فكان في الشرق في حالة البؤس  
والشدة ومع ذلك فلم يكن يفكر الا في ان يكون مستعزاً على سرير الولاة فيناضل  
ارطاباز ظافراً عليه وفتح القسطنطينية واكثر فيها من المبرحات المدققة والنائبات الموقعة  
٧٤٣ وقد كان لكارلوس مارتال ولدان يقال لاحدهما كارلومان وللآخر بيان وكلاهما  
خلها اباهما بعد ان اغتاله الردي . اما كارلومان فقد انتف الحيرة الدنيا وغادر العزة  
الملوكية وترف العيش وتبتل لله معتزلاً عن الناس الى بعض الاديرة طلباً للعبادة ٧٤٧  
فلن ذلك استأثر اخوه بيان بالسلطة السامية ورعى منصبه بحسن سليقة وجودة  
تدبير وعول على ان يركب التيجان السلطاني . ولما كان في ذاك الحين الملك شيلدريك  
من سفالة الملوك المتعسبين في لجة الثواني والتراخي وكان خلل الرأي معنوهاً خجعت الى  
بيان افكار الافرنسيين ٧٥٢ وتخبروا له السوءدد الرفيع وزيادة على ذلك فلنهم كانوا  
وقتئذ قد انتفوا من الملوك المتعاضدين والنوا آل كارلوس مارتال الذين نشأ منهم افراده

تغزبهم الاسرة فلم يكونوا اذ ذاك بينهمكون الا بما خلطوا لشيلديريك وبناء على ما  
 اوعز اليهم البابا زكريا تخيلوا انهم امسوا رافيلت باردية الحرية وانهم عتقوا ما خلطوا  
 للملكم بعبارة انه هو ومخلوفوه بدوا معتزلين عن حقوقهم في السلطان منذ مئة من الاعوام  
 اذ غادروا الشوكة منوطة بهمة من تدرج الى منصب ميرديالي (اي امير البلاط)  
 وعلى ذلك اغروا بيان بان يسنوي على اريكة الملك وجعلوا اللقب الملوكي موثوقا  
 بوثاق السلطة

ورأى البابا اسطفانوس الثالث في ذلك الملك الجديد غيرة على الكرسي الرسولي  
 مثما في كارلوس مارتاس ضد اللومبردين ولقد كان قبلاً يستصرخ ملك الروم فذهب  
 استصراخه ادراج الزياح فاستنجد بالفرنسيس فحش به ملكهم وقابلة بالتودة مبرزاً  
 لديو المكرمة والحرمة وازدلف اليه واراد ان يسبح بيك ملكاً وينوح به ٧٥٤

وفي ذلك الحين اجناز الملك بيان جبال الالب وانهمض رومية واكرركات زافين  
 من وهاد الخمول وارغم استولف ملك اللومبردين على ان يوائمه ويرم معه صلحاً مراعيماً  
 فيه جانب العدل والانصاف وعلى ملك الروم يذكور بان الحرب على الايقونات  
 فلام في النسططينية مجعماً عظماً رجاء ان يوطد آراءه على الاسناد الكنائسية فلم  
 يشهد حسب العادة ذلك المجمع وكلاء الكرسي الرسولي ولا اساقفة الكراسي البطريركية  
 او وكلاؤهم ومع ذلك فلم يكنف المجمع بان يفضي بأن الاحترام المودى للايقونات  
 تذكاراً لاعيانها هو عبادة وثنية بل قضى بان فن الرسم والتصوير هو من الامور التي  
 يأنف منها الطبع وبجها الذوق وذلك اعتقاد الاعراب الذين يقولون ان الملك  
 لاون لما حطم الايقونات كان معتقداً رايهم فذلك هتان ونوبة لانه لم يجاهر قط  
 بالعدوان ضد الذخائر ولم يفض يجمع قبرونيموس بعدم تادية الحرمة لها وحرّم كل من  
 كان يحمي الاستشفاق الى مريم البتول والقديسين . واما الكاثوليكيون الذين كانوا  
 يشنون تحت باهظ النايق ولاضطهاد لابرارهم التكرمة للايقونات فكانوا يجاهدون امام  
 الملك انهم يوشرون الموت تحت اثال التائب الويلة على ازورارهم عن تادية الاكرام  
 ليسوع المسيح في مثالي وفي ذلك الحين نكث استولف العمود التي أبرمت بشأن الصلح  
 فحنق على ذلك بيان ودوخ جبال الالب من اخرى واصبحت الكنيسة الرومانية قريبة  
 المقلتين لانها رأت من ذلك الملك الصالح ما لم تنه قبل من غيره . فانه منجها كل

المدن التي انتزعها من اللومبردين فجنس قبرونيوس أن يعيذها إليه فقباله بيان بالهز  
 والمخزية إذ لم يكن بوسع من قبل أن يكون ذائدا عنها وحاميا لذناها . ومنذ ذاك  
 الحين تناسى الرومانيون سلطة ملوك الروم الذين اصبح الجميع يصوبون عليهم سهام  
 المثلث والتفند يحفروهم لوهم عزائمهم ويكرهونهم لجنونهم عن الحجة القوية وغدا بيان  
 يذود عن الشعب الروماني والبيعة الرومانية ومن ثم توارث الذود من بعده سرائه وكل  
 ملوك الافرنسيس وبعد ان استعز به الله صعد على ذروة الملك ابنه كارلوس العظيم  
 فتسنى بما كان يفعل ابوه فتأبر على الذود عن الرومانيين والبيعة ببسالة فائقة وتقوى  
 خارقة ولما فتح ديدبه ملك اللومبردين مدائن شتى واوعدا بطاليا برفنها بالامر المكروه  
 استغاث البابا ادرينوس بكارلوس العظيم فلبى الدعوة مسرعا واجتاز جبال الالب  
 ٧٧٢ فاتحا فخضع كل شيء لباعه واحضر ديدبه لديه اميرا ٧٧٤ وانقضت ملكه  
 اللومبردين اعداء رومية والمنصب الرسولي واستوى على ايطاليا ملكا . وتلقب من ثم  
 بملك فرنسا واللومبردين وفي الوقت عينه كان يمارس السلطة في رومية لانه كان  
 ملقباً بباتريس (اي محام عن الشعب) وثبت كل ما من به ابوه على الكرسي الرسولي  
 وكان ملوك الروم يفاسون المشاق بدفاعهم البلغارين ويخاضون ضد كارلوس العظيم الى  
 اللومباردين الذين انتزعت منهم املكهم قائمين بناصرهم فينتسكون . ومع ذلك فقد  
 استمر الايلام بالايقونات واضطهادهم فان لاون الرابع ابن قبرونيوس تراءى اولاً  
 كاظم غيظه لئكما جنوة الحقد بقيت مطبونة في فؤاده فانشى الى غرته وشرته واخذ  
 يهتك حرمة الصور وأما انه يستوي على صهوة العرش فكان بذلك سهمة طائشاً لان  
 طائر الموت انتفض عليه فذهب بروحه عاجلاً ٧٨٠ وخلفه ابنه قسطنطين وهو في العام  
 العاشر من عمره وتولى الامر والتي تحت وكالة امه ابرانيا وحيدته اخذت الشؤون  
 تغير والمنكرات تنسخ فان بولس بطريرك القسطنطينية اعلن قبل انقضاء اجاله ان  
 نصده للاقونات واقتراه عليهم لم يكونا عن طيبة خاطر منه ولكي يكفر عن نفسه  
 دخل احد الادبغ متعبداً ٧٨٤ واخذ من ثم براسل الملكة ويرثي لها تعاسة كيسة  
 القسطنطينية المنفرزة عن اربعة الكراسي البطريركية واوعز اليها ان التمام مجمع عام  
 يكون دواء لزلزلة ذلك الداء ، واما خليته تاريز فقد قرر ان المشكل لم يخل نظاماً  
 لان القضاء به كان بامر بارز من الملك وان الجمع الملتئم وقتئذ كان قد لزم ضد

القوانين . مع ان الجامع الدينية لما حق الاولوية في الاحكام الدينية وعلى الملك ان يكون  
 عضداً لاحكام البيعة ليس مبرزاً للحكم . وبناءً على ذلك لم يرص بان يكون بطريركاً في  
 القسطنطينية الا بشرط ان يصير التام مجمع عام . فبدأ ذلك المجمع في القسطنطينية  
 وانتهى في نيقية ٧٨٧ وبعث البابا اليه بوكلاء من لدنه اقاموا التكبر على مجمع محطى  
 الايقونات ورشقه بسهام التنديد والتفديد واعتبروا ذوبه اناساً يفاذعون المسيحيين ومنهم من  
 بنادية العبادة للاوثان كما ينهمم الشرافقة وتقرر ان الايقونات توهدي لمن التكرمة  
 تذكاراً ومحبة لاعيانهم . واليك صور العبادات التي تقرر في المجمع هي : عبادة  
 معزوة . او عبادة او اسلام اكرامى مقابلة للعبادة المطلقة والعبادة اللاطرية او الرضوخ  
 التام الذي اخنص المجمع به الله وحده . فضلاً عن ان وكلاء الكرسي الرسولي و بطريرك  
 القسطنطينية حضروا المجمع فقد حضر جميع البطاركة الذين كانوا وقتئذ تحت حكم  
 غير المؤمنين وقد رفض البعض من اعضاء المجمع ان يعترفوا بوكلائهم . ومن الامور التي  
 لا يشد عليه تكبر ان الكرسي برمتها قبلت احكام المجمع ولم يبد أنها ناقضته بل جاز  
 قبولاً لدى البيعة كلها . واما الافرنسيس فلما رأى عابدين الاوثان او المرتدين الى الايمان  
 حديثاً يكتنفونهم ضربوا القبول المجمع اخماساً في اسداس زماناً طويلاً حذراً من ان  
 تبيح افكارهم ولا سيما لانهم كانوا ملتبكين باهمام كثرة عبادة ولم يبرزوا الاكرام الا لصورة  
 الصليب التي كانت تبين جداً الصور التي كان الوثنيون يتخالونها مغيبة من الالهية .  
 ومع ذلك كله فليثوا يحفظون على الايقونات باكرام و يضعونها في محال مكرمة وثنا  
 مصرين على ان يمتنوا محطى الصور ولم يأت من ذلك الاختلاف شقاق ولا خصام .  
 وبعد ان مضت على ذلك مدة من الزمن تبين الافرنسيس ان اباء مجمع نيقية لا يحضون  
 للصور الا على عبادة مثل التي كانوا هم انفسهم يودونها للذخائر والانجيل والصليب  
 مع رعاية المناسبة . وادى المسيحيون برمتهم الاحترام لذلك المجمع ودعي المجمع السابع العام .  
 وبناءً على ذلك قد تنهنا الجامع السبعة العمومية التي حازت التكرمة والاحترام في الشرق  
 والغرب سواء كان في الكنيسة اليونانية او اللاتينية وكان ملوك الروم يابسون هذه  
 الجامع العظمى بسلطانهم المطلق على الاساقفة او على رؤسائهم الذين كانوا حينئذ  
 رعايا الدولة الرومانية ويحلبون من بلوذهم وكانت المراكيب العامة تقدم بامر من  
 الملوك وكانت الجامع تلثم في الشرق حيث كان مقرهم ويبعثون مجنود الى هنالك اعينادياً

الرعاية النظام جزماً . واما الاساقفة الذين كانوا يلتزمون ثمة على ذاك المتوال فكانوا  
 بانون متقدمين بسلطة الروح القدس وتقاليد البيعة ومن يوم نشأة البيعة كان ثلاثة  
 كراسٍ مترتبة على سواها وهي كرسي رومية وكرسي الاسكندرية وكرسي انطاكية . وارتأى  
 مجمع نيقيه ان تكون اسقفية المدينة المقدسة من هذه المرتبة أما المجمعان الثاني والرابع  
 فقد اتفهما كرسي القسطنطينية الى هذه الدرجة ورغبا في ان يكون له المرتبة الثانية وعلى  
 ذلك تاتي خمسة من الكراسي لفت فيما بعد ببطريركية ونالت الكرسي في المجمع  
 مقامات فكانت حينئذ المرتبة الاولى منوطة بكرسي رومية ورتب مجمع نيقيه سائر الكراسي  
 بالنسبة اليه كلاً حسب مراتبهم وكان ايضاً جنائزهم لم سيادة على الاقاليم وكانوا يتقدمون  
 على الاساقفة وطلعتوا من ثم بلبسهم رؤساء اساقفة وكانت سلطتهم لا تبرح مرعية قبل  
 ذلك وفي اثناء التمام المجمع كان الملتزمون يتصفحون الكتب المقدسة ويملون فقرات من  
 اقوال الآباء الاقدمين الذين شاهدوا التقليدات التي كانت مغزى الكتاب وكانوا  
 يفكرون ان المعنى الحقيقي كان كلاماً استعالياً في الاعصار الغابرة ولم يكن حينئذ احد  
 يخال انه معنى بتعبيره على خلاف ذلك وكانت سهام المحرم مصوبة على كل من لم يكن  
 لذلك المجمع راضياً وانهم كانوا اولاً يهتمون في اثبات ما ينوط بالاعتقاد ومن ثم يهتمون  
 في امر التدابير الكنائسية وقد كانوا يضبطون كل ذلك تحت قوانين وقواعد معتقدين  
 ان الايمان لن تمسه شوائب التغيير . ولقد كانوا يجزمون على ان الاقنن في الازمنة السالفة  
 من الامور التي لا مندوحة عنها وان تكن التهذيبات جانحة الى تغيير بعضها وفاقاً  
 لاختلاف الزمان والمكان . ومع ذلك كله فان البابوات لم يحضروا تلك المجمع العامة  
 انفسهم بل اناطوا ذلك بهمك وكلائهم لكنهم قرروا ما يتعلق بشان تعاليمهم بكل صراحة  
 وايضاح ولم يكن اذ ذاك في الكنيسة الا اعتقاد فطنت

وقد اذعن الملك قسطنطين والملكة ابران والدته في بادى الامر لاوامر المجمع  
 السابع بكل رضوخ واعتبار ٧٨٧ غير ان سلوكها في امر اخر لم يكن على هذا المتوال  
 وذلك لأن والدته اقترنت بعريس ليس لها في فؤاده منزلة من الغرام فطوح بنفسي الى  
 مهاوي الهوى وطلق يمر العاهرات فاسقاً . ولما شمت نفسه من الانبياد الاعى الى  
 والدته التي تعنيه بشدة تهنسها راي ان ابعادها عن الامور السياسية من الضروب اللازمة  
 ومع ذلك فقد استمرت تداولها ورغماً عنه وفي ذاك الحين كان الغيف الفونس متبوا

اسبانيا ٧٩٣ وقد استأهل تلك الصفة بعيشته المستقرة في العنافة وكان ذريعة لان يرفع عن اسبانيا عار الجزية التي كان اهلها يادونها للمغاربة وفي عبارة عن مائة بنت كان عمه مورنت منعهن لم لكما تونس الباسل استكبر ذلك جداً وانبرى الى مضار القتال واجج نار الحرب عليهم . فقتل قائدهم مغاك وسبعين الفا من جنودهم

واخذ قسطنطين بحرب الحرب على البلغار بين املاً بالفوز والغنيمة فسقط سهم املو دون مراميه لكه حطم شوكة والدتوا بريناً تحطياً ليستعز على سرير الملك مفرداً فحبط مسعاه كل الحبوط لانه لم يكن املاً لرعاية الملك وحده فطالق مريم امراته واقترن بماريتما ثودوث ٧٩٥ فانفت من ذلك والدته كل الانفة وثار عليه بانظارها كل الثورة فاتي من ذلك عبور الجميع ٧٩٦ واهلكت بحملها قسطنطين وامالت اليها الشعوب طراً لانزالها مقادير الخراج ونظاهرت بالبر والتقوى فنجحت اليها الاكليروس والرهبان وقصارى الامراتها اصيبت وجدها قابضة على زمام الامر

واما الرومانيون فقد تمخروا تلك الحكومة وجنحوا الى كرلوس الكبير الذي كان يعني السكسونيين ويقيم السراكية ويلاشي البدع ويدود عن البابوات ويدبن بالدين المسيحي الامم الضالة ويقوم بناصر العلوم والنهذبات الكنائسية ويقيم مجامع شهيرة فينبثق فيها سنايه علمه وكانت آثار عدله وقواه تدوخ لافرنسا وابطاليا فقط بل اسبانيا وانكلترا وجرمانيا وما جاورها من البلدان

## العصر الثاني عشر

في كرلوس الكبير او تشييد الامبراطورية الجديدة

تمخبر الرومانيون هذا الذائد العظيم عن رومية وابطاليا او بالاخرى عن الكنيسة والنصرانية امبراطوراً ولقد كان انتخابه الى العرش فجأة دون ان يكون له مستظراً وذلك سنة ٨٠٠ من ميلاد السيد المسيح وتوجه لاون الثالث الذي بمث الرومانيين على ان يشقوا ذلك النسور العظيم . ولذلك اصبح كرلوس موطداً هذه الامبراطورية الجديدة وعظمة الكرسي الرسولي الزمنية



فيا سيدي هالك مارفته لدى جلالتك من الاعصار وهو اثنا عشر عصراً وعينها  
 في هذا الموجز وابت لك كل ما هو مهم من حوادثها . ويمكن لك من الآن فصاعداً  
 ان تسق دون نصب حسب النظام الزمني كل حوادث التاريخ القديم وان تركز كل  
 منها في مقره . ولم يذهب عني ان ابث لديك في موجزي هذا التقسيم المشهور لدى  
 المؤرخين وهو تقسيم مئة العالم الى سبعة اجيال وان . بداءة كل جيل ليست الا بمائة  
 عصر لنا وان رابت اني ادخلت في ذلك بعض اجيال اخرى فليس ذلك مني الا  
 لتمييز الاشياء عن بعضها ويا وج لذلك نظام الازمنة عارياً من التهويش والالتباس وان  
 رايتني انا جيك بسلسل الازمنة فلا تخالني ان من مازي ان اغريك بمحفظ كل التواريخ  
 بالضبط والدقة او ان اوقفك على خصام المؤرخين الذي يحدث غالباً بين قليل من  
 الحوول . واما الحسبان التاريخي الذي ينفر في كل هذه الفصول ويستغربه اهل الانبياء  
 جليل الفائدة يدانه ليس ما بهم فيه مثل جلالك لانه لا يزيد على سماء عقل ملك  
 عظيم نوراً ثاقباً ولذلك لم ترني انفر في استقراء الازمنة واي قد اتيت من الحسبان  
 المستعمل ما هو داني من الحق غير ضامن اثباته

فليت شعري هل يقضى عليا بان ننمو من حسبان السنين منذ التكوين الى ابراهيم  
 الحسبان السبعيني الذي يشعر بدمية العالم او بالنسخة العبرانية التي نشعر بتأخيرها عن  
 ذلك اجيالاً مدبدة . فان اسندنا استقراء على النسخة العبرانية بدا بذلك فضل عظيم .  
 ومع هذا فان ذلك ليس له في ذات اهمية كبرى لان الكنيسة التي قتت القديس  
 ابرونيوس في حساب النسخة العبرانية في الموفانا اي النسخة العامة ادرجت الحسبان  
 السبعيني في السكسار وليس من ذلك للتاريخ اعية ان زادت اجيال فارغة او نقصت ان  
 لم يكن فيها حوادث مهمة ينقل المؤرخ الى تاليه . والا يكفي ان تكون الازمنة التي نقصت  
 الحوادث الخطيرة في حالتها وان التقسيم يكون موطداً على ركن قويم مقرر وان  
 حدث احياناً اختلاف على بعض حوول متعلقة بهذه الازمنة فذلك ليس من شأن  
 يبيش الافتقار فلو انقضى بنا الامر مثلاً ان نجعل تشييد رومية او ميلاد المسيح في قديم  
 من السنين او في متأخر منها فذلك لا ينجم منه مضرة في تسلسل التاريخ او في اتمام مقاصد  
 الرب وانكسا مندوبون ان نأخذ الشطط في الحسبان الذي يتأني منه ايهام في الامور  
 نابذين عما مابقي للعلماء بتقديره موضوعاً يحملون عليه بحسبهم وجدلهم

وليس من داني ان اهوش ذاكرتك بحسبان الاولياذ وان كان اليونانيون الذين يستعملونه يرونه ضروريا لتحديد الازمنة لكما يكفيك ان تعرف بما هو قائم به لكي تتمكن من البحث فيه اذ آل بك الامر الى البحث . فيكشفك اذا ان نتمك في الحسبان التاريخي الذي ابرزته لديك لانه بسيط ومتداول وهذه التواريخ في من العالم الى رومية ومن رومية الى السيد المسيح ومن السيد المسيح الى ما يأتي من الزمان . وان المارب الحق من هذا الموجز ليس لوضع لدى جلالته تسلسل الازمنة وان يكن ذلك ضروريا جدا لمطالعة التواريخ ولا يبرز تعلقاتها والتي قد اشعرتك ياسيدي ان اخض موضوعي هو ان اوضح لديك بذريعة تسلسل الازمنة تسلسل شؤون شعب الله وشؤون المالك العظمى . وان هذين الشأين يتفقان في المسير في دور الاجيال العظيمة وما ذلك الا لان لها محورا مفردا في سيرها وليس بوسعنا ان نتوصل الى ذلك الا بان نفصلها عن بعضها ونعتبر ما يليق بكل منهما

## الحزب الثاني

\* في تسلسل الامور الدينية \*

### الفصل الاول

\* في التكوين والازمنة الابتدائية \*

ان الدين وتسلسل شعب الله المتشوق هما من اهم المواضع التي تعرض على الانسان . فبالرغم انه يرتاح الى ان يذكر حال شعب الله المتعاقبة في عهد الناموس الطبيعي وفي ايام الاباء وفي عهد موسى وعهد السنة المكتوبة وعهد النبي داود والانبياء ومنذ انشاء سبي بابل الى يسوع المسيح ثم في عهد المسيح اي في عهد سنة النعمة والانجيل وفي الاغصان التي كان يرى فيها يسوع وفي الاجيال التي اتى فيها ان يام ان كانت عبادة الله محصورة في شعب واحد وفي الاجيال التي دوخت فيها العبادة

الارضين توفيقاً لما نوه الانبياء المتقدمون ثم في الاجيال التي كان فيها الانسان في حالة  
 الوهن والخشونة اذ كان مغترباً الى ان ثبت على رعاية الشريعة ليستأمل ثواباً وغناياً  
 زمينين وفي الاجيال التي غدا فيها المومنون خارجين من حادس التي الى سناء المهدى  
 ولم يأتوا على نفوسهم الا ان يكونوا عاتشين في حجر الايمان معتمدين بالخبرات الازلية  
 متجشمين المشاق قدر ما يتجددون امل ان يتمتعوا بها ومن الامور التي تليق بالله ويمكن  
 للانسان تخيلها ان الله تعالت قدرته لم يكن يرى بدءاً في بادىء الامر من ان يتقبله شعباً  
 يكون سمة بادية لعنايته فاصطفى اذ ذاك شعباً اناط سعادته وشفاء بهته طهره وتطواه  
 وتدل حاله على حكمة من يتولاه وعدله . فذلك ما تمهك فاطر الارض فيه من ذي قبل  
 وما ابداه في الامة اليهودية ولم يتم ذلك الا بعد ان ابرز بعلامات بينة ان هذه الحقيقة  
 لا تحول وانته وحده بقود كل حوادث هذه الحياة العتيقة ولقد كان قد آن الزمن ان  
 يرفع الانسان الى افكار سامية وهي بعث ابنه يسوع المسيح الى الارض ليصرح عن اسرار  
 الحياة المستقبلية لشعب حديث كان قد جمعه من شعوب العالم . فما عليك الا ان  
 تستقري نارنج الشعبين وترى ان المسيح كيف كان موضوع الاتحاد بين الطرفين فانه  
 كان سلواناً لابناء الله ومنتهى آمالم سواء كان مأناه منتظراً ام اتي .

وما يدل على ان الدين متساو او بالاحرى هو عينه من بدء العالمين ان الشعب  
 كان يعترف باله واحد خلق الجنس البشري ويمتد واحد له هو يسوع ويتبين لديك  
 ان الدين الذي تستمسك بعروقه اقدم شيء بين البشر وان اجدادك لم يبذلوا دون  
 سبب سمو مجدهم لبناضلوا في سبيله

فبالحق من شهادة عظمى على حقيقة هذا الدين فان التاريخ الديني لا يأتينا ببناء  
 عن الازمنة الغابرة الا مشوه بالخزبلات والاحاديث الملتفة بيد ان الكتاب كل  
 الكتاب ياتينا بالنبي الذين عن تسلسل الشعوب المتفرقة ويوعز اليها عن المحدث الحق  
 وهو الله عز جلاله البارئ كل مبروء ويمكننا من معرفة تكوين العالم ولا سيما تكوين الانسان  
 ومن معرفة سعادته الاولى وعلة شفاؤه ووهو فساد العالم والطوفان وابتداء الصنائع والام  
 واجترآ الارض وانتشار بني الناس . وحوادث اخرى مهمة جداً لا يبرز لدينا التاريخ  
 الديني عنها نبأ غير خال من التهويش والاضطراب بل يبعثنا على ان نبحث عن  
 مصادرها الحقة في توارخ اخرى فان كان قدم الدين بهمة اهمية خطيرة فان تسلسله

المستطرد استمراراً دون تغيير في كل الاعصار رغمًا عن التواسر يدل على ان بدء الله سنده  
قويمة وفي لم تنزل تقوم بناصح

ولا ريب في ان الدين موطد على تلك الاركان القوية منذ بدء العالم ولا تقوى عليه  
عبادة الاوثان ولا المجد الذي كان يكتسبه من كل الانعام ولا المجائرون الذي كانوا  
يرشقونه بمهام المانت والاضطهاد ولا الكفرة الذين اجهدوا نفوسهم في ان يزيلوه ولا  
العائون الذين لم يكونوا عليه بمؤمنين ولا اخصاء الذين دنسوه باثامهم وجرائهم ولا  
طول الزمان الذي هو التدبير على ازالة الامور البشرية وهو رب العجائب . فكل ذلك لم  
يتمكن من ازالته او فسادِه وان شحذنا الفكرة في التصورات التي يجنبها لدينا هذا الدين  
الذي نحترم قدمه نظراً لموضوعه اي الكائن الاول ونوق انه يفوق كل ما يتصوره  
اولو الافكار ونحزم انه منبعث من لدن العلي وان الله الذي عبد العبرانيون والمسيحيون  
يجل عن ان تضاهيه الالهة الآفكة المختلفة من عدم الكمال ومن النساد التي كان يؤدي  
لها العبادة في سائر الارض . لان الهنا مفرد لانهاية له ومفرد في الكمال ويده المعاقبة على  
المجرم والسيئات وينيب اولي الفضائل لانه وحده عيب الفداسة ويفوق العلة الاولى  
وانه الحرك الاول الذي كان يعرفه الفلاسفة ولا يعبدونه وقد ذهب بعض الى خلاف  
ذلك وهو انه مثل لنا اما اوجد مادة سرمدية تقوم بذاتها مثله وصنعها كالصانع الحفبر  
المتنصر بصنيعه من المادة وكيفياتها التي لم يصنعها دون ان يدرك ان كانت المادة قائمة  
بذاتها لا يمكن لها ان تترصد كالمها من الخارج وان يكن الله غير متناه وكاملاً لم يتعسر  
عليه صنع ما شاء لنفسه ولا زادت الفاتنة سبواً وقدرة فان موسى اله ابائنا كتب عجائبه  
بانه نظم العالم بل صنعه بكالم من مادته وصورته وانه قبل ان ابرز الوجود من العدم  
لم يكن سواه فنقرر لنا انه صانع كل شيء بكمته ولا فرق في ذلك ان كان قد  
صنع كل شيء بمحكمته او انه صنعه بدون تعسف فانه لم يلجئ في ابراز كل ما صنع الا الى  
النصريح بكلمة واحدة وهي ارادته

اما الاننا فيما اننا عكفنا على استقراء تاريخ التكوين فنقول ان موسى انبأنا ان هذا الفاطر  
التدبير الذي لم يكنه صنع المبروات شيئاً شاء ان يصنعها مراراً متعاقبة في ستة ايام ليشعرنا  
انه لم يصنعها كرمًا او بحجة عبياء كما وهم بعض الفلاسفة . ان الشمس تشرق فتلقي على  
الارض اشعتها فجأة دون ان تستمسك ذاتها لكنها الله جل جلاله الذي يفعل كل شيء

بالرصانة والحزم والحرية المطلقة يستعمل قوته حسب ما يشاء ومن دار ما يشاء وكذا انه لما صنع العالم بمحكمته ابدى انه خلقه دون تعب لا يحول دون صنيعه مانع ولما خلقه في مرار متوالية ابدى انه سلطان المادة وعمله ومشروعه وان لافاعته لصنعه الا ارادته المستتمة بذاتها يلوح لنا من نفس علو ان كل شيء لا يشاء الا به وان الثلاثة الذين خالوا ان الارض التي يخامرها الماء وتضافرهما حرارة الشمس يدت بذاتها واثبت بواسطة غضايرها النبات والحيوان زاعجا عن سراط الحق وركبا من الشطط والعثر.

وقد ابان لنا الكتاب المقدس ان العناصر لو لم يهبها الله قوة النشأة يصبغة امره لكانت عقيمة فلو لم يكن الله الذي اعاد المادة اننا قد كَوْن النبات والحيوان بارادته الكمية القدرة ولو لم يفيض لها البذور اللازمة لبتكثرا في الاجيال طرا لما وجنا في الارض والماء والهواء.

فيا العمري ان من يرى النبات ينمو بحرارة الشمس ويولد نباتا تاخذ الرية في مكنه مع ان الكتاب المقدس يعلن لنا ان الارض كانت ملتحقة بالكلا وصوف النبات قبل ان تنشأ الشمس فذلك يبعث على الاعتقاد بان الله منفرد بايداع كل شيء من العدم الى الوجودات.

وقد شاء ذلك الصانع الجليل ان يدع النور قبل ان يحميه في الشمس والكواكب لانه اراد ان يشعرنا ان الثرىن الذين ادبت لها العبادة لم تكن لها في ذاتها مادة شئمة وساطعة بتركبان منها ولا شكل عجب حصرا فيما بعد في.

ثم ان نبأ التكوين الذي نقله موسى الينا يزحج لنا الغشاة عن سر الثلاثة المحبة وذلك ان في الله وحده الائمة والندرة المطابقة وانه وحده لسعيد وحكيم وكفى الندرة وكفى لتسبب يفعل اختياريا كما انه يفعل دون احتياج وان المادة لا تنجبه الى الصنيع ولا تبدي لدبه النباتا كما بل يصنع بها بطلق ارادته لانه هو الذي منحها بارادته جوهر الوجود.

وبما انه متول عليها فنعما ويصنعها ويديرها ويحركها دون عناء وصعوبة ولا شيء الا بتعالي به وان كانت الاشياء متعلقة ببعضها كتنجيب النبات ونموه المتوقف على حرارة الشمس فما ذلك الا لان هذا الاله البارئ الخليفة اراد ان يوثق بعضها ببعض فتبدى حكمته بهذا التسلسل الغريب.

وان ما نخبرنا عنه الكتاب المقدس بشأن تكوين العالم ليس امرا مذكورا بالنسبة

الى ما نبشنا عنه بشأن تكوين الانسان . فان الله فطر كل شيء بامر وسلطانه قائلاً  
 فليكن النور فكان النور ولكن جلد في وسط المياه ولتلم المياه الى محل واحد وليبد  
 اليس ولكن نيرات عظيمة تفصل بين النهار والليل وتنفذ المياه خشاشاً واسماكاً وتخرج  
 الارض حيوانات بحسب اصنافها بيد انه لما وصل الى برء الانسان غير متجه نطفه فان موسى  
 انبأنا انه قال حينئذ فلنصنع الانسان على صورتنا ومثالنا ولا ريب ان هذا الكلام  
 يباين ما نفوه به قبلاً . فان كلمة الانف يدل على السلطة المطلقة وينجم منه ان ما خلق  
 قبل ان فطر الانسان لم يسعد عليه احد لكنه استرق كلمة عند خلقه للانسان فكانه  
 استشار نفسه بشأن ذلك الضنيع ليشعرنا بان ما هو مزعج على برئه يفوق كل ما برآه الى  
 ذاك الحين اهية واستغنائاً . ففوله لنصنع الانسان يدل على ان الله كان بناجي نفسه ومن  
 يصنع مثله وبناجي الذي خلق الانسان على صورته وبناجي من هو ومن نشأ كل  
 شيء به وهو الذي قال في انجيله ان كل ما يصنعه الاب يصنعه الابن ايضاً (١) وفي  
 غضون ما كان يتكلم مع الابن كان بناجي الروح القدس السامي المقدرة المساوي لها في  
 الجوهر والازلية

ولم يعلم من الكتاب المقدس ان احداً تكلم عن نفسه بصيغة الجمع سوى الله تعالت  
 قدرته حيث يقول . لنصنع . وانه جل جلاله لم ينتج على ذلك النمط سوى مرتين في  
 الكتاب المقدس او ثلاث ولم يبد ذلك التعبير منه الا لدى مباشرته برؤ الانسان  
 واذا ما غير الله متجه كلامه بنمط من تصرفه فذلك ليس دليلاً على انه يتغير في ذاته  
 بل يود ان يشعرنا انه عازم على ان يبرز في الاشياء نظاماً مختلفاً حسب آرائه السرمدية  
 وبناء على ذلك فان الانسان المترفع فوق سائر المبروات التي انبأنا عنها موسى  
 الحكيم برز الى الوجود بامر يبعث على الدهشة والحيرة . فان الثالث طفق ببدو لما  
 كوّنت الخلائق الناطقة التي قواها العقلية هي صورة غير كاملة للافعال الازلية ومن ذلك  
 يتبين ان الله مختصاًب في ذاته

اما الاستشارة التي احتفل بها الله فتدل على ان البرية التي عنى برءاً متفردة في  
 ان تبرز افعالاً باختيار وعقل ولا ريب في ان ما خلقه عدا الانسان بذهل القول

عديمة السلطة على الخلائق الجسدية فعكف الشيطان الخناس على تلك الوسيلة وخادع  
ابونا فاهبطها من العزة الى الغرة فسخ له العلي بان يلج جوف الثعبان لان الثعبان  
حرى بان يثمل خبت تلك الروح الشريرة ولم يكن وسيلة لان يشعر منها ابونا لان  
الحيون طرأ بدا امام مقلي آدم في بادى الامر قصد ان يعين لها اسماء لكل  
حسب نوعه ولتودي الرضوخ لذلك الملك العظيم الذي مازة ربة بالرفعة عنها واقامة  
عليها سيدا ولذلك لم تكن الرعة تستولي على فواده لانه طالما كان على تلك الحال  
لم يمكن لحيوان ان يباده بادن مضره

اما الان فلا يذهب عنا ان نعرف ما ناجاه به الشيطان الخنول وما اتاه به من  
الحبث والرياء . ولما كانت الانثى منطرة على الضعة والوهن اخذ بناجي حواء وكان في  
اثاء مكالمات اياها يكالم بعلمها قائلاً لكليها علام صدقك الله من ان تلتهما هاتي الثمن الناضرة  
فان كان برا كما ناطقين فليس من العدل ان تخفى عليكما من علل الكائنات خافية  
واني لاوفن ان هذه الثمرة لا يخامرهما سم زعاق وليست نفسا كما ترهقان لدن اكلمها فالتهمها  
تخل لديكما الغوامض فشدًا عليه في بادى الامر تكبرا ثم طعنا في كبد الرضوخ سهام  
الربة فاعاد عليها الحديث قائلاً كلا الثمرة تزيلا نطق العبودية ونفع لكما جدد  
الحرية وتسميا الهة تستأثران السودد والسعادة ونح عليكما ميازيب المحصافة والحكمة .  
وتعلمنا الخبر والشر اي لا يتواري عنكما من الامور شي فبذلك يطنق العقل بقاوم  
وامر الخالق ويدوس القوانين فرنت حواء الى الثمرة واستطابتها وجذبته اليها الشهوة  
النفسية . ولما كانت عالمة ان الله قد احرز في الانسان النفس والحمد فكرت ان يكون  
قد اناط بالنبات قوي خارقة وحرز في المحسوسات هبات عقلية فاخذت من ذلك  
الثمر واكلت وقدمت من ذلك لبعلمها فاصبح عرضة لكل خطر جسم فان التمزج  
والملاطفة بضعفان التجربة ولهذا اذعن للارب الطاغى فعمي عليه اهن واستولت عليه  
الكبرياء والصلف والملة الباطنية فكل ذلك بعته على ما فعل ولم يكن الا لينقاد  
لمرضاة شهوته وغرته فصاره الثمر فانقلب عبدا للحواس بعد ان كان سيدا

فعند ذلك انقلبت لديه المناظر واصبحت الارض غير بهجة عنك كما كان براها  
اولا اذ لم يكن يتلف منها شيئا الا بعد مقاساة العناء والمتاعب ولم يعد يرى السماء  
صافية نافية . واما نوع الحيوان طرا الذي كان علة ارتياحه ونزوهه فقد بدا لديه هائلا

مرعباً وبعد ان كان صنع العلي كل شيء لامن وسعادته احواله لتعبته والتبرج به  
 واصبح ذلك الرجل يطرح نفسه تحت اوقار العذاب بعد ان كان كل شيء  
 يوده فثارت جواسه ثوره ايقظت فكره وارته في نفسه اشياء تبعث على النجس . واستحالت  
 هيئته الاولى التي برأه بها ربه الى هيئه حمله على ان يجهد النفس باخفافها واصبح منفساً  
 في غرق التريب والحياه وكان يود لو يكون متوارياً مستوراً وشئت عليه رومية خالفه جداً  
 لان الله ذا الحول والطول الذي برأه على مثالو ومثله حواس تسعد عقله وبدا امامه  
 هيئه محسوسة امسى الانسان لا يطيق مرآه ولا الدنو منه بل كان يتمنى ان يتبطن بينه  
 وهاد المفاز رجاء ان يبين وجهه من كان موضوع سعادته وجذله واخذ من ثم ضهره  
 يومية قبل ان نجاه العلي واتى بعذر قضى عليه بالخزي والعار واصبح هدفاً لسهام  
 الردى . ونزع منه اساءه الهلاك واصبح موت نفسه الامارة رمزاً الى موت جسده الواهن  
 وبناء عليه فقد قضى علينا بقضائه فان الله الذي كان في عزمه ان يثيب كل اخلاقه فقد  
 عاقبهم بحريته بعد عنوه وعصيانه ورشقنا طراً من بعدك بسهام الانتقام ولذلك اصبحت  
 ولادتنا مبنية من اصلها على الفساد . وليس من شأننا الان ان نجث عن عدل الاله  
 بقضائه على الفطرة الانسانية بل لا يجوز دون عبادتنا احكامه حائل ولعمري هل يمكن  
 لنا ان نعتبر البشر كافة برذولين كايينا آدم فذلك لا يتبعه عن معرفته احد بل انهم سقطوا  
 من عليهن سقوطاً ابدياً وحرروا الجنة حيث كانت لذائنا

اما نظام العدل الانساني فيترتب عليه اسعادنا على ادراك كنه العدل الالهي  
 وما ذلك الا لانه رمز الى غيراته تعمس عليه ابانة عمق هذه الدركات . ومن المقرر  
 لدينا ان العدل الالهي ورحمته لا يقاسان بالعدل الانساني ورحمته بل لكل عواقب  
 اكثر سعة وتخصيصاً

وفي اثناء اعنات الله عبادته واساعهم ارباباً ووعيداً يثني اعطافهم الى موضوع  
 آخر اعزل لديهم وهو رجاءه في النجاة اعدده البارئ لمبرؤيته منذ سقوطهم فان الله ابان  
 لامنا حواء في انسياب العباب المزور المضاهي لخداع الروح الختول اخلاق عدونا المنقوة  
 وما أعد له من كبير العقاب ولذلك اصبغ الثعبان مرشوقاً بنبال التلي والبغضاء اكثر  
 من اصناف الحيوان اجمع والشيطان ملعوناً اكثر من الخلائق قاطبة وكما ان الثعبان  
 يستمر مناسباً على بطنه فيستمر الشيطان اسفل بعد هبوطه من صهوات العلاء وقبل في



الكتاب المقدس ان الثعبان يقتات تراباً وليس ذلك الا رمزاً الى الافكار الدنسة التي  
يبعثها عليها الشيطان ولا ريب في انه نفسه لا يفكر الا بأشياء دنسة لان افكاره كلها اثم  
وجرائم . وان البغضاء بين الشيطان والنوع الانساني نشعرنا باننا نكون عليه ظافرين  
بزرع مبارك بان يدوس راسه اعني يفتح كبرياءه ويلاشي مصالته عن وجه البسيطة  
وما ذلك الزرع المبارك الا يسوع المسيح ابن مريم البكر ومن المعلوم ان خطيئة آدم  
الاصلية المحنت بنسله اجمع الا يسوع المسيح لانه ولد انساناً بنوع الهي وهو انه لم يجبل به من  
الانسان بل من الروح القدس وبناء عليه فانه بواسطة الزرع الالهي او بواسطة الامراة  
التي حل في احشائها حسب تعبير هذه الاية المتباينة يخف الهلاك الانساني وينزع  
السلطان من الشيطان مالك العالم ليكون له شيء في يسوع المسيح (١) اما  
الجنس البشري فقبل ان يين الله عليه بذلك القادي العظيم فقد انبأه الاخبار المستطيل  
انه مفتقر الى المضافة والاعانة . فترتب عليه امر فجيء وفسدت طباع الانسان وغالى  
في الرذائل والفتاح وانتلات الارض اثناماً وجرائم . فعند ذلك فكر الله في ان ينقم  
منه بامر يتخذ ذكر بين البشر كافة فاجرى عليه ميازيب الطوفان عرمرماً فذهب  
صبت ذلك ما بين نوع الانسان قاطبة ولم يزل الى الان تلهج بذكره الامم وما بعث الله  
عليه من الاثام . فلا يخالف الانسان اذ ذاك ان العالم يسير من تلقاء نفسه وان كل ما  
كان يبقى على ما كان بل ان الله الذي برأ كل شيء والذي لا يكون كل شيء الا قائماً  
بأمره ازمع على ان يفرق نوع الحيوان والانسان وان في نفسه ان يلاشي احسن جزء  
من صناعته .

ولم يكن محتاجاً الا الى قدرته بان يزيل ما صنعه بينت شفة لكنه رأى ان من  
اجل شأنه ان يستقدم خلقاته ذريعة لانتقامه فدعا المياه تنف من الارض المغشاة  
بالذنوب . بيد انه رأى ما بين اولئك رجالاً صدوقاً يستحق النجاة فان الله قبل ان رماه من  
طوفان الماء كان قد رعاه بنعمته من طوفان الخطيئة ورعى عائلته اجمع لتعمر الارض ثانية  
حيث انها امست ان تكون خاوية وانه بواسطة هذا الرجل الصدوق حفظ الله نوع الحيوان  
لكي يعرف الانسان انها صنعت لاجله رجاء ان يستقدمها تحيداً للرب خالفه . ولقد صنع

شيئاً اعظم من ذلك وهو انه اسف جداً على اجراء عدله الصارم بعقابه للانسان الاثم بان لا يبعث اليه مرة اخرى بطوفان غامر وابرم معه ومع سائر الطيور والبهائم (١) عهداً تدل عليه قوس نصيبها في الرقيع فوق الارض وما ذلك الا ليشعر بان عناية تمتد فوق كل ذي حياة. فبدت تلك القوس مشكلة الالوان تخبرها ان تكون في غمام رقيق يحمل ندى لطيفاً غير متخبر ان تكون في غمام لبد يحمل مطراً محساحاً. وذلك دليل على ان الامطار التي تسيل من ميازيب الغمام لا ينشأ منها فيما بعد طوفان جارف. ومنذ ذاك الحين اخذت القوس تبدو في المشاهد السماوية كأنها زينة العرش الالهي حاملة آثار رحمته الصمدية. ومن ثم عاد العالم الى نشأته الاولى وبرزت الارض من غمر المياه ومع ذلك فقد بقي الانتقام لله على ابن الطبيعة اثاراً ليست بزائلة فان الطبيعة كانت منذ البدء الى الطوفان شديدة قوية لكنها الارض بعد ان امأهت عليها السماء وظال مكث المياه عليها ذهبت عنها الغضارة وفسدت ماويتها وتناقلت الالهواء الرطابة وكثر الفساد واخذت احوال الناس تنقلص فان الاعمار الانسانية كانت في ذلك الحين تصل الى الف حول. فاعتراها من ثم التناقص رويداً رويداً من لدن العلي وزايلت الاكلاء والنار تلك القوى الاصلية وافقضى ان يقات الانسان بعد ذلك من لجان الحيوان وبناء على ذلك اخذت الآثار الاولى تصبح عافية الرسيم رويداً رويداً وقد كان ذلك التغيير الطبيعي دليلاً يبعث الانسان على ان يشعر بان الله تغير عليه بالغبط والانتقام اذ تعاظمت آثامه وجرائمه. ولقد جاء في تاريخ شعب الله ان حياة بني الانسان لم تكن في الابتداء غير مأثرة لدى الشعوب بل ان تنالهم القديمة قد ابنت لها في بطن التاريخ ذكراً خالداً وكان الموت الذي يباهه النظرة الانسانية يستلثمهم الى ما يلم بهم من الانتقام السريع ولما كانوا يستمرون كل يوم متسكعين في مهام الآثام آل الامر ان تعينهم العذابات المبرحة. ولا ريب في ان تغيير انقياسهم للتحاني كان يشعرهم بانهم اصبحوا في حالة يومئذ فان قوام امست واهنة جداً كبروا في الوقت نفسه على الهامة واهراق الدماء. وقبل الطوفان كان الغذاء الذي يغتذيه الانسان كآثار حياتهم الساذجة واخلاقم الرضية غار الارضين تساقط لديهم من تلقاء ذاتها. اما الان فلا يطيب لنا الغذاء الا بان نهرق الدماء قسراً

عما ياخذنا لذلك من الهول والدهش وان الوسائط التي تقوم بها قصد تفتية خوان  
الطعام تكاد لا تكني ان توري عما الخبت التي ارقنا دما في سبل اقتياتنا وما ذلك الا  
جزء ما يلزم بنا من الكوارث فان الحبة التي نقلت بعد ان كانت مديكة بادمتها  
المظالم والجور بالنص فان الانسان بعد ان كان في بادي الامر يفر جوة الحيوان  
فقد اغرته العادة بان يسفك دماء ابن طيته وان ما اوصاه به الله ان لا ياكل لحم  
الحيوان بدمه وان لا يريق دماء اولاد جبلته ذهب ادراج الرياح ولم يتم الانسان بحق  
رعابته ولم يوحه الله بذلك الا ليبي له من اخلاقه الاولى ابراً راضياً . ومع ذلك فان  
القتل زاد وفشا وان يكن قاتل حرج صدره على اخيه هائل قبل الطوفان فاجرى  
دمه على الارض صيباً ولا مك من اخلاف قاتل هو ثاني من اجترأ على ان يريق مثله  
الدماء ويمكن لنا ان نفترض ان غيرها قد افنت اثرها السيئ فان الحرب كانت وقشور  
في عدم بخت لا ينهات على احراها العالمون . فنشأ بعد الطوفان فقط جبابرة يعثون  
في البلاد ويخرقون الدساكر يدعون فاتحين ثم ولاء اغرام الهيام بنحو السوودد والجد بان  
يناصبوا الابرار ويبعدوا منهم عدداً كبيراً فنشأ من اخلاف حام الخزى من ابيه (١)  
رجل ملعون يقال له نمروود سؤلت له النفس الامارة على ان يشيد له مملكة فغالوا من  
ذاك الحين في الثمرات واخذت المطامع النسبة تلعب بالحيوة البشرية لا تشهم عن  
المناسد شكيمة فطنوا بتقاتلون ويتساورون بغياً وعداء واصبح من اعز الننون واساما  
ان يتفانوا ويحعلوا هياكل الاجسام عظماً رعباً . وبعد ان مضى على الطوفان نحو من  
ماية سنة سخط الله على بني الانسان وضربهم ببلية كبرى هي بلية الألسن ولوليت اللغة  
التي عليها آدم لاولاده وتدولتها السنة الاقدمين عامة بعد ان نشعت اولاد نوح وهاموا  
على وجوههم في شوايح الارض لكنت وثاقاً متيناً ترتبط به الالنة الاجتماعية يد انها قد  
اعتراها الاضمحلال وعشت بها ايدي الملاشاة لدن اقامة البرج في بابل ولا فرق في  
ذلك ان كان اولاد ادم الجاحشون لم يتفانوا بمواعيد الرب التي يعنى منها ان الطوفان  
لن يفرهم مرة اخرى فاخذوا بينون لم لجأ شامخاً بلودون به وقت النازلة محصنين  
وانهم قصدوا ان يخلدوا لم ذكرنا بيناته قبل ان تلعب بهم ايدي سبائ مشغنين

وذلك ما يدل عليه سفر التكوين فاحبط العلي<sup>١</sup> سعيهم بان صدقهم عن تشييد ذلك البرج الباذخ آملين ان تنطح شرفته روق الغمام فواقع بينهم الشقاق والاضطراب ضارباً بينهم وبين لغتهم السجاف الاولى المستور فتناست عندهم ومن ثم اخذوا يجتثون الى امر وقبائل واخذت تنوع بينهم اللغات ودل على الوسوسة التي نعى من البلبة برج بابل الدال على الاضطراب وليس ذلك الا كاتنقام خالد من القطرة الانسانية على ان الكبرياء في مصدر الانقسام والبلبة بين البشر. فذلك ما كان بدء العالم كما يستفاد من تاريخ موسى فكان ذلك الابداء في بادى الامر سعياً ثم تشوه بالمشاق والكوارث المحارقة. فان استلقتنا الانظار الى كيفية برئه بالنظر الى بارئه القدير نراه عجيباً عربياً وهذا البدء يستمر كما نعلمه عند التبصر فيه معتبرين ان الجنس البشري لا يزال في قبضة الخالق الذي انشأه من العدم المحض بمجرد كلمته ورعاه بصلاحه وساه بحكمته وعاقبه بقسطاس عدله وانفذ برحمته وهو لم يزل راضخاً لسلطانه. وليس العالم كما زعم بعض الفلاسفة انه مؤلف من كتل تلاقت ببعضها على سبيل الاتفاق وليس كما زعم بعض من هم احصف منهم وهو ان المادة كانت منذ الازل فتلفتها خالق الكون فاصبح حينئذ امركان المكون لا يتعلق بالخالق نظراً لجوهر الوجود او نظراً للحال الاولى لكنه قيد لها نواميس ليس بوسعها ان يناقضها.

لكن موسى والاباء الاقدمين الذين روى لنا عنهم النبأ الاكيد يشئون لنا بذلك آراءً سديدة وفي ان الاله الذي يستلقتنا اليه التكليم قابض على سلطان اخر عظيم وفي وسعه ان يبرم ويزيل مثلما يشاء ويقبض للطبيعة نواميس يقوضها متى اراد. ولما نساء اكثر بني الانسان اراد ان يبدولديهم فاخذ من ثم ييدي الاعاجيب المرهبة فالجأ الطبيعة الى ان تزايل نواميسها الثابتة ولدن ذلك طفق يبين انه هو السلطان المطلق الذي يبدى وحده ان يحفظ وثاق النظام في العالم.

ولا ريب في ان بني الانسان نسوا خالقهم لان ثبات ذلك النظام العظيم لم يكن ضاحكاً الا ليقنعهم انه خالد من تلقاء ذاته وذلك ما حملهم على ان يعبدوا العالم طراً او النجوم والعناصر او كل الاجرام التي يتألف منها. فلما اراد الله ان في بعض ظروف مهمة تنض ذلك النظام ابدى جودة عظمى فلم يكونوا اذ ذاك يعجبون او يندعشون من ذاك النظام لانهم كانوا قد القوه بل انه كان بيعتهم على ان يوهوا لكثرة غرهم وعمه

بصائرهم ان الابدية والاستقلال خارجان عن الله  
وتاريخ شعب الله المثبت بتسلسله وبصلاح اولئك الذين كتبوه او باستقامة اولئك  
الذين رعوهم من الغائلة باعنائهم عظيم بذكر تلك العجائب صريحاً ويبيدي لنا سلطان  
الخالق المطلق على كل مخلوقاته سواء كان قد اخضعها لنواميس الطبيعة او يوهبها لاني  
تكون مهابة للروض لنواميس غيرها اذا آل الامر ان ينذر عباده النائمين في الضلالة  
بأعمال غريبة

فذلك هو الاله الذي ببشنا عنه موسى وهو الاله الفرد الضمد الذي يحق ان يعبد  
عبدك من قبل موسى الآباء وهو الاله ابراهيم واسحق ويعقوب فشاء ابونا ابراهيم ان يقدم له ابنته  
الوحيد قرباناً وكان ملكيصادق المرموز به الى المسيح كاهناً له وقدم له نوح لدن خروجه  
من السفينة معوقات واعترف به هايل الصدوق اذ قدم له اعز شيء لهديه وخلف الله  
على آدم بعد هايل بشيت واظهر آدم عينه لبنوه اذ اخرجهم من بين يديه وانه هو وحده  
الذي يرفع عن عوانتي ذريته ائثال المشاق المبرحة  
فيا لله من فلسفة عظمى تبعثنا على ان نشك على علة وجودنا وباله من تقليد عظيم  
يرعى لنا ذكر هذه الصنائع العجيبة وباله من شعب ذي بر وقداسته هو شعب الله الذي  
يتسلسل تسلسلاً غير منفصل من بدء العالم الى ايماننا هذه ويحفظ دائماً هذا التقليد وهذه  
الفلسفة المقدسة

## الفصل الثاني

### في الكلام عن ابراهيم والآباء

سيدي . لا يخفى عليك ان شعب الله كان في عهد هذا الاب الصديق في رعاية  
نظامية ولذلك لا يندبني ان اضرب عن التبيان عنه لديك فاقول . ان ابراهيم ولد  
سنة الثلاثمائة والخمسين بعد الطوفان حين كانت حيوة بني الانسان مديكة وان كانت  
وقته قد تقلصت فان نوح استعز به الله في مقربة من لثة ابراهيم وكان ابنه سام في ربيع  
حياته فنقض ابراهيم معه في لثة الحيوة اعواماً كثيرة  
فيا سيدي ان حانت منك الثغاة البصرة الى ذلك العالم الحديث الذي كان

وفتقد كانه مبدل بماء الطوفان تر عجيبياً. ولا سيما لما كان بنو الانسان القريبين بهذا  
 المندار من بداءة الامور لا يفتقرون الى معرفه وحكمة الله وما يفرض عليهم من القيام  
 بخدمة. يعرفوا التقاليد التي حفظت منذ آدم ونوح الى ذاك الوقت الذي هو  
 وشيك من الاصل جداً. فضلاً عن ذلك فقد كان ذلك التقليد من الامور التي  
 لا يفهم عليها العقل كثيراً بنوع ان تلك الحقيقة البينة لم تكن على شرف التناسي بين البشر  
 وليست حال الدين على ذلك المتوال الى عهد ابراهيم اذ لم يكن بنو الانسان مفتقرين  
 الى معرفة الرب الا بان تدلم على ذلك عقولهم وذاكرتهم بيد ان العقل كان ضعيفاً يعرفه  
 فساد واختلال. وكلما كان البشر يتفادون عن الاشياء الاولى كانت تتوسوس  
 تصوراتهم التي تلففوها من آباءهم فحق الاولاد متبردين وتزق عنهم شعار الاداب وابوا  
 ان يدعوا لكلام اجدادهم المعمرين اعواماً وليكثر مغالاهم بعد كل هذه الاجيال في  
 تلك الاخلاق الخسنة واشكوا ان لا يعرفهم. واصبح الجنس البشري منحطاً عن المدارك  
 العقلية يخط في مهامه الخسنة والبعيية وازمع على ان لا يعبد الا ما تستقر عليه حاسة  
 البصر ولذلك فشيت عبادة الاوثان في اقاصي الارض

واما الروح الشريف الذي اطفى الانسان الاول فكان يجني ثمر خداعه ويشاهد  
 غوائل كلامه لما قال لادم وحوا انكما تصيران من الالهة ومن حين تقوى بذلك الحديث  
 معها فكر في نفسه انه سيدب التهويش والاضطراب في فواد الانسان ويجعله ينج  
 تصوره بالله بتصوره مخلوقاته عازماً على ان يجتري اسمه القدوس الذي هو محصور في  
 عزته الالهية فركب بذلك متن الفلاح وليت البشر اللعانيون الدمويون يتصورون في  
 الله تصوراً مبهياً وهذا التصور ثبت بقوة الخاصة. بيد انه لما امتزج بالتصورات  
 المتباينة من المشاعر عكف البشر على ان يعبدوا كل ما فيه قدرة وقوة ولذلك اصبحت  
 الشمس والنجوم التي تظهر قوتها عن بعد والنار والعناصر التي منافعها عامة من الامور  
 الاولى التي تحقق لها العبادة العامة من البشر كافة ثم الملوك العظام والجبابرة الفاتحون الذين  
 كانوا اصحاب جرأة وصولة. ثم الذين اخترعوا اشياء مهمة للطائفة البشرية امسوا من  
 الذين اديت لهم الكرامة الالهية وعوقب البشر بخضوعهم لحواسهم وامست تلك الحواس  
 فيصل حق في كل الامور ولم يمكن للعقل ان يصدها عن صنع الالهة التي اديت عبادتها  
 في جميع الارض

فلما بدا الانسان حيثنذر فاصباً عن وضع نظامه الاول ولكن اصيبت فيه صورة  
الله فاسدة . فليت شعري هل من العدل ان يقال ان الله برأه في تلك الاميال البينة  
التي كانت على وشك الازدياد يوماً بعد يوم وذلك الميل الغريب قد حمله على ان  
يعتاض عن عبادة مولاة الطبيعي بعبادة كل ما تراه مثله فلهذا لا يدل يسوع  
جلي على ان بدا غريبة لعبت بعقل الانسان فافسد كل ما صنع الرب حتى لم يبق  
لذلك الا آثار قليلة فعلم الانسان بصيرة ونه في ليل الضلالة مغروراً في عبادة  
الوثان ولم يكن في ذلك الوقت شيء يصدفه عن ذلك فما الشرفشا وكاد يخيم على  
قاطبة البسطة . ولما فكر المهيمن المتعال انه ان لم يبعث اليه بدواء شاف يند في الارض  
طراً وتختفي عن عقول البشر معرفة الله دعا عبده ابراهيم وقبض له ولعلته عبادته وامره  
ان يحافظ على الاعتقاد القديم في تكوين العالم وفي العناية الخاصة التي يسوس بها  
الرب الامور البشرية . وذهب صيته في اقاصي الشرق ولم يكن العبرانيون وخدم  
يتخذونه ابا لهم بل الادوميون ايضاً وقد كانوا يتفاخرون بانهم من اخلافه . وقد عرف  
اسماعيل عند العرب ان اصلهم واسمهم الخنثانة عندهم دليلاً على اصلهم ولم يكونوا  
يحتسبون في اليوم الثامن من ميلاد الطفل حسب عادة اليهود بل في السنة الثالثة عشرة  
استناداً على ما علمناه من الكتاب المقدس عن اسمعيل ابيهم وليست هذه العادة محفوظة  
عند الحمديين . وشعوب اخرى عربية يذكرون ابراهيم وامراته قطورة وهؤلاء هم الشعوب  
الذين يعزوم الكتاب المقدس الى هذه النسل وكان ذلك الاب كلداني المولد ونبي  
هؤلاء الشعوب في معرفة الارصاد الفلكية وكانوا يثنون بان ابراهيم له الباع الاطول  
في فن التنجيم وقد زعم المؤرخون السوريون انه استولى على العرش ملكاً في دمشق وانه  
اتى من انحاء بابل وبيتون انه غادر مملكة دمشق ليسكن بلاد كنعان التي دعيت فيما  
بعد يهودية . لكننا الاجدر بك ياسيدي ان تثق بما ينقله عنه تاريخ شعب الله وقد اسلمنا  
ان ابراهيم كان عائشاً عيشة الاقدمين قبل ان اجتزا العالم الى ممالك وقد كانت له  
السلطة على اهل الذين كان عائشاً معهم عيشة رعائية مشهورة بالسذاجة والبر وكان  
متراباً يملك من الموائمي والعبدان والفضة شيئاً كثيراً ولكن لم يملك شيئاً من الاقاليم  
وفسح الارض . ومع هذا وان كان في مملكة غربية فقد كان محترماً ومسنناً باله  
عائشاً عيشة الملوك وما ذلك الا لان يد الله كانت تقوم بناصره وتقرب اليه المكربة من

ناظره نظراً لما كان عليه من طيب السرية ونزاهة النفس وكان يوافي الملوك الذين  
 يرومون اخاءه فشاخ من ثمائه كان ملكاً . وقد أجمع الحرب مراراً قسراً عن سذاجة عيشته  
 وجنوحه الى الصلح ولم يحرب الحرب احياناً الا ليدافع عن المظلومين الذين كانوا يواخونه  
 فاخذ بنارهم ظافراً ظفراً عجيماً ووهبهم اموالهم التي انتزعها من اعدائهم ولم يبق في يده  
 منها الا العشر الذي قرب به الله وقسماً جازي به الذين جاهدوا معه في ساحة القتال ومع  
 هذا كله فلم تحزل يده هدايا الملوك قبولاً ولم يتالك ان يرى احداً يزعم انه جعل ابراهيم  
 غنياً ولم يشأ ان يكون مديوناً لغير الله الذي كان يقوم بناصروه ولذلك كان يحفظ له في  
 صدره ايماناً حياً ويؤدي له رضوخاً تاماً . وما يدل على امانته انه نزع من ارض ابيه  
 ليأتي مهاجراً الى الارض التي اعدّها له الرب ودعاه اليها ولما رآه اهلاً لان يبرم معه  
 عهداً عند معاهدة موثوقة بشروط واعلن له انه سيكون الله واله اخلافه اي يستمر  
 قائماً بناصرهم وهم يعبدونه الها مفرداً فاطر السموات والارض ووعده بارض هي ارض  
 كنعان لتكون مركزاً للذين وموطناً سرمدياً له ولاخلافه طراً . ولم يكن لابراهيم في  
 بادىء الامر اولاد لان امراته سارة كانت عاقراً فنسم الله بسرمدية وجوهر ذاته انه بمن  
 عليه من امراته العاقرة نكاثراً كنجوم السماء ورمال البحر . وام ما يذكر هو ان  
 كل الشعوب الذين كانوا جانحين عن طريق الحق يعبدون الاوثان او عزاليه عنهم  
 انهم سيتباركون به وينسلوا اي يزددون الى معرفة الله التي لا بركة الا بها . فلذلك اصبح  
 ابراهيم ابا لكل المؤمنين واختار الله ذريته لتكون مصدراً تنبعث منها البركة المزمعة ان تمتد  
 في اقاصي الارض وهذا الوعد يحوي مجيء المسيح الذي تنبأ عنه اباؤنا بانه يكون مزمعاً ان  
 يأتي من نسله وان يكون منتزاعاً من لجة الآثام كل عابدي الاوثان وسائر شعوب الارض  
 ولهذا اصبح هذا الزرع المبارك الذي وعدت به حواء زرع ابراهيم وابيه . فهذا هو ركن  
 الميعاد وعماذه والشروط التي ابرمها الله مع ابراهيم . واقتبل نعمة هذا الميعاد في  
 الخيانة التي يتج منها ان هذا الاب الصالح بناط هو وعائلته بالله . ولما اخذ الرب يبارك  
 ذرية ابراهيم لم يكن له اولاد وغادره الله بدون بنين من الاعوام كثيراً . ومن ثم ولد له ولد  
 دعاه اسماعيل وكان موهلاً لان يكون ابا لشعوب عظيمة غير الشعب المصطفى الذي  
 وعد به العلي اياه ابراهيم . بل ان هذا الشعب يخرج منه ومن امراته سارة التي كانت  
 عاقراً . وبعد ان تقادمت على ولادة اسماعيل ثلاث عشرة سنة ولد لابراهيم ولد دعاه



اسحق اي الصالح او ابن المشاة وابن المجزات والمواعيد وتبين من ولادته ان اولاد الله  
الاحياء يلدون بالنعمة

ولما ترعرع اسحق وزادت نشأته ورجا ابوه ان يرى منه اولاداً امتحن الله مصداق  
ايمان ابراهيم فامر ان يسرع به الى ذروة جبل عينة له كي يذبحه ثم تقدمه للرب . فرجع  
ابراهيم للامرو فاد ابنه الذي وعده به العلي ابن المسح وشعوباً كثيرة تنشأ منه ولما رفع  
الجارية فوق نخع واصبح الوليد علي وشك الزهوق ناداه العلي من العلاء ان ارفع اليد  
عنه عتقاً حينئذ رضوخ الولد وايه . ولم يعنها بعد ذلك بشغل الامتحان واصبحا كرمز  
الي يسوع المسيح بتقدمه ذبيحة لله وقد ذابت نفساها مرارة صليبه واستحقاً ان يصبر من  
اجياده ولما راي الله ان ابراهيم ثابت الامة انجز له كل مواعيد وبارك عائلته وبها كل  
ام الارض ولا ريب في ان الله واظب على الدفاع عن اسحق بن ابراهيم وعن حديق  
يعقوب وكلاهما تسنبا باعمال ابراهيم وتخاذله فموزجاً لها واستمسكاً بالاعتقاد القديم والعيشة  
الرعائية ونظام العالم القديم وهوان كل ابا عائلة كان يباط بعدته سياسة عائلته . ولم يكن  
القلب الذي كان ينشأ بين البشر ذريعة لتغيير الاثار القديمة في الدين وسلوك ابراهيم  
واولاده .

وبناء عليه اعاد الرب لاسحاق ويعقوب المواعيد التي وعد بها ابراهيم وزيادة على  
ان شاء اولاً ان يدعى باله ابراهيم فتد رغب في ان يلقب ايضاً باله اسحق ويعقوب  
فعلق هؤلاء الثلاثة ينطون بلاد كعبان تحت رعاية الرب ولكنهم كانوا في تلك  
الارض غرباء محايج لا يملكون من اجزائها شيئاً . ولما نظور يعقوب جوعاً هاجر الى  
ارض مصر فمنا هنالك نسله واصبحوا كما قال الرب جيشاً كبيراً . ومع ذلك ولو ان  
الشعب الذي ادخله الرب في معاده اقتضى ان ينمو نسله وتنتفي البركة النسل فلم  
يتقاع هذا الاله العظيم عن ان يتغير البعض منهم مخلصاً ايام بعمته . وبيان ذلك هو انه  
بعد ان اصطفى ابراهيم من بين الامم تخير من اولاده اسحاق ومن توامي اسحق يعقوب الذي  
دعاه فيما بعد اسرائيل .

ولقد فضل يعقوب على عيسو بالبركة الرسمية التي نالها من اسحق ومن المثير ان  
هذه البركة التي حازها يعقوب في بادي الامر اختلاصاً قد كانت بعناية صمدية لان هذا  
العمل الرمزي كان قد تأهب يسر الهى منذ كان الاخوان مستقرين في احشاء رفنا

لأنها كانت وقتئذٍ تشعر بتراعٍ عظيمٍ في بطنها فصرعت لله طالبةً من لدنه إيضاح ذلك فاجابها ان في احشائك شعبين أكبرها يهودي للاصغر رضوخًا . وقد تمت هذه النبوة بان ترك عيسو لشقيقه حقوق البكورية وصدق له على ذلك بيمين ولما باركه استحق اناط بيمينه هذه الحقوق التي من الرب نفسه عليها . اما تفضيل الاسرائيليين اولاد يعقوب على الادوميين اولاد عيسو فقد ثبت بهذا العمل الذي يدل ايضًا على تفضيل الوثنيين المدعوين حديثًا للميعاد يسوع المسيح على الشعب القديم

ولقد كان ليعقوب اثنا عشر ابنًا اصبحوا اثني عشر أبًا اصل الاثني عشر سبطًا ولقد كانوا برمتهم موهبين للدخول في العهد . واما يهوذا فقد اصطفى من بين اخوته قصد ان يكون أبًا للملك الشعب المصطفى وأبًا للمسيح الذي وعده آباؤه ومن الامور المفررة ان عشرة اسباط قد غالوا في الثروات والجمد فصلوا عن شعب الله . وان ذرية ابراهيم لم تستمر راعية البركة القديمة ابي الديانة وارض كنعان والرجا الوطيد في مأتى المسيح الا ان سبط يهوذا وحده تلقب باسمه جميع الاسرائيليين فدعوا يهودًا واصبحت البلاد التي يقطنونها يقال لها يهودية وبناءً على ذلك فقد كان الانتخاب الالهي يبدو دائمًا عينه في ذلك الشعب الجسداني الذي كان مزعمًا ان يستمر بواسطة التناسل الاعنيادي . فلما كان يعقوب على وشك الموت واولاد يكتشفونه طالين البركة منه رأى بالروح سر ذلك الانتخاب فابان له الرب حالة الاثني عشر سبطًا كيف تكون بعد ان يقطنون ارض الميعاد فوضحها بكلام موجز يتضمن اسرارًا لا تحصى .

فلما اخذ يئاجي اخوة يهوذا الى بفصاحه نشك العقول وتخبر الالباب وتبين انه خارج عن ذاته ولما انتقل بالحديث الى يهوذا ترفع الى مثابة اعلى فقال . يهوذا اياك يحمداً اخوتك . يدك على قذل اعدائك يسجد لك بنو ايلك يهوذا شيل أسد . من فريسة صعدت يا بني حتم وربض كأسد وكبوة فمن ذا ينجمه . لا يزول صولجان ( أي السلطة ) من يهوذا ومشرع من صلبه حتى ياتي شيلو وتطيعه الشعوب . وقد روي في نسخة من الكتاب ليست اقدم من النسخة التي اخذنا عنها انه قال كلامًا زيادة عما ذكرنا وهو حتى ياتي من حفظ كل شيء لاجل . وسائر النبوة منوطة بالخال التي يقطنها سبط يهوذا في الاراضي المقدسة واما الكلام الاخير الذي اوردناه فلا يدل في كل الوجه الا على الذي ياتي من لدن العلي خادماً لارادته ومفسرها ومخبراً لمواعيده

ومنها للشعب الجديد وهو يسوع المسيح أي مسموح من الله .

وأما يعقوب فلم يتكلم عنه بصراحة ووضوح إلا بهذا لأن المسيح موهل لأن بلد منه ولم يكن إيعازة إلى يهوذا وحده بل إلى كل الأمم التي انحازت أسباطها إلى سبطه بعد أن لعبت بهم أيدي التفريق . وكل الالتفات النبوية في غاية الصراحة والوضوح وليس فيها إلا لفظة صولجان فأنما على اصطلاح لغتنا علامة للملك فقط وعلى اصطلاح اللغة المقدسة تدل على السلطة والسلطان والنضاء وقد توجد هذه الاستعارة في كل سفر من الكتاب المقدس وقد بدت في إبانة وجلاء في نبوة يعقوب وكانت ما رب هذا الأب الصدوق أن يقول أن في أيام المسيح كل سلطة تزول في بيت يهوذا وذلك دليل على أن تصير مملكة برمتها قاعاً صافئاً .

وبيناً لذلك أن مآتي المسيح ينشأ إلى مجادئين عظميين وهما أن مملكة يهوذا والشعب اليهودي يندثران اندثاراً كبيراً وأن مملكة كبرى تنألف من كل الشعوب ترشح لنضاء المسيح وهو يكون ملكاً عليهم ومنتهاى أوطارهم وآمالهم . أما شعب يهوذا فلم يعثر عليه في الكتاب المقدس إلا في صيغة الأفراد أكونه شعب الله وإذا عثرت بإسدي على تلك اللفظة في بعض المحال مجبوعة أي الشعوب فالذين معتادون على قراءة هذا الكتاب المقدس يفهمونها غير الشعب اليهودي وهؤلاء الشعوب نراهم موعودين بالمسيح حسب نبوة يعقوب . وهذه النبوة العظيمة تتضمن بأوجز الفاظ كل تاريخ شعب يهوذا أو تاريخ المسيح الذي وعده وتدل على كل تسلسل شعب الله ولم تزل عاقبة ذلك في حيز الوجود . وبناءً عليه فليس من المنفذي أن أهمك لديك في إيضاحها لأنك تحصل عليها دون نصب وكد وليس عليك إلا أن تلاحظ تاريخ شعب الله وتفهم معنى هذه النبوة إذ ينفع لديك جلها بما تنبئك عنه الحوادث

## الفصل الثالث

في موسى والشريعة المكتوبة ودخول شعب الله إلى أرض الميعاد

بعد أن مات يعقوب مكث شعب الله في مصر إلى حين إرساله موسى أي نحو أربع مائتي سنة وعلى هذا مضي نحو أربع مائة وثلاثين سنة قبل أن من الله على شعبه بالأرض

التي وعدهم بها . وقد وُدَّ أن يعود مختاربه على الثقة بكلامه ويخففوا أن لا بدَّ من ثمة ذلك في الوقت المعين من حكمته السرمديّة

وكانت آثام الامور بين الذين اراد ان يهيم اراضيهم وغنائمهم غير كاملة . وذلك كما اوعز عنها لابراهيم اذ كان منتظراً ان يتقم منهم دون شفقة ورحمة بايدي شعبه المختار وقد آل الامر ان يفسح لهذا الشعب الزمن لكي يتكاثروا وينعموا الارض المهيأة لهم ويحملوا فيها عبوة ويرضوا فيها قاطنيتها الذين لعنهم الرب

وقد اراد ان ينجسوا في مصر ائثال الاسترقاق وما ذلك الا لكي يحول منهم عند نوال الحرية بنجاستهم بمجزات غريبة وتجمع قلوبهم على محبة الله ويبشرون رحمته الى الابد فمن هي مآرب العلي وقد اندرنا بها ليحضنا على ان نخافه ونعبده ونودّه ونستنظره بالامانة والصبر .

ولما جاء الوقت سمع جوار اولاده واستنصر اخيم فاعز الى موسى ان اذهب الى مصر وملص اولادي من وثاق العبودية .

فبدا الله امام هذا الرجل العظيم بطريقة لم يبدُ بها لغبره من قبله فظلمه بنوع يدلُّ من جهة على العظمة والجلال ومن اخرى على السلوان والامال . واوعز اليه انه هو الذي هو وان كل ماسواه ليس سوى شبح وقال له انا هو الكائن (اي ان الوجود والكمال يختصان به تعالى وحده) وتخذ اسماً جديداً يدلُّ على الحيوة والوجود كانه لما مصدر . وهذا الاسم العظيم المرهب السري لا يمكن ان يشترك به واراد ان تكون عبادته متينة به . وليس من مآربي ان ازيدك علماً برزايا مصر وقسوة قلب فرعون وعبور البحر الاحمر والغمام والبوق المائت والرعدة الهائلة التي تراءت لشعب الله على ذروة جبل سينا حيث كتب الله على لوحين من حجارة بيده وصايا الدين والالفة الاجتماعية الاساسية ونص ما تبقى على موسى بصوت جهوري . ورغبة في ان تكون هذه السنة مرعية تماماً امر الرب موسى ان يولف جمعية ذات حرمة تنضوي على سبعين مشيراً وتدعى مجلس ندوة لشعب الله او مجلس شورى الامة المستقر فبدا الله جهراً وامر ان تنتشر سته بحضوره وذلك باظهار عزته وقدرته بنوع عجيب . ولم يكن الرب قد ابرز الى ذاك الحين شيئاً خطاً ليكون للبشر دستوراً بل ان اخلاف ابراهيم كان مفروضاً عليهم ان يخشوا محنتين بذلك اشعاراً بالمعاد الذي امنن عقد الرب مع هذه الامم المصطفاة . وكانت هذه العلامة

نعمهم على ان ينزلوا عن سائر الامم الذين يومدون للالهة الكذبة رضوخاً وعبادة.  
 وفضلاً عن ذلك فانهم كانوا لا ينامون عن ان يحرسوا على حرمة المعابد لانهم كانوا  
 يزدكرون ما وعده الرب آبائهم وكانوا يعتقدون انهم مندوبون ان يستمروا شعباً يعبد  
 اله ابراهيم واسحق ويعقوب كأن الله اصبح منسياً. فانقضى ان يعرف باضافته الى اسماء الذين  
 كانوا يعبدونه اذ كان عنهم لائذاً ومعامياً.

ولم يكن من مشيتهم ان يبيط بخلاف طريق الانسان اسرار الدين والمعابد فند خان  
 الزمان الذي فيه ان يوقف امتداد الاصنام التي امتدت بين الجنس البشري  
 وكانت تكاد تلاشي ما تبقى من النور الطبيعي.

ولا ريب ان الضلالة في ايام ابراهيم كانت خافضة اليهود وبعد ان استأثرت بروحمة  
 ربها هذا الناس يعرفون الله في فلسطين ومصر فان ملكي صادق ملك سيلم استمر يمارس  
 الكهانة لله الذي فطر السماء والارض (١). وابيالك ملك جبرار وخليفته المسي باسمه  
 كانا يخدمان الله ويخلصان باسمه الندوس ويعتبران من معظم قوته. وكان فرعون ملك  
 مصر تاخته الرعدة من وعيد الله الرهيب. اما في عصر موسى فقد تماهت تلك الامة على  
 على الفساد واصبح الله العلي في مصر منسياً غير معروفه انه اله الشعوب طرّاً بل انه اله  
 العبرانيين وكان الناس هناك يعبدون كل شيء حتى نوع الحيوان وخيشاش الارض.  
 وكل ما ترى نواظركم على الارض كانوا يدعونها الهام فغداً والحالة هذه العالم الذي فطره الله من  
 العدم البحث هيكلًا للآوثان فعلى النوع الانساني في فباقي البطل والاعتساف حتى اصبح  
 يومدي العبادة لما تبعته عليه الشمس الامارة من الفبايح والمكرات ولا غرو من ذلك  
 فان الانسان كان يخال ان كل قوة لا يحصى منها ولا مناص لأبد من ان تكون الهام  
 فذلك راى ان قوة شهوة التي تبعته على الطيش عبداً وقسراً تزيله كل المزايلة فتخذها  
 الهامه لانها تجذبه الى الفحشاء وموعار من شكية تنبئ عن مهازي ذاك الضلال. فاقام  
 هياكل شتى واسمى للفبايح التي تائف منها النفوس الالية دخل في تقدمه الذرايين

ومع هذا كله فقد دخلت النسوة في الدين فانه بعد ان اجرم اضطرب باله فظن  
 ان الله العلي من الداعدائ ففكر انه لا يمكن له ان يسترضيه بذبايح اعتيادية فاجترأ بفتح

الفكر ان يسلك دم ابناء نوعه ويقرنه بدم اليهايم ذبيحة . ولما استولت عليه الخواف فاعمت  
 بصيرته توصل الالباء الى ان يقدموا ولدانهم محرقات للالهة بدلاً من الخجور فشاع ذلك  
 في عهد موسى وكان جزءا من اجرام الامور بين الذين وكل الله امر اعنائهم الى الاسرائيليين .  
 بيد ان هذه المنكرات لم يكن الاموريون يرتكبونها وحدهم بل ان بني الانسان طراً كانوا  
 يقدمون للالهة بعضهم ذبائح ولم يحل صنع من فسيح الارض الا بدت فيه تلك الالهة  
 التي اوجب بعضها للنوع الانساني ان يقدم لها القرابين البشرية . وتوغل الانسان في  
 الخشونة والجهالة حتى انه توصل الى ان يعبد كل ما تصنع يده وفكره يصنع في الغائب  
 روحاً الهية . واصلته الغياوة الى ان ينسى ان الله هو الذي صنعه متوهماً انه قادر ان يصنع  
 الله . ولو لم يكن الاختبار ابدى لنا ان الضلال مرسوخ في سجة الانسان وغير قابل  
 للتعليم لشد عليه نكير . وبناء عليه فلا شيء يصدرنا عن الحكم بان النوع الانساني يستاهل  
 الخزي فان اول الخفائض التي يدل عليها الكون والتي ليس لتلقا تأثيرها مضاهاة امست  
 قاصبة عن ناظرته كثير . وان التقليد الذي لبث مستظمر كان على وشك الاضمحلال  
 واستكنت في ميثاق خرافات حجة مفعة من الكفر والبه . ولما راي الله ان قد حان الان  
 اذ اذهان البشر لم تكن نعي الحقيقة ارتأى ان يجعلها مرعية كتابة وامل ان ينهذب شعبه  
 بالنضائل بواسطة نواويس كثيرة خاصة عكف على ان ينصها خطأ . ودعا موسى لهذا  
 العمل فجمع هذا الرجل البر تاريخ الاجيال الماضية اي تاريخ آدم ونوح وابراهيم واسحق  
 ويعقوب ويوسف او بالاحرى انه جمع تاريخ الرب وصنعه العجيبة . ولم يوجه الامر  
 ليبحث بعيداً عن تقاليد اجداده السابقين لانه ولد بعد موت يعقوب بنحو من مائة سنة  
 وان مشايخ عصره امكن لهم ان يكونوا سنوات حجة مع ذلك الاب الصدوق . وقد كان  
 ذكر يوسف حياً وان العجائب التي كان الرب قد صنعها عن يد وزير ملوك مصر  
 العظيم كانت لا تزال اذ ذاك وان حبة ثلاثة او اربعة انفار كانت متصلة بنوح  
 الذي شاهد اولاد آدم فكان اذ ذاك يشهد بداعة الاشياء وبناء عليه كانت تقاليد  
 النوع الانساني القديمة وتقاليد عائلة ابراهيم سهلة الائتلاف لان ذكرها كانت وقتئذ لا تزال  
 حية ولا غرو ان رايانا احبانا موسى يتكلم في سفر التكوين عن كل ما حدث آنفاً في  
 الاجيال الغابرة مثلاً . يتكلم عن اشياء مستمرة كانت مفررة اذ تبنى منها آثار مهمة لدى  
 الامم المجاورة وفي ارض كنعان

ولما كان ابراهيم واحق ويعتوب قد قضوا تلك الارض اقام كل منهم فيها اثاراً  
تدل على كل ما حدث لهم وقد استمرت الى عصر موسى المنازل التي فيها والآبار التي  
احضروها في تلك المنازل لتستفي منها عيالهم ومواسمهم . وقد عرفت الاطواد الرواح التي  
تراسى لهم الله عليها فقدموا له ثمة محرفات والحجارة التي اقاموها او كرسوها لتكون اثاراً  
تذكرها الاجيال التالية والاجداث التي كانت تحوي رفاتهم التندسية . وكانت ذكرى  
اولئك الافراد باقية في تلك البلدان والاصناع الشرقية حيث ام كثيرة لم تنس انما من  
اخلاقهم . ولما دخل الشعب العبراني في ارض الميعاد فشت بينهم ذكرى اجدادهم  
وكانت المدائن والاطواد الرواح والصحور الصماء توغر اليهم عن اولئك الاشخاص  
المشهورين وتذكرهم بالرويا العجيبة التي اثبت الله بها امانتهم التندية الحقة ولا غرو ان  
كل من علم بالاثار التندية ولو جزئياً بهم حالاً ان البشر الطاعين كانت لهم  
الرغبة في ان يقيموا اثاراً كذلك يستبقونها الى ما سياتي وهم عليها محافظون . وقد كان  
خلناوهم بضرون على كل ما كان ذريعة لذلك البناء وتلك مزايا كان من شأنها ان  
تجعل التاريخ ثابتاً . وبعد ان مضت على ذلك اعوام همكوا في حقل الحجارة ونحوا  
وصعدوا بها تماثيل بعد ان كان من قبلهم يقيمون اعمدة ضخمة بحجارة خشن . ولما ادلة  
قاطعة على حفظ تواريخ الازمنة الخالصة خطأ في القبيلة التي حفظت فيها معرفة الله لان  
البشر لم يهملوا ذلك ابداً ومن المفرانهم كانوا يعلمون اولادهم اناشيد في الاحتفالات  
 والاجتماعات كانت توبد الاعمال المشهورة التي حدثت في الازمنة السالفة ومن ثم تولد  
الفريض وتغير فيما بعد على اساليب مختلفة . واما اسلوبه الاول فلم يزل الى الان  
محفوظاً في القصائد والانشائد المستعملة عند الافدمين لملاح الالهوية والابطال وفي ايامنا  
هذه عند الامم التي لا تعرف اصول الكتابة

ولا ينكر ان تلك الاناشيد بليغة المعاني جداً ذات انفاس سامية طبيعية النشوق  
جديدة بان تمثل الطبيعة بحاسنها . فضلاً عن ذلك فانها متعمدة اوزاناً شتى تتوسع بها  
معانيها وتطرب بها السامع وتشد العنول وتحرر الالباب وتنهافت على حفظها الذاكرة .  
واكثر من استعمال تلك الاناشيد وهمك فيها شعب الله فموسى اشار الى جم منها وكان  
يذكر من انواعها المصراع الاول وكان الشعب يعرف الباقي وتظم هو نفسه على  
ذلك النمط انشودتين احدهما تتضمن عبر الاسرائيليين البحر الاحمر وغرق البعض من

اعداء الرب في لجة البحر واضطراب البعض من كثرة الروح والخشية والاخرى تتضمن  
 نيكتة للاسرائيليين على نكرانهم جميل الله والايماز الى خبراته ومعظم معجزاته. واقفى اثر  
 ابناء الاجيال التالية لان الله وما برأ من العجائب كانا موضوعاً لكل تشيد وقد كان الله  
 يوحى بها الى اوليائه الاطهار وقصارى الامر ان كل شعر يشك العقول ويدله القلوب قد  
 كان يتقنى به شعب الله

وتقنى يعنوب بذلك الاناشيد النبوية منضمة كل ما ازعم ان يحدث لبنيه وقد كان  
 كل سبط يحفظ بسهولة ما يناط به ويتعلم ان يسبح الرب العظيم بنبوته. والصادق  
 في تنبيهه.

وكل ذلك وسائل استخدمها الرب ليحفظ الى وقت موسى ذكر الشعوب الآتية.  
 وان موسى الذي عرف كل ذلك رفعه الروح القدس فوق كل شيء والهبة ان يكتب  
 صنائع الرب بالتدقيق والضبط وبساطة تبعث على الامانة والعجب من اعمال الله نفسه.  
 وقد اضاف للاشياء القديمة التي كانت تحوي نشأة ابتداء شعب الله على ما كتبه من  
 التكاليد القديمة المعجزات التي صنعها الله في شأن خلاص شعبه ولم يكن موسى يقيم على  
 مصداق كلامه دليلاً سوى ما رآه ابصاره لانه لم يكن ياتهم بنياً بعيد عن مداركهم ولم  
 ياتهم بما يحدث في الكهوف العميقة ولم يكلمهم ايها ما بل كان كلامه مبنياً على الصراحة والوضوح  
 خيفة ان يبعثهم على الريبة فيرشقوه بحجر الظن ويكذبوه. فشيد نواويس الاسرائيليين وحكم على  
 العجائب التي شاهدها عياناً وهذه العجائب قائمة بتغيير الطبيعة فوراً على انماطر متغايرة  
 قصد نجاتهم وعذاب اعدائهم فانشطرت البحر قسمين وانشفت الارض وانزل الله لهم من  
 الغلاء ماءً واجرى لهم من فواد الصخرة الماء قراحاً بان ضربها موسى بعصاه واقام  
 لهم في الاوج علامة تنوهم من تسيارهم وصنع لهم معجزات اخرى استمرت اربعين عاماً. ولم  
 يكن في ذلك المحين الاسرائيليون يفوقون غيرهم في جودة العقل ولم يكونوا اذكي من  
 الشعوب الذين تغلبت عليهم مشاعرهم وما امكن لهم ان يقرأوا بوجود الله غير منظور بل  
 كانوا يضاؤون سوام في الخشونة والهيبة ان لم تقل أكثر من غيرهم جلالة اما هذا الاله  
 غير المنظور فكان لايزال يبدو لهم محسوساً بمعجزات مستمرة وكان موسى يجهد دائماً في ان  
 يجعل في عنولهم من ذلك تأثيراً ومن كثر ذلك اخذ بافكارهم كل ما خذ واصبح له عندهم  
 عظيم وقع فاشعر باله بسط يصنع كل شيء بكلمته وادرك اخيراً ان هذا الاله ليس



سوى عقل وروح وفهم : ولما اخذت عبادة الاصنام التي زادت جداً منذ عهد  
ابراهيم تغشى وجه البسيطة اصبح نسل هذا الاب البار برثاً وحيه من ذاك الدنس  
وشهد له بذلك اعداؤه . واما الشعوب الذين لم ينسوا تماماً الحقيقة والتقاليد فكانوا  
يعجبون قائلين : انه لم يبصر اثماً في يعقوب ولم ير اصراراً في اسرائيل انه لا عيافة في  
يعقوب ولا عرافة في اسرائيل الرب الهه معه وهتاف الملك فيه

ولما رأى موسى انه لا مندوحة له من ان يرشح في عنونهم وحنه الله وتخصيص العبادة  
به جل شأنه كان يكرر على مسامعهم قائلاً ان هذا الاله الحي يصطفي له في ارض الميعاد  
محللاً مفرداً حيث تتم فيه الاحتفالات وتقدم له فيه الحرفات والقرابين والعبادات العامة  
وبينما كان الشعب يهيم على وجهه في النياقي والتفان صنع موسى ثابوت العهد وجعله  
قابلاً للانتقال من محل الى آخر وقد كان لديه بنو اسرائيل يقدمون القرابين لله الذي  
فطر السموات والارض وقد تعطف عليهم بان يحوب معهم النياقي وينودهم في التفان  
والمناور

وعلى هذا المبدأ والاساس كانت السنة موطنة ولا بدع فانها لسة عادلة ذات نفع  
منفعة من الحكمة والبساطة والبلاغة ولقد كانت وثاقاً يمين ربط الالفه بين البشر ويجعل  
الانسان يزول الى ربه . وزاد موسى على تلك السنن قوانين تجري بموجبها الاحتفالات  
الدينية المقدسة واعياداً مشهورة توغر الى المحجرات التي كانت ذريعة لنجاة شعب اسرائيل  
وايقن لهم مراراً حجة انهم مزعمون ان ينجوا في اشغالهم ان لبثوا مستمسكين بعزوة السنة والأ  
فيحل عليهم من العقاب اشد ولا ت حين مناص . هذا ما قاله الشارع واقتضى ان يكون  
هذا الامر مفترراً لديه من قبل الرب ليحمله ركناً لستو . وانصح من الحوادث جلياً ان  
موسى لم يتكلم عن نفسه واما القوانين التي القاها الى بني اسرائيل وان كانت تبدو في  
ايماننا غير مفيدة فقد كانت قبلاً ضرورية جداً لانها كانت تؤثر شعب الله على سائر  
الشعوب . وكانت كحاجز يمنع شعب الله عن عبادة الاوثان وان لا يطوحو بنفوسهم  
كباقى الشعوب

وقد تخبر سبطاً واحداً من الاثني عشر سبطاً وانا ط بعهده القرابين والاعشار وكل  
ما يختص بالاشياء المقدسة وما ذلك الا ليحفظ الدين وكل تقاليد شعب الله . وانيط  
لاوي واخلاقه بالله تكريماً له كعشر الشعب وتخبر من سبط لاوي هرون ليكون

كاهناً عظيماً ونوارث الكهانة من بعد اخلافه وبناء عليه أصبحت المنابر مرعية كل  
الرعاية واصبح للسنة ذائدون ومن ثم اخذت الكهنة تتعاقب استمراراً منذ عهد هرون  
الكاهن الاول . ومن الامور التي تزيد تلك السنة جلالاً انها كانت تهدد طريقاً للشرعية  
افضل منها غير محملة من الاحتمالات مثلها لكنها مخضبة بالنضيلة اكثر منها . واما موسى  
فلما يعزز الشعب ويجهلهم يتأسسون على انتظار تلك السنة اثبت لهم ما في النبي العظيم  
الذي باق من نسل ابراهيم واسحاق ويعقوب وقال لهم يقيم لكم الرب الهكم نبياً من بينكم  
من اخوتكم مثلي لئلا تسمعون . فهذا النبي الذي يضاهي موسى المشرع مثله لا يمكن ان  
يكون سوى المسيح الذي تعليمه يصلح العالم اصلاحاً عظيماً

ومحرم المسيح وحده شعباً جديداً ويقول له ايضاً فرضت عليكم سنة جديدة وقال  
ايضاً من يجني بحفظ وصيتي وقد نكلم في موضع آخر بأكثر صراحة حيث قال . قد  
قبل للتدماة لانشقوا وانا اقول لكم اني . وسائر القول على هذا النمط فهذا هو  
النبي الذي يضاهي موسى ويشيد شرعية جديدة وعن مائة تنبأ منذراً وقائلاً له  
تسمعون . وثمة لذلك ان الله لما بعث بابن الى الارض نادى من الغلاء هذا هو ابني  
الحبيب الذي به سررت له اسمعوا . واليه تنسوا قد رمز موسى بارقم النحاسي اقامه لدى  
الاسرائيليين في الفناء . لان لدغة الارقم النديم الذي ننت في الجنس البشري سماً مدفعاً  
يبرأ منها من يرنو الى المسيح . اي يبرأ بشفقة كما ابان عن ذلك هو ذاته ولنا في ذلك  
افسحة نظر وهو لما اذا انخص هنا بالذكر الأارقم النحاسي مع ان في سنة موسى وكل  
الذبايح والخبر الاعظم الذي نصبه باحتفالات سرية وادخاله اياه الى قدس الاقداس  
وكل طقوس الدين اليهودي بالقدسة التي فيها كل شيء يظهر بالدم ويرتب عليها نحر الحمل  
في عيد الفصح تذكاراً لخلاص الشعب ادلة كبرى على ان المسيح مزعم ان ينفذ شعبة  
بإهراق دمه الابدي . وقد كان مضموناً على اليهود الى ان اتى المسيح ان يقرئوا في كل مجامع  
الشعب اسفار موسى وبناء على ذلك ترى اليهود في كل ظرف وان لا يستندون الا على  
موسى وكان ان مدينة رومية كانت تخرم شرائع روميلوس وشرائع نيمب والاثني عشر لوطاً  
واثني عشر لوطاً على شرائع سولون ولاسيما يسمعون تعتبر قوانين ليكورك كذلك كان الشعب العبراني  
يستند دائماً على شرائع موسى . وفي اليقين ان هذا المشرع قد نظم الشريعة نظاماً محكمًا ولم  
تس الحاجة فيما بعد الى ان يطرأ عليها ادنى تغيير وبناء عليه لم يكن مجموع الشرائع

العبرانية مولنا من قوانين مختلفة في اوقات وظروف متباينة بل ان موسى الموحى اليه من الروح القدس قد فكر في بادي الامر في كل شيء ولم نر في هذه الشريعة اوامر من داود او من سليمان او من يوشافاط وحزقيا . وقد كانوا طرأً بها فنون على العدل بل ان الملوك الاخبار كان مجنوناً عليهم ان يستمسكوا بشريعة موسى ويكتفوا بان يحلوا خلفاءهم على حفظها وقد كانت من الامور المنكرة ان يزداد عليها او ينقص منها شيء وكانت الشريعة ما لاندحة عنه في كل آن فانها كانت من الضروريات التي ينتظر اليها نظام الاعياد والمهرقات والاحتفالات بل الاشغال العامة والخاصة والاحكام والمعاهدات والزيجة والورثة والجنازة ونوع اللباس وقصارى الكلام كل ما يباط بالاخلاق والعادات . ولم يكن سوى كتاب الشريعة يعلم منه المطالعون فن الآداب ففتح اذ ذاك على كل ان يتصفح ويتفرقه اثناء الليل واطراف النهار فينتبس منه آيات يشخصها دائماً امامه وكانت هذه الشرائع يعلم بها الصبية الاحداث الفراءة . وقاعة التربية في القصر على الآباء طرأً ان يعلموا بينهم الشريعة المقدسة ويجهدوا في ان يرتضوها في عقولهم ويفسروهم على ان يسعوا بموجبها حتى اذا راهنوا وبلغوا من الاعمار اشدّها اصبحوا حكماً . وبناء على ذلك كانت معرفتها من الامور اللازمة وفضلاً عن ان مداولها كانت مستمرة فكانت تقرأ كل اثناء اسبعة اعوام مرة في عام الفجران والراحة قراءة عامة في عيد المظال امام الشعب الذي كان يجتمع مدة ثمانية ايام . والى موسى على تابوت العهد النسخة الاصلية وخشية من ان تمسها ايدي المفسدين اولى القوابة ومحرفوها فكانوا وقتئذ ينقلون نسخاً مكررة عن النسخ التي تتداولها ايادي الاحداث وكان الكهنة واللاويون ينقرون فيها ويصلحونها اذا وقع فيها خلل ومن ثم يدعونها عندم محفوظة لتكون نسخاً اصلية يعول عليها ويكون مأب الامر اليها .

ولما تنبأ ان هذا الشعب يانهم ان يكون لهم فيه ملوك كسائر الامم حتم موسى على من يبنون سرور الملك بموجب نص في ثنية الاشتراع على ان يتقبلوا من ايدي الكهنة نسخة من النسخ المصححة بكل اعتناء لينقلوها بايديهم ويقرأوها طول ايام حياتهم وهذه النسخ قد كانت جديرة بالاعتبار لدى الشعب وكانوا يعتبرونها كأنها صادرة راساً من يد موسى في الصحة والكمال مثلاً املاها الله عليه ووجد نسخة مصححة منها في هيكل الرب في عهد يوشيا ومن المحتمل ان تكون النسخة الاصلية نفسها التي وضعها موسى في تابوت

العهد فكانت تلك ذريعة لأن يذرع بالامانة والظهر ويحمل شعبة على ان يتوبوا الى الله  
 فلما فعلت ايديهم من السيئات. ولقد كانت النتائج التي نتجت من قراءة تلك الشريعة  
 لا تعد ولا تحصى وبإيجاز القول ان ذلك الكتاب مذكّر بالكمال. لانه يحوي تاريخ  
 شعب الله ويستلته الى اصوله ودينه ونظامه وعاداته وحكمته وكل ما ترتب عليه حياته  
 وما يؤول الى اجتماع البشر واتحادهم ويتطوي على الامثال السيئة والحسنة وعلى جزاء من  
 فعل الخير وعقاب من صنع الشر.

وبواسطة هذا النظام العجيب وصل ذلك الشعب الذي تملص من وثاق الاسترقاق  
 الى البلاد التي اعدت له بكل ترتيب بعد ان حبس في بطن الفئران اربعين عاماً. ففاده موسى  
 الى مدخل البلاد ولما شعر ان ميثقه حانت دعا يشوع وسلمة القيادة وقبل ان  
 اغتاله المنيه نظم تشيداً طويلاً عجيبياً هك مطلعته: انصني ايها الارض والسموات فانكلم  
 وتصح الارض لاقوال في. ومجرد اسكانه الطبيعة كان ينجي شعبه بقوة لا مزيد عليها.  
 ولما وعى حسيان اثمهم وجرائر اجلي له عن كل المنكرات ثم ارناى ان الكلام البشري  
 لا يناسب ذلك الموضوع فغير منجج كلامه والنظ بما قاله الرب واخذ اذ ذاك يتكلم كلاماً  
 سامياً فلم يندر الشعب هل كان الله يحى اليه بالخوف والاضطراب او بالمودة والايمان  
 فامر الرب وموسى بالشعب ان يتعلموا ذاك الشيد على ظهر قلوبهم ففعلوه ثم  
 استعزت بذلك الرجل الصدوق رحمة ربهم مسروراً ولم يضرب لشعبه عن امره يعود  
 عليهم بالنفع العميم لينذكروا مبرات الله واحسانه ووصابه. وغادر ولدانه بين شعبه دون  
 ان يخصهم بمنفعة خاصة فاعتجب من ذلك شعبه وكل الامم ولم يحزم مشرع ما حازه  
 موسى من الشهرة والمنبة بين البشر وقد افتخر كل الانبياء الذين خلفوه في قدم  
 العهد والذين كتبوا بالوحي ان يكونوا بمذهبه متهمين.

وقد كان يؤخذ من مناجاته انه اروعي عريق باحسن الصفات التي لم ينالها احد  
 من المؤمنين سواء وقد كان تاليفه عربياً من التعقيدات بل كان ذا بساطة يقارنها علو  
 النفس والنصاحة المخارقة وفي اليقين ان من قرأ تاليف مومخ لاعمال الله يعلم ان  
 المؤلف يتكلم عن الله عز شأنه واما من قرأ تاليف موسى لا يظن ان ما يقرأه صادر  
 من غيرم الله.

ومن تصفح سفر ايوب بعثه ما اودع فيه من سمو الفكر ودقة المعنى على الجزم بانه

من انشاء موسى . وخشية من ان العبرانيين تاخذهم نشوة الكبرياء لدن ظنهم ان رحمة  
 الله لم تحل الا عليهم اخذ موسى بناجهم بان الله له مختارون حتى في نسل عيسو ولم يكن  
 من امكانه ان ينث بينهم تعلقاً افيد لهم من صبر ايوب وحرته الذي اناط الله  
 امر بهن الشيطان الختول ليضيق عليه ويعذبه بكل انواع المبرحات الموبقة . فاصبح  
 عرباً من رزقه واولاده وكل ساوى على بساط الارض ثم اصابه الله بتفريح جسمه وامتن  
 باطناً بالتجديف والفتنوط ومع ذلك فلم يحيف عن طريق الايمان . فثنين من ثم ان  
 النفس الطاهرة ذات الامانة تقوم نعمة الله بناصرها وقت التجربة وتضافرها قسراً عن  
 الافكار الخبيثة التي يبادها بها العدو الخناس فانها تستمر في حيز الامانة وتصدق الى  
 ذرى التأمل عالمة بان ما يترام عليها من النوائب والنازلات دليل على ضعة الانسان  
 ووهو وعلى حكمة الله غير المتناهية . فذلك ما تقتبسه من سفر ايوب . ولرعاية هيئة عصرية  
 كانت امانة هذا الرجل الصدوق ذريعة لان تترام عليه الخيرات الزمنية . واما  
 شعب الله فقد هب من سنة الغفلة وقته ماهية فضيلة العذاب وشرع يذوق لذّة النعمة  
 المزمعة ان تعلق ذات يوم بالصليب . بيد ان موسى قد ذاق تلك اللذة لما اثر تجشم  
 المشاق وما تكبد هو وشعبه من النائبات السود على ملذّة البلاط الملوكي في مصر  
 وغضارة نعيمه . ومن ثم علق الله يذيقه ما يهباً ليسوع المسيح من العار ولاسيما  
 لما اركن الى الفراري في مناهة اربعين عاماً . وكرع كاس مصائب المسيح لما اصطفاه الله  
 لينفذ شعبه والحي ان يجنل تمردهم المستمر لما كان معرضاً للخاطر وعلم ما يصرف في  
 شان امر نجاة اولاد الرب وايدي عن بعد ما سبترت عليه امر الخلاص الاعظم وقت مجي  
 مخلص العالم . فلم نفر مثلاً موسى بروية ارض الميعاد عن قرب بل انه رآها عن بعد  
 من اعلى ذروة الجبل . ولم يشق عليه ان يكتب انه غير مستحق الدخول الى ارض الميعاد  
 لعدم امانته فاستحق عتاباً عظيماً وان كانت خطيئته صغيرة . فاصبح عتابه دليلاً على ان  
 الله ذو غيرة عادلة صارمة على الذين يجنفون عن منهج طريقه ولاسيما على الذين تقسروا  
 النعمة على ان يسلكوا باكثر كمال من غيرهم في الامانة . ويبين لنا ايضاً من صدف موسى  
 عن الدخول الى الارض المقدسة سر اعظم من هذا وهو انه مع كل معجزاته التي  
 صنعها لم يمكن له ان يقود اولاد الله الا الى مقربة من ارضهم . فذاك دليل على ان لم يكن  
 بالناموس كمال لشي بل لا يمكن له ان يقودنا الى تميم المواعيد بل جعلنا نحياها عن

بعد او بعارة اخرى الله يقودنا الى قرب باب ميراثنا لان يسوع الذي يكون باسمه  
ورفعة مقامه نائباً عن مخلص العالم احق منه في كل شيء وهذا الرجل الذي كان  
احط من موسى في كل امر كان يتعالى عليه بشرف اسمه وهو الذي انبط بهدته ادخال  
الشعب الى الارض المقدسة . وبظهوره المين جزرت مياه الاردن الى الورا وسقطت  
اسوار اريحا من تلقاء ذاتها وانحسرت الشمس في كبد السماء وامكث الله اولاده في ارض  
كدمان طارداً منها شعباً كثيرة منطوية على الرذائل والمفاسد ولم شعبه ان يكاشعهم  
بالغضاء وجعل عدوانهم لهم امراً طبعياً حرصاً عليهم من ان يكتسبوا عاداتهم السيئة  
ولقد اوسعهم اعنائاً واحمل عليهم شعبه فخافوه خوفاً عظيماً وبعد ان اخرجوا  
من تلك الاصناف غلبت منهم فرقة الى افريقية حيث كشف فيما بعد على آثارهم  
وظهور يسوع في تاريخ قديم . وبعد ان وطّن يسوع الاسرائيليين بظهور المين في اكثر  
الاراضي المقدسة اخذ يشاطرهم اجزاءها هو والبعازار الكاهن وروساء الاسباط وفاقاً  
لسنة موسى فنال سبط يهوذا من ذلك النسم الاكبر لانه فاق منذ عهد موسى غيره  
بالعدد والباس ورفعة المقام . ثم استأثرت رحمة الله بيسوع وواصل الشعب الاسرائيلي  
فتوح ارض الميعاد وقد شاعت الفزة الالهية ان يكون سبط يهوذا في مقدمة الاسباط  
اجمع فالحمت ان في عزها ان تسلم الارض اليه

ولا ريب ان هذا السبط قد قمع الكنعانيين وظفر بهم واستولى على اورشليم التي  
اهبت لان تكون المدينة المقدسة وحاضرة الملك وقد كانت تدعى من قبل سيلم وكانت  
ملكيبصادق ملكها في عهد ابرام . وان ملكيبصادق يعني منه ملك العدل ويدعى ايضاً  
ملك السلم لان سيلم معناه السلم وقد قرّر بذلك ابرام واعتبره كالكاهن العظيم كان  
اورشليم اهبت لان تكون المدينة المقدسة وحاضرة الدين فانبطت في بادى الامر  
بعمه اولاد بنيامين . ولما كانوا على جانب من الضعف وقلة العدد لم يمكن لهم ان يطردوا  
منها اليا بوزيين قاطنيتها الاقدمين ولذلك آل بهم الامر ان يخاطبوا . وقد كانت اميال  
شعب الرب في عهد الفضاة متباينة في الخير والشر . وبعد ان مات الشيوخ الذين  
شاهدوا معجزات الرب اصبح ذكر تلك المصانع يكاد يكون نسباً منسياً وخبث شعب الله  
الى عبادة الاوثان . وقد كان الله يعاقب من يرتكب ذلك المنكر عناباً صارماً وينوم  
بناصر كل من برعوي عن غرته .

وبناء على ذلك دبّ الايمان بعناية الله ويصدق مواعيد موسى ووعده في قلوب  
 الصالحين يوماً بعد يوم لكنا الرب كان يري لم انوزجاً عظيماً . وطلب الشعب ان  
 يكون لهم ملك فاقام الرب لهم شاول الذي رذله بسبب آثامه ثم ازمع على ان يقيم له  
 سلالة ملوكة يخرج منها المسيح فتخير ان يكون ذلك من سبط يهوذا فاصطفى منه راعياً  
 يقال له داود . وهو اصغر اولاد يسى ولم يكن ابوه واخوته بعالمين باهليته وبما سترشح له  
 واما الرب فلم يلبس سريره وحسن طوبته فكرسه ملكاً بيد صموئيل في بيت لم  
 منبت شعبه

## الفصل الرابع

### في الكلام عن داود وسليمان والملوك والانبياء

في ذلك الحين اتخذ شعب الله له هيئة جديدة وثبت الملك في سيرة داود فتشياً في  
 بادىء الامر ليكان من تلك الاسمين ليسا على اتفاق بالسليقة لكنهما كانا مجلية لكل  
 دهشة وجهر فان داود كان يود احداث الحرب والفروجات فظهر بياسه على اعلام  
 شعب الله والتي رهبة اسلحه في كل الشرق وسليمان كان على جانب من الرصانة والحكمة  
 وذهب صيته بذلك داخل مملكته وخارجها فانال شعبه غضارة الترف والبعادة  
 لكثرة تهاونه على الامن والسلام . بيد ان تسلسل الامور الدينية تستلقت انظارنا الى  
 هذين الملكين ونحضرنا على ان نسرّح طائر النظر في حياتهما فنقول : ان داود تبنّى في اول  
 الامر تخت اليهودية وكان قادراً ظافراً ثم رضى ليشوكتو كل الاسرائيليين فترع من  
 اليابوزين قلعة صهيون التي كانت لاورشليم حصناً منيعاً ولما استولى عليها بجولة وطوله  
 جعلها حسب امر الله مركزاً للاحكام والدين وشاد بيته على قمة طودها واقام حوله  
 منازل حجة دعاها مدينة داود واقام بواب ابن اخيه باقي المدينة واصبحت اورشليم ذات  
 هيئة جديدة وتبطن اولاد يهوذا بسائر اليلاد وخالفهم اولاد بنيامين القليلوا العدد

اما تابوت العهد الذي اقامه موسى وكان الرب مستوياً فيه على الكارويم وكان  
 فيه اوحا الوصية في غاية الرعاية والحفظ فلم يكن له محل يناط به . فنقله داود باحتفال  
 الى جبل صهيون الذي فقعه باعانة الرب العظيم القدرة وما ذلك الا ليحكم ثمة عز وجل

ويكون لإنذار عن داود وأورشليم والملك . وإما المظلة التي كان الشعب يهتدي فيها لله  
العبادة في البرية فقد كانت لا تزال في غياوروت حيث كانت تقدم الذبائح لله على  
المذبح الذي شاده موسى وكان ذلك باقياً إلى أن يشاد هيكل ليركز فيه المذبح  
والتابوت . وثم ثمة عبادة الرب . ولما ظهر داود على أعبائه وقمعه وامتدت فتوحاته إلى  
نهر الفرات ظافراً داراً في خلك أن يصرف جلّ عنايته في أن يعزز العبادة الإلهية فعين  
عمل إقامة الهيكل بأمر الله على ذروة الجبل حيث إبراهيم عول على نحر ابنه الوحيد  
فصده عن ذلك ملاك الرب

فإقام اذ ذاك للهيكل زماً واحرز فيه كل ما جلّ وغلا من المواد وأعدّ له كل  
ما سلب من الملوك والشعوب المدحورين ولما كان فاتحاً سفاكاً للدماء صده الله عن  
بنائه فانابط أمر تشييده سليمان حليف السكينة والسلام فبناه اذ ذاك على رسم  
المظلة وصنع مذبح الحرقاب ومذبح البخور ومنارة الذهب ومائدة الخبز المقرب لله وأدوات  
الهيكل بأسرها مثل التي صنعها موسى في التنار . ولم يصف عليها موسى إلا العظمة والعناء .  
وإما التابوت الذي قام بأعبائه رجل الله الحكيم فوضعه سليمان حيث قدس الأقداس  
وذلك في محلّ لا سبيل إلى الوصول إليه وما ذلك إلا دليل على عظمة الرب التي  
لا يقرب إليها أحد وعلى السماء التي كانت محجورة عن بني الإنسان إلى أن يهبط منها المسيح  
فتفتح أبوابها المغلقة بسفك دمه الطاهر . وهذا الله مجللاً وجبروته يوم تكريس الهيكل  
وتخبر تلك اللقطة مقراً لاسم ومتبدي لعبادته وأوجب عليهم أن لا يذبحوا خارج  
أورشليم . ودلّ على وحدة الله ووحدة هيكله وأصبحت أورشليم المدينة المقدسة وصورة البعثة  
لأن الرب كان في عزيمته اذ ذاك أن يستوي في هيكله الحق وأصبحت صورة السماء أيضاً  
لأننا ننال السعادة بإبراز عبيد الله

وبعد أن شاد سليمان الله هيكله أقام صرحاً ملوكياً فكان بناء عظيمًا يليق بذلك  
الملك العظيم وبني بيتاً للترفة دعاه غاية لبنان . وإما القصر الملوكي فكان زينة أخرى  
لأورشليم وكل تلك البناءات قد كانت ذات غرف شاهقة ودهاليز فائقة ومأشٍ فسحة  
وأروقة عظيمة وأقام عرشاً سلطانياً وسدة رقيقة يستوي عليها عند إبراز القضاء ولم  
يستخدم لكل ما شاد سوى خشب الصندل . وقد كان كل ذلك مرشوقاً بالبضار  
والحجارة الكريمة



وقد طالما اندمش الناصي والداني من عظمة ملوك اسرائيل . وان ما نبى من الابنية التي بناها ذلك الملك العظيم لم تكن اقل عظمة من تلك . وكل ذلك كمدائن كبرى وحواريت الاسلحة وكان عنده من اكرم الخيول المطهية واحسن الجمالات وابسل الظهراء . واصبحت اورشليم من اغنى مدائن المشرق لسعة تجارتها وما ساد اهلوها على غيرهم في سلك البحار وما تفرّرفيها من السكينة وما ترتب من النظام وكانت المملكة باسرها في غضارة وخصب . وكان كل ذلك كمنال للجد السماوي وقد تأتى من المحروب التي اذكي نيرانها داود الحصول على التهمة التي تستلزم مشقة عظيمة وابان حكم سليمان كم هذه الراحة من ملذة . وفضلاً عن ذلك فان سمو هذين الملكين وارتفاع شان عائليتهما تأتى باختيار خاص فراق ذلك لدى داود فابرز في سبيله نشيداً قائلاً : ان الله قد خص الملوك في بيت يهوذا وفي بيت يهوذا اختص بيت ابي . ومن بين اولاد ابي حسن لديه ان يتخبرني ملكاً على كل شعبه الاسرائيلي ومن بين اولادي ( لان الله من علي بالولاد كثيرين ) فخير سليمان ليحس على عرش سيدة ويحكم على اسرائيل

ولقد كان هذا الانتخاب له غاية اسى من التي تبدوا لاولاً لان المسيح الذي وعد به الرب ابراهيم ليكون ابناً له كان موهباً لان يكون ابناً لداود وسائر ملوك اسرائيل . واما وعد الله لداود بقوله ان ملكة لن يزول الى الابد فكان تلميهاً على المسيح وملكه الازلي وان سليمان الذي اصطفى لان يكون خلفاً عنه كان رمزاً الى ما تى ابن الله ولذلك قال الرب اني ساكون له ابا ويكون لي ابناً . وبناء عليه برزت اسرار المسيح في عهد داود والملوك اولاده بنبوات عظيمة وفاقته الشمس بهاء وسطوعاً

فراه داود عن بعد ونشده في مزاميره ببلاغة فائقة وفصاحة خارقة . وقد طالما خالج فكره ان بنشد مجد سليمان ابنه . ثم اخطف بالروح ورأى من هواقصى من سليمان الذي يفوقه بالجد والحكمة فتراسى له المسيح انه مستور على العرش يفوق الشمس والقمر ثباتاً وبصر بالامم المتنوعة مصروعة تحت اخمضيه ومباركة به في الوقت نفسه وفاقاً لما وعد به ابراهيم

ثم زاه بسمو متعالياً في بهاء القداسة من الجوف قبل الفجر له ندى ولادته من ابيه وهو كاهن الى الابد ليس له من خليفة ولا يخلف احداً بل وسم كاهناً بنوع غريب لاهل رتبة هرون بل على رتبة ملكيصادق ( رتبة جديدة غير معروفة لدى شريعة موسى ) وراه

جالساً عن يمين الابن ناظرًا من اعلى السماء الى اعدائه المدحورين فاصبح مندحسًا من ذلك الشهيد العظيم ومتعجبًا من مجد ابنه فدعاه سيده . ورأى الله الذي معه الله ليسلطه على كل البسيطة بالبر والاستقامة وشاهده بالروح فسمعه يقول هذه الفتن التي القاها على ابنه وهي انت ابني وانا اليوم ولدتك وازدادت الى ذلك وعد مملكة ابدية تمتد على كل الامم وملكتك تمتد الى اقاصي الارض ولما ذارت تحت الامم بالباطل . وباطلاً اثتم الملوك والعظماء على الرب فالساكن في السموات يضحك والسيد يستهزئ بهم . ويشيد قسراً عن ابنهم ملك مسيحه فالتى الله عليهم عبء حكم ابنه قال لهم الامر ان يصحبوا اول من يطأ طي به للمسيح صاغراً بعد ان راموا ان يبنوا عن عوانتهم نيره . وان يكن قد تنبأ عن المسيح مراراً حجة في الكتاب بتصورات عظيمة فان الرب لم يخف عن داود ما سيلحق ثمره احشائو المباركة من العار لان هذا التعليم كان لشعب الله ضرورياً وان يكن ذلك الشعب لازال ضعيفاً متفترراً لمجايع جسدية فلم يكن من المنقضي ان يغادر الصعود الانساني معتبراً كسعادته الاخيرة ومكافأته المفردة ولذلك كان الرب يوعز عن بعده بالمسيح المنتظر الذي هو انفوج الكمال وموضوع لرغبته كانه غارق في عباب الاشجان والافجاع وبدا الصليب لداود كعرش حقيقي له فانه رأى يديه ورجليه مثقوبة بالمسامير وعظامه كانت تعد وثابة معرضة للاقتسام وعلى لباسه طراً الاقتراع . وسفي خلاً ومرارة واعداً به يخدمون حوله غيظاً وهم يفترسون سروراً باهراق دمهم رأى ذلك النبي في الوقت نفسه نتائج ذله الماثورة . وذلك ان كل شعوب الارض تذكروا الههم الذي كانوا قد نسوه منذ اجيال عديدة . وان اول من اتى مواعيد المسيح الفتراء ثم اعنيهم الاغنياء والاشراف وجاؤوا اليهم بعبودته وباركوتته وكان هو متصدراً في الكنيسة العظيمة والكثيرة العدد اي في جمعية الامم المرتدين الى الايمان وانذر فيها جميع اخوته باسم الرب وحفائنه العظيمة واما داود الذي نظرت مقلته كل ذلك فثعربان ملك ابنه ليس في ذا العالم ولم يكن بذلك متعجباً لانه يعلم ان هذا العالم حليف الزوال . ولقد كان يعلم ذلك الملك الذي استقر بكل تواضع على العرش انه ليس من الخبريات التي ينهي اليها كل امل الانسان .

واما سائر الانبياء فلم يقيم داود بروية اسرار المسيح ولم يكن شيء من العظمة والافتخار الا او عز به الانبياء عن ملكه فبنهم من كان يرى بيت لحم احترمدن يهوذا مشرفة

بان ولد فيها وأنه صعد الى اسي من ذلك ورأى مخارجه منذ القدم منذ ايام الازل من حجر  
ايه ومنهم من كان يرى بتولية امه قاتلاً هذا عمانوئيل (اي هذا الآله الذي معنا)  
يخرج من حجر بتول هذا الولد العجيب الذي يدعوه الله . ومنهم من كان يراه داخلاً الى  
الهيكل ومنهم من كان يراه مجداً في قبره حيث ظهر على الموت وفي اثناء انذارهم بمجراته  
لم يضربوا صفحاً عما لحق من العار لانهم رأوه مباعاً وعلماً من قبل قدر الدرهم التي بيع  
فيها بانها ثلاثون من الفضة وعرفوا استعمالها وفي عرض ما كانوا يرونه عظيماً ومرفع  
المقام كانوا يرونه محضراً وغير معروف بين بني الانسان وأنه اصبح اعجوبة للبشر بذله  
وعظمته وكانوا يدعونه اخر البشر ورجل الآلام الحامل كل الخطايا المبدي الرحمة  
غير المعروف المشوه بسبب قروحه وهذا كان بشفي جروحنا وأنه عومل معاملة  
ذني الجرائر وقاده الاشرار الى الغذاب وسلم نفسه كالنخعة البريئة بكل سكينه وارتياح الموت .  
وذرية كبرى مأهبة لان ثلث منه هذه الذرية وانزل الله على شعبه انتقاماً لعدم  
ايمانهم . ولكي نتم النبوة افضى بهم الامر الى ان حسبوا السنين الى مجيئه وذلك امر بين  
لا يتركه الا من كان خامد البصيرة والبصر

وليس الانبياء قد نظروا المسيح فقط بل انهم كانوا رمزاً اليه والى اسراره ولا سيما رمز  
الصليب لان اكثرهم قد تجسموا مشاق الاضطهاد للعدل ومثلوا لنا بعدا بانهم البروا الحفينة  
الذين اضطهدوا في المسيح . فلقد كان اليا واليشاع هدفاً للاضطهاد المستمر ولكم كان  
اشعبا هزماً وتغربة للشعب والملوك الذين قتلوه حسب تقليد اليهود المتواصل ورجوا  
زكريا بن بوياداع بالحجارة وكان حرقاً غارقاً في لجة الحزن وارميا في مشاق متواترة  
يكل اللسان عن نبياتها . وقد طرح دانيال مرتين في جب الاسود وكل اولئك كانوا  
هدفاً لكل اضطهاد موبق ويظفروا لنا جميعهم بانموزجهم ان الشعب القديم وان يكن  
مستلزم بالعموم ان يعضد بالبركة المجسدية بسبب ضعفه فان اقوياء اسرائيل اولي الثنى  
والبر كانوا يفتنون خبز الشجون ويحرمون سابقاً الكاس المملوء لابن الله رجاء النجاة . وعندما  
ما كان اقنوم المسيح مقدساً كانت تلك الكاس مرة . ولقد رأى الانبياء بوضوح بين  
البركة التي اهبها الرب على الوثنيين بواسطة المسيح فاندروا بها من قبل بكلام ترفع الى  
اعلى البلاغة فان اصل يسي وداود قد بدا لاشعبا النبي كانه راية معطاة من الله للشعوب  
واياه ترحي الامم . واما رجل الاوجاع الذي اصيبت قروحاً علة شتائنا فقد اضطهد

ليغسل الوثنيين بنضجة في دمه والمعودة ولا يجترى الملوك ان يبدوا امامه حديثاً ورأته  
مقلة من لم تسمع به اذناه وجيء اليه من لم يكونوا يعرفونه فهو الشاهد الذي ناله الشغب  
والنائد والمعلم الذي بعث به الى الوثنيين. وقد انحاز في عهد شعب مجهول الى شعب  
الرب وهرع اليه الوثنيون من جميع الانحاء ولا ريب انه صديق صهيون الذي كان نوره  
يتلألأ في الافاق وهو المنفذ صهيون الذي يضيء كالتبراس وسوف يراه الامم وجميع  
الملوك سوف يعرفون ذلك الرجل الشهير في نبوءات صهيون

فها قد صرح به بزيادة ابضاح واكثر بيان واخص صفات. وهوانه قد دعي  
بالرجل العربي في الكياسة المصطفى بنوع خاص من لدن الله الذي سر به وقد بعث  
به ليعضي للام وتستأني سنته الجزر التي تدعوها الامم العبرانية اوروبا والامصار الفاصية  
لا ينف ولا يسمع له صوت خارجاً لانه لطيف وذيت الاخلاق لا يمتحن الاباة المرصوفة  
ولا يزيل دخان الكتان ولا يضيق على بني الغبراء المجرمين بل صوته الرخيم يدعوهم  
اليهم ويك الكريمة تاخذ بايديهم. سوف يفتح عيون العميان فيبصرون ويخلص من زوايا السجين  
مسيحون ولا يكون له من الساطة اقل من الرفاة. ومن اعرق صفاته ان يفرن الرحمة بالقوة  
ولذلك يدوخ صوته الرقيق اقصى العالم ويجعل الارض واجنة مائدة دون ان ياخذ  
ساكنها تمرد ولا يكون مأثوماً منه اوزاحاً وهذا الذي كان في اليهودية يكون معروفاً  
لا يقتصر ان يكون ركناً للاتحاد بين الله وبني الانسان بل يكون نوراً لجميع الامم ايضاً  
ولا يكون في زمان ملكه العجيب الاثوريون والمصريون والاسرائيليون الا شعباً واحداً  
للب رب ونصيح كل الامم شعباً اسرائيلياً مقدساً ولا تكون اورشليم مدينة خاصة بل نموذج  
الثقة جديدة حيث ياتم فيها كل الامم من اوروبا وافريقيا واسيا. ويدوخ تلك الامصار  
الرسال الذين يتختمهم الرب بعلاماته ليكتشفوا عن مجده لجميع الامم ويصبح المصطفون  
الذين كانوا يدعون باسم اسرائيل يدعون منذ ذاك الآن باسم آخر حيث تم المواعيد  
باتخاب ابدى السعادة وان الكهنة واللاويين الذي كانوا الى ذاك الآن من نسل  
هارون يخرجون من ثم من بين الامم. وتجل محل الذبائح القديمة ذبيحة اخرى اكثر  
منها قبولاً وطهارةً وحيث يعرف لماذا كان داود يشهد كاهناً من مرتبة جديدة وسوف  
ينزل الصديق من السماء كالطل وتنبت الارض المخلص الذي ينبت معه العدل لان  
السماء والارض نتحداً معاً مشتركين بولادته. ذلك الذي يكون ساوياً ارضياً وتبدو

طرق أخرى للفضيلة في العالم بأمثاله وتعليمه وترسخ العبة التي نهبط من لدنه عز وجل في القلوب ويتغير كل شيء لدى مجيئه وقد آلى الله على نفسه ان تودي له السجود كل ركبة ويقسم به كل لسان ويعترف بقوته

فهاك قسمًا من العجائب التي ابداهها الرب للانبياء في عهد اولاد داود ولداود نفسه قبل غيره فكتبوا جميعهم تاريخ ابن الله قبل ما ناهُ بانه مزعج ان يصبر ابن ابراهيم وداود . وبناءً على ذلك تسلسل الامور طرًا بالمقاصد الالهية بكل دقة ونظام لان ذلك المسيح الذي قد بدا عن بعد كانه ابن لابراهيم قد بدا عن قرب كانه ابن داود وان الملك معد له وان معرفة الله التي ذاعت في كل العالم اصبحت كأنها دليل قاطع على ما ناه وقد تقرر ارتداد الامم الى الايمان الحق والبركة المزمعة ان تحل على كل شعوب الارض التي وعد بها منذ زمان مديد ابراهيم واسحق ويعقوب . وقد كان كل شعب الرب على وشك ذاك الانتظام ومع ذلك فلم يفتأ الرب يقوده بنمط غريب فتعاهد مع داود معاهدة جديدة ووعده بان يذود عنه وعن كل الملوك خلفائه ان استمروا يسعون حسب القوانين التي منحهم اياها بواسطة موسى والافيررحم بالعقاب الاليم . وعلى ذلك ان داود تغافل عن تلك الوصايا فكان اول من تجشم مشاق العقاب ولما تاب عن خطيئته مكفرًا عنها رضي الله عنه واثقله بالنعم والمحيرات فاصبح انموذجًا يتسنى به لكثرة صلاحه ولذلك توارث الملك في بيته وطالما افتنى سليمان اثره بالبر والنفى فكان سعيدًا . بيد انه ضل عن طريق هدايته شيئًا ومع ذلك فقد عنا الله عنه لحبه لداود عبده لكنه نوعه بقصاص سوف يوقعه على ابنه وعليه قد ابان للآباء حسب حكمته السرية انه بقي لأولادهم ثوابًا او عقابًا بتكفل بهما المستقبل وما ذلك الا ليطلعهم مستمرين على الرضوخ لوامره بشأن مهامهم العائلية وتنفيذ هذه الامراسم رجعا ما ذاته لكثيرين ذوي غرة فتناقصت مملكته بانحياز عشرة الاسباط عنه وفي غضون انفصال تلك الاسباط المتتقي عن الله ومملكهم كان اولاد يهوذا ذوي الامانة بالله وبصفية داود مستمرين بعروة العهد وبامانة ابراهيم وواخاهم على ذلك اللاويون وسبط بنيامين فلبثت مملكة شعب الله موطنة بذلك الاتحاد باسم مملكة يهوذا واستمرت ستة موسى مرعية بكل ما لها من القوة .

وكان الله لا يزال يذكركم عهده مع ابراهيم واسحق ويعقوب قسرًا عن العبادة الوثنية والنسب العظيم الذي كان بين عشرة الاسباط المنفصلين ولذلك لم يتلاش ذكر

سنة بين اولئك المتمردين فاستمر يدعومهم الى ان يتوبوا بمهجرات كثيرة وبانذارات متواصلة كان يبعث بها اليهم بلسان ابنائه الابرار . ولما تصدلت قلوبهم وتنادوا في الآثام والهجرات انف من الرفق بهم ولذلك طردهم من ارض الميعاد قاطعاً عنهم الرجاء بالآباب اليها .

واما تاريخ طويا الذي كان في ذلك الحين نفسه وفي ابتداء اسر الاسرائيليين فبين لنا منه سلوك ابناء الله الذين بقوا بين الاسباط المنفصلين لان ذلك الرجل الصدوق قد انجس عن نادية الرضوخ للاوثان طالما كان بين الاسباط قبل السبي وقصارى الامرانة كان يرعى السنة حق الرعاية لانه كان يجاهر بعبادة الله في هيكله في اورشليم دون ان يجمع به الاقتداء الذريع او يردعه عن ذلك ذعرا وخوف . ولما كان اسيراً في نينوا ومستهدفاً لسهام الاضطهاد لم يبرح ثابتاً في الذئ والبر هو وعائلته . ويتضح من المجازاة التي نالها هو وابنه في تلك الارض ان الله كان له وسائل خفية قدراً عن الاسر والاضطهاد بان يظهر لعابديه البركة المنة لمن يرعى السنة لكنه كان يرفع افكارهم الى العلماء بواسطة المشاق التي كانت تمنهم وكان بنو اسرائيل يعرفون بواسطة انذار طويا وارشاده ان يد الرب التي كانت تعاقبهم بضرب العصا ومع ذلك فقد استمر معظمهم على العتو والعناد واما بنو يهوذا فلم ينجح بهم مثال اسرائيل ولم يرفعوا عن غرورهم فلبثوا بهم مثقلين فواصل الله انذارهم بواسطة انبيائه الذين كان يبعث بهم بالذوات ليهربوا في الليل ويستيقظوا في الصباح كما يقول هو نفسه وما ذلك الا دليل على اهتمام الابوي . ولما غالوا في المجد انف منهم وتحرك عليهم غضبه وتوعدهم بان يعاملهم كما عامل اخوتهم المتمردين .

## الفصل الخامس

في حياة الانبياء ووظائفهم واحكام الرب المعانة بالنبوات

ليس في تاريخ شعب الله ما هو اهم من وظائف الانبياء فان اناساً كثيرين كانوا متباعدين عن البشر بعيشتهم ومرتبدين بالبسة خاصة وكانوا في منازلهم يعيشون معيشة جمهورية تحت ادارة رئيس يقيمهم الرب عليهم . ولقد كانت عيشتهم في النافة والنشف

رمزاً الى العيشة التي يندرجها في عهد الانجيل . وكانت الرب يترامى لم ينوع خاص  
ويظهر امام الشعب ذلك الوحي العجيب ولم يكن يغالي به الا حينما كان الفساد يتكاثر وقد  
بدا وتشتد ان عبادة الاوثان كانت مزمنة على ان تلاثي سنة الله وكان الانبياء يذيعون  
في تلك الاوقات النعيبة انذارا لله شفاهاً وكتابة رجاء ان يقوموا بناصر الحق المبين  
وقد كانت الابدي تداول تاليهم ويستبقها الشعوب كذاكار مستمر للاجيال الآتية  
وكان يفتاز اليهم كل من كان يستمر واثقاً بالله .

وقد نرى في اسرائيل حيث استمرت عبادة الاوثان ان كل من كان ينجح الى  
الايمان كان يحتفل بنهار السبت وايام الاعياد الموحى اليها في سنة موسى . وقد طالما كان  
يخص الانبياء الصديقين على الثبات في ميعاد الرب وتحمل جرم غفيرة منهم عناب  
الموت الزوالم وتسكن كثير من الناس باعمالهم المبرورة في ايام الملك منسى ايام اليوس  
والشدة . وهرقت دماؤهم في سبيل الله ويتبين من ذلك ان الحقيقة لم تلبث قليلاً دون  
شهادة .

ونجهم من ذلك ان الالفة كانت سائكة بين شعب الله لان رباط الاتحاد بين  
الانبياء كان متيناً وكانت فبالق من المؤمنين يشنون معهم علانية في الاتحاد بشرعية  
الرب والكمة الابرار الذين ثبتوا في ما غادره لهم سلفاً وهم منزهرون . وفي عهد  
الملوك الكفرة كاحاز ومنسى لم يشك اسعياء وانبياء آخريين من الفاء الخيانة التي  
كانت تثبت الميعاد وفيها كل رعاية السنة كما يقول بولس الرسول . ولم تتسخ رعاية  
السبت والاعياد وان يكن احاز قد قفل باب الهيكل ووقف الذبائح حيناً من الدهر  
ظلماً وعدواناً فلم يكن ذلك مانعاً من ان يسبح الله اوليائه ويجهرون باسمه فان المخالف  
جل شأنه لم يشأ ان تتسخ الصلوة من بين شعبه . ولما عزم هامان على ان يحو مبرات  
الرب ويغير مواعيد ويزيل نسايجهم لم ينجح على احد ما صنع الله به قصد ان يصد عما  
يشاء وعلت قوة الله وصمت لما ازمع اتيوخوس على ان يقوض ركن الهيكل والدين وانذر  
الانبياء احاز ومنسى كثيراً ليقوموا بناصر الحق والدين ويدعوا العبادة سالمة وقد كتبت  
كلمات الانبياء الذين كانوا يناجونهم باسم الرب اله اسرائيل في تاريخ ملوك اسرائيل  
كما بنوه عنه الكتاب المقدس واما منسى فقد تلبث قلبه وقاب بسبب انذارهم واصبح  
ارشاد الانبياء ذريعة لان يحفظ للشريعة من المؤمنين عدداً كبيراً . وان حرب الصالحين

كان لم يزل قوياً حتى ان الاحكام كانت تصدران الملوك الكفرة الذي تبادهم غائلة الموت ليس من الحق ان يرمنوا في تربة داود سلفه الصالحين وان يكن قد كتب ان احاز قد دفن في مدينة داود فيؤخذ من الكتاب المقدس انه لم يرمن في تربة ملوك اسرائيل . ولم يخرج منى عن نطاق ذلك الحكم ولو اصبحت بعد حجة ثابتة ولم يكن ذلك الا ليبقى له اثر مستمر يبعث على الرعدة والارهاب من سلوكه ولكي لا بدور في خلد احد ان الذين كانوا متعددين بالعبادة علانية مع الانبياء لم يكن بينهم خلفاء شرعيون للكهنة قال حزقيال صريحاً : اما الكهنة واللاويون بنوا صادوق الذين رعو سنن مقدسي اذ ضل بنو اسرائيل عني فهم يزددلون اليّ ليجدوني . ويقفوا قدامي ليقربوا لي الشتم والدم قال الرب .

ومع ذلك فان عبادة الاوثان التي كانت وسيلة لان تطمس اسرائيل كانت مراراً حجة تجذب اليها في مملكة يهوذا الملوك واكثر الشعب قسراً عن الانبياء المؤمنين والكهنة الصديقين والشعب المتحد معهم في حفظ الشريعة . وان يكن الملوك غادروا اله ابائهم نسباً منسياً فمحبهم الله اكراماً لعبك داود لانه كان دائماً يرؤى اليه . ولما كان الملوك بنو داود يتسبنون باعمال ابائهم كان الله يتجلم لهم بالعجائب العظيمة قصد نجاتهم الا انهم كانوا يشعرون بقوة يده التي كانت تثقل عليهم لما كانوا يغمسون في الفساد والغواية . وكان ملوك مصر وسوريا واسيا ملوك اثور وبابل كفضيب حنف . ولما فشا الكفر اقام الرب في الشرق ملكاً جباراً مرهباً يقال له نبوقولصر وولاه على بابل فكان اشر الفاتحين . وكان يخيف الله به الملوك عن بعد كانه نعمة عليهم في عزه ان يوسعهم ارهاقاً وتعنتاً فعلق يسى والدعريسى امامه فانقض في بادى الامر على اورشليم ففتحها ونقل من سكانها جزءاً الى بابل . ومع ذلك فلم يرعو من استقرهم المقام في بلادهم ولا من جيء بهم وقد طالما جد ارميا النبي وحزقيال في سبيل ارجاعهم عن غرتهم فلم يرجعوا بل اتروا عليها الانبياء الكذبة الذين غالوا في ان يداهنوهم ويصانعوهم بالخدعة فانتنى من ثم ذوالانتقام الى بلاد يهوذا وعنى اهل اورشليم بالمبرحات الموبقة وصوب عليها سهام غضبه فانلف منها جناباً كبيراً ولما تعاطمت الجرائر وتمادى قاطنوها في الخيلاء والضلاف وجه عنايته الى اطلاقها فجعلها قاعاً صفصفاً

ولم يعب الله عن ادمار هينكل قدسه . ولا ريب في ان بني اسرائيل لو استمروا



ثابتين في عبادة الله لكان ذلك الهيكل الذي موزينه العالم ابدياً لا يحرقه كرور الايام .  
 فنجح الله عنه فاذا كى الاثوريون فيه النار فاحرقوه . واما قول اليهود ان هيكل الله هيكل  
 الله هيكل الله هو عندنا فقد ذهب ادراج الرياح زاعمين ان ذلك الهيكل في وسع ان  
 يتخذهم وحده فناء ذواليد الثوية ان يدلم على ان نجاه المرء ليست موقوفة على بناء  
 الحجارة بل على قلوب انطوت على الصبر والامانة

ولذلك عرض هيكل اورشليم لان يصح بياباً وكوزة للسلب واصبحت كل  
 ادواته الثمينة التي وقفها اليه الملوك الصديون فريسة لمطامع ذلك الملك المجود . الا ان  
 سنوط شعب الله ازمع ان يكون مثالا لكل الارض وانذاراً لانا نرى في هذا الملك العتي  
 المظافر صفات كل المنافحين الذين كانوا عصياً لضعب الله فكان جلّ جلاله يتخذهم آلة  
 لتنفيد احكامه المعادلة ثم يتخذ احكامه فيهم لان نبوقولصر الذي قد استلام بنوة الهية واصبح  
 ظاهراً ظهوراً قائماً عاقب جميع اعداء شعب الله وبيان ذلك انه زحف على الادوميين  
 والعوميين والمرايين وسلب ملوك سوريا املاكهم واضحت مصر التي التفت على عوانق  
 اليهود نير الاسترقاق مدقاً لسهام هذا الملك الجبار فانه انقلهم بالجزية يد أن بانه لم يكن  
 اقل مضرة على يهودا فان الشعوب لم ينتهزوا الحين الذي اوسعهم به الرب رجاء الابواب  
 اليه فوهي فيها كل ما كان قائماً وقوض نبوقولصر قضيب غضب الرب ركن كل شيء  
 وقد اصبح هو نفسه على جرف سوف بنهار . واما الرب الذي قد اتخذ ذلك الملك آلة  
 يعاقب بها شعبه واعاداه ترك قصاصه لم يتركه في الثوية

## الفصل السادس

في قضاء الرب على نبوقولصر والملوك خلفائه وكل دولة الاثوريين

ان الرب لم يخف على شعبه ما كان مزعماً ان يحل في ذلك الملك الذي كان  
 يعنتهم ويضيق عليهم وفي دولة الكلدانيين التي اتخذهم اسرى وخيفة ان يصحبوا جانحين  
 الى مجده الكافرين وسوء دهم اخذ الانبياء يندرونهم بان ملك الاشرار قريب الزوال  
 فان اشعباء الذي شاهد ما اتصل اليه نبوقولصر من العز والمنعة والجبروت تنبأ بانه  
 سيهبط مدحوراً وتصبح مملكته طامسة دارة وذلك قبل ان يبرز الى عالم الوجود وقد

كانت بابل خربة جداً لما تنبأ هذا النبي . عما ستصل إليه من البأس والشوكة . وبعد ذلك بقليل من الحين رأى ما ألم بها من الدثار وعلى ذلك كانت التقلبات التي تنشأ في المدائن والممالك التي طالما ارهقت شعب الله او تغتنم من خسائره تكتب في تلك النبوءات التي كانت لا يمضي عليها قليل من الحين الا تم وان اليهود الذين عوقبوا بكل صرامة شاهدوا سقوط السامرة وادوم وغزة واسكالون ودمشق والمدائن العموية والمواوية العدوتين اللدائين وحاضرات الممالك العظام كصور ملكة البحر ونابلس ومفيس . وناب التي كان لها مائة بوابة سقطت مع غنا سينوستريس وبنينا نفسها مركز ملوك اثور الضاهدين وبابل ذات الخيلاء والكبر الظاهرة على غيرها المثيرة بما اغتمت . وكل ذلك ثم قبل اليهود اوفي اثنائهم اوبعدهم بقليل كما كتب في سفر الانبياء .

وبلا ريب ان اورشليم سقطت في ذاك الحين نفسو لكثرة ما تحملت من الجرائر  
والمنكرات يذم ان الله لم يدعها فاصمة حبل الرجاء فان اشعياء الذي تنبأ عن سقوطها  
رأى نهوضها المجيد وانه عينة اوعز قبل ميلاد قورش بما يتي عام الى الله ينقذها وان ارميا  
النبي الذي لا يشك في ممو نبواته وعد الشعب بالايات السنة السبعين بعد السبي وما  
ذلك الا ليبيدي لهم ما سيعنورهم من الهلاك عذابا على نكرانهم للجبل وفي اثناء السبي كان  
الشعب مرعى الحرمة بسبب انبياء الذين كانوا يندرون الامم والملوك بما سيطر عليهم  
من الموتات .

ونبو قولصر الذي كانت تودى له العبادة خَرَّ لدانيال خاشعاً لَأَن الدَّهْشَ  
أَخَذَهُ إِذْ شَعَرَ بِالْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ دَانِيَالُ يُبَشِّرُهَا لَدَيْهِ . وَاعْلَمَهُ بِمَا سَيَقْضِي عَلَيْهِ  
فَكَانَ انْفِذَاهُ . عَقِيبَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى مُصَدِّقِ مَا قَالَ . فَإِنَّ ذَلِكَ الْمَلِكَ الظَّافِرَ كَانُ  
يُحْتَلُّ فِي بَابِلَ الَّتِي جَعَلَهَا أَكْثَرُ الْمَدِينِ وَامْتِعَاقُ قُوَّةٍ وَاجْتِهَادُ مَدِينَةٍ اشْرَقَتْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ  
فَوَقَفَ لَهُ الرَّبُّ هُنَاكَ فِي الْمَرَصَدِ لِيُنْكَسَ أَعْلَامُ عِظَمِهِ فَكَانَ فِي حُكْمِهِ سَعِيدًا لَا تَلُمُ  
بِجِسْمِهِ قَرْحَةٌ طَالَمَا كَانَ مَرْتَسًا عَلَى جُنُودِهِ وَفِي كُلِّ أَيَّامِ فَتُوحَاتِهِ وَكَانَ مُشْرِقًا عَلَى  
السَّمُوطِ فِي بَيْتِهِ نَظِيمًا لِنُبُوءَةِ حَزَقِيَالِ وَلِكَثْرَةِ مَا كَانَ مُتَمَادِيًا فِي الْكِبَرِ وَالصَّلَفِ تَعَالَى  
فَوْقَ الْعَالَمِ الْإِنْسَانِيِّ . فَجَاءَهُ اللَّهُ إِذْ ذَاكَ بِالضَّرْبَاتِ الْوَيْلَةِ وَذَهَبَ بِعَقْلِهِ وَطَرَحَ بِهِ  
بَيْنَ الْبَهَائِمِ لِأَنَّهُ لَمَّا جَاءَ الْحَيْنَ الْمُنَاحَ الَّذِي أَوْعَدَ إِلَيْهِ بِهِ دَانِيَالُ رَجَعَ إِلَى عَقْلِهِ وَتَابَ إِلَى  
رَبِّ السَّمَاءِ الَّذِي جَعَلَهُ يَشْعُرُ بِقُوَّتِهِ يَدَّانِ خَلْقَاهُ لَمْ يَسْتَنْوِ بِأَعْمَالِهِ فَتَغَيَّرَتْ حَيْثُ نَزَلَ

الشعوب في بابل وازف الوقت الذي حده الانبياء بنهوض يهوذا فبدأ قورش مترسداً  
 على الماديين والفرس ورضخ كل شيء له فازدلف رويداً رويداً وزاحف الكلدانيين  
 لانه توقف في تسبارة كثيراً وفشا نيا ماناه كما تنبأ اشعيا ومن ثم زحف على بابل . فنه  
 المدينة التي طالما نوعدها الانبياء مراراً حجة لتوغلها في عباب الكبرياء والعظمة غير ثابتة  
 عراها الظافر المجري . وهي لاتندعر منه ولا ترتعب . فانما كانت تشامخ بهامتها لكثرة  
 ما كان لها من الغنى والثروة وبذوخ اسوارها وعظم جيوشها وسعة نطاق حكمها الذي كان  
 يكتنف بلاداً بأسرها كما روى القدماء وذخرها العظيمة . وبعد ان احوصرت زمناً مديداً  
 لم ترهب ادنى غائلة بل كانت همزاً باعدائها غير مبالية بما كان يحضر قورش حولها من  
 الخنادق والاحادييد ولم يكن يهتم اهلها داخل ابوابها الا في المادب والملاذات وقام  
 ملكها بلشصر حفيد نبو قولصر الذي كان يضاهيه بالكبرياء لابل بالسالة ودعا ظهراءه  
 المفرين وصنع لهم احتفالاً عظيماً . وحدث في ذلك الاحتفال فساد . ما عليه من مزيد .  
 لانه اتى بالاولائي القدسية المنتزعة من هيكل اورشليم ودنسها مازجاً الارجاس بالبرج فحقق  
 الله حينئذ منه وهبطت من العلاء يد سماوية وكتبت على ظاهر المتزل المعد للوليمة كلاماً  
 يبعث على الازهاب والذعر فاقفه دانيال الذي كان قد تنبأ عن سقوط جن السكيب  
 عن معناه : قائلاً ان صاعقة ستسقط وتنبأ لوامر الرب فتح قورش له في بابل باباً . واما نهر  
 الفرات الذي كان قد حوله قورش عن مجراه بواسطة خنادق احفرها له منذ ابام  
 مدينة فقد اكتشف له مجراه المنسوع وعبر الملك في ذلك الجري غير المنتظر وعليه اصيبت  
 بابل ذات الكبر فريسة للماديين والفرس وقورش كما قال الانبياء . ولدن ذلك  
 اندثرت معها مملكة الكلدانيين التي ادمرت من الممالك مقداراً كبيراً وهكذا  
 تحطمت مطرقة جميع الارض كما يقول ارميا النبي وسحق الرب عصاً ضرب به كل الامم  
 حسب قول اشعيا . ورأى الشعوب الذين كانوا يعانون انتقال ملوك الكلدانيين انهم  
 يعانون مثلاً كانوا يعانون . وقالوا لبابل اصبحت قرحى مثلاً فضاھيتنا ولقد طالما كنت  
 تقولين في قلبك اصعد الى السماء فاكون نظير العلي وذلك ما قد اندريه اشعيا النبي  
 قائلاً سقطت سقطت بابل الكبرى وتحطمت الهتها وتسحنت اصنامها وانكسر باعال  
 واهلها نابو العظيم الذي كان ملوكها العظام يشقون منه الفاجهم فان الفرس اعداءهم كانوا  
 يعبدون الشمس ولم يكونوا يقنطون من الاصنام او الملوك الذين اقاموهم آلهة عليهم . واما

سقوط بابل فقد طابق ما تنبأ عليه الانبياء فان مياهها نضبت كما قال  
ارميا للجيها الظاهر عليها واخذت بها سنة النور والغلة وهي غريفة بحار المملكات كما قال الي  
وقبضت عليها ايدي اعدائها كأن احبولة طُرحت عليها فاصبحت قنبصة وهي غير  
شاعرة . فقد اكل سكانها هدفا لنصال السهام وفريسة لعرار الحسام . فان الماديين  
الظافرين لا يطلبون كما قال اشعيا نضارا ولا لجيئا بل الانتقام وحده ويجهدون في ان  
يشفوا غليل غمرهم بان يهلكوا شعبا ظالما حملة تكبره على ان يكون عدواً لبني الانساب  
قاطبة . وكان السعاة ياتون متوافدين على الملك يشنون لده ان المدينة قبضت عليها  
ايدي الاعداء وتنبأ ارميا عن ذلك ومجيء الذين كان يثق بهم وكانوا يعدونها بملك  
ايدي ولم يمكن لهم ان ينقذوها من ايدي الظافرين وذلك ما تنبأ عنه اشعيا وارميا معا  
ولم ينج في هذه المذبحة الهائلة من حسام الظاهر الا اليهود وحدهم لانهم كانوا يعرفون  
ذلك انفاً وقورش الذي امسى قابضاً بفوزة على كل الشرق شعر ان سيف هذا الشعب  
المدحور مراراً امراً الهياً ففرت عينه لما سمع بالنبوءات التي اعلنت سلنا بابتصاره وذعن  
ان ملكه هبة من رب السماء الذي يعبد اليهود . فاعزاول عام من حكمه الى ان  
ينقض الهيكل ويشفي الشعب الاسرائيلي .

## الفصل السابع

في اختلاف احكام الرب بقضائه الصارم على بابل

وحكمه الرحيم على اورشليم

من ذا الذي لا ياخذ العجب والدهشة من الحكمة الالهية البادية بنوع صريح  
على اليهود والكلدانيين واورشليم وبابل . فشاء ذو العزة ان يعاقب هاتين المدينتين  
كنتين عقاباً شديداً فانذر بذلك بزم انبيائه الاطهار حذر ان يدور في خلده البعض ان  
ذلك العقاب ليس منه تعالى . فكان اذ ذاك لاورشليم وبابل سقوط رائع حسبما فاهمت  
به الانبياء من قبل . واما الرب فقد اذاع سر ذلك العقاب فائق الكلدانيين بالمبرحات  
وعاقب اليهود الذين هم بنوه رافقاً راحماً فسقط تكبر الكلدانيين الى الحفيض  
دون رجاء النهوض وما ذلك الا لان الخيلاء قد اخذت بهم كل مأخذ فاصبحت

ففيهم من الصفات الغريزية وملكة في دولة بابل فقد قال النبي ارميا ان ذا  
الكبر يهوى الى اسفل مدحوراً وليس من احد يقوم بناصراً وقد قال اشعيا النبي ان  
بابل الشديدة الختروانة التي هي مثابة عظمة الكلدانيين ستصبح طامسة دارة مثلها  
اصبحت صدم وعمورة . ويقادرها الرب آيسة قنوطة . بيد ان ذلك العقاب الصارم  
لم يوقعه على اليهود بل انه قاصمهم كما يقاص الاب بنيه المتبردين امل ان ينجحوا عن غرتهم  
مزدلفين اليه رضوخاً فيتناسى ما فعلوا ان تابوا اليه نادمين ويسذل بجاف السر على  
زلاتهم . قال الرب لا تنزع يا عبيدي يعقوب فاني انا معك واني ايد جميع الامم . واما  
انت فلا ايدك بل اودبك بالحكم ولا اغفر لك كأنك ذكي . وعلى هذا قد أخذت  
بابل من الكلدانيين اخناً موءبداً . وأسلمت لشعب آخر ونهضت اورشليم بعد ان  
كانت دائنة بنوع عجيب . وآب اليها بنوها من كل اصناع العالم .

## الفصل الثامن

في اياب الشعب تحت قيادة زروبابل وعزرا ونحميا

ان من اعاد بني اسرائيل من السي زروبابل من سبط يهوذا ومن نسل الملوك  
فائتي بنو يهوذا اجوا قافوا فعملوا الارضين . بيد ان عشرة الاسباط تشعشعوا وتبددوا ما بين  
الامم الا الذين هم موسومون باسم يهوذا فانهم انحازوا تحت رايته وآوا الى ارض اباؤهم .  
وشادوا في ذاك المحين المذبح واقاموا الهيكل ورفعوا اسوار اورشليم  
وكبت الفرس الذين اصبحوا ذائدين عن شعب الرب حسد الامم المجاورة وعاد  
الكاهن العظيم الى مهام امره والكهنة الذين امكن لهم ان يبنوا تسلسلهم بواسطة السجلات  
العامة . وكل من لم يبين ذلك اصبح مرفوضاً وعزرا نفسه الذي كان كاهناً ومعلماً في  
السنة والحاكم نحميا اصحبا كل الفساد الذي طرأ منذ السي وحمل الشعب على ان  
يرعى الناموس بكل دقة ونظام . وكان الشعوب يصيبون العبرات معها على كل الزلات  
التي سببت لهم ذلك العقاب الاليم . واذعنوا ان موسى تنبأ عن كل ذلك وكانوا جميعهم  
يطالعون في الكتاب كل ما كان عبد الرب يتوعدهم به وكانوا يشاهدون تنفيذه .  
وكانت نورة النبي ارميا والاباب الذي وعدوا به بعد سبعين سنة من الاسر يدعشاهم

ويعزّيانهم فاخذوا اذ ذاك برضخون الاحكام الرب ويزدلفون اليه ويعيشون بالامن والسلام.

## الفصل التاسع

في ان الرب الذي كان على وشك ابطال النبوات اذاع نور حقه  
اكثر من الآنف

ان الرب الذي يصنع كل شيء في حينه قد استعان الوقت لان يلقي الوسائط المخارقة العادة اي النبوات بين شعبه . لانه رآه نبع في الرشد ولم يكن باقياً في ذاك الحين الى ماتي المسيح الاخمسة عام . وانا ط الله بهمة ابنه ذي الجلال ان يسكت الانبياء في كل ذاك الآن ليقبى شعبه منتظراً من هو مزعم ان يكون منفذاً لتلك النبوات وفي اواخر الاوقات التي عزم فيها الرب على ان يلقي النبوات لاح في فكره ان ينشر كل نور حقائقه ويكشف كل اسرار حكمته الالهية فابان بنوع صريح اسرار الاوقات الاليتية .

فان دانيال رأى في اثناء السبي ولاسيما نحو اواخر ذاك الحين اربعة الممالك التي ازمع الاسرائيليون ان يعيشوا تحت رايها مراراً مختلفة بهيئات متباينة . ولا غرو انه نبي قد ذاعت في تلك الارجاء حكمته وثقواه ورعت الملوك له المحرمة وقد تحنن بعضهم سنداً يعول عليه في امور الدولة لفرط حصافته وحكمته التي دارت ذكراها على الالسة وكشف عما كان مطوباً بشأن تلك الدول لانه كان مزعماً ان يرى دولة ملك من ملوك اليونان ظاعنة كالسبل الآتي وهي دولة الاسكندر وعند سقوطها تقوم دولة اضعف منها وياخذ بها الشقاق والانقسام فتفتي هذه الدولة في دولة خلفائه الذين بنوه النبي عن اربعة منهم وهم انتيباطور وشلاكوس وبتولماوس واثيغونوس . ومن الامور المقررة في التاريخ انهم كانوا ذوي جراءة وبأس يفوقون بذلك سواهم . وتوارث شوكتهم خلفاؤهم وقد اوعز ايضاً الى ما اجمعا من المحروب وما اوغرت صدورهم من الحسد والى اتحادهم المبني على الرياء والمخاتلة ويشير عن جور ملوك سوريا ومطامعهم وكبرياهم وصفاتهم الذميمة التي قد امتاز بها اثيوخوس اينان الذي كاشع لشعب الله بالنبي والبغضاء وجار عليهم . وقد

او عز دانيال الى قصر حكمه وما يلم به من العقاب السريع على جورهِ . وفي اواخر تلك  
الارمنة تنوطد احكام ابن الانسان وتبرز كائنات ناشئة من بين تلك الممالك ويعرف  
بذلك الاسم يسوع المسيح وتدعى مملكته ملك قديسي العلي ويودي كل الشعوب لها  
رضوخاً عظيماً وانها لدولة تنهافت على السكينة والسلم وقد وعدها الله بان تكون ازلية  
وان شوكتها لا تحول الى دولة اخرى سواها .

ان الله اوحى الى دانيال عن ما تاتي ابن الانسان اي المسيح المنتظر وعن كيفية نعمة  
العمل المندوب به اي انقاذ الجنس البشري . لانه بينما كان منهمكاً في سبي شعبي في بابل  
وفي السبعين سنة التي حصر بها الله مئة السبي وفي جواره الى ربه بالدعاء لينج له نجاة  
اخوته رفعه الى افكار اسى منها لانه رأى من السنين عدداً سوى ذلك ونجاة امم  
فقد رأى بدلاً من السبعين سنة التي تنبأ عنها ارميا سبعين اسبوعاً منذ الامر الصادر من  
ارتحششتنا ذي اليد الطولى سنة العشرين من ملك لاجل قيام اورشليم فانه يقول حينئذ  
بنوع صريح في انتها السبعين عاماً ان الخطيئة تحي وتلاشي الائم ويسود العدل الابدي  
ونتم النبوة ويصح قدوس القديسين وان المسيح سوف يبدو وكفائد الشعب بعد تسعة  
وستين اسبوعاً بعد تسعة وستين اسبوعاً (لان النبي كرّر ذلك) وعند ذلك يقتل جوراً  
وعدواناً ويغتم قتله لثم النبوة ويعز النبي الى اسبوع خاص وهو آخر اسبوع السبعين  
الذي يقتل فيه المسيح حيث تثبت العهد وفي وسط ذلك الاسبوع تلغى الذبيحة والتفريز  
ولا جناح في ان ذلك يكون بسبب موت المسيح لان ذلك التغيير ينشأ عقيب موته  
ولم يبق بعد موت المسيح والقائه الذبيحة الا الرجس واليباب فحينئذ ترى خراب المدينة  
والقدس وان الشعب والفائد المتقدم بيدها ويكون في الهيكل رجس ويستمر اخر ذثار  
الشعب الذي تجدد مخلصه الى الانقضاء

فاذا اريد بهن الاسابيع اسابيع سنوية حسب مقتضى الكتاب المقدس نتج من  
ذلك اربعمائة وتسعين سنة وقادنا ذلك منذ السنة العشرين من الملك ارتحششتنا الى  
الاسبوع الاخير المنعم من الاسرار حيث تالم فيه المسيح والتي بموته ذبائح السنة وائم كل  
الرموز . فالعلماء ياتون بحسبان متباين ليطابقوا ذلك الوقت تماماً اما الحسبان الذي  
رفعته اليك فهو خال من الارتباك ولا يشوش تسلسل ملوك الفرس بل يجعل له وضوحاً  
بيناً وليس من العجب ان يكون في تاريخ هؤلاء الملوك قليل من الارتباك الا ان السنين

القليلة التي يقع عليها النزاع لا تكون مشكلاً لها بالنسبة الى تعداد اربعماية وتسعين سنة  
 فعلاّم نطيل البحث عن هذه المسئلة فان وجد مواع في هذه الامور فقد كانت العلي ازالها  
 بحكم لابتناقض فان الحادث الين يحملنا على ان لانعاً بتقير المؤرخين طراً فان دثار  
 اليهود الذي ولي موت السيد المسيح يبين لمن كان اعى البصيرة نعيم النبوة . ولم يبق  
 علي الان الا ان احملك على ان تسرح طائر النظر في احد الظروف فان دانيال ياتينا  
 بسرّ اخر وهو ان نبوة يعقوب كانت قد انبأتنا ان مملكة يهوذا سوف تزلزل لدن  
 ما في المسيح يد الله لم يوعز الينا ان موته يكون ذريعة لانقضاء هذه المملكة بل الرب قد  
 كشف هذا السرّ المهم لدانيال النبي لما ابان له ان انقضاء اليهود سوف يكون نتيجة موت  
 المسيح ومحمد هيايه . فادر لحاظك باسيدي الى هذا القول فان تسلسل الامور سوف بينه  
 لديك علي احسن منوال .

## الفصل العاشر

### في نبوات زكريا وحجاي

انك قد عثرت علي كل ما ابان الرب لدانيال قبل انتصار قورش وترميم الهيكل .  
 وفي غضون ترميمه اقام الله حجاي وزكريا النبيين ثم بعث فوراً بملاخي المزمع ان يكون  
 خاتمة انبياء العهد القديم فكم من الامور التي راها زكريا النبي . فقد تبين ان كتاب احكام  
 الرب كان كأنه مفتوح امامه وانه كان يقرأ كل تاريخ شعب الله منذ سبائو . فقد انجلي  
 لدبه تسلسل اضطهاد ملوك سوريا والحروب التي اذكوها علي يهوذا لانه كان فتوح  
 اورشليم ونهبها يتضحان لدبه . ترى بصيرته خراباً هائلاً وبليلة عظيمة وشعب الله موليّاً في  
 البرية آيساً جزوعاً عائشاً بين الموت والحياة . وقبل ان اضحل بزغ امامه نور جديد  
 وهوان الاعداء الكاشحين تشعشوا منزهين مقبوعين ونقضت الاركان الصنية في كل  
 الاراضي القدسية وآب الامن والسلام والغضارة الى المدينة والبلاد واصبح الهيكل مرعي  
 الحرمه في كل الشرق . ومن الظروف التي تستلفت الانظار اليها ان زكريا اوحى اليه من  
 العلاء ان يهوذا نفسه يحارب اورشليم اي ان بني اورشليم سوف يسلمونها وان كثيرين من  
 اليهود هم من زمة اعدائها . وكان يرى احياناً في بيت يهوذا تواتر حوادث سعيه لانه



يقول عن لسان الرب انا اقوى بيت يهوذا واني اذلل الممالك التي اخطت يدتي واعاقب  
الممالك المجاورة التي لا تفك تضطهدي . فقد ارتد بعضها وانجاز الى شعب الرب . ولقد  
كان يرى ان الشعب غائص في لجة انعام الله . ومن جملة انعامات الله انه كان ينجيهم  
باتصار الملك النثير الطاهر السليقة والقلب المنفذ الذي يدخل اورشليم راكبا اناثا  
وبعد ان انبأهم عن سعادتهم على ينيهم عن تسلسل المصائب وهوانه راي ان  
النار انهممت الى كل وساد في البلاد والعاصمة الدثار والتل والجور وما اليه الملك من  
العسف والعدوان اما الرب فيرفق بشعبه المنبوذ جانباً ويصيح له راعياً ويعصه يده ثم  
تخدم المحروب الاهلية وتحول الحال والى ذلك يوعز بدلائل فردية ويكون بدء ذلك  
الحزن لدن سقوط ثلاثة رعاة اي ثلاثة ملوك حسب قول الكتاب فيسقطون في شهر  
واحد وقول النبي في ذلك بين ذو وضوح اذ يقول قطعت ثلاثة رعاة اي ثلاثة ملوك  
في شهر واحد ونضابت نفسي بهم اي بشعب لان امواتهم قد اخلت بي ولم يشبوا في  
سنتي وقد قلت لم اني لا ادعي راعياً اي لا اكون لكم قائداً بل اغادركم وشأنكم بجمال بجنكم ولا  
اعبا بما يلزمكم من الشقاق ولا انهمك في ان ادرأ عنكم التوائب المعة لكم وعلى هذا  
فليت من يموت وليتصرم ما يتصرم وينهم كل من الباقين لجان خدته والى ذلك يكون  
مال اليهود الذين نسيم الرب عدلاً . وقصارى القول ان السقوط قد تم بعد فناء  
هؤلاء الملوك الثلاثة وان ما هو مزعج ان ياتي سوف يبيدي لنا ان نعيم هذه النبوة لم يكن  
قليل الوضوح .

وفي اثناء هذه المصائب العديدة التي تنبأ عنها زكريا جليلاً يتبين لنا بلبلة اشد من  
كل تلك الدوازل وهي انه بعد ان سار الشقاق بين اولئك الشعوب وآل بهم الامر الى  
السقوط باعوا الرب العظيم بثلاثين من الفضة . وقد توصل النبي الى ان راي برومياه  
حنن الخزفي الذي صرفت في سبيله واصبح من بعد ذلك بلبلة عظيمة بين الشعب  
ففسدت قلوبهم ومخطمت شوكتهم .

فيا سيدي ان لسانني لي عن تبيان نبوة زكريا العجيبة التي راي بها الراعي مضروباً  
والضئان مبددة والشعب يرنو الى ربه الذي طعنه ولقد راي دموعاً نسخ عليه تفوق  
دموع التكلي على وحدهما وحزننا عليه شجياً اقوى من الحزن على الملك يوشيا وقد راي  
امراً اعظم من كل ذلك وهوان الرب بعث بالرب الى اورشليم ليدعوا الامم لكي يذصفوا

بشعبه وينظن هو بينهم .

اما ما قاله حماتي بشأن ذلك فقد كان عرباً عن كل اطراء ومغرماً في قالب الغرائب لان الشيوخ لما كان بيني الهيكل الثاني كانوا يسبحون العبرات حزناً والنباءاً مقابلين سوءد البناء الاول بالبناء الثاني الذي هو نتيجة الفاقة والفقرا ما النبي الذي كان اسي معرفة منهم فقد كان ينذرهم بمجد الهيكل الثاني ويوشع على الاول وبين لم انه يقام بن ينظره الامم وهو المسيح الموعود به منذ الفين سنة ومنذ ابداء العالم ليكون منفذاً للامم وهو الذي سيبدو في الهيكل الاخير لان الرب يهب فيه السلام وكل الارض تشهد بما في منخلصها ولا يبقى لما ناه الا بقليل من الحين وان الازمنة المهيأة لمجيئه قد اصبحت من آخر الازمنة .

## الفصل الحادي عشر

في نبوة ملاخيا آخر الانبيا وتتميم الهيكل الثاني.

لما ناهز نجاز الهيكل اخذ الشعوب يندمون الذبايح بيد ان اليهود ذوي الحسة والدناءة هم همكوا في تقديم قرايين ذات عيب وارتفع اعتبار ملاخيا الذي كان يوتهم على ذلك فانه لما كان يرى قرايين اليهود ذات الرجس كان يرى قرباناً ذا طهر عرباً من الدنس موهباً لان يقرب لله ولا يكون ذلك في هيكل اورشليم فقط بل في فسيح من الارض من مشرق الشمس الى مغربها ليس من اليهود بل من سائر الامم الذين يصبح اسم الرب بينهم عظيماً كما يقول النبي

ويرى ايضاً مثل حماتي بمجد الهيكل الاخير والمسيح الذي تحمل فيه ركابته خطيراً الا انه كان يرى في الوقت ذاته ان ذاك المسيح هو الله نفسه الذي كرس له ذاك الهيكل لانه يقول عن لسان الرب هئذا ابعت بلاكى ليسهل الطريق امام وجي ولدن ذلك ياتي الى هيكله الرب الذي انتم تطلبون وملاك الميثاق الذي انتم تبغفون .

يبعث بلاكى وهئذا الملاك المبعوث ذو السوءد السامي ولي الهيكل والمبعوث هو الله بلج هيكله كما بلج موثله الخاص وهو المبعوث الذي يطلبه كل الشعب الذي ياتي ليضع ميثاقاً جديداً ولذلك دعي ملاك الميثاق او العهد .

وإذا تخم أن يبدو هذا الآلة المبعوث من قبل الرب في الهيكل الأخير فإن مبعوثاً  
آخر يسبغ ويهد له الطريق . ومن ذلك يتضح أن المسيح يسبغ البشير وقد أوعز الله عن  
صفات ذاك البشير إلى النبي ملاخي وأنه يكون كاليا المشهور بالطهر والقداسة ورقة العيش  
والسلطان والغيرة .

وعلى هذا أن النبي الأخير من الشعب القديم قد أبان كل صفات النبي الأول المزمع  
أن يأتي بعده وهو اليا المجدد بشير المخلص الذي سيبدو . ولم يكن شعب الله يستأني إلى  
ذاك الحين نبياً بل كان يقتصر على سنة موسى .

ولذلك أتم ملاخي نبوته بهذه الكلمات اذكروا سنة موسى عبيدي التي أوصيته  
بها في حوريب إلى جميع إسرائيل فهذا البعث اليكم باليا النبي ويعطف قلوب الآباء على  
البنين ويرد قلوب البنين إلى آباءهم . ويظهر للبنين ما كان يستنظره الآباء . وضم الرب  
إلى شريعة موسى الأنبياء الذين تكلموا حسب منظومتها وتاريخ شعب الله الذي الله الأنبياء  
أذ كانت مواعيد الناموس وتهدياته مفررة بمجداث ظاهرة . ولقد كانت كل ذلك  
مكتوبة بعناية كبيرة ومنصوصاً حسب ترتيب الأزمنة وهذا ما غادره الرب لتعليم شعبه  
لما أتى الأنبياء

## الفصل الثاني عشر

في زمن الهيكل الثاني وثمره العقابات والنبوات الأخيرة  
والغاء عبادة الأصنام وطرد الأنبياء الكذبة

إن هذا التعليم قد سبب تغييراً عظيماً في أخلاق الأسرائيليين ولم يكونوا يمتنعون  
إلى الروم ولا للإنذارات الصريحة ولا للمعجزات الغريبة التي كان الرب يستعملها في  
شأن أنذارهم بل إن الأدلة التي بانته لديهم كانت كفوهم في ذلك . وإن قلة أمانهم قد  
لاشتمها الحوادث التي تمت لديهم وأثارت بصائرهم فاشتدوا راضحين ومن ثم ضعفت أيمانهم  
إلى عبادة الأوثان التي كانوا يتهاقنون عليها بنوع غريب . وذلك لأنهم لم يجنوا بحجدهم  
إله آباءهم ثماراً وكانوا يذكرون دائماً نبؤقولصر وما تنبأ لهم عن الخراب ومع ذلك  
فقد نشأ الخراب في وقت أدنى مما كانوا يخالون . ولقد كانوا يعجبون من رجوعهم في الوقت

الحدود قسراً عن كل الأمور البادية وبسبب من عين لم يهردم . ولم تكن ابصارهم ترف  
على الهيكل الا يخبروا يشعرون بما سبب خراب الهيكل الاول وما من شأنه قيام  
هذا وبناء عليه كانوا يثبتون في سبيل الامانة بكتبهم التي كانت الاحوال طراً  
تشهد لما .

ولم يبق بينهم انبياء كذبة لانهم جنحوا عنهم وانفوا من عبادة الاصنام . وبيان  
ذلك ان زكريا قد نبأ ان هذين الامرين يحدثان لم وهاك ما قاله حزقيال في ذاك  
الشان : في ذلك اليوم يقول رب المجتود اهلك اسماء الاوثان من الارض ولن تذكر الى  
ما بعد واتزع من الارض الانبياء الكذبة والروح النجس وان نبأ احد الى ما بعد  
يقول له ابي وامه اللذان ولداه لانجي من اجل انك انت تكلمت بالكذب باسم الرب  
ويمكن لك ان ترى في النبوة نفسها ان ما بقي من القول ليس باقل قوة من هذا . وثبت  
هذه النبوة بوضوح وجلاء فان الانبياء الكذبة تنواروا في عهد الهيكل الاخير ونكص  
الشعب عما صانعوا وداموا وانفوا من ان يسموا لم كلاماً وعكفوا على ان يطالعوا  
موملقات انبياء الرب الصادقين ولم يكونوا وقتئذ يحتاجين الى ايضاح ما كانوا يسمعون من  
النبوة لان المحوادث كانت ثم كل يوم تصبح دليلاً على مصداق ما كان الانبياء  
يثبتون .

## الفصل الثالث عشر

في السلام بين الشعب وفي من نبأ عنه

لارب في ان الانبياء طراً وعدوا الشعب بسلام . عيم ولم نزل نطالع بكل ارتياح  
وميرة ما اوعز اليه اشعياء وحزقيال بشأن الان السعيد المزمع ان ياتي غريب سباء بابل .  
فان ما كان خراباً اصبح مرموماً واقامت المدائن والديساكر زاهية وكثرت الشعوب  
وتنكست اعلام الاعداء الكاشحين واخصبت الارضون وامتدت الغضارة والترف في  
المدائن وسادت فيها السكينة واصبحت مرتعاً للسر والسلام ووعدا الله شعبه بسكينة مستمرة  
دائمة فقبضوا على ناصيتها في ابان حكم الفرس وكانت اوامر الملك قورش مرمم الدولة  
تقرر لليهود راحة طول ايام الحكم . وقد كانت العيون تحدق بهم في عهد كل من

يدعى احتشوروش ويرهبون ما يهيا لهم من الازلال والتاويق . فتعطف الله عليهم وراهم  
 اذ كانوا يستعبرون واحال قلب الملك حالاً عنهم ونقم لهم من عدوم هامان . وبعد ان  
 مر ذلك الحادث سريعاً ذهبت عنهم الروعة واصبحوا دون رهبة وليسوا يخزنون . وكان  
 الانبياء يندونهم بان يؤدوا الرضوخ للملوك الذين يتولون امرهم بالله فانقادوا الى ذلك  
 صاغرين . وبناء على ذلك كان الملوك لا يعاملونهم بالنسوة والغلظة بل كانوا يرفقون  
 بهم وباخذون بايديهم ولا يجهلونهم من الجزية ما يهظم فارتاحوا الى ذلك وعاشوا في  
 رقة العيش حسب نوايسهم . وكان اذ ذاك السلطان الكهنوتي بينهم مرعي الحزمة فكان  
 الحكمة العظام يقيدون امراءهم ولا يفادرونها تنجح بهم وكان المجلس الشوروي الذي اقامه  
 موسى برعي ماله من السلطان وكانوا يحرون بينهم السلطة في الحيرة والمات دون  
 ان يتداخل احد في اشغالهم وذاك ما كان الملوك يأمرونهم به . ولم يغير دثار دولة  
 الفرس شيئاً من احوالهم فان الاسكندر لم يهلك حرمة هيكلهم بل اعجب من نبوتهم وزاد  
 في اكرامهم الا انهم ارفقوا قليلاً في عهد خلفائه الاولين . فان بتولماوس بن لاغوس  
 باغت اورشليم وقاد الى مصر مائة الف من الاسرى بيد انه توقف فوراً عن ان يكون  
 لهم مكاشحاتاً بالبغيضاء او بالاحرى لم يبغيضهم قط بل عزم على ان يخرجهم عن تاذية  
 الخضوع للملوك سوريا اعدائه والحق يقال انه لما اخضعهم اتاح لهم بحقوق سكان  
 الاسكندرية عاصمة مملكته او بالاحرى صدق على الحقوق التي كان الاسكندر مؤسس  
 هذه المدينة قد من بها عليهم ولما سبر اعمالهم وراهم ممن تفرّدوا بخلوص النية والامانة  
 ادخلهم في سلك عسكره واناط بهم المراكز المهمة . فان كان اللاغيديون قد رعوا  
 لهم مقاماً فان السلاسيديون عاملوهم احسن معاملة فان سلاكوس نيكاتور رئيس هذه  
 العائلة اقامهم في انطاكية وادخلهم حفيد انتيوخوس الاله في كل مدائن اسيا الضغرى  
 فانتشروا في البلدان اليونانية عاشرين حسب نوايسهم ومتتبعين بكل ما لسكان تلك  
 الارحاء من الحقوق مثلما كانوا في الاسكندرية وانطاكية . وفي ذاك الحين امر بتولماوس  
 فيلادلفوس ملك مصر بشريعتهم ان تترجم الى اللغة اليونانية فعرف الامم اذ ذاك  
 دين اليهود وجدت بالملوك والشعوب الهمة ان يسيروا الهبات والصلوات النيسة الى  
 هيكل اورشليم واصبح اليهود راتعين في مجبوحة الامن والسكينة تحت لواء ملوك سوريا  
 وتنعوا براحة لم يتمتعوا بمثلها في عهد ملوكهم

## الفصل الرابع عشر

في ابطال الصلح واعادة تقريرون وانقسام الشعب المقدس  
واضطهاد انتيوخوس

ان الشعب المقدس لو لم يسد بينهم الشقاق لما كان السلم فيهم مهوشاً ولقد مضت عليهم من الاعوام ثلثاية وهم راتعون في حلبة الارتياح الذي تنبأ عنه الانبياء يوم دخل فيهم الطمع والحسد واوشكا ان يهلكهم . فان بعض عظمائهم الاعيان خانوهم رجاء ان يداينوا الملوك لينالوا منهم حظوة لانهم شاؤا ان ينالوا الشهرة اليونانية وآثروا الجبد الباطل على الجبد الحقيقي الذي كانوا يقتبسونه وهم بين اهلهم اذ كانوا يحافظون على سنن اجدادهم . فعكفوا على اللهو والتصوف كسائر الامم . وكانت هذه الامور المحدثه تبعث الشعب على الدهشة وانهول . وبدت في طي ذلك الزهو عبادة الاوثان كأنها قرّة في عيون كثير من اليهود . فضلاً عن ذلك فانهم لم يكونوا مخدعي الكلمة والرأي في انتخاب الكهنوت العظيم الذي كان في اسي مكانة في الشعب . وكان ذوو المطامع النفسية يزددلون من ملوك سوريا أمل ان يترشعوا الى ذاك المنصب السنيع وكانت هذه الوظيفة المقدسة جزاء لاولئك المصانعين الا ان الحسد والشقاق بين بعض افرادهم اتاهم بمصائب ودواه جسيمة داهمتهم والمدينة المقدسة . وحدث حينئذ ما قد اوعزنا اليه وتنبأ عنه ذكرنا النبي . وهوان يهوذا نفسه بقاوي اورشليم فسلم المدينة سكانها وهمس انتيوخوس ملك سوريا ان يبدي ذاك الشعب المنقسم رجاء ان يغتم غناه . وبدا حينئذ هذا الملك مطابقاً لكل ما قاله عنه دانيال النبي : اي طامع خسيس مصانع جائر وقع كافر معتوه يشخ بانفه ان كان منصوراً ويانف من نفسه ان كان مدحوراً . فولى اورشليم مستعداً لان يصنع ما يشاء . وكان يعزّز آماله على انقسام اليهود لا على قوة جنوده وفاقاً لما تنبأ عنه دانيال وغالى في التسوّة اذ دخل المدينة وبعثته كبرياؤه وعظيمة نفسه على ان يرتكب فواحش تنفر منها النفوس . وابدى كلاماً يلّم بشأن العلي كما تنبأ النبي ايضاً . فتتبعاً للنبوات الصادقات وثقة ما اقترفه الشعب من الجرائم المتكررات اتاح الله له قوة ضد الحرقات الدائمة ودنس الهيكل الذي

احترمة من قبل الملوك اسلافه وسلب منه اموالاً افعمت خزينة الخاوية . وامر باليهود  
 ان يعبدوا الالهة التي كان اليونانيون يعبدونها مذعياً انه يساوي عوائد شعبه . مع ان  
 ذلك كان ليشفي ايام مطامعه ولا سيما انه كان يود لو يعبدون المشتري اولاميان  
 الذي اقام مثاله في الهيكل نفسه . ولما كان يفوق نبوقلصر بالكفر والاعساف نهك  
 في ان يلقي الاعياد والسنة الموسومة والديناخ والذين ويبعد الشعب برمته الا ان الانبياء  
 قبدوه بشكيتهم خيفة الجهنوخ . فان متبياً نصدي له واخرز كل الاختيار وصنع ابنه  
 يهوذا المكابي هو وقيل من الناس افعالاً عجيبة وظهر هيكل الرب ثلاث سنوات وتصف  
 ستة بعد ان تدنس وهذا كله تنبأ عنه النبي دانيال ثم على مجارب الادوميين والام  
 الذين اجتمعوا مع اثيوخوس . وبعد ان استولى على امتع حصونهم ومعاقلهم انشئ ظافراً  
 صغير النفس كما تنبأ اشعيا . ومشدداً اناشيد بالرب الذي التي يتن يدبه اعداء شعبه  
 وهو مضرج بك ما هم . ولم ينشأ ظاهراً على اعدائه قسراً عن الجنود العظيمة التي كان  
 يقوم بامرها فاذة اثيوخوس . ولم يكن دانيال يعين لهذا الملك الكافر الا ست سنوات  
 ليضطهد شعب الرب . وشعر في الوقت المعين سابقاً في مذبة باعمال يهوذا الجريئة  
 وبادهته الشجون والازواخ فأت كما قال عنه النبي تقيساً وليس بيد انسان بعد ان  
 اعترف باله اسرائيل اعترافاً لم يحرك من بعد ذلك تنعماً . وليس من الامور ان  
 ارفع اليك النبا عن الحروب التي قام باعبائها خلتاؤه ضد اليهود وعن موت يهوذا  
 مخلفهم او عن فوز اخويه يونانان وسمعان اللذين تعاقبا في الكهنوت واقاما بقية الناس  
 مجد شعب الرب واعاداه الى ما كان سابقاً . فلم يجمع هؤلاء الافراد ان ملوك سوريا  
 وكل الشعوب المجاورة قد تالبت قلوبهم عليهم عدواناً . وموت الامور التي كانت تبعهم  
 على الاسف والنبور انهم كانوا يرون مراراً حجة بني يهوذا يندحجون في شكهم ضد  
 وظنهم اورشليم وقد كان ذاك الامر الى ذلك الحين غريباً الا ان النبوة عنه كانت قد  
 صدرت في ما مضى . وكان في غصون تلك التوائب يكون امورهم الى الله فلم يتفقروا  
 ولم تنههم تلك النوازل بل استمروا اشداء اقوياء واستمر الشعب تحت لواهم سعيداً  
 مغبوطاً وتخلص من وثاق عبودية الامم في عهد سمعان الخير والنحاز اليه خاضعاً له ولبيده  
 بارادة ملوك سوريا ورضاهم

وان ورقة الوثيقة التي بمنضاها نزل شعب الرب لسمعان واخلاق السلطة العامة

والحقوق الملوكية كانت على جانب عظيم من الاعتبار وهي تحوي مائنه : وهوان  
سبعان وذرية يتبعان بالسلطة الى ان ياتي النبي الحقيقي الامين .

ولما كان معتاداً منذ كيان الله على القضاء الالهي وشاعراً بان السلطة منوطة ببيت  
داود منذ اقامه الله على العرش ملكاً وانها سترد اليه عند جئته المسيح وان يكن ذلك  
بنوع رمزي واسي من كانوا يتظرون جعلوا للكنوت اجلاً مسمى بقبضون على السلطة  
في غضون عشرين تحت الوهم منتظرين ذلك المسيح الذين وعدوا بمأتاه من قديم  
الزمان . وبناء عليه نهضت مملكة يهوذا المستقلة وتغيرت لها ملكاً يتولى زمامها . فان  
ذرية يعقوب استمرت مالكة على سبط يهوذا ومن انحاز اليه وملكت باستقلال وسكينة  
في الارض التي عينت لها .

وزها اذ ذاك الدين اليهودي ذاتاً ونال من لدن الله دلائل جديدة فان  
اورشليم التي كانت انبوخوس سيداتيس يحاضرها مضيقاً عليها نجت من ذاك الحصار  
نجاه تبعث على الحيرة والدهشة لان ذلك الملك لما رأى الشعب عاكفين على نادية  
فروض دينهم غير عابئين بما لهم من السروشة الجوع تحركت الشفقة في قلبه ومنهم  
هدة تسمر سبعة ايام في قضاء اسبوع المظال القدسية . ولم يكف بان بنفس الكرب  
عنهم بل كان تبعث اليهم ذبائح يربونها في المبكل غير عابئين بانها تكون موهنة يسدون  
بها سفهم في تلك الأزنة الشديدة . ويؤخذ من نص العلماء المؤرخين ان اليهود كانوا  
يحتفلون السنة السابعة وهو انهم يدعون الارض في اثنا عشر غير مزدوجة رجاء ان تنال  
بذلك راحة وذلك طبق ما نصه موسى وكان اليهود في اكبر فاقة الى كل شيء وملك  
سوريا في وسعوان يبذلهم ظراً دفعة واحدة . لانه كان يتردى له انهم اعداء له الداء  
فأراد الله ان ياخذ بايدي شعبه ويتقدم من تلك الورطة الشديدة فانزل في قلب الملك  
الرحمة عليهم غير باعث بل لا تكتو ليقتلوا اهداهم كالسابق والجماء الى ان يعجب من  
الاسرائيليين الذي لم تصدمهم الاخطار الويلة والنوائب الجسيمة عن حفظ قوانين دينهم  
الشديدة ولذلك من عليهم بالحيرة والسلام . وكان الانبياء قد تنبأوا ان الرب اقلع عن  
ان يستمر منقاداً شعبه بالمجرات كالايام السالفة بل يستخدم لذلك حكمة الالهية الرحومة  
ومع ذلك فلم تكن هذه الوسيلة اقل مقولة من تلك وسوف تبدو بنوع حسي مع نواتر  
الايام وبواسطة منقول هذا النبي الالهي اخذ يوحنا هيركان الذي اشتهر بالجمرة



والاقدام لدى عساكر اتيوخوس يستولي على وطنه عقيب موت ذلك الملك .  
وفي عهد اوسع اليهود نطاق فتوحاتهم فانهم افتتحو السامرة وفاقا لما تنبأ عنه  
حزقيال وارميا وقمعوا الادوميين والفلسطينيين والعمويين اعداءهم النكاشين ودينهم  
بدنهم تطييفا لنبوذة زكريا . وقسراً عن بغضاء الشعوب المجاورين وحسد هم شيدوا لهم  
مملكة جديدة في مملكة المكايين فانصلت الى اكبر درجة من السعة خلا الطول الذي  
حازته في ايام داود وسليمان وكان ذلك تحت لواء كهنتهم الذين اصبحوا في ذاك  
الحين ملوكهم

وهاك الهيئة التي مكث بها شعب الرب في عرض تلك التقلبات وقد كان نارة  
مرضواً تحت صدمات العفاب ونارة متجلداً تحت اوفار النوائب وانه يجهر بالشهادة  
للحكمة الالهية والعناية الصمدية التي تعامل العالم معاملة متباينة كلاً حسب ما يستحق

## الفصل الخامس عشر

في انتظار المسيح وما يستند عليه وتاهب ملكه وعود الامم

ان الشعب لم يبرح في آية حالة كانت بوطد آماله على ماتي المسيح اذ كان مرتقباً  
انعاماً جديدة تفوق عظمة على كل ما نال الى ذاك الحين ولم يكن احد  
يعتقد ان الايمان بالمسيح وبمجزائه الذي لم يبرح بين اليهود الى الان قد انتقل اليهم من  
ابائهم وانبيائهم وذلك من ابتداء الامة لان الله لم يبعث اليهم بنبوات جديدة ولا بنبوات  
حديثة مئة تسلسل تلك الاعوام المديدة اذ كانوا هم نفوسهم يذعنون بان لا يقوم بينهم  
نبي بقصد الحكمة الالهية ومع ذلك كانت امانتهم بما في المسيح اقوى منها في الايام السالفة  
وكانت الامانة شديدة فيها لما شادوا الهيكل الاخير حتى انه لم يكن من المتفني ان  
يكون انبياء يثبتوا الشعب وكانوا يثابرون على الامانة بالنبوات القديمة التي شاهدوا  
مغزاها مراراً حجة بكل دقة ونظام . وان ما كان لم يتم بعد منها لم يكونوا منذ ذاك  
الحين يرتابون في تميمه ولم يعانون ان يثقوا بان الرب الصادق بكل شيء يتم كل  
ما يناط بالمسيح في حينه ابي اعظم موا عيك وعمار غيرها  
ومن الذين ان كل تاريخهم وما كان يطرأ عليهم يوماً فيوماً لم يونا الا بيانا للنبوات

التي اتاحها لم الروح القدس . ولا يحملنا على العجب ان نراهم اثنوا الى اراضهم غريب  
سباثهم ونالوا بعد ذلك برذاً وسلاماً مدة ثلاث مائة سنة وان هيكلهم كان مكرماً  
وديانتهم مرغية المحرمة في الشرق او ان كوروس الطمانية تعكرت بانشقافهم او ان ملك  
سوريا الجبار بذل اقصى الجهد في ان يهلكهم فائثراً حبة من الحنن بذلك معاقباً على  
جريمته او ان دين اليهود وكل شعب الرب زهوا زهاء غربياً ومملكة يهوذا امتدت في  
اخر الزمان بنتوحات عظيمة . فكل ذلك قد شاهدناه مكتوباً في النبوات . ولا ريب  
في ان كل شيء كان مقررًا حتى الزمان المزمع ان يسود فيه الاضطهاد والحال التي  
تأجج فيها موافد القتال والارض التي يصير فتوحها

انني اوعزت اليك بالاجمال عن هذه النبوات والاسباب في شأن ذلك يقتضي له  
خطبة سابعة الذبول . فحسبك ما قد رايت منها فتش بوجود هذه النبوات التي هي ركن  
عقائدنا وعماده وكلها غالى الانسان بها متبحراً اكتشف منها على حقائق فان نبوات  
شعب الرب تمت صريحاً في اثناء تلك الاوقات ومن ثم لما كان بعض الوثنيين او بالاحرى  
عدوا الكتب المقدسة بويريوس وجوليانيوس الجاحد قد ارادوا ان يتنبهوا فخذوا  
نبوات اليهود وتسننوا بها

ويمكن لي ان اثبت لديك ان كان شعب الله لم يكن له انبياء مدة خمماية سنة ان  
حالة ذاك الحين كانت باسرها نبوية لان افعال الرب كانت جارية والطرق مهيأة  
رويداً رويداً لتتميم النبوات القديمة

وان اثناء الشعب من سباء بابل لم يكن الا رمزاً الى حرية اعظم وجزيلة الجداء  
اكثر من تلك وهي التي اتاحها المسيح للبشر الذين هم اسرى الخطيئة واخذ الشعب  
الذي كان قد تشعث في محال مختلفة في اسيا العليا واسيا الصغرى ومصر والبلدان  
واليونانية بذبح اسم الله ومجد اله اسرائيل بين الامم . وترجمت الكتب المقدسة المزمعة ان  
تصير نور العالم الى اشهر اللغات ونقررت قديمهم . وفي غضون ما كان الهيكل مكرماً  
والكتب المقدسة مذاة لدى الامم كان الرب يبتأياهم ويجعل لذلك عن بعد اسباباً  
وكل ما كان يحدث بين اليونان كان توطئة لمعرفة الحقيقة فان فلاسفتهم ابانوا  
ان العالم كان يتولى امره اله يباين الالهة التي كانوا هم ورعاع الشعب يعبدونها وان  
مورخهم يثبتون في مولفاتهم ان هذه الفلسفة السامية نشأت في المشرق وفي الحال التي

تسعت بها اليهود. فمن اية جهة تأتي هذا الحق شرعت الحقيقة المهمة المثبتة بين الامم توفظ الجنس البشري وان تصدى لها او كانت منبوذة من اولئك الذين كانوا يعلمونها الا ان انتشارها سوف يكون منه براهين قاطعة للذين يحال الى عهدهم انقاذ الجنس البشري من مهاوي جهله

## الفصل السادس عشر

### في غباوة الوثنيين الكليّة قبل مآني المسيح

لما كان جنوب الامم الى الدين الحق موقوفاً على المسيح وهو العمة الخاصة لماثاه كان الضلال والكفر يسودان على البسيطة. لان الامم الاكثر نوراً كالسكديانيين والمصريين والفينيقيين واليونانيين والرومانيين كانوا اجهل القوم واغياهم في الامور الدينية وذلك دليل على ان الانسان لا يمكن له ان يتدرج الى مدارج هذه الامور الا بتعينة خاصة وحكمة علوية فمن لا يأنف من ان يكشف عن احتلالات الالهة العظيمة واسرارها الدنسة. فان عشقهم وقسوتهم وحسدكم وكل رذائلهم كانت موضوع احتلالهم وطموسهم وذبايحهم واباشيدهم التي كان الناس يتناشدونها في هياكلهم والافنونات التي كانوا يركونها فيها وعلى ذلك كانوا يعبدون للثم زاعمين انه من المتنصبات التي تبذل في سبيل رضى الالهة. وقد منع اعظم الفلاسفة المغالاة في شرب الخمر الا يوم عبد الاله باخوس اكراماً له وقد ندد فيلسوف آخر في الافنونات الرجسة طراً الا افنونات الالهة فانه جرم بانها تحتاج الى ان تنكرم بتلك النجاسة. فمن يقرأ ما يقتضي صنيعه اكراماً للزهراء والمعاهر المكسرة بحار من ذلك جداً ولم يصدّ اليونانيين عن الاعتصام بتلك الاسرار الفبيحة حكمة او آداب

ولما كانوا يفعلون في ورطة خاصة او عامة كانوا يندرون للزهراء نساء عواهر ولم ينجلوا من ان يعتقدوا بان نجاتهم موقوفة على صلواتهم المقدمة لتلك الالهة وبعد ان ظهروا على الملك وقبضوا جنوده الكثيرة اقاموا في هياكلهم افنونة تمثل دعاءهم وزياحاتهم ورقشوا عليها الفاظاً فاه بها للشاعر سيسمونيذ الشهير وهاك مغزاهما ان هؤلاء العاهرات جأرن بالدعاء للالهة الزهراء فانفذت اليونانيين اكراماً لهم. فان كان الحب لا مندوحة من

التبع له فمن طريق اولى كان من المتقضي ان تفرغ تلك العبادة للعب المباح لكم  
 ذلك كان بعكس الامر فان مولود نفسه الشهير الذي لم يكن يظن به ان يقترب فطاعة  
 كبيرة شاد في اثينا هيكل الزهراء العاهرة او معبد العشق الفاحش . وكانت بلاد اليونان  
 بأسرها مفعمة هيكل مكرسة لهذه الالهة ولم يكن في كل تلك البلاد هيكل لارتباط المودة  
 بين الزوجين . ومع ذلك كانوا ينفون من الزنا في الذكران والاناث وكانوا يعتبرون  
 ان الزينة من الامور المقدسة بينهم يبدانه لما كانوا يهتمون في الدين كانوا يرون ان روحاً  
 اخرى تستولي عليهم وان النور الطبيعي يغادهم . ولم يكن الرومانيون ينظرون الى الامور  
 الدينية بعين الرصانة والحزم فانهم كانوا يكرسون لآكرام الالهة دنس المراسم ومشاهد  
 الفاعرين بالقواضب الدموية وقصارى الكلام كل ما كانوا يقتربون من المفساد  
 ودواعي الخشونة . ولست بعالم ان كانت العبادة والسخریات التي كانوا يخاضونها  
 بالدين انت بكبير مضرة مع انها كانت ذريعة للآفة منه . فليت شعري هل امكن لهم ان  
 يثابروا على الاحترام والوفاء المروضين للامور الالهية في خلال السفاهة التي كانوا يبثونها  
 بالاحاديث المروية في كل العبادات فلا ريب في ان كل العبادة الجمهورية لم  
 تكن الا ملأ بالاسم الالهي وحقارة للامور الالهية وانتضى اذ ذاك ان يكون قوة منقضة  
 للاسم الالهي تبعث بني الانسان على ان يردلوا صفاته القدسية ويستقدموها باشياء دنسة  
 وينيطون لها مواضع ليس للاستبهاال فيها مثابة . وقد قرر الفلاسفة فيما بعد ان وجود  
 اله عدا التي يعبدونها رعاة الشعب من الامور التي لا مناص منها ولكنهم لم يكن بوسعهم  
 ان يجيروا بذلك عياناً فان سوفراط اوعز الى ان كلاً لا بد له من ان يبيع دين وطنه  
 وتليد افلاطون الذي كان يشاهد مراراً بلاد اليونان وكل اقاصي الارض منعمة من  
 العبادات الاعسافية الباعثة على العثور والريبة جعل دعامة جمهوريتهم ان لا يسوغ لاحد ان  
 يغير شيئاً من القواعد الدينية وان هجم احد بتغير شيء منها فلا يكون عمله الا من داعيات  
 الجنون . فهو لا الفلاسفة الذين اتوا باقوال سامية في الطبيعة الالهية لم يكن لهم جرأة على  
 مقاومة الضلالة العامة وقد ايسوا من ان ينوزوا عليها ولما اتهم سوفراط بانه يتجسد الالهة  
 اخذ يدافع عن نفسه كما يدافع عن جريئة كبرى اقترفها واذ كان افلاطون يتكلم عن  
 الاله الذي فطر المبروات قال انه من الامور التي يعنى وجودها وايضا امام  
 الشعب امر منكر . والى على نفسه انه لا يتكلم عنه الا بطريق الاحاجي والمغيبات خشية ان

تصبح هذه الحقيقة العظيمة عرضة للهز والسخرية  
 فياللداهية الدجاء أن النوع الانساني قد مور الى ماهوي الخبول ولم يكن له اذ  
 ذاك ان بفعل الاله الحقيقي وان اثبتا العظمى المعتبرة بين المدائن سيدتهم  
 بالنظر لما استفرقت بالتمدن والآداب والمعارف كانت تشد التكبر على من  
 يتكلمون بالروحانيات وتبي اليهم المحجود الالهي وبناء عليه قضت على سوفراط بزهوق  
 الروح .

فلو كان بعض الفلاسفة اجترنوا على ان يذيعوا ان التائيل ليست الهة كما كانت  
 العامة تخال ذلك لكانوا قد أرغوا فيما بعد ان يكذبوا نفوسهم ولما كان قد جزم مجلس  
 (الارهباج) اي مجلس الشيوخ بنفيهم وعوملوا معاملة الجاحدين وكانت الضلالة سائدة  
 في اقطار كل البسيطة . وقد كان الحق اذ ذاك زهوقا ولم يكن للاله الحق من معبد ولا  
 عبادة الا في اورشليم ولما كان الوثنيون يقدمون له القرابين لم يكونوا يعتبرونه كاله اسرائيل  
 بل كسائر الالهة . وبلاد اليهودية وحدها كانت تشعر بتفرده في الالهية وتعلم حتى العلم  
 ان اجترأ العبادة بينه وبين الالهة من شأنه ان يزيلها عنه .

## الفصل السابع عشر

في الفساد والاعتقادات الباطلة عند اليهود

وتعليم الرئيسين الكاذب

ان اليهود الذين كانوا يعرفون الرب وهم مستودع الدين الحق شرعوا في اواخر  
 الحين ان ينسوا اله ابايهم وان يمزجوا بعبادتهم اياه اعتقادات باطلة لانلق بشائنه تعالى  
 طالما كان النوع الانساني يضعف لديه الحق كلما نالت عليه الاحقاب والاحيان .  
 فقد نشأت في عهد المكابيين منذ زمان بونانان شيعة الرئيسين فقالوا في بادى الامر  
 شهرة عظيمة لسبب تعاليمهم الصادقة ورعايتهم السنة اكمل رعاية وسلاسة مسعاهم وحفظهم  
 للقوانين وعيشتهم بالاتحاد والالفة ومدافعتهم عن الثواب والعقاب الآخرين . فلذلك  
 كان الناس يحقنونهم الآمال وبودون لهم الكرامة الاكية بيد ان الطامع النسبية  
 دبت في رؤوسهم واغرنتهم نفوسهم الامارة بان يتولوا زمام الشعب فاتج لهم ذلك ورفعوا

على الأمة لواء السلطة واصبحوا حاكمين بالامور الدينية وتعاليمها واحالوا رويداً رويداً  
 القواعد الدينية الى اعتقادات باطلة لا تنفذ الا صولحهم وسلطانهم التي زعموا ان يكلوا بها  
 الضمير وذلك اوشك روح الناموس الحقيقي ان يزول . واشتر من ذلك كبرياؤهم  
 وثقتهم بنفوسهم وادعائهم وقد آل بهم ذلك الادعاء الى ان يعزوا لنفوسهم الهبات  
 الالهية . واما اليهود المعتادون على تلك الانعام المستنيرون منذ اجيال مدينتهم يعرفون  
 تعالى فتذهب عن اذهانهم ان الجودة الالهية فرقهم وحدها مجاناً عن ساير الامم فشرعوا  
 يعتبرون نعمته كانوا دين متعتم لم . وبما انهم شعب مبارك منذ التي سنة ومصطفى منه  
 تعالى فكروا في نفوسهم انهم وحدهم يستاعلون معرفة الرب وخالوا انهم من جنس اخريين  
 الاناس الذين كانوا يرونهم عارين عن تلك المعرفة . وبناء على ذلك كانوا ينظرون  
 الى الامم بالحنارة والافتة ولما كانوا من نسل ابراهيم بالمجد كانوا يتوهمون انهم مترفعون فوق كل  
 النوع الانساني ولذلك كانت تتصاعد الى رؤوسهم خزع الكبرياء ويفكرون انهم قد يسون  
 حسب الطبيعة لا حسب النعمة ولم يستمر هذا الضلال بينهم انما الرئيسيون ادخلوا ثمة  
 تلك الاعتقادات في اواخر الايام اذ كانوا يطلبون المجد بسبب علمهم ورعايتهم المدققة  
 لطبوس الشريعة . ولما كانوا لا يفكرون الا بان يكونوا ممتازين عن البشر كافة ضاعفوا  
 كثيراً اعمالهم الظاهرة وابانوا لدى الناس ان افكارهم تقابل حقيقتهم مع انها مناقضة لشريعة  
 الرب كل المناقضة

## الفصل الثامن عشر

ذيل لما مر من فساد اليهود ودلائل سقوطهم  
 وفقاً لما تنبأ عنه زكريا النبي

ان هذه الافكار وان لم تكن بموجب امر عام كمناعة في جمعية اليهود الا انها كانت  
 تنزع تدريجاً بين الشعب الذي خفق اضطراباً وبليلة وقرناً . وبدت اخيراً الانقسامات  
 التي هي داعية سقوطهم كما قال الانبياء بسبب الشقاق الذي حدث بين المكابيين . وقد  
 كان حينئذ المسيح قريب الماتي لا يبق له من ذاك الحين الا نحو من ستين عاماً وذلك  
 لدن تناضل على الكهنوت التي كانت السلطة الملوكية متعلقة بها . هيركان وترازو وطل

ولدا الاسكندر جني . فهاك الوقت العيس الذي يقرر فيه التاريخ العلة الاولى لثوار اليهود  
فدعا الاخوان بومبيوس ليتضي بينهما فاختصها للدولة الرومانية ونزع الملك حينئذ  
عن الملك اتيوخوس اخر ملوك سوريا المنقلب بالاسيوي وان سقوط هؤلاء الملوك الثلاثة  
معاً دفعة واحدة هو ابتداء السقوط المنهه عنه بالناظر صريحة في نبوءات زكريا النبي .  
ومن البين والمنظر في التاريخ ان تغيير احوال سوريا واليهودية قد نجح بواسطة بومبيوس  
بعد ان انهى حرب متردات وكان اذ ذاك متاهباً للرجوع الى رومية فرتب احوال  
الشرق على تلك الصورة وابان النبي ما هو زمع ان يتم لدن خراب اليهود وهو ان احد  
الاخوين اللذين ركباً تحت الملك عيسى اسيراً ينفوده بومبيوس هاشاً طرباً بما نال من  
الظهور عليه والاخر وهو هيركان الواهن يتربع عنه بومبيوس التاج الملوكي ويسلبه من  
ملكه قسماً عظيماً ولم يبق له من السلطة الا الصورة مع انه كان على وشك فقدانها ولدى  
ذلك اصبح اليهود يرخصون للرومانيين ويهودون لم خراجاً فكان دنار مملكة سوريا  
باعثاً على خراب مملكتهم لان تلك المملكة المجاورة لمملكتهم اصبحت اقلية من الدولة  
الرومانية . وذلك ما ضاعف شوكة الرومانيين ولم يبق حينئذ لم محيص الا بان يتذلوا  
لما راضحين ولهذا شرع ولاء سوريا بينهمكون في مداخلات متواصلة في اليهودية وغدا  
الرومانيون متبوئين البلاد واضعوا بالتواتر قوة حكومتها باوجه متباينة . وبواسطتهم انتقل  
الولاء في يهوذا من ابدي المكابيين الى هيرودوس القريب الادوي ولما كان هذا الملك  
منطوياً على الجور ومدهناً مصانعاً باعقاده بدين اليهود غير كل مبادئ الحكم  
القدية ولم يكن هؤلاء اليهود احراراً في اعمالهم في ذاك الوقت مثلما كانوا في عهد  
الفرس والسلاسيديين ولم يكونوا مهنيين الا بان يعيشوا بالامنية والطاينة لكن حبط  
بذلك مسعاهم فان هيرودوس الذي قد اتى على عوانتهم نير الاسترقاق هوش كل  
شيء ثمه وغير حسب هوى نفسه الخلافة الكهنوتية واوهن سلطتها بل جعلها دون نظام  
وقيد . واضعف ايضا المجلس الشوروي فاصبح من المتعسر عليه ان يبرم امراً . فامست اذ  
ذاك السلطة العامة في يد هيرودوس والرومانيين الذين كان هذا الملك في بادئ  
الامر من الراضحين لولائهم وبناء عليه زرع اركان حكم مملكة اليهود .  
واما الفرسيين والشعب الذي لم يكن يصيح الا لاحتاساسهم كابدا من ذلك  
عرق الثرية وليثوا بمانون الثبور مبرحين تحت اثال عبودية الامم تعاملهم بالحنارة

وتكاثفهم بالعداوة والبغضاء . ولذلك رغبوا في ان لا يكون المسيح الذي سيأتيهم الا فاتحاً  
 يوقع الرهبة في قلوب السلاطنة التي تعينهم تحت اوقار العبودية الباطنة وبناء عليه  
 ذهب عن بصائرهم ما تنبأت عنه الانبياء مما سيلم به من العار ولم تكن تترقب ابصارهم  
 وتترصد للسامع آذانهم الا النبوءات التي تنذرهم بالانتصار المين وان يكن ذلك الانتصار  
 الذي اندرت بمآتاه الانبياء مبايناً لما كانوا يرغبون فيه .

## الفصل التاسع عشر

### في الكلام عن المسيح وتعليمه

لما تنكست اعلام الدين ونشوت احوال اليهود في اواخر حكم هيرودوس اذ كان  
 الرئيسون يدنسونه بالشريعة بالمعائب بعث الله بالمسيح الى الارض ليعيد الحكم لبيت  
 داود ويجعله اسى ما كانوا يخالون منذراً بالتعليم الذي ازمع الرب ان يعلمه للبشر  
 فذلك الولد العجيب هو الذي دعاه اشعياء الرب القديرواب الجبل الاتي ورب  
 السلام فقد ولد من بكر عذراء في بيت لحم حيث ذهب ليفرر نسله فحبلت به من الروح  
 القدس واصبح منذ ولادته قدوساً . وكان عيب ولادته موكولاً بموهبة اليه وحكاً ودعي  
 مختصاً لانه ازمع على خلاصنا من وثاق الخطيئة وعند ولادته بدا على النور نجم في المشرق  
 رمزاً الى النور المزمع ان يبريه الامم فتوافد اذ ذاك اليه الوثنيون مرتدين وبعد ان مر  
 على ذلك حين من الزمان ذهب ذاك الرب المنتظر الى هيكله المقدس حيث رآه  
 سمعان انه مجد اسرائيل ونور الامم الضالة . ولما آن وقت الانذار بالانجيل دعا يوحنا المزمع  
 ان يهيء له الطريق كل الخطاة الى التوبة وجار بصوته في البرية التي كان يقضي  
 حياته فيها منذ نعومة اظفاره في التقشف والدعة والبر وعرف الشعب الذي لم يكن يسمع  
 منذ خمسمائة سنة صوت نبي انه ايليا الجديد وكان مستعداً ان يتخذة مخلصاً لما ظهر له من  
 قداسه العجيبة . اما هو فكان يوعز اليه بن لم يكن هو اهلاً لان مجل سير حذاءه ومن ثم اخذ  
 المسيح بنذر بانجيله وينشر الاسرار التي كان يراها وهو في ججرايه منذ الازل وقد اقام  
 اركان بيعته بدعوة الاثني عشر صياداً وجعل بطرس راعي ضئائه ومازته عن غيره بنوع  
 صريح . وذلك ان الانجيليين طرأ لم يحفظوا لاعداد الرسل رتبة مفررة لما كانوا ياتون



بحسبانهم<sup>١</sup> الا انهم يذكرون دائماً بطرس في مقدمتهم كأنه رئيسهم .  
ودوخ المسيح اليهودية وافاض عليها جريل انعامه فانه كان مهتماً بمريض المرضى  
رافقاً بالخطاة ميئاً انه هو الطبيب الحق وكان يسبح لم بان يزدلفوا اليه وذلك كان  
دليلاً للبشر على انه قابض على السلطة والرحمة معاً فائفاً بذلك كل من ظن قباه  
ولقد كان بنذر باسرار عالية ويثبتها بمعجزات عظيمة وكان يسن فضائل سامية وكان  
يهب في غصون ذلك نوراً ثاقباً ومثلاً عظيماً ونعمة علوية وبهذا بدا ممثلاً نعمة وحققاً ومن  
امتلائوه نحن كلنا اخذنا .

وكل ما بدا منه استمر منطبقاً على بعضه سواء كان على حياته او تعليمه وعجابه . لان  
الحقيقة ذاتها كانت تبدو في كل ما هو له . وكل ما صنع يدل على انه سيد النوع الانساني  
ومثال الكمال .

وهو وحده قد عاش بين البشر مستطيعاً ان يقول امام الجميع دون ان يكذبه احد :  
من منكم يمكن له ان يتوبني على خطيئة ويقول ايضاً : انا نور العالم والذي ارسلني هو معي  
ولم يدعني وحدي لاني افعل ما يرضوه كل حين .

واما اعاجيبه فهي من مرتبة خاصة وذات صفات جديدة لانها ليست سمات في  
السماء كما كان اليهود يطلبون بل كانت في بني الانسان رجاء ان يشفوا من آلامهم  
ولا ريب في ان تلك الاعاجيب قد كانت رافة أكثر منها قوة دون ان تبعث كثيراً على  
الدهشة بل كانت تلين القلوب . ثم كان يتمها بسلطانه لان الامراض كانت تخضع والشيطان  
له فكان العبيان اذا تكلم يبصرون والموتى يخرجون من ارواسهم والخطايا تغفر للخطاين  
فكانت مبادي تلك الاعاجيب منه وهو مصدر فعلها وقد كانت قوة تخرج منه  
وتشفي الجميع ولهذا لم يفعل احد اعاجيب عظيمة كهذه ولا عديده نظيرها ولذلك كان  
يعد ان تلاميذه سوف يصنعون باسمه معجزات اعظم منها لان القوة التي فيه كانت  
عظيمة جداً .

فمن لا يعجب من ضعة تعليمه السامي فهو لئال للاطفال وخبر  
للاشداء . ويلوح انه ممثلي من اسرار الرب الا انه لا يبدو انه مندهش من ذلك كسائر  
البشر الذين يترامى لهم الرب . فانه يتكلم بذلك طبيعياً كأنه ولد هذه الاسرار وفي هذا  
المجد . لا وزن للمال وينطق به بوزن ليمتكن ومن النوع الانساني من احتماله

وان يكن قد بعث به الى جميع البشر فلم يتمك في بادىء الامر الا في ضئيل  
اسرائيل الضالة لانه ارسل اليها بنوع خاص. لكنه اعاد الطريق لآبائهم  
والرئيسين فان امرأة سامرية عرفت ان هو المسيح الذي كان شعبها ينتظره مثلما كان  
ينتظر اليهود. وتعلمت منه اسرار العبادة الجديدة التي لم تعد تناط بمكانة واحدة ونزعت  
منه امرأة كنعانية وثنية شفاء ابنها وان يكن قد اظهر انه يرفضها واقر في محال متباينة  
ان الوثنيين مثل اولاد ابراهيم. ويتكلم عن تعليمه كانه مزع ان ينذر في كل البسيطة  
حيث يتقدم ثم يصح مقبولا ولم يكن الناس الى ذلك الان نظروا له مثيلا. وكان تلاميذه  
يعجبون من ذلك ولم يكن يخفي عنهم ما سيبكبدون من المشاق والمكابد. وكان يوعز  
اليهم عما سيبادهم من الاضطهاد والمجور والمخادعات والنعالم الكاذبة والاخوة الكذبة  
والتزع الداخلي والخارجي وايمانهم المزع ان يخبر بكل المشاق وايمان لم ان سوف  
يصير في اخر الزمان ضعف كثير في الايمان وتقل المحبة بين الرسل وتلبث الكيسة  
والحق في عرض تلك المخاطر غير مترعزعين

فهاك نظاما للاحوال الجديدة فلا يوعد اولاد الله بمكافاة جسدية فان المسيح  
ايمان لم حياة مستقبلية وبنا هو يبط اقدمهم على ذلك الانتظار يعلم ان ينصلوا عن  
الاشياء الحسية واصبح الصليب والثأسي مبراهم على الارض وايمان لم ان يقتضي ان ينقلوا  
باب السماء عنوة وقد داس هو اول الطريق التي اوعز الى بني الانسان عنها. ولقد  
كان ينذر محتات بسيطة تدمش اصحاب الغواية والمتكبرين وكان يغشي تكبر الفريسيين  
ومداهناتهم الخفية ويبين ما يحرف الشريعة علماءهم بتناسيرهم وفي غشون توبيخ ايام  
كان براعي حرمة وظائفهم وحرمة كرمي موسى الذي كانوا يتبوثونه وكان يتردد الى  
المبكل ويحمل الناس على ان يحترموه وكان يبعث الى الكهنة بالبرص الذين شفاهم.  
وبهذا كان يعلم البشر كيف يقتضي ان يصلحوا العيوب دون ان يلجوا بالسلطة المتنامة  
من الرب وكان يبين ايضا ان جمعية اليهود ما برحت قسرا عن فساد اعضائها. الا انها  
قد كانت على وشك دنارها لان الكهنة والفريسيين كانوا يثيرون على المسيح شعب  
اليهود الذي كان دينه قد تحول الى اعتقادات باطلة. ولهذا لم يكن يحمل الخلاص  
الذي كان يدعو الى عبادة حقيقية بل صعبة. وبناء عليه اصبح اصلح البشر وافضلهم  
بل معدن القداسة والجودة موضوع الحسد والبغضة. ولم ينثر منهم ولم يتقاعد عن ان

يصنع الخبز لابنائه وطوبى مع ذلك لم يقابل إلا بنكران الجحيل . وكان يتنبأ عما سيأدهم  
من العقاب اسيفاً جداً وانذر بدثار اورشليم قريباً وتنبأ ايضاً على ان اليهود اعداء الحق  
الذي اتى لينذرهم به سوف يلقون بنفوسهم الى الضلالة ويمسكون العوبة بين ايدي الانبياء  
الكذبة . وفي ذاك الوقت كان حسد الفريسيين والكهنة له يقوده الى عذاب العار  
وجئتذ غادره تلاميذه وسلمه احدهم وحججه ثلاث مرات ريسهم الذي كان يتظاهره اكثر  
غيرة عليه من غيره . وشكوه الى المجلس الشوروي ولبث يحزنهم سلطان الكهنة الى نهاية  
الامر واجاب رئيس الكهنة الذي كان موكولاً باستنطاقه شرعياً بنوع خاص : **إِلَّا أَنْ**  
**الان** الذي تكون فيه فئة اليهود مردولة كان قد آن ولذلك قضى رئيس المجلس وليف  
الاعضاء على يسوع بالموت لانه كان يقول انه ابن الله . وعند ذلك اسلموه لبيلاطس  
البنطي والى الروماني اما بيلاطس فابن يبروتو ومع ذلك فقد خالف ضميره سياسة  
مراعاة لمصلحيه فحكم على ذلك البر بالموت ففتح منه ان اكبر جريمة اقترفها اليهود سببت  
اكبر رضوخ ادي في العالم فان المسيح المالك حياته وكل شيء اسلم نفسه للاشرار  
وقدم فدى عن البشر ذبيحة واذ كان على الصليب وجهه انظاره الى السموات ليرى ما  
كان باقياً عليه ان يتمه فانته وصرخ قائلاً قد كمل كل شيء . وبعد ان فاه بتلك الكلمة  
تغير كل شيء في العالم فان الشريعة بطلت والرموز اليها عبرت والذبايح ابدلت بمن  
هو اسي وافضل منها . وبعد كل ذلك مات المسيح متواهاً وهائفاً بصوت زعزع عناصر  
الطبيعة واعتجب الخفير الذي كان بحرسه غاية العجب ونادى بجهير الصوت قائلاً انه  
ابن الله حقاً . واتشى كل الذين عابوا ذلك المشهد العظيم آسفين وهم يفرعون صدورهم  
ويلاً وثبوراً ونهض في اليوم الثالث من عقال الموت وظهر لتلاميذه الذين كانوا قد غادروه  
غير موقنين بقيامته فنظروهم وناجوهم ولمسوه فوثقوا به وظهر مراراً جمعة في محال كثيرة رغبة  
في ان يكون الايمان بقيامته ثابتاً . فكان كل من تلاميذه يراه آونة وحناً وآونة بينهم وظهر  
مرة امام اكثر من خمسمائة رجل وهم مجتمعون معاً وبحق الرسول الذي كتب ذلك عنه  
ان الذين رأوه كانوا احياء لما كتب ما كتب عنه . وقد وهب تلاميذه بعد قيامته وقتاً  
كافياً ليوطدوا ايمانهم به وبعد ان انضح لديهم بكل ما راعوا اذ لم يعد بهم ما يجامروهم من  
الريب امرهم ان يذهبوا في الارض ويشهدوا بما رأوه منه وما سمعوا ولمسوا اياه بعد  
قيامته وحزناً من ان تكون امانتهم به غير وطيدة الجأهم الى ان يزكوا شهادتهم بدمهم وعلى

ذلك كان انذارهم به متيناً وركن ايمانهم من الحادثات المقررة ومصداقاً عليها من جميع الذين شاهدوه وصدقهم مقررّاً با كبريئة يمكن تصورها وفي عنايتهم ونفس مومهم في سبيل الحق . فهاك التعليم المقرر الذي اعطيه الرسل وعلى ذلك اخذ الاثنا عشر قنصاً برثوث العالم الى حجر الايمان الحق وهم يبرهنهم يناقضون الشرائع التي يفرضونها عليهم والخفائيق التي كانوا يندرونهم بها كل المناقضة . وامرهم الرب ان يتدنوا بالارشاد من اورشليم ومن ثم يمتدون في كل اقاصي الارض ليعلموا كل البشر ويعدهم باسم الاب والابن والروح القدس . ووعدهم يسوع بان يكون معهم كل اليام الى انتهاء الاجيال وقرر هذا الكلام السلطان الكائن في وبعد ذلك صعد الى السماء امامهم .

فما عيّد سوف ثم والنبوءات سيكون لها مغزى وامر بعد قيامه ان نعمل الامم على معرفة الله ورسم احتمالاً جديداً ليجدد هذا الشعب الحديث ووثق المومنون بان هذا الاله الحق الذي هو اله اسرائيل الاله الواحد غير المنقسم وهو من يكرّس في المعبودية هو آب وابن وروح قدس معاً .  
وبهذا قد اوقفنا على عمق الذي لا يحد ولا يدرك وعلى عظمة وحدته الفائقة الوصف وعلى سعة طبعه غير المتناهي المخصب في الداخل اكثر ممة في الخارج الفادران يكون بثلاثة اقانيم متساوية غير متجزئة .

لكن ذلك انضمت الاسرار التي كانت مكنونة مخفية في العهد القديم وصرنا اذ ذاك ننهم سرّ ذاك الكلام وهو فلنصنع الانسان على صورتنا ومثالنا .  
وان الثالوث المنوع عنه في تكوين الانسان ظهر بنوع صريح وقت فدائه . والان امكن لنا ان ننهم ما هي هذه الحكمة التي حبل بها قبل كل زمان في حجر الرب وفاقاً لما قال سليمان وفي موضوع حب وبها رتب كل اعماله وامكن لنا ايضاً ان نعرف من هو الذي رآه داود مولوداً قبل انبلاج الصبح لان العهد الجديد يعلمنا انه هو الكلمة اي كلمة الرب الباطنة وفكره الازلي الذي هو دائماً في حجر والذي به صار كل شيء وبذلك امكن لنا ايضاً ان نجيب عن المسألة السرية المذكورة في سفر الامثال وهي : قل لي ما اسم الرب وما اسم ابنه ان كنت تعرف ذلك  
فاننا صرنا نعرف ان اسم الرب السري الخفي هو اسم الاب اي بهذا المعنى العميق

وهو انه قد ولد منذ الازل ابناً مساوياً له وان اسم الابن هو اسم الكلمة وهي الكلمة التي ولدها منذ الابد بالنظر لنفسه وهي ترجمة حق الكامل وصورة وابنة الوحيد وضياء مجده وصورة جوهره

ونعرف ايضاً مع الاب والابن الروح القدس الذي هو الحب المتبادل بينها واتحادها بالازلية وذلك هو الروح الذي يوحى الى الانبياء ويكون مستقراً عليهم ليكشف لهم اسرار المستقبل ومقاصد الرب وذلك هو الروح الذي كتب عنه : ان الرب الاله ارسلني وروحه هو الذي يمتاز عن الرب وهو الرب نفسه لانه يبعث الانبياء ويكشف لهم الاشياء المستقبلية وذلك هو الروح الذي يناجي الانبياء ويناجيهم وهو متحد مع الاب والابن ومشارك معهما في تقديس الانسان الجديد .

وبناء عليه فان الاب والابن والروح القدس اي الاله الواحد في ثلاثة اقسام قد ظهر لآبائنا بنوع خفي وبدا في العهد الجديد بنوع واضح واذا تقرر اننا عرفنا ذاك السر السامي ودهشنا من علوه غير المدرك فلا يؤول بنا الامر الا ان نقشي وجوهنا حياء من الرب مثل الصاروقم التي شاهدها شعباء النبي ونعبد معها هذا الاله المثلث الئداسة .

اما اسرار الطبيعة الالهية العجيبة فقد كان نشرها لدينا منوطاً بعمق الابن الوحيد الذي قام باعبائها دون ان يبارج حجرايه مع ان موسى والانبياء لم ينوهوا عنها بتلخيص الاشارة

فكان يناط به وحده ان يفهمنا لماذا وعد بالمسيح كاتسان مزيج ان ينفذ جميع الشعوب وروى لنا عنه انه اله واحد فرد . وانه يتصور فيه ما يتصور في الخالق نفسه وكان يصنع هكذا وهو يعلمنا . اي انه كان قبل ان كان ابراهيم وان كان ابناً له . وانه هبط من السماء وهو لم يزل فيها وانه ابن الله العلي وابن الانسان معاً وهو عاتويل الحق اي الرب معنا وبوجيز العبادة ان الكلمة التي تجسدت في اقنوم وجمعت فيو طبيعتان البشرية والالهية رجاء ان يصلح كل شيء بنفسه .

فتبين لدينا السران الاعظمان وهما سر الثالوث وسر التجسد الا ان الذي ابانها جعلنا نرى صورتهما فينا لتكون دائماً حاضرة امامنا ونعرف شرف طبيعتنا . ومن اليقين اننا لو قضينا على حواسنا بالصمت وانعطفنا راجعين الى نفوسنا اي الى ما هو منا

حيث يسمع صوت الحق لرأينا صورة الثالث الذي نوّدي له العبادة . لان التفكير الذي نشعر به يتولد من روحنا فهو كابين لعقلنا وذلك ما يجعلنا بنوع ما نعرف كيف ابن الله يتولد ازلًا في عقل الاب السامي . ولذلك يدعى ابن الله العلي كلمة وتنهم اذ ذاك انه يلد في حجر ابيه ولادة تبين ولادة الاجساد . بل نتولد مثلما نتولد في عقلنا الكلمة الباطنية التي نشعر بها لما نتأمل في الحق .

الا ان خصب عقلنا لا ينتهي بهذا الفكر الداخلي وبهذا التصور وصورة الحقيقة التي تكون فينا . واما نحن فاننا نود الملكة الباطنة والروح الذي يتولد منها ونشعر ادى حيننا اياها اننا لا نفضل حب نفوسنا وعقولنا عليها وانه لنا شيء من كليهما وهو محرزها ومختص بها وليس معها الا حبة واحدة . وبناء على ذلك اقول ان الحب الازلي يتولد في الرب بمقدار ما تكون مناسبة بين الله والانسان وانه ينبثق من الاب الذي يفكر والابن الذي هو فكره ليكون معه ومع فكره بطبيعة واحدة متساويًا بالعز والكمال . وقصارى القول ان الله كلي الكمال وكلته التي هي صورته الحقيقية الازلية . ليست باقل كمالًا منه ووجه المنبسط من منبع الجوده غير المتناهية والذي وكل الجوده لم ينقصه الكمال غير المتناهي واذ لم يكن فينا تصور في الله الا الكمال انتفى الامر تخمًا ان يكون كل من الثلاثة على حدته الهًا ولما كان الثلاثة ليسوا سوى طبع واحد انتفى الامر ايضا ان نجزم بانهم الله واحد فقط

فينتفى اذا ان لا تصور في الثالث الاقدس شيئًا غير متناه او منفصلًا منها كانت هذه المساواة غير مدركة . فاذا اصغنا لانذار العقل فلا بد له من ان ياتينا بشيء من ذاك ودليل ذلك ان نفوسنا كائنة وبما انه قد قرر اننا نعرف ماهيتها فعرّفها تحقق كيانها واذا كلت بوجودها وعرفتها كما يستاهلان من المحبة فذلك الحب يساويها كليهما . وكذلك ثلاثة الاشياء فانها عديمة الانفصال بل الواحد منها متصل بالآخر . وبما اننا ننهم وجودنا الذي نحب ونود كياننا وفهمنا . فمن ادرك نفسه لا يتكرر ذلك . واذ قرر ان احد الثلاثة لا يؤثر على غيره من سائرهما قلنا ان الثلاثة باسرها لا يمكن ان تؤثر على احد افرادها لان كلاً منها يتضمن كلها . وفي الثلاثة تقوم سعادة الجوهر العاقل ومجده وجلالة . وبناء على ذلك يكون كاملاً غير منفصل مفردًا في جوهره متساويًا في كل الوجه بنوع غير متناه وهو الثالث الذي نعرفه .

والذي تكررنا له بالمعجودية . واما نحن صورة الثالوث فاننا بعبارته اخرى صورة  
 التمجيد لان نفسنا التي هي صبغة روحانية وغير فانية لما جسم فان يتحد معها وباتحادها  
 معاً يتبع المجموع المعبر عنه بالانسان المركب من روح وجسد معاً من فان وغير  
 فان من مدرك وغير مدرك . فمن الصفات تليق بمجموعها بالنظر لكل من هذين  
 الجزئين . وبناء عليه قد اتحدت الكلمة الالهية التي تعضد قوتها كل شيء بنوع خاص  
 او بالاحري اتحدت نفسها اتحاداً كاملاً بيسوع المسيح ابن مريم ولذلك هو الله وانسان  
 معاً مولود منذ الازل ومولود في الآن وهو لا يفتأ حياً في مجرايه وقد مات على عود  
 الصليب في سبيل خلاصنا الا ان الاستعارة والتشبيه المتخذة من الاشياء البشرية  
 لا تكون في ما يدخل فيه الرب الا غير كاملة لان نفسنا لم تكن قبل جسدنا . واذ  
 تنفصل عنه ينتصها شيء . واما الكلمة الكاملة في ذاتها منذ الازل فلم تتحد بطبيعتها الا  
 لتشرق والنفس المستقر في الجسم تحدث فيه تغيرات مختلفة وتؤثر فيه فتتأثر هي منه  
 ايضاً . لان الجسم اذا كان يتحرك بامر النفس وحسب ارادتها اضطربت وحزنت  
 وتحركت بانواع مختلفة بغيره او بكدر حسب استعداد الجسم . وبناء عليه فكما ان النفس  
 ترفع الجسم اليها باستيلائها عليه فتعبط تحته بما تشكده منه واما في المسيح فالكلمة مترسة  
 على الكل وكل شيء في يدها ونحت سلطتها وهكذا يكون الانسان مرتفعاً والكلمة  
 لا تعبط ولا بنوع من الانواع بل هي غير متغيرة وغير متنوعة تسود في كل شيء وفي  
 كل محل على الطبع المتحد معها . ومن ذلك يتبع ان الالهية في المسيح اصبح راضحاً  
 مطلقاً لارادة الكلمة التي رفعتها اليها ولهذا لم تكن افكاره او حركاته الا افكاراً وحركات  
 الهية اي ان كل ما يفكر به وكل ما يريد ويقل وما يكتفه في باطنه وما يظهره في  
 الخارج آت من الكلمة ومنقاد من الكلمة واهل للكلمة اي لائق للعقل نفسه وللحكمة  
 نفسها وللحنى نفسه ولذلك كل ما هو في المسيح هو نور وسلوكه دستور وعجائبه تعليم وكلامه  
 روح وحيوة

وليس يمكن لاحد ان يدرك هذه الحقائق السامية ولا ان يرى في ذاته صورة الاشياء  
 الالهية العجيبة التي استمسك بعراها او غسطينوس وغيره من الاباء بل ان الحواس  
 متسلطة علينا ولا يمكننا التخيل الطارئ على افكارنا من ان نقف امام ذلك النور الساطع .  
 واننا لا ندرك نفوسنا ونجهل الكنوز المكنونة في ملح طبائعنا ولا يتدران برزوا اليها الا

العيون ذوات المياه الثاقب واذ تمكّن من الوقوف على كنه ذلك السر ونسدل  
الغشاء عن ركن اعتقادنا يكفيننا ذلك لان يرفعنا فوق كل شيء وجنئذ لا يمكن  
لشيء من الامور الفانية ان يجاذبنا اليه .

ولذلك قد دعانا المسيح الى مجد غير فان وهذا هو ثمة اعتقادنا في الاسرار . اذ  
يعدنا الاله المتأنس والحقيقة والحكمة المتجسدة التي نجعلنا نعتقد باشياء عظيمة بروية  
الله الساطعة والطوباوية كأن ذلك جزء معد لامتنا وكلها بالاستناد على شهادته  
تعالى وحده . وبناء على ذلك غدت ارسالية المسيح مفضلة على ارسالية موسى باسمه ليس له  
من نهاية لأن موسى قد ارسل ليوقظ بمجازاة زمينة اناسا ذوي شهوات نفسية رعاغا لانهم  
كانوا قد اصبغوا اجسادا ولحمانا واقتضى ان تغذهم بالكمواس ويرسخ في عقولهم بذلك الوساطة  
معرفة الرب وبعضه للاصنام التي كان يمجج اليها النوع الانساني جنوحا غريباً . وعلى  
ذلك كانت ارسالية موسى متوقفة ولقد انبط بالمسيح ان يرسخ في عقل الانسان افكاراً  
سامية ويعلمه نزاهة نفسه وانها عديمة الموت وان سعادتها ازالة

وفي غضون غرة بني الانسان اي في غضون الاوقات التي مرت قبل ما تى  
المسيح كان كل ما نعرفه النفس عن شرفها وعدم ميتونتها يبعثها على الخطا لان عبادة  
الموتى كان ركناً لعبادة الاوثان فكان اكثر البشر يقدمون ذبائح لنفوس موتاهم  
وتلك العواية القديمة تبين لنا حتماً قدمية الاعتقاد بعدم ميتونة النفس وتدلنا على ان  
ذلك يعد من تقاليد الجنس البشري الابتدائية الا ان الانسان الذي يفسد كل شيء  
قد افسد تلك التقاليد كل النساد لانه قد آل به الامر الى ان يندم ذبائح للموتى  
ووصل البشر الى انهم كانوا يضحون اناساً لذلك لانهم كانوا يقتلون عبيدهم ونساءهم رجاء  
ان يوهوا لهم الخدمة في ذلك العالم . وكان القوليون يفعلون ذلك كثيراً . واقضى  
آثارهم شعوب كثيرون . وان الهنود الذين بنوا المولنوت الوثنيون عن انهم كانوا  
يدافعون عن عدم ميتونة النفس هم اول من ادخل الى الارض التتل المرذول بحجة  
الدين ولطالما كان الهنود يتحمرون لكي يحصلوا باقرب ان على السعادة الابدية ولم  
يزالوا عاكفين على ذلك التي العظيم

ومن ذلك ينتج ان تعليم الحق ان كان مبايناً عما وضعه الرب يكون على شافة  
المخاطر . ومن الخطر على الانسان ان يمكن من معرفة ما هيته قبل معرفة ربه تماماً .



ولما كان أكثر الفلاسفة لم يعرفوا الرب ما أمكن لهم ان يثقوا بان النفس غير مائنة  
الآن ان يخالوها خزانة من الالهية . او الهة او موجوداً أزلياً غير مخلوق غير متغير لا بدء  
له ولا نهاية . ولقد كانوا يعتقدون بنقص النفوس فتتحد من السماء الى الارض وتصعد  
من الارض الى السماء وتنقل نفس الانسان الى الحيوان ونفس الحيوان الى الانسان  
ويتدرج المرء من السعادة الى الشقاء ومن الشقاء الى السعادة دون ان يكون لذلك  
التغير حدثاً او نظام مقرر فيا لها من ظلمة كان فيها العدل والحكمة والجودة الالهية في  
انشاء هذه الغواية ولذلك كان من الختم على الانسان ان يعرف الله وقواعده حكمته قبل  
ان يعرف النفس وعدم ميوتيتها .

ولهذا ينبغي ان شريعة موسى لم تكن تهيب الانسان الاً بعض الماهم بجوهر النفس  
وسعادتها . ولقد علمنا ان النفس قد تكونت في بادىء الامر بقوة الرب كسائر المخلوقات  
الا انها قد تكونت بصفات خاصة اى صنعت على صورة الرب وبثخني وذلك  
لتعرف بهن ينابط جوهرها وتوفى انها ليست من جوهر الاجسام ولم تكون باجماعها .  
بيد ان نتائج هذا التعليم وعجائب الحياة العنيدة لم توضح حينئذ تماماً بل بقي ذلك  
لوقت المسيح ليبدو بنور ساطع امام الجميع . فنشر الرب بعضاً من تلك الحقائق في  
العهد القديم لان سليمان قال . ويعود التراب على الارض ما كان وتعود الروح الى  
الله الذي منحها اياها . وعاش الآباء والانبياء في هذا الامل وقال النبي دانيال سوف باقى  
حين من الدهر حيث كثير من يرقدون في تراب الارض يستيقظون بعضهم الى  
الحياة الابدية وبعضهم الى العار لينظروا دائماً . وفي الوقت نفسه الذي اكتشفت له  
هذه الامور امره ان يكتم الكلام ويختم الكتاب الى الاجل المسمى لكي يبين لنا ان كشف  
الحقيقة بكاملها يخص بغير آن وجيل . وان يكن لليهود في الكتب المقدسة بعض  
مزايع في السعادة الازلية وانهم كانوا يتناجون بالحقائق في ابان المسيح لانها كانت  
مزمنة ان تبدو اكثر من الماضي كما يبين ذلك من اسفار الحكمة والمساكين فان تلك  
الحقيقة لم تكن قاعدة عامة ومقررة عند اليهود حتى ان الزنادقة لم يكونوا يعترفون  
بها ومع ذلك كانوا يتقبلونها في جمعية اليهود وفي درجة التكهنات ايضاً واما هذا  
الاعتقاد فهو من صفات الشعب الجديد بان يكون للايمان وللدن ركن هو الحياة  
المستقبل وذلك من ثمار ما في المسيح

ولذلك لم يكتفِ ان يقول لنا ان الحياة السعيدة والازلية منوطة ببني الرب بل انه قال لنا بماذا تقوم هذه الحياة لان الحياة السعيدة هي ان نكون معه في مجد الله ابيه او هي ان نرى مجده في حجرايه من ابتداء العالم وان المسيح يكون فينا كما يكون في اعضاءه وان حب الآب الازلي نحو الابن يمتد الينا ويغمرنا بالانعام نفسها وقصارى الكلام ان الحياة السعيدة هي ان نعرف الاله الواحد الحقيقي والمسيح الذي ارسله الآب ان نعرفه المعرفة الجليلة وهي الرؤية الساطعة المبرر عنها بوجه بناوح وجهاً دون حجاب اي ان الرؤية التي تكون فينا صورة الرب وتكملها حسب قول القديس يوحنا نجعلنا نكون شبهه لاننا سنراه على ما هو عليه

وبغضب هذه الرؤية حب لا مزيد عليه وفرح عظيم وانتصار غير محدود وبترغم المشدون قائلين هلوليا وامين في اورشليم السماوية وبذلك تراح كل الانراح ونتم الشهوات ولا يبقى الا مدح الرب وجودته الالهية . فضلاً عن ذلك الثواب الجديد فتضي ان يبرز المسيح أفكاراً جديدة بشأن الفضيلة واعمالاً اكمل من الاعمال السالفة واطهر منها . ولذلك كانت المحبة غاية الدين وروح الفضيلة ومخلص الناموس الا اننا يمكننا ان نقول لغاية يسوع المسيح ان كمال هذه الفضيلة ومناعبها لم تكن معروفة تماماً بل ان يسوع المسيح قد علمنا ان نكتفي بالله وحده وحننا على محبة الله رجاء ان يشيد بذلك ملك المحبة وتبين كل واجباتها ولو افضت بنا الى ان نبغض نفوسنا ونستمر على مقاومة الفساد الطارئ على قلوبنا . ولقد فرض علينا ايضاً محبة القريب وحننا على ان نجعل ذلك فاشباً في جميع الناس دون ان نستثنى من ذلك مضطهدينا وفرض علينا ايضاً ردع شهواتنا الحسية كانتا تقطع بذلك اعضاءنا الخاصة اي اخص ما يتعلق بالقلب وفرض علينا الرضوخ لوامر الرب حتى اننا نهش الى ما يرسله لنا من الترائب . وفرض علينا الضعة فحب العار اكراماً لمجد الله ونعتقد انه لا يوجد اهانة تنكسنا امام الناس الا يكون لنا اهانة احط منها امام الرب بواسطة خطايانا . وبواسطة ركن المحبة تكمل جميع مراتب الحياة البشرية ولهذا قد آتت الزيجة الى هيئتها الاصلية ولم يعد حب التربين متجزئاً وان هذه الجمعية المقدسة لاتزول الا عند زوال الحياة . ولا يرى الاولاد اهمانهم بيدلن بمخالات لم وبدت العيشة البتولية كافتداه في حياة الملائكة الذين لا يمتنون الا بالله وبحبه الطاهر . وشعر الرومساء انهم خادمون مرثوسيم ومكرسون

أَمْضَاءَ مَصَالِحِهِمْ وَعَرَفَ الْمُرْتُونُونَ أَمْرَ الرَّبِّ بِالسُّلْطَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَوْ غَالُوا فِي اسْتِعْمَالِ سُلْطَانِهَا وَذَلِكَ مَا لَطَفَ مَشْفَقُ الْخُضُوعِ تَحْتَ سُلْطَةِ رُؤَسَاءِ خَائِرِينَ . وَلَمْ نَعُدِ الطَّاعَةَ تَشَقُّ عَلَى الْمَسِيحِيِّ الْحَقِيقِيِّ .

وَقَدْ ضَمَّ الْمَسِيحُ لِهَذِهِ الْقَوَانِينِ مَشُورَاتٍ لِلْكَامِلِ السَّامِيِّ وَهِيَ رَفْضُ الْمُلْذَاتِ وَقَضَاءُ الْحَيَاةِ فِي جَسْمٍ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ جَسَمًا . وَغَادِرَ كُلِّ شَيْءٍ وَوَهَبَ الْمَسَاكِينَ كُلَّ شَيْءٍ رَجَاءً أَنَّ لَأَيُّكَ الْإِلَهِ وَحْدَهُ وَيَعِيشُ يَسِيرٌ مِنَ الشَّيْءِ كَانَ مَعِيشَتُهُ مِنَ الْعَدَمِ الْجَمْتِ وَذَلِكَ الْبَسِيرُ يَنْقُضِي أَنْتَظَارَهُ مِنَ الْعَنَابَةِ الْإِلَهِيَّةِ .

إِلَّا أَنْ أَخْصَ شَرِيعَةً لِلْأَنْجِيلِ هُوَ حَمْلُ الصَّلِيبِ لِأَنَّ الصَّلِيبَ هُوَ امْتِحَانُ الْإِيمَانِ الْحَقِيقِيِّ وَرُكْنُ الرَّجَاءِ الْحَقِيقِيِّ وَتَنْفِيَةِ الْحُبِّ الْكَامِلَةِ وَقَضَائِي الْكَلَامِ هُوَ طَرِيقُ السَّمَاءِ . فَتَذَمُّ مَاتِ الْمَسِيحِ عَلَى صَلِيبٍ عَانِي حَمَلَةً طَوِيلَ أَيَّامِهِ وَبِرْغَبٍ فِي أَنْ يَتَّبِعَهُ الْإِنْسَانُ حَتَّى الصَّلِيبِ وَلَا يَبْنَالِ أَحَدُ الْحَيَاةِ الْإِبَدِيَّةِ الْإِهْذَاءَ الشَّرْطَ . وَأَوَّلُ مَنْ أَخْصَصَ بَعْدَ الرَّاحَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ رَفِيقَةً الَّذِي كَانَ مَعَهُ عَلَى الصَّلِيبِ فَقَالَ لَهُ أَنْتَ تَكُونُ مَعِيَ الْيَوْمَ حَقًّا فِي الْفَرْدُوسِ وَإِذَا أَرْتَفَعَ عَلَى الصَّلِيبِ انْشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلِ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ وَانْفَتَحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ بِدُخْلِهَا الْقُدَيْسُونَ . وَبَعْدَ أَنْ رَأَى عَنْ صَلِيبِهِ وَخُرُوجِهِ مِنْ رَسْمِهِ بَدَا لِلتَّلَامِيذِ مَجْيئًا وَظَاهِرًا عَلَى الْمَوْتِ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ تَحْتَ الْمَجْدِ لَا بِالصَّلِيبِ وَأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ طَرَقًا سِوَاهُ . وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ مُثَلَّتْ فِي شَخْصِهِ صُورَةُ الْفَضِيلَةِ الثَّامَةِ الَّتِي لَا تَمْلِكُ عَلَى الْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا تَنْتَظِرُ مِنْهَا شَيْئًا وَلَمْ يَحْسَنْ بَنُو الْإِنْسَانِ جَزَاءَهَا إِلَّا بِالضَّهْدِ الذَّمِيمِ مَعَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ تَوْسِعُهُمْ خَيْرًا فَكَانَتْ أَعْمَالُهَا مِنْ دَاعِيَاتِ عِقَابِهَا . فَتَذَمُّ مَاتَ يَسُوعُ لَا يَرَى مَنَةً فِي الَّذِينَ اغْرَقَهُمْ فِي لُجَّةِ سَجِيلِهِ وَأَفْضَالِهِ وَلَا أَمَانَةً فِي أَخْدَائِهِ وَخِلَاتِهِ وَلَا عَدَالَةً فِي الَّذِينَ قَضَوْا عَلَيْهِ وَلَمْ تَنْفَعْ بَرَأَتُهُ الَّتِي انْقَضَتْ أَمَامَ الْجَمِيعِ . وَبِنِزَاعِهِ أَبُوهُ الَّذِي يُوَاكِلُهُ كُلَّ مَلَاذٍ وَأَسْلَمَ الصَّدِيقَ لِأَعْدَائِهِ وَمَاتَ مَتْرُوكًا مِنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ . يَبْدُو أَنَّهُ قَدْ اقْتَضَى أَنْ يَصْرَحَ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ أَنَّهُ لَا يَنْتَفِرُ لَدَى تَحْدِيقِ الْمَشَاقِّ وَالْخَاطِرِ إِلَيْهِ إِلَى سُلُوكِ الْإِنْسَانِيَّةِ أَوْ أَدَلَّةِ حَسْمَةِ مَنْ قَبِيلِ الْعَنَابَةِ الْإِلَهِيَّةِ بَلْ يَكْفِيهِ أَنْ يُحِبَّ اللَّهَ وَيَتَّقِيَهُ مَوْقِفًا أَنَّهُ يَنْفَكِرُ بِهِ دُونَ أَنْ يَبْدِيَ لَهُ أَدْنَى سَمَةِ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ خَصَّهُ بِسَعَادَةٍ أَبَدِيَّةٍ وَقَدْ تَرَاعَفَتِ الْتَّلَاسُنَةُ فِي الْجَمْتِ عَنْ الْفَضِيلَةِ فَرَأَى أَنْ أَعْظَمَ الْأَشْرَارِ مِنْ يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يُوَازِي خَبِيثَةً عَنِ النَّاسِ وَيَتَصَانَعُ أَمَامَهُمْ بِالصَّلَاحِ فَيُفْتَنُونَ بِأَنَّهُ صَالِحٌ وَيَتَّبِعُهُمُ الْفَضِيلَةُ عَلَى أَنْ يَرْعَوْا حَرَمَتَهُ فَيَنْجِمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ

صاحب النضيلة العظي الحق من بحسب النوع الانساني وبشيء له الشر والتلي ولا يبق له  
 شهادة على برارته الا ضيمره وانه يعرض لكل مله واهانة وبغضه في الامر الى ان يعلو  
 على الصليب ولانانيه فضيله باعانة يسيرة ابي تخلصه من العذاب الالم . أفلا يظهر  
 من ذلك ان الله وحى بهذا التصور الى احد الثلاثة ليكون في ابيه وتبين منه ان  
 الصديق له مجد وراحة وسعادة غير التي بناها على الارض فان وضع هذه المحنة  
 وبيان كمالها بنوع عظيم الوضوح وخطر المحنة لمن اعظم الاعمال التي في وسع الانسان  
 صنيها والحال ان الله قد رأى هذا العمل عظيماً فخصه بالمسيح ابنه المستطاري الانسان  
 الذي جعله اقنوماً واحداً في ابيه الوحيد

وعلى كل حال . فليس امر أعظم من النضيلة يمكن ان يخص بالله نزل من  
 السماء الى الارض . واي شيء كان من ارادة هذا الاب ان يبرمه أكثر من ان يظهر على  
 الارض النضيلة كاملة والسعادة الازلية حيث المصائب العظيمة تنودها اليه

فلو اعتبرنا كل ما هو سام وخاص بسر الصليب لتعسر على عقول البشر  
 قاطبة ادراكه اذ يتبين لنا ظهور فضائل بالصليب لا يقدر على تمثيلها الا الانسان الاله  
 وليس بممكن لاحد سواه ان يكون بمثابة الذبايح القديمة ويلقيها ويستبدلها بذبيحة  
 ذات عظمه واقنذار لانهاية لها . وقد تأتى منذ ذاك الحين ان لا يتقدم لله الا هو نفسه  
 فهاك العمل الديني الذي قام بعينه المسيح على الصليب وهل كان يمكن للاب الازلي  
 ان يمد بين الملائكة او بين البشر خضوعاً بوازي خضوع ابنه المحبوب لديه لما اسدى  
 حياته له طوعاً ودون كره في سبيل مسرته اذ رأى ان لا يوجد احد يتمكن من نزعها  
 منه قسراً عنه . وان لسانى لفاصر عن تبيان اتحاد ارادته التامة بارادة الله وعن حبه  
 الذي كان يقرنه بالله الذي قد اصلى به العالم . وقد استغرق بذلك الاتحاد غير  
 المدرك كامل الجنس البشري واصلى السماء والارض والنفس بشهوة عظيمة في بحر ذاك  
 الدم حيث الة صبغة ينبغي ان يصطليح بها مع كل اصحابها واخرج من قروحاته نار محبة  
 الله على الارض المزمنة ان تحرق الارض طراً وهاك ما يقصر عن ادراكه عقل كل  
 انمان وهو العدل الذي انم هذا الانسان الذي سمح ان العالم يقضي عليه ليبقى العالم  
 مقضياً عليه موبداً . بسبب هذا الحكم العظيم . فقد انت دبونة العالم فيطرح رئيس هذا العالم  
 خارجاً كما حكم على ذلك بسوع نفسه . وان الحليم الذي تولى على العالم اربع ان يفتد السلطة لانه لما

عكف على اضطهاد البري، الجاه الامر الى ان يعنى الخطاة من اسرهم واما صك النضا  
الذي كان يعلن اننا مسجون للشيطان فاخته يسوع المسيح اقامة معه على الصليب ليحموه  
بدمه، فبكى الحميم على ذلك بكاءً مرّاً واصبح الصليب مركزاً لاتصاير مخلصنا يتقوه  
الاعداء وهم يرتعدون خوفاً ورهبةً. ويدولنا من ذلك ظن اعظم من ذلك وهو ان  
العدل الالهي قد اصبح مغلوباً وان الائم الذي كان من اهل ان يتقدم له ضحية قد  
نقص من بين يديه لانه وجد له عن ذلك كفيلاً قادراً ان يودي عنه ثمناً غير منشاء  
وجعل المسيح في حوزته كل الاخبار الذين قد ادم بنفسه لانهم اعضاءه وبجسده والاب  
نفسه لم ينجح اليهم الا لكونه رئيسهم ولهذا قد اوصل اليهم حبه غير المنهاهي نحو ابنه بواسطته  
لان الابن طلب منه ذاك الحب اذ لا يود ان يندفع عن البشر الذين سرام بدمه. ولهذا  
كان يقول يا ابتاه اني اريد ان يكونوا معي وسوف يمتثلون من روعي ويتبعون بمجدي  
ويجلسون معي على منصتي. وبعد هذه الحسنى الفضلى لم تنالك انت نهفت بسرور  
مظهرين عاطفات الممنونة مشاركت احد الفلاسفة الشهيد بقوله يا ابنها العجيبة يا ابنها  
الانقلاب غير المدرك ويا حيل الحكمة الالهية الغريبة كيف يعاقب واحد مفرد  
والكثيرون يخلصون ان الرب يقاص ابنه البار لينقذ البشر الخطاة ويصفح عن البشر  
الائمين بحجة بانه البري. لان المسيح اذ كنا بعد ضعفاء مات في الاوان عن  
المتنافين ولا يكاد احد يموت عن صالح. وان الذي احبنا ونحن مجرمون متضجياً عنا  
لا يمكن له ان يرفضنا بعد ان اصلحنا وبررنا بدمه.

وقد نلنا اموراً كثيرة بالمسيح وهي النعمة والقداسة والحياة والمجد والسعادة واصبح  
ملكوت ابن الله ميراثنا ولم يبق شيء يفوقنا بشرط ان لا تخط نفوسنا.  
وفي غضون ان كان المسيح نعم شموانا ويفوق آمالنا كان يتم عمل الرب الذي  
بوشيه في ايام الانبياء وشريعة موسى

فكان الرب وقتئذ يندوهم باخبارات حسية لانه كان يدي عظمته بمواعيده  
الزمنية وجودته اذ كان يغمر اولاده بالاحسان الذي يداري جواسمهم وقدرته بانفاذه  
ايام من ابدي اعدائهم وصدقته لما قادم الى الارض الموعود بها ابائهم وعدله بشوابه او  
عنايه للذين كان يبعث بها اليهم علائمة جراً على ما كانوا يعملون. وكل هذه  
الاعاجيب كانت تعد الطرق للحقائق التي كان المسيح مزعماً ان يقوم بها. وذلك اذا

كان الرب صالحاً كثيراً فمنا من بالحواس فكم بالآخرى كثيراً فمنا بالروح  
المصونة على صورته ومثاله. وإن كان هذا المقدار رويًا وحسنًا نحو أولاده فهل يحصر  
حبه وإحسانه في بضع من السنين التي يدور عليها محور حياتنا. ألا يهب محبوه من  
السعادة الأخيلاً وأرضاً مخصصة بالحبوب والزيوت. اليس من عمل آخر يفيض فيه  
عليهم خيراته الحقيقية.

أجل يوجد لأرب محب على آخر مهلاً قد أتى يسوع ليرينا ذلك لو كانت عظمة الرب  
تنتهي بعظمة معرضة لحواسنا الواهنة لما كانت مبروثة لائقه بشأنه لأن كل ما ليس  
بأزلي لا يليق بعزة الإله الأزلي ولا أمل الإنسان الذي أوقفه الرب على أزمته  
ومن ثم إن أمانته غير المتغيرة فهو عيون لو لم تكن تمتد إلى شيء ثابت وغير فان لما كان  
يوجد لها موضع مناسب.

فلذلك قد اقتضى الأمر أن يفتح لنا المسيح باب السماء ليبن لإيماننا المدينة الثابتة  
التي تجمعنا بعد هذه الحياة. ويلوح لنا إن الله قد تلقى باله إبراهيم واله اسحق واله يعقوب  
ليكشف لنا أن هؤلاء الآباء الصالحين يستمرون دائماً أمامه أحياء ليس بالله للثاني  
بل للأحياء وليس يليق بشأن الربيات يقتصر على مرافقة أصفائه إلى الزمن مثلاً  
يصنع البشر غير تارك لهم رجاء وراء ذلك. ولو لم يشد في السماء مدينة  
عظمى أزلية يقطنها إبراهيم وأولاده بكل سعادة للحق ير العار بقوله بعظمة وجلاله أنه  
إله إبراهيم.

وعلى ذلك انضمت لدينا حقائق الحياة المستقبلية بيسوع المسيح. وقد أبان لنا  
كل ذلك في السنة لأن أرض الميعاد الحقيقية هي السماء وإن إبراهيم واسحق ويعقوب كانوا  
يبدون ككون هذا الوطن السعيد لأن يلد فلسطين لم تكن لا تثقبان تكون غاية انتظارهم  
أو يحمل لهمها الوحيد.

فإن مصر التي كان ينبغي أن يخالوها والصخرة التي اقتضى أن يطووها وبابل  
التي الجئوا إلى أن يستولوا باسم مجيها للبحر وأطانهم الذين يشخص العالم وبلاذاتو وإياطيله  
حيث نحن مبرحون تحت أثقال الاسترقاق ونألم في تعلات الغرة والخطيئة وشبه وانها  
فعلينا أن نطرح عن عوائقنا نير هذه العبودية فننال في اورشليم مدينة الهنا الحرية  
الحقيقية ومقدساً لم تشده إلا يادي يدي وفيه مجد اله إسرائيل. وقد أبان لنا تعليم المسيح سر

الرب لان الشريعة روحانية كلها وتقودنا مواعيدها الى مواعيد الانجيل وهي كركن لما . ويبدولنا نور فرد ساطع في كل محل لانه بدا في عهد الاباء . واما في ايام موسى والانبياء . يسوع الذي هو اعظم من الاباء . وسلطته اسمى من سلطة موسى ونوره اسطع من نور الانبياء ابانه لنا بكاله . ولقد انبسط كل الحقيقة اي حقيقة الاسرار وحقيقة النضائل وحقيقة المكافاة التي اعدّها الرب لمحبيهم من بيننا لنا وهو المسيح الانسان الاله وحسب قول ماري اوجسطينوس الانسان الذي يقوم مقام الحقيقة على الارض ويريناها كما كانت قائمة فينا

فهاك العظمة التي كان يتعمر على اليهود ان يطلبوها من المسيح لانه لا شيء اعظم من حفظ الحقيقة بذاته واظهارها لبني البشر كلها . فتكون لهم ملاذاً وقائداً ونجعل ابصارهم نفية وتمكهم من روبة الرب . وفي وقت ان نعلم ان تبدوا الحقيقة لمداية البشر بكالها كان قد سن ان يندربها في كل الارض وفي كل الازمان ان الله لم يبع موسى الا شعباً واحداً ووقتاً معيناً لكنّه وهب المسيح كل الامم وكل الاحيان . ودليلاً ان مختاريه يرحون في كل محل ويعتق مبسوطة في العالم باسمه تستمر لهم اماً . لانه قال لرسوله اذهبوا الآن وتلذذوا كل الامم بمعدن ايام باسم الاب والابن والروح القدس وعلوم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به واما انا معكم كل الايام الى منتهى الدهر . (١)

## الفصل العشرون

في حلول روح القدس وتشديد البيعة وحكم الرب على اليهود والامم ان نشر الحقائق الصامية في كل زمان ومكان وارساخها في وسط التصادم لنرم انقوم بها فضيلة غير بشرية ولهذا وعد المسيح بان يبعث بروح القدس لتثبيت رسوله الاطهار واحياء جسد يبعثوا حياء ازلياً ولكي تظهر قوة الروح القدس اقضي ان تبدو بكل ضعف فقال يسوع لتلاميذه وانا ارسل اليكم ما وعد به اي (اي الروح القدس) فامكنوا انتم في هذه المدينة الى ان

تلبسوا قوة من العلاء .

فمكتوباً امثالاً لذلك الامر في العلة اربعين يوماً وحل الروح القدس بينهم في  
الاجل المسمى وان اللسنة النارية التي هبطت على تلاميذ المسيح تدل على منفعية  
كلامهم ومن بعد ذلك اخذوا يندرون ويشرحون وادى الرسل شهادة ليسوع لانهم  
كانوا على اية ان يعملوا كل صنوف المشاق ليقرروا انهم راوه متبعين من الموت وكانت  
المجزات تعجب اقوالهم فارتد ثمانية الاف من اليهود بواسطة انذارين قام بها بطرس .  
وسمعت عيونهم بالبكاء على ضلالم ونظروا بالماء الذي اهرقوها

وبذلك اقيمت البيعة في اورشليم بين اليهود قسراً عن حقد اكثر الشعب وادى  
تلاميذ المسيح للعالم محبة وبأساً وخلافاً دمة لم تبد من قبل في الفة اجتماعية ابداً . ولما  
ساد الاضطهاد كثرت الامانة وتعلم اولاد الرب من آن الى اخر ان لا ينجحوا الا الى  
ملكوت السموات . واما اليهود فقد صوبوا عليهم بكثرة خباياهم انتقام الرب وقربوا اليهم  
المشاق الويلة التي كان يتوعدون بها ولقد كانت احوالهم تزداد سوءاً وفي غضون ما  
كان الرب يفرز من بينهم كثيرين ليضهم الى مختاربه بعث بالقدس بطرس ليعمد قائد  
المائة كورنيليوس الروماني . فانه علم في يادي الامر بروما من العلاء وفي ما بعد  
بالاخبار ان الامم مدعوون لمعرفة الله لان يسوع المسيح الذي شاء ارتدادهم ناجي  
من العلاء بولس الرسول المزعم ان يصير معلم . واقام لديه معجزة غريبة لم يسمع الى  
ذاك الوقت نظيرها فتحول الدين المسيحي بعد ان كان مضطهداً الى فسق الى محام  
بيادته بالتالي والمكاشحة بل الى ان يكون منذراً غيوراً على الايمان ايضاً وكشف له سر دعوة  
الامم بسبب رذل اليهود الناكرين للجميل الذين اسلموا متوغلين في الفباحة وما بيعهم  
على عدم استهائهم للانجيل وبسط مار بولس يديه نحو الامم واخذ يتكلم بكل فصاحة  
وبلاغة عن كل تلك الامور المهمة وهي هل سيتألم المسيح ويصعب اول من يقوم من بين  
الاموات فيبشر بالنور الشعب والامم . وعلق يثبت قوله بموسى والانبياء ويدعو الامم الى  
معرفة الرب باسم يسوع المسيح المنبعث من الموت ونقاطر الشعب والامم الى الايمان  
اجوافاً وابان مار بولس حيثئذ ان دعوتهم من النعمة التي لا تميز بين اليهود والامم .  
فدبت الحدة في قلوب اليهود مستبطين وتوامروا على القديس بولس حنفيين منه  
لاسباً لانه كان ينذر الامم ويردهم الى الاله الحق فسلموه للرومانيين مثلما سلموه يسوع



المسيح فاحتمت دولة رومية غضباً على البيعة الجديدة واصبح يهرون المضطهد لجميع  
 اليسرائول من اضطهد للمؤمنين وامات القديسين بطرس وبولس فتكرست رومية  
 بدمهما . وتشيد في حاضرة الملكة كرتي للدين الخاص بسبب اشهاد القديس بطرس  
 رئيس الرسل . بيد اني كان قد اذف الوقت الذي كان الرب مزماً فيه ان يتم من  
 اليهود المصيرين على اقلامهم لان الانقسام قام فيما بينهم واعمت الغيرة الفاسدة بصائرهم  
 وجعلت بني الناس طراً يافتون منهم وكان انبيائهم الافاكون يخالفونهم بمواعيد ملك  
 وهي . ولما اتخدعوا اي خداع وانغمسوا في لجوء القبرور تعمس عليهم ان يحفظوا السلطان  
 الشرعية او يقنصروا على جرائمهم المستظمية فغلب الله عليهم وشواتهم السيئة فمردوا على  
 الرومانيين الذين اذلقوهم بر العذاب والضنك . وتطس نفسه الذي تم دنارهم قد قر  
 ان لم يكن الآلة تصوبها يد غضب الرب عليهم وابادهم ادر يانوس فملكوا . وقد  
 كانت كل ادلة الانشقاق الالهي عليهم لانهم طردوا من اوطانهم وتشعثوا اسرى وعبيداً  
 في كل المسكونة . فلم يبق لهم من هكل ولا مذبح ولا ذبيحة ولا وطن وانحت آثارهم من  
 كل يهوذا .

بيد ان الرب قد اعد له منذ الانزل شعباً اخري يودي له فروض العباداة لان  
 الهم تفتحت ابصارهم واتحدوا بالروح مع اليهود الايبين الى سحر البيعة وبنوا على ذلك  
 الفخاروا الى اخلاف ابراهيم واصبحوا اولاد الايمان وورثة المواعيد التي وعد بها ابراهيم  
 فصار الجميع شعباً واحداً وبدت على وجه البسيطة ذبيحة جديدة وهي الذبيحة التي اوعز  
 اليها الانبياء في نبؤاتهم .

وعلى ذلك المتوال تمت نبوة يعقوب بكل دقة وضبط اي ان بني يهوذا يزيديون  
 اكثارة من البدء على كل بني اخوته . ولما كان يسنر حافطاً على نوع ما السلطة  
 عليهم فقد نال الملك اخيراً ميراثاً له واصبح على طول المدي شعب الله منحصراً في  
 سيطه وملقباً باسمه . وتكاثر يهوذا الشعب العظيم الذي وعد به ابراهيم واستحق ويعقوب  
 واستندامت به المواعيد الاخرى اي عباداة الرب والهيكل والذبايح والاستيلاء على  
 ارض المواعد التي لم تكن لتدعى الا يهودية لان اليهود قسراً عن احكامهم المتباينة قد  
 استمروا جمعية واحدة وشعباً واحداً في ملكية واحدة منظمة راضخين لسيادة واحدة . فلبث  
 ملوك وقضاة واعيان يتولون امورهم الى ان اتى المسيح . ولبن ما تاه اخذت مملكة

يهودا تبتدئ حيناً بعد حين وبعد ذلك تم ذنارها وطردها اليها اليهود ائمين من  
 الاياب الى ارض اباؤهم واصبح المسيح رجاء الامم ومنتهى امالم ومثلكما يحكم شعباً جديداً ،  
 ورغبة في رعاية الخلافة والاتصال اقتضى ان يظلم الشعب الجديد في القدم حينما  
 قال مار بولس ان الزيتون البرية اذا طعمت في الزيتون البستاني اصبحت شريكة  
 لها في دسها ولهذا اتفق ان الكنيسة المشيدة في بادئ الامر من اليهود قبلت في  
 حجرها الامم لتصبح شجرة واحدة وجسماً واحداً وشعباً واحداً وتشاركهم طرابوا عيدها وتغتمها ،  
 ولا تغلق اذ ذاك لكل ما حدث لليهود غير المومنين على عهد قسطنطينوس  
 وتيطوس بشعب الله بل ان ما طراً عليهم كان كفاس المبردين الذين لتسب  
 عصيانهم الابن الموعود بـ ابراهيم وداود لم يلبثوا يهوداً اولاداً لابراهيم الا حسب  
 الجسد ولقد مجدوا الموعود التي كانت مزمنة ان تكون بركة على كل الامم . وعليه  
 ان البلية الاخيرة التي المت باليهود لم تكن كسبي بابل وابست كنوتوت الحكم والسلطة  
 في شعب الله والحكمة في الدين لان الشعب الجديد الذي تكون وامتزج بالشعب  
 القديم يسوع المسيح لم ينقل من اليهودية واخذ في الامتداد والفناء دون انقطاع من  
 اورشليم حيث نشأ الى اطراف المسكونة واصبح حينئذ الامم الذي انخاروا الى اليهود  
 اليهود الحقيقيين ومملكة داود الحقيقية برضوخهم للشرائع وانجيل يسوع المسيح ابن  
 داود

وبعد ان تشيدت هذه المملكة الحديثة لا يعجب من دنار كل شيء في بلاد  
 اليهودية لان الهيكل الاخير لم يعد يصلح لشيء بعد ان اتم المسيح كل ما قيل بالانبياء .  
 لانه قد نال الفخر الموعود به ما نى المسيح المطلوب من الامم . وقد كانت اورشليم اثمت  
 كل ما كانت مندوبة اليه لان البيعة كانت قد تكوتت فيها ومن ثم اخذت اغصانها  
 تمتد في كل اطراف الارض ولم تعد اليهودية او اليهود من اهتمام الرب او الدين . وقد  
 كان من العدل ان يتشتتوا في الارض عقاباً لفساد قلوبهم

وذلك نفس ما كان مزماً ان يحل بهم في زمرة المسيح تطبيقاً لما فاه به يعقوب  
 وداينال وزكريا وجميع انبيائهم ولكن بما انهم يعودون يوماً ما الى المسيح الذي مجدوه  
 وان اله ابراهيم لم يكن قد افرغ كل كنوز رحمته نحو ذرية هذا الاب الامين فقد راي  
 وسيلة ليس لها من نظير في تاريخ العالم وهي ان يحفظ اليهود خارج اوطانهم

بدنارهم ويقيمهم زماناً اطول من زمان الظاهرين عليهم لعدم وجود آثاره للانواريين  
 الاقدمين والماديين والفرس واليونانيين والرومانيين لان دنارهم قد عنت واختلطوا  
 بالامم الاخرى . اما اليهود الذين كانوا قريسة لهؤلاء الامم المشهورة في التاريخ لبثوا  
 بعدهم . وان الرب لم يرهم الا ليعلمنا منتظرين ما هو مزعم ان يصنع بياقي هذه الامة  
 البائسة بعد ان صيب عليها احساناً سابقاً ومع ذلك كانت قساوة قلوبهم وسيلة لخلاص  
 الامم الذين يرون بين ايديهم الكسب المقدسة غير المرتاب فيها التي تبين بسوع  
 المسيح واسراره . وما نراه ايضاً في الكسب المقدسة عينها المرعية بكل اعتناء من اليهود  
 هو عى قلوبهم ومشاقهم وعلى هذا تنفيس العبرة من مصائبهم . وعدم امانتهم اصبح ركناً  
 لامانتنا لانهم بذلك يعلموننا مخافة الرب وقد صاروا انموذجاً موبداً لاحكامه  
 الصارمة على بنيه المجاحدين وذلك لئلا نتغبر بالنعمة المعطاة لآبائنا .

وقد نغم علينا ان ندقق بالنقص عن السر العجيب الذي يراعى به جانب الافادة  
 للنوع الانساني وليس لنا حاجة لكلام البشر لكي ندركه لان الروح القدس قد اراد  
 ان يفسر لنا ذلك بواسطة التديس بولس الرسول . فاملي وطيد على ان نصيح لما قاله  
 هذا الرسول للرومانيين

فبعد ان تكلم عن سبب العدد من اليهود الذين اعتنقوا الانجيل وعن قساوة  
 غيرهم شرع ينقري ما يصير اليه الشعب المغبور بالنعمة الالهية فيكشف لنا بذلك  
 عن الثمرة التي نجتنيها بسقوطهم والثمره الزمعة ان نشأ يوماً ما من رجوعهم الى الايمان  
 فقال : العل اليهود عثروا حتى يستطوا حاشا بل بزلنهم حصلت الامم على الخلاص  
 لا غارنهم فان كانت زلنهم غنى للعالم ونقصانهم غنى للامم فكم بالاخرى امتلاوهم .  
 لانه ان كان رفضهم هو مصالحة العالم فما يكون قبولهم الا حيوية من بني الاموات .  
 وان كان الاصل مفسداً فكذلك الفروع . وان كان بعض الفروع قد كسر وقد كسرت  
 انت زيتونة برية قطعيت فيها فصرت شريكاً في اصل الزيتون ودسها فلا تتغبر على  
 الفروع فان افتخرت فلست انت تحمل الاصل بل الاصل يحملك ولعلك تقول ان  
 الفروع قد كسرت لاهلنا . حسن انها من اجل الكفر قد كسرت وانت بالايمان  
 تثبت فلا تستكبر بل خف فانه ان كان الله لم يبق على الفروع الطبيعية فلعله لا يبق  
 عليك انت ايضاً

فمن ذا الذي لانا هذه الرعدة عند ما يستع كلام الرسول وهل يمكن لنا أن لانخشی من انتقام الرب اللاحق باليهود منذ اجيال عديده فان القديس يواس بينهما من قبيل الرب قائلاً ان كفرنا سيمذب الينا عفاناً كهذا وبناءً عليه فلنصح لكلام الرسول القائل : فانظر اذاً الى لطف الله وشده اما الشدة فعلى الذين سقطوا واما لطف الله فلك ان ثبت في لطفه والأفتطح انت ايضاً وهم ان لم يبتوا في الكفر يطعمون لان الله قادر ان يطعمهم لانك ان كنت قد قطعت من زيتون برتي بالطبع وطعمت على خلاف الطبع في زيتون بستانني فكم بالحري هؤلاء الذين هم فروع طيعية يطعمون في زيتونهم الخاص

وارتفع هنا الرسول فوق كل ما قاله ودخل في حجر مشورة الرب فقال فاني لا اريد ايها الاخوة ان تجهلوا هذا السر لئلا تكونوا عند انفسكم حكماً وهو ان عى قد حصل بجانب من اسرائيل الى ان يكون قد دخل ملء الامم وهكذا سيخلص جميع اسرائيل كما كتب سيأتي من صهيون المنقذ وبصرف النفاق عن يعقوب وهذا هو عهدي لم حين ازيل خطاياهم .

فهذه الآية قد نقلها القديس بطرس عن النسخة السبعينية حسبما كانت عادة لانها قد كانت متعارفة في كل الارض . وانها لا قوى عبارة في النسخة الاصلية اذا استقرت متصلة لان النبي يتكلم أولاً عن ارتداد الامم ويقول ان الفاطنين في الغرب يخافون اسم الرب والفاطين في الشرق يرون محبة ثم رأى الشعب عن بعد الاضطهادات التي تؤمل لنا . البيعة كهر منقضى مغوار ثم كشف له الروح القدس عما هو مزع ان يحل في اليهود فقال وباني لصهيون النادي وللذين يتوبون عن الرثم في يعقوب يقول الرب هذا عهدي معهم يقول الرب روجي الذي فيك وكلامي الذي جعلته في فمك لا يزولان من فمك ومن فم نسلك ومن فم نسل نسلك يقول الرب من الان الى الابد

فيبين لنا النبي بنوع صريح ان المخلص الذي لم يعرفه صهيون وقد حمده بنو يعقوب سوف ياتي بعد ارتداد الامم اليهم ويخضعونهم الآثام ويتبع لم ادراك النبوات بعد ان كانوا قد فقدوه زماناً مدياً . حتى ان هذا الادراك يتعاقب من يد الى يد في الاجيال كافة حسبما يشاء الرب ويكون هذا الحادث العجيب . وعلى هذا

سوف يوديب اليهود. وبعد ايامهم لا يعودون يضلون الى الابد ولكن لا يوبون الا بعد  
ان يتلى الغرب والشرق او بعبارة اصرح تتلى الارض كلها من خوف الرب ومعرفته  
وابان الروح القدس للقدس بولس ان رجوع اليهود موقوف على محبة الرب  
لابائهم ولهذا نراه يتم ما قالة هذه الكلمات:

اما من جهة الانجيل فهم اعدائكم من اجلكم واما من جهة الانتخاب فهم احياءكم من  
اجل الآباء لان مواهب الله ودعوته هي بلا ندامة. فكما انكم كفرتم حيناً بالله وتلتم  
الآن رحمة من اجل كفرهم قد شاء الله ان يتخبركم لتكونوا بمثابةهم. كذلك  
هولاء ايضاً كفروا الان لاجل رحمتكم حتى يتالوا هم ايضاً رحمة لان الله اغلق على  
الجميع في الكفر ليرحم الجميع مد وحتى يشعر الجميع بالاحتياج الى نعمة الله. فيالعمى  
غنى الله وحكمته وعلوه ما ابعد احكامه عن الادراك وطرقه عن الاستقصاء من عرف  
فكر الرب ومن كان مشيراً ومن سبق فاعطى له فيكافاً. ان كل شيء هو منه وبه  
والله فاما لمجد مدى الدهور آمين

ذلك ما قاله القديس بولس بشأن انتخاب اليهود وسقوطهم وابائهم ثم ارتداد  
الام المدعويين ليكونوا بمثابةهم وبردوهم في اخر الاجيال للبركة الموعود بها ابائهم  
وهي يسوع المسيح الذي جددوه. ويبين لنا ايضاً هذا الرسول انتقال نعمة الرب من  
شعب الى اخر لكي تاخذ الرعة كل الشعوب عند فتدائنها ويبين لنا ايضاً قوة هذه  
النعمة التي بعد ان ردت الام استاثرت لمنعوها الاخير بان يكتب كثر اليهود وبردع  
خبيثهم ومكرهم

وبسبب مشورة الله السديدة بقي اليهود في وسط الام حيث لمبت بهم ابدى  
التفريق وهم تحت انتقال الاسر الا انهم لبثوا على حالتهم المرذولة فاقدين لسبب كفرهم  
المواعيد التي اعطى ابائهم اياها ومحالين عن ارض الميعاد ولم يكن لهم من ارض يرثونها بل  
استمروا عبيداً ايان رحلوا وابن حلوا لاشرف لهم ولا حرية ولا هيئة شعب.

وكابدوا تلك الاحوال ثمانى وثلاثين سنة بعد ان صلبوا المسيح واستخدموا الزمان  
الذي اعطى لهم ليرعوا عن اغوائهم ويتوبوا بان يرهقوا الرسل ويضطهدوهم. وفي  
غضون ما كان الشعب التديم مرذولاً لسبب كفره كان الشعب الجديد اخذاً في  
النماء يوماً بعد آخرين الامم. وقد انضمت المعاهدة التي عاهد بها انا ابائهم حسب

المعماد بكل الشعوب الذين كانوا قد نسوا الرب لان البيعة المسيحية تدعو اليها كل البشر. ولما كانت مستكة في معمة العذاب مدة اجيال عديدة ابانت للبشر ان لا يطلبوا السعادة على الارض.

فهاك ياسيدي ثمة معرفة الرب ومفاعيل هذه البركة العظيمة التي ينبغي ان ينتظرها العالم يسوع المسيح فكانت على التواتر تحمل على بيوت مشايعة وشعوب متواصلة وكان البشر ينددون من يوم الى اخر فيشعرون بما وصلوا اليه من الضلة بعبادتهم للوثان. ولقد كان المسيحيون يغيرون هيئة العالم ويمتدون في كل الاصناف قسراً عن قوة الرومانيين دون ان يمدوا او يثوروا بل كانوا ينجسونه كل انواع العذاب.

وسرعة هذا التغير المخارقة العادة هي عجيبة ظاهرة فان يسوع المسيح كان قد تنبأ ان الانجيل يندريه في كل الارض وتمت هذه النبوة حالاً بعد موته وكان قد قال: وماذا رفعتم ابن الانسان؟ اي ان صليبه سوف يستعمل اليه كل شيء ولم يكن الرسل انما مسيرهم الا قال مار بولس للرومانيين ان ايمانكم ييسره في العالم باسمه وكان يقول للكولوسيين ان الانجيل ييسره في كل مكان.

وقد وصل اليكم كما انه قد وصل الى العالم كله الذي يثريه وينمو. ومن التحديق في التقليد نرى ان القديس توما قد اندريه في الهند وسائر الرسل في البلدان العاصية وليس بثبوت هذه الحقائق من حاجة الى التواريخ فان الافعال تبينها صريحاً ومن هنالك يتضح مطابقة كلام القديس بولس للرسل باستناده على مزامير النبي: في كل الارض خرج منطلقهم وفي اقطار المسكونة اثبت كلامهم.

وفي زمان الرسل خلفائهم لم تكن بلاد قاصية ومنكورة الا بشرفها الانجيل فبعد ان مضى على موت المسيح مائة من الاعوام كان القديس جوستينيانوس بعد من زمرة المومنين كثيرين من البربر وكثيرين من النحل الرحل الذين يتزحون من مفر الى اخر على عجالات وليس لهم من موطن مقرر. وليس ذلك من نوع الغلو والمبالغة بل امر مقرر كانوا يبرزونه وقتئذ لدى الملوك والعالم كله واتى بعد ذلك بقليل من الزمان القديس ايرينوس وزاد عدد البيعة وكان الاتحاد عجيماً لان ما كان يعتقد به في غالبا واسبانيا وجرمانيا كان نفس ما يعتقد به في مصر والشرق وان لم يكن في العالم

الاشمس واحدة لم يكن يرى في الكنيسة من اقصى العالم الى اقصاه الانور خفيفة واحدة وكلما ازدلف المرء قليلاً يأخذه العجب والدمشة من النجاح الذي كان للبيعة . ففي وسط القرن الثالث بين ترتوليانوس واوريجانوس ان شعوباً برمتها قد انحازت الى البيعة ولم تكن منها وان الذين كانوا قاطنين في اقصى العالم المعروف لم يحسبهم اوريجانوس منها لكنا انى من بعده ارنوب فضعهم الى مومنها

فعلي ايمى شيء عثر العالم حتى سارع منهافتاً على يسوع المسيح فاذا كان عثر على بعض من الاعاجيب فيكون الرب قد تدخل بنوع صريح في ذلك العمل وان لم تكن في ذلك الحين حدثت امامهم اعاجيب فارتدادهم وقشدر من اكبر الاعاجيب واعظمها ودخول فيالق حجة في اسرار سامية وان رضوخ عدد غدير من العلماء واقناع اناس لا يثقون باشياء عسرة التصديق لمن الغرائب والعجائب

يبدان عجيبة العجائب ان ساغ لنا القول هي ان الفضائل السامية والاعمال الشاقة قد كثرت والايمان بالاسرار في العالم قاطبة فان تلاميذ المسيح خطوا خطوات سيدهم في الطرق الشكسة فقد كانوا معرضين لكل شيء في سبيل الحنيفة ومتفتين آثار مخلصهم وكانوا يقدمون على الملهمات جذلاً وفرحاً اكثر منه اعلى الملذات

ولا يمكن لنا ان نحصى اولئك الذين افترخوا حباً بسد سغب المعسرين . ولا اولئك البتسين الذين آثروا الفقر على الغنى ولا العذارى البارات اللواتي تسنن على الارض بالملائكة ولا الرعاة المتخشعين الذين كرسوا ذواتهم خدمة للجميع وقد كانوا دائماً لا يتهجدون الليالي بالعباء والمهر باذلين نفوسهم حباً بقطعانهم . ولقد كانت النفثفات والندامة في اعلى ذروة من السيادة فان القضاء وقشدر لم يكونوا يقضون على المجرمين البائسين باكثر مما كانت الاثيمون يقضون على نفوسهم وفضلاً عن ذلك فقد كان الابرياء يعاقبون نفوسهم بقوة عظيمة بسبب الميل الفاسد الذي يحملنا على الخطية . وقد اصبحت حيوة القديس يوحنا الممدان التي بدت عجيبة بين اليهود ذائعة بين المومنين فامتلات السباس والتفان من الذين افنوا آثاره وكثرت النساك حتى ان الذين كانوا يطلبون الكمال الاعظم قد كانوا يتوغلون في وهاد الارض . ولقد كان جم غفير يعتزلون عن العالم ويلتذون بالحياة الرياضية والروحانية بواسطة سكنهم القفار . فهناك الثمار الثمينة التي نجمت من الانجيل فان البيعة لم تكن اقل غنى بالامثال من

التعليم فان تعليمها قد بدا مقدساً وانشأ زمرة كبيرة من القديسين وان الله الذي  
 يوعزان الفضائل السامية لاتنبوا الا بتجشم المشاق الويلة قد شاد بيعته على الاشهاد  
 واراد ان تلبث على تلك الحال مدة ثلاثة اجيال دون ان تخامرها راحة ولما ابان  
 باخبار مديد عدم احتياجه للمساعدة البشرية والسلطة الدنيوية لافامة بيعته دعا  
 اليها الملوك واقام قسطنطين الاكبر ذائداً عنها ومحامياً. فعند ذلك توافدت الملوك  
 من كل صنف ونادى للبحو البيعة وكل ما قاله الانبياء عن مجدها قد تم امام العالم  
 كله .

وكما ان البيعة لم تقمها ايدي العدو الخارجي كذلك لم توقع بها الانقسامات  
 الداخلية سواء . فقد بدت البدع التي تنبأ عنها المسيح ورسلة واخذت تضطهد البيعة  
 وعلق المبتدعون يناصبونها اكثر مما كان يناصبها الملوك ومع ذلك لم يضيق ذاك  
 الاضطهاد عليها الا بعد ان انفقت مناصبة الوثنيين لان التجيم في ذاك الحين  
 افرغ ما عنده من القوة ليحل ابناء البيعة يتناصبون بعد ان كانت اركانها قد  
 توطدت بتعديق ابصار اعدائها القاصين عنها اليها . فلم تلبث ان استكثت وطفنت  
 ثمتمع بالراحة التي نالها في عهد الملك قسطنطين الا بدا اريوس الشقي يبادها بامور  
 وييلة لم تكن اذ ذاك الحين تجسمها واخذ قسطنطس بن قسطنطين الملك يرهق الكاثوليك  
 في كل الارض فان الاربوسيين كانوا قد خالطوا والمجنوه الى ثبيت بدعتهم فاخذ  
 يضطهد المسيحيين اشد الاضطهاد وهو يوحج عليهم الحرب باسم المسيح فوهت البيعة  
 المجترقة تحت سلطة جوليانوس الجاحد الذي استخدم كل الوسائل لانلاف الدين  
 المسيحي ولم ير له من ذريعة لتسليم ذلك الا بان يثير الاحزاب التي كانت تناصبة  
 وخلفه فالانس الجانح الى الاربوسيين كقسطنطس لكنه كان اشد منه عنوا وجورا  
 وقد دب الجنح في قلوب بعض الملوك سواء فقتلوا اثره بالعطوف الى بدع  
 اخرى والذود عنها . فشعرت الكنيسة بالاخبار ان يقضى عليها بان تتكبد مشاق  
 على عهد الملوك المسيحيين ليست باقل مما تكبدته على عهد الملوك الوثنيين ورأت ان  
 من انتقم عليها اوراق دم بنينا للدفاع عن تعليمها او بالاحرى للذود عن كل قاعة  
 منه . فلم يكن بند من بنوده خالياً من تصويب سهام بنينا عليها لان كثيرين من  
 المشيعين نزعوا من حجرها ناكثين ذمامها واخذوا يطارحونها . لكنها وان رأتهم قد



قاموا ضدها بناوشونها فقد رأينهم كما قال الخالص مذحورين قسراً عما ضافهم الملوك  
العظام . واما ابناؤهما الحقيقون فقد كان ذلك الامتحان كافياً لثبوت ايمانهم وذلك  
كما قال القديس بولس : ان الحق ثبت اذ تعرض للنواشة وليثت البيعة غير مزعزعة

## الفصل الحادي عشر والعشرون

في بعض ملاحظات خاصة باليهود ونبوءات يسوع المسيح  
ببما كنت عاكفاً على ان ارفع لدى جلالتك النبأ عن تسلسل ما رب الرب في  
ادامة شعبه بالتواتر لمحت على حوادث كثيرة ذات بال تستلفت اليها الانظار فليكن  
مستوحاً لي ان اغود ارفع عنها سحاف الغموض فتفت اذ ذاك على حقائقها .  
غير اني احقق الامل بان تعتبر بنوع خاص سقوط اليهود فان كل ظروفه  
تؤهل لثبوت الانجيل . وقد اتصلت اليها بواسطة مؤرخين من اليهود والوثنيين يؤتى  
بهم كل هذه الحوادث التي اراد الرب ان تكون ذريعة لسقوط اليهود وان لم يكن  
هو لاء المؤرخون مفاصده .

فلم ترل ابدتاً تدول مؤلفات المؤرخ يوسفوس اليهودي العالم باحوال امة  
فانه قد اساد بلاده بما كلفه الموعزة الى اثار اليهود القديمة وما كتبه فيها كلام مسهب عن  
الحرب الاخيرة التي كانت علة لدثار تلك الامة وقد كان هو نفسه يشهد منها بخدم  
الوطن بما مورية خطيرة .

وكتب اخرى قديمة عند اليهود تنطق على ما ذكرناه لان عندهم شروحا قديمة على  
الكتب المقدسة من سجلها شروح بالكلدانية في ذيل توراتهم ولم كتاب يدعونه  
التلود اي التعليم براعون حرمة كالكتاب المقدس وهو ينطوي على مقالات واحكام  
قام بها العلماء الاقدمون وان تكن اجزاء ذاك التاليف ليست من قرن واحد فان  
المؤلفين المذكورين فيه اخيراً قد كانوا في اوائل جيل الكتاب المقدس وفيه ترى  
اثاراً حسنة في مقاليد اليهود القديمة وبراهين قاطعة لا قناعهم وان يكن فيه خزيلات  
عديدة الا ان اكثرها كان بعد المسيح

ومن الامور المحققة ان الانتقام الالهى لم يهبط اليهود اكثر منه عندما اندثروا اخيراً

وذلك بفرون به عباناً .

ومن الاحاديث الصحيحة المذكورة في التلمود والمثبتة من جميع البربانيين ان اشياء غريبة كانت مستمرة التبيان قبل دثار اورشليم باربعين سنة اي في عصر ينطبق علي وشك موت المسيح . وقد كانت معجزات متوالية تحدث في الهيكل يوماً بعد يوم فالنجاة اجد البربانيين المشاهير الى ان هتف ذات يوم قائلاً يا ايها الهيكل يا ايها الهيكل علام تضطرب وعلام تخيف نفسك بنفسك

وهل من امر حلي لدى الجميع اكثر من ذاك الديوي الذي سمعه الكهنة في بيت المقدس وقت عيد المظال وذاك الصوت الجهوري الذي خرج من الهيكل قائلاً فلنخرج من هنا فلنخرج من هنا واعلن الملائكة القديسون الذين يدعون عن الهيكل انهم يغادرونه وما ذلك الا لان الرب رذله بعد ان كان قد جعل فيه مقامة اجيالاً مديدة .

ونقل يوسيفوس المؤرخ وناسيوس الروماني نفسه ذلك الحادث الغريب وشعر به الكهنة وحدهم ولكن قد بدل لدى الشعب طراً حادث آخر لم يثأث لاحد الشعوب ان يرى مثله ويبان ذلك هو ان يوسيفوس المؤرخ يقول ان احد القرويين هتف قبل احترام نار الحرب باربعة سنوات قائلاً : صوت خرج من الغرب وصوت خرج من الشرق وصوت خرج من مهاب . الرياح الاربعة صوت ضد اورشليم وضد الهيكل وصوت ضد الذين تزوجوا حديثاً واللواتي تزوجوا حديثاً وصوت ضد الشعب كله ومن ثم استمر يصرخ ليلاً ونهاراً الويل الويل لاوشليم وكان يضاعف صراخه ايام الاعياد غير مفتوه بكلمة اخرى عدا ذلك ولم يجب احداً من كانوا يأسفون عليه ومن كانوا يلعنونه او يحسنون اليه الا بهذه الالفاظ الرهيبة وهي الويل الويل لاورشليم فالتفتي عليه القبض وحكم عليه القضاة بان يجلد بالسياط فكان يجيب على كل سؤال يوجه اليه ولدى كل جلدة نلّم به دون شكوى بالكلام ذاته اي الويل الويل لاورشليم فيسبوا منه واطلقوه معتقدين انه معتوه . فدوخ القرى والديساكر وكررتلك الالفاظ الرائعة وليث على ذلك المنوال . مدة سبع سنوات دون سامة او خمر .

وحينما كانت اورشليم مضيقاً عليها محاصرة كان داخلها يتطوّف حول اسوارها صارخاً بجهر الصوت الويل للهيكل الويل للمدينة الويل للشعب ثم قال الويل لي

فعند ذلك فاجأ حجر كبير مشوق بالمنجنيق فصرعه على الارض قتيلاً  
 فياسيدي من ذا الذي لا يؤمن عند مرآة ذلك المشهد ان الانتقام الالهي بدأ جلياً  
 في ذلك الانسان الذي لم يكن الا ليتفوه باحكام الرب الذي اقمته قوة واقداراً لكي  
 يعدد بصراحة مصائب الشعب وملك اخيراً بحكم ذاك الانتقام الذي انذره منذ مدة  
 مدبرة قبل وقوعه . وما ذلك الا ليحمله عنيداً وبيناً ليس لانه تنبأ عنه وقرره مراراً بل  
 لانه اصبح ضحية له ايضاً .

فالذي الذي تنبأ بمصائب اورشليم يدعى يسوع ويضح من ذلك ان اسم يسوع اسم  
 الخلاص والسلام مزعج ان يقول لليهود الذي لم يعثوا به في المخلص دلالة سيئة عليهم  
 واما اولئك المجاهدون الذين نبذوا وراء ظهورهم يسوع الذي انذرهم بالنعمة والرحمة  
 والمحبة فقد بعث الله اليهم يسوع اخريئذهم بمشاق وبيلة لا ينجع بها دواء وبوشك خرابهم  
 الذي لا محيص منه ولا مناص .

فلننص اذاً في عباب احكام الرب بنور كنيسة المقدسة . وسنرى ان قد قضي على  
 اورشليم والهيكل بالذئار مرتين مرة في عهد مجتصر الملك واخرى في عهد تيطس وفي  
 ذينك المهدين لم يبدُ عدل الرب بالطرق نفسها وان يكن حقيق في الذئار الاخير  
 حقاً بيناً

ولكي ندرك تسلسل ما رآه الرب ينبغي في بادئ الامر ان نتوكل على الحقيقة  
 المكررة في الكتاب المقدس وهي ان من عاده قضاء الانتقام الرائع ان يسلط علينا  
 شمولاً المردولة فتطوح بالمناشد فنصبح صماً عن نصائح الحكمة وعياً عن رومية الطرق  
 المفتوحة امامنا المودبة الى النجاة وموهبين لان نسلم نفوسنا لكل ما يلقي بنا الى التهلكة  
 ويختال شهواننا بالدهان والتدليس فتثبت على كل عمل مجرأة غير موازين قوانا مع  
 قوي الاعداء الذين اغظناهم والرب يسمح بكل ذلك عتاً على ما اقترعنا من الجرائر  
 وعلى ذلك المتوال كان دثار اورشليم وملوكها بيد مجتصر ملك بابل فكابدوا به  
 صاب الويل ولهذا شعروا مراراً بان اثارهم تعود عليهم بالشهق والنكبات فدناوا الى  
 مقسمين . وكان ارميا يوعز اليهم من لدن الله ان الرب فوض امرهم لهذا الملك وان  
 ليس لهم فرج الا بان يكونوا له صاغرين ويعملوا انقال نيره . فقد كان يتناجي صديقاً  
 الملك وشعبه قائلاً طاطنوا رؤوسكم تحت نير ملك بابل وادوا الى العبادة تحيوا . علام

تموت انت وشعبك وعلام تيل هذه المدينة خرابا فلم يثقوا بكلامه . وبينما كان يختصر بضيق عليهم في المدينة مكتنفهم بترسات عظيمة كانوا يثقون بالانبياء الكذبة الذين كانوا يعدونهم بان النصر ياتيهم عن قريب فقد كانوا يحاطبونهم باسم الرب مدعين انهم مرسلون من لدنه قائلين . اني سمعت نير ملك بابل وانامن الان الى ستين اردد الى هذا المكان جميع انية بيت الرب التي اخذها بختنصر .

فخدع الشعب بهذه المواعيد الكاذبة وعلقوا بختنصر مفاضة الجوع والظلم والمشايق الكلية وافضت بهم الوقاحة الى ان لا يبقى لهم لدى الظافر عليهم رحمة ولذلك اندثرت المدينة وحرقت الهيكل واصبح كل مستاصلاً

وقد كان من ذلك ادلة بينة تدع اليهود يشعرون بان يد الرب تدهمهم . ولكي يبدو لديهم انتقام الرب صريحاً في دنار اورشليم الاخير كما بدا لديهم في دنارهم الاول عثروا به على الغرور عينه والوقاحة نفسها وعثو القلب ذاته

وان يكن تردم صوب عليهم الاسلحة الرومانية وابدوا من الوقاحة شيئاً عظيماً ليزحروا عن عوائقهم نير الرومانيين الدائنة له الارض باسرها فلم يقصد نيقوس دنارهم بل انه ودّ مراراً ان يعاملهم بالرفق والنعمة ليس في ابتداء الحرب فقط بل بعد ان رأى ان لم يبق لهم من يك مفرّاً لانه كان قد اخذ عنوة حول المدينة سوراً باذخاً محصناً بترسات وقلاع امنع من قلاع المدينة لما بعث اليهم يوسيفوس وطئهم احدهم ساء شرطهم وكنتهم اذ كان اسره من بينهم وهو يدافع عن وطنه . فاخذ يحضهم على الرضوخ فلم تنجح بهم نصائحهم وقد ابرز اليهم ادلة قاطعة على وجوب طاعتهم فانباهم ان السماء والارض مخالفتان على تنكيلهم وان دنارهم بالعناد من الامور التي لاندحة منها . وان نجاعتهم موقوفة على رحمة نيقوس وناداهم بجهر الصوت قائلاً انفذوا المدينة انفذوا نفوسكم انفذوا هذا الهيكل العجوبة العالم الذي يراعي الرومانيون حرمة ويودّ نيقوس نفسه ان لا يراه منقوضاً الا باسف عظيم ولكن ما الحيلة في انفاذ اناس يثابرون على ان يصروا على علاكهم فان انبياءهم الكذبة كانوا يطغونهم ولذلك لم يصيخوا لاقوال ذاك الرجل ونصائحهم . وقد كانوا في ازمة شديدة لان كثيرين منهم كان يلتمسهم الجوع الشديد فكان يفتي منهم اكثر من الحرب وقد افضى بهم الامر الى ان الي اللوات ياكلن اولادهن فعظف عليهم نيقوس رأياً واقسم بالهتة انه لم يكن علة لدنارهم . وفي اثناء المشاق التي كانت

تناصروهم كانوا يعتقدون بالانبياء الكذبة التي كانت تعدهم بالاستيلاء على العالم وفضلاً عن ذلك انهم راوا ان المدينة تخلصت من بين ايديهم عنوة وشبت فيها النار من كل جانب ولم يرعوا عن اغوائهم بل ليثوا يصيحون لاقوال الانبياء الافاكين الذين كانوا يفرونهم بالمداينة بمجملهم على اليقين بان يوم ابتادهم قد حان فلبثوا على ذلك والرحمة عنهم فاصية فقتل النافع اذ ذاك منهم خلقاً كثيراً بجد الحسام وقوض المدينة من اركانها ولم يبق سوى بعض قلاع يستبقيها آثاراً للأجيال التالية فهوت اورشليم ولم يبق منها حجر على حجر

فانك ترى ياسيدي ان ما حل على اورشليم من النكبات والمصائب في ايام حرقها قد حل نفسه عليها الان وان نخوس لم يكن الا بلاغاً من قبيل الرب كختمصر ليهلك اليهود بالكيفية نفسها فاننا نرى في اورشليم العصيان ونسوة والجوع عنة والاذمة ذاتها ووسائل نجاتهم ذاتها وعين الطغيان وذات التمور ونفس العناد ولكي تكون المضادة تامة بكل الوجوه حرق الهيكل الثاني في عهد نخوس في الشهر والنهار اللذين حرق فيها في عهد بخنصر وكل شيء كان قد كتب عن ذلك آنفاً ومع ذلك لم يتبه الشعب لوعيد الله وانذاره .

الا ان بين دثاري اورشليم واليهود بوئاً عظيماً وكل هذا الاختلاف يبين ان الدثار الاخير قد تم بصرامة غريبة بانتقام الرب فان بخنصر اضرم النار في الهيكل اما نخوس فقد استخدم اكثر الوسائل لرعايته غير مبال بما تنوء يولديه اعضاء مجلس الشوروي فاثبت ان لم تقوض اركان هذا الهيكل فاليهود يستمرون على التمرد والعن لكن لما انت الساعة النعيسة اي اليوم العاشر من شهر آب وهو الوقت الذي حرق فيه هيكل سليمان احرق هذا الهيكل المكرم احد جنود الرومانيين وقد حمله على ذلك وحي الاهي كما قال يوسفوس المؤرخ وبما ان نفراً من ارفاقه اصعدوه الى نافذة الهيكل حيث البى النار قسراً عن تحريم نخوس لذلك امام جميع الرومانيين واليهود وقسراً عن جنوح الجنود الطبيعي الذين كانوا يودون ان يسلبوا منه ما كان فيه من الاشياء الثمينة اخرى من ان يحرقوها فاذا علم بذلك نخوس اسرع حالاً وامر بان تخمد النار فلم ينبعث شيء مما استعمله من الوسائل فان النار اضطرمت به من كل جانب وحولت ذاك البناء العظيم الى رماد .

فان كان عناد اليهود في عهد الملك دليلاً على مفعول انتقام الله الهميم عليهم فكما  
 بالاحرى عنادهم في عهد تيغوس الملك فقد كان اليهود وقت حصار اورشليم الاول  
 متوائمين على الالفة وتالب القلوب اما وقت ان دثرها الرومانيون اخيراً كانت قلوب  
 اهلها متنافرة موججة قبسة الشقاق . فكانت تمزق بذلك امعاءها ولم يكن عند  
 قاطنيتها حق على الرومانيين مثلما كانوا يحنقون على بعضهم وينهاقون على المباغضة .  
 ولهذا لم يتجدد في المواقع الخارجية قتلى منهم بمقدار ما يتجدد في المواقع الداخلية لانهم  
 بعد ان كانوا يجالون الاعداء عن اسوارهم اندفعوا على بعضهم وعلقوا ينيارون بسفك  
 الدماء . وكان يجاذب المدينة طرفان من الجور والسلب فعملت بها عوامل الخراب  
 واصبحت كفاعة صنف مغشئ مجتث القتلى وغدار رؤسآؤها يتنازعون على السلطة  
 واصبحت حالتها تضاهي حالة الهجين حيث الذكبر والبلبله والرجز . والبالسة يودون قلى  
 اغدايمهم وهكذا كان المالكون في اورشليم فانهم كانوا يجهدون في سبيل المباغضة  
 فاشفق ياسيدي ان انتقام الرب من اليهود يختصر هو صورة انتقامهم منهم تيغوس  
 فحل من مدينة شاهدهت هلاك احد عشر كرت من سكانها بحصار واحد مدة سبعة  
 اشهر

فهاك ما شاهدته اليهود في حصار اورشليم الاخير فلم يحملهم الكلدانيون شيئاً مثلاً  
 لان سبائهم عند الكلدانيين لم يستمر أكثر من سبعين سنة اما بعد حصار اورشليم فقد  
 بادتهم النائبات ستة عشر جيلاً وهم يثنون تحت اوقار العبودية في العالم كله لا يجهدون  
 لم من يزحزح عن عوائقهم الاقتال الباهظة او يخففها قليلاً . ولا غرو من ان تيغوس قد  
 رفض تبارك الشعوب المجاورة على انتصاره وبذ ما اسدوه له من النيجان والمكرات  
 على ظفره فان الظروف الغربية وحنق الرب العظيم على اليهود وبده التي تشك ظاهراً  
 عليهم حملته على العجب من كل ما جرى وبعثته على ان يقول انه ليس بظاهر بل هو  
 آله في يد غضب الرب

ولم يكن يدرك ذاك السر لان الساعة المتوقفة عليها معرفة الملوك الرومانية  
 بما في المسيح لم تكن انت الى ذاك الوقت بل كان ذلك الوقت اضطهاد البيعة  
 واذلالها ولذلك لم يعرف تيغوس الجريح التي يعاقب الرب اليهود عليها وان يكن قد  
 عرف ان اليهودية درست بحكم من لدنه تعالى فعلة هذا الانتقام هي اكبر الذنوب وهو

ذنب لم يسع به الى ذاك الوقت اي قتل الله  
ولقد نسب به انتقام لم ير له في العالم مثيل . بيد اننا لو حدثنا الى الامور بعين  
البصيرة ونحريها ما حق التحري لما ندعنا العلم بعقاب اليهود وجريمتهم الكبرى .  
فلنتذكرن كلام المسيح حينما تنبأ لهم عن دثار اورشليم والهيكل قائلاً لا يترك ههنا حجر  
على حجر الا ينفص وكان قد تنبأ لهم عن حصار هذه المدينة المجاهدة وما سيحيط بها من  
الاسوار وان بنينا نعمل بهم ايدي البوم فيتصورون جوعاً وان انبياء كذبة يطغونها .  
وكان قد حذر اليهود ان ايان اهوائهم قريب واوعز اليهم بادلة قاطعة تشعر بان  
حلولهم ايان لهم تسلسل آثامهم التي تسبب لهم تلك العقابات الرائعة وقصارى الكلام  
انه كان قد اسلف لهم عن تاريخ الحصار وغوائله ودفار اورشليم

فاعلم يا سيدي انه تنبأ لهم عن كل ذلك وقت الامم رجاء ان لاتذهب عنهم  
علة نكباتهم لانه كان في مقربة من اعنائو حين قال لهم . ها انا ارسل اليكم انبياء  
وحكماً وكتبة فمنهم من تقتلون وتصلبون ومنهم من تجلدون في مجامعكم وتطردون من  
مدينة الى مدينة لكي ياتي عليكم كل دم زكي سكب على الارض من دم هابيل  
الصديق الى دم زكريا بن بركيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح . الحق اقول لكم  
ان هذا كله سياتي على هذا الجيل . يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجة المرسلين  
اليها كم من مرة اردت ان اجمع بنيك كما تجمّع الدجاجة فراخها تحت جناحها فلم تريدي  
هوذا يترك يترك لك خراباً .

فهاك تاريخ اليهود فانهم ضهدوا المسيح في شخصه واخوانه واثاروا كل الارض على  
رسوله ولم يدعوا لهم راحة في اية مدينة كانت وقد حملوا الرومانيين وملوكهم على ان  
يقتلوا السلاح على البيعة الجديدة ورجعوا القديس اسطفانوس بالحجارة وقتلوا البعثيين  
اللذين كانوا على جانب عظيم من الطهر والنفى فاكتسبوا مراعاة الحرمة حتى لديهم وذبحوا  
القديسين بطرس وبولس بسيف الامم وذلك كان ذريعة لهلاكهم لان ما اهرقوا من  
ذلك الدم ودم الانبياء صارخ من لدن الرب بالانتقام لتصبح بيوتهم ومدائنهم كلها طامسة  
دارسة ولا يكون دثارهم اقل من اثمهم وكان يسوع يندبهم ان وقت ذلك قريب وان  
هذا الجيل لا يزول حتى يكون هذا كله اي ان المعاصرين سوف يشاهدون كل ذلك  
اما الآن فاصح لما انبئك به عما بقي من نبوة فادينا لانه عندما كان مقدماً على

اورشليم قبل ان مات بقليل من الزمن عطف فؤاده شفقة اذ رأى ما سيجل عليها من الويلات والمشاق بسبب الامم فرنا اليها باكياً وقال :

لوعلمت انت ايضاً في يومك هذا ما عولسلاملك لكنه الان خفي عن عينيك انها ستاتي عليك ايامٌ يحيط بك فيها اعداؤك بمرسة ومحاصرتك ويضربون عليك من كل وجه ويهدمونك وبنوك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر لانك لم تعرفي زمان انتقادك

فيهذه الكلمات اوعز صريحاً الى كيفية المحاصروغوائل انتقام الرب الاخيرة لكن لم يكن يقضي ان المسيح يذهب للعذاب قبل ان يثقل على اورشليم بالنصاص الذي تجعله لمعاملتها اياه سوء المعاملة فانه لما كان حاملاً على غائفه صليبه وهو ذاهب الى جبل المججلة وكان يقفه لفيف كبير من الشعب والنساء اللواتي كنّ يطينن ويخنّ عليه فحانت منه اليهن الثنائة قائلاً

يا بسات اورشليم لا تبكين علي بل ابكين على انفسكن وعلى بنيكن فها انها تاتي ايامٌ يقال فيها طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد والثدي التي ترضع حيثئذ يبتدون يقولون للرجال اسطي علينا وللاكام غطينا لانهم اذ كانوا صنعوا هذا بالعود الرطب فاذا يكون باليابس. ان كان بهذا يتعذب البري الصديق فباذا يتعذب الخطاة

هل رئي ارميا دثار اليهود باكثر شدة من هذا وهل كان يمكن للخص ان يستعمل غير الالفاظ باكثر قوة ووضوح لينبهم على مشاقهم وبأسهم فقد اوعز اليهم عن الجوع المدفع انه يهلك بنهم ونساءهم اللواتي نضبت ائداؤهن ولم يبق لهن سوى العويل يهينه اولادهن واللواتي الجأهن الجوع الشديد الى ان ياكلن ثمره بطونهن .

## الفصل الثاني والعشرون

في ان نبوءتي يسوع المسيح الشهيرتين يتضحان بتقييمها وبشهادة التاريخ ان النبوءات التي اتينا بالنباء عنها قد تنبأ بها امام الشعب اما التي لم يتفهموها الا امام تلاميذ فانها ذات بال لا مندوحة من استلفات الاحداث اليها وانها تؤخذ من



كلامه عن دنثار اورشليم ودنثار العالم قاطبة ولم يكن ذاك الوثاق ذون سره وهما في غايته .

فان مدينة اورشليم الطوبأوية التي اصطفاه الرب وطالما مكثت تنتظر الميعاد والهد قد كانت رمزا الى الكنيسة والسما حيث يبدو الرب لدى بنيو ولذلك نرى من الانبياء كثيرين قد ضموا بناط باورشليم الى ما يناط بالكنيسة والمجد الابدي وذلك في اثناء خطاب واحد وهو من اسرار النبوءات ومنافع افعالها واما اورشليم المزدولة الجاحدة مخلصها فهي رمز الى جهنم وسكانها الخائنون هم كالهالكين وقضاء المسيح عليهم هو رمز قضائهم على كل الارض اذ ياتي في آخر الاجيال بكل عزته ليدين الاحياء والاموات ومن دأب الكتب المقدسة والوسائل التي تقوم باعبائها لترسخ الاسرار في عقولنا ان تخرج في التعليم الرمز بالحقيقة وعلى ذلك مزج مخلصنا تاريخ اورشليم وخرابها بتاريخ انقضاء العالم وذلك يبدو في الخطاب الذي عليه يدور محور كلامنا لكن لا تخاف ان كل هذه مروجة ببعضها حتى انه لا يمتاز ما يناط بكل منها بل ان المسيح قد ميز كلاً بصفات خاصة يمكن ابايتها ولكن يكفي ان ايين كل ما يناط بدنثار اورشليم واليهود .

واذ كان الرسل مكتشفين يسوع نحو الآله كانوا يشيرون الى الهيكل وما حوله من الابنية معجبين جداً من مناعة البناء ونظامه وحسن حجارته فرنا اليهم المخلص واخذ يقص عليهم قائلاً انظروا هذا الهيكل الحق اقول لكم لا يترك هنا حجر على حجر الا ينقض فتعجبوا من كلامه وسألوا متى يصير كل هذا اما هو فاذا لم يشأ ان يجعلهم قلقين في اورشليم لدى دنثارها اخذ ينبتهم عما سيتوارد عليها من المصائب على التتابع ( لانه اراد ان يكون انفصال الاخيار عن الاشرار بخراب المدينة رمزا الى الانفصال الذي يحدث في الزمان الاخير ) فقال لهم سوف تكون اوبئة ومجاعات وزلازل في اماكن شتى ومصادقة على ذلك فقد قال المؤرخون ان تلك الحوادث الويلة التي حدثت في ذاك القرن لم يكن لها من ندب في القرون الغابرة ثم قال سيصير في كل الارض بلايل واخبار حروب وستقوم امة على امة وتحدث في كل الارض قلاقل فذلك يمثل لنا كل ما تجرى اخيراً في حكم يبرون فان الدولة الرومانية ابي الارض كلها التي كانت رانعة في مجبوحة السكينة منذ انتصار اوغسطس وعهد خلفائه شرعت تنزع لان غالبا واسبانيا

وكل مناطعات الدولة الرومانية علت نفوذ بوقت واجيد فان اربعة ملوك تألفت قلوبهم معاً على نبرون واخذوا يتناظرون وان ظراء الملك وعساكر سوريا وجرمانيا وفيالق اخرى من الشرق والغرب تصادموا في مواقع القتال ودوخوا تحت قيادة ملوكهم الارضين من اقصاها الى اقصاها ليتوا خصامهم بعمارك دموية ولكن لا يكون المنتهى اذ ذاك كما قال ابن الله: وسوف يتجشم اليهود من ذلك مشاق عمومية الا انه سوف يحل عليهم نواب خاصة وهذا كله اول الخاض

ثم اضاف الى كلامه ان قال ان بيعته المضطهدة منذ تشييدها سوف تكابد اضطهاداً جديداً اشنى من الاول في ذاك الحين ولقد ذكرنا ان يثرون اراد ان يبيد في اخر ملكه المسيحيين وامات القديسين بطرس وبولص . واما الاضطهاد الذي اثاره اليهود حسداً وبغياً فقد عاد عليهم بالذئاريد ان الاجل المسمى لم يكن الى ذاك الوقت قد تعين . لكنه قد كان يلوح ان مآتي السمحاء الدجالين والانبيا الكذبة هو الاجل المسمى لذئار اورشليم الاخير

فان الذين سدوا آذانهم عن استماع صوت الحق آل بهم الامر الى ان يصبحوا بالانبيا الكذبة هالكين . ولم يخف المسيح عن رسله حلول تلك المشاق في اليهود فانه اوعز اليهم ان سوف يقوم كثيرون من الانبيا الكذبة ويضلون كثيراً وقال ايضاً سيقوم مسيحيان كاذب وانبيا كذبة

فلو كنت تعرف اخلاق اليهود لفحصت بان الوصول الى ادراكها امر ذو صعوبة فلقد انبأ تلك انهم بعد ان ختلهم الانبيا الكذبة وسببوا دمارهم ولا سيما في عهد حزقيا انشوا من اقوالهم وآلوا على ان لا يسمعوا لم قولاً وكان قد مر على ذلك اكثر من خمسمائة سنة ولم يبد في اسرائيل انبيا كذبة واما الحجيم الذي كان يمن بينه وبينهم رباط الاخاء فقد استنفظ وقت مآتي المسيح وان الله الذي يقبض يمينه على الارواح الخداعة قد اطلعها وشأنها لكي تبرح باليهود وتتمتع المؤمنين وثبيتاً لذلك فان الانبيا الكذبة لم تظهر بمقدار ما ظهرت عتيب موت المخلص ولا سيما في وقت حرب اليهود وعهد نبرون كان قد اجمع تلك الحرب فيكاثرت اذ ذاك كما اشار الى ذلك يوسفوس المؤرخ حتى ضاق الحسبان دونها وكانت تخال الشعوب وتجذبهم الى بطون الكفار بالسحر والمكر وتعدم بالفرج القريب

ولذلك اشار المسيح بنبوءاته الى البرية حيث يتوارى الانبياء الكاذبة وكانوا بالحقيقة  
يخدعون الشعب ثم الى دثاره الاخير. ويمكن لك يا سيدي ان توقن ان اسم المسيح  
الذي يتعسر على اليهود ان يخلصوا بدونه كان ممتازاً بملك المواعيد الباطلة وانك  
سوف تثق على ما هو اهل لا فتاعك

ولم تكن اليهودية وحدها عرضة لهذه الغرة العشواء بل كانت كل مقاطعات الدولة  
الرومانية مثلها فلم يكن من زمن مثل ذلك ينبتنا التاريخ فيه عن العدد المديد الذي  
اتصل اليه الانبياء الافكون وعما عتوا وزعموا ان يدركوا حقائق المستقبل ويختلوا الشعب  
بسرهم كسيمون المجسيفاني والباس وابولونيوس تيانوس وجيم غنير من السمرة المذكورين  
في التاريخين الديني والدنوي فكل اولئك بدوا في هذا الجيل حيث بذل الحميم جهده  
ليوطد ملكة المزعزع و اشار المسيح الى ذلك بقوله سوف يقوم في ذاك الوقت ولا سيما  
عند اليهود عدد كثير من الانبياء الكاذبة ومن يتبعه لكلامه يرى ان هذا العدد  
يتكاثر قبل دثار اورشليم وبعده اوفي ما قرب منه ويضاعف الخداع التعليم الكاذب  
والعجائب الباطلة فيعزز ويمسي رجساً ويكاد المختارون يتخذون او كان ذلك ممكناً  
ولست بناكر ان قد يحدث في آخر الاجيال شيء كهذا او اكثر منه مكر الانفاق  
اسلفنا ان ما حدث في اورشليم هو محض رمز الى ما يحدث في آخر الزمان اما المسيح  
فقد ابان لنا ان هذا الغرور منقول غضب الرب على اليهود وسياء هلاكهم. وقد ثبت  
هذه النبوة واقعية الامر لان كل شيء قد تحقق بشهود عدل لا تنبذ شهادتهم فاننا  
نرى نبوة ضالالم في الانجيل ونتمتها في تاريخها ولا سيما تاريخ يوسفوس  
وبعد ان تنبأ يسوع المسيح عن كل ذلك قاصداً بنبوءته انقاذ تلاميذه من المشاق  
التي توعدها اورشليم اخذ عليهم أدلة خراب هذه المدينة الاخير

ان الرب لا يبين هذه الادلة لختاريه دائماً لانه لدى العقابات الصارمة التي تظهر  
قوته امام الامم طراً قد يضرب احياناً الصديق والمحاطي معاً وما ذلك الا لان الوسائل  
التي يستخدمها في سبيل عزل الواحد عن الاخر هي اشد قطعاً ما تبدو لدى حواسنا  
فان الضربة التي تسحق الثبن بتأتى لها فصل الحبة. وينتفي التبر بالنار التي تحرق  
ببمس الثبن وهكذا ينتج بالعقاب فكما يهلك به الاتيمون كذلك يخلص به الضالمون  
واما في خراب اورشليم فلنكي تضع الهيئة الدنوية الاخيرة ويظهر غضب الله صريحاً على

المجاهدين لم يشاء الله ان اليهود الذين اقبلوا الانجيل يخاطبون من سوام : ولذلك  
ابان المسيح لتلاميذه بادلته بينة عن وقت نزوحهم من المدينة المزدولة . وقد استند  
حسب عادته على الانبياء الاقدمين الذين كان مفسراً وخاتمة لهم . وبعد ان ذكر ما فاه  
به دانيال عن دنار اورشليم الاخير قال هاتي الكلمات مر فمتى رأيت رجاسة الخراب  
التي قيل عنها بدانيال النبي قائمة في المكان المقدس<sup>٢٢</sup> وكما قال القديس مرقس  
قائمة حيث لا ينبغي محبتن الذي في اليهودية فليهرب الى الجبال ويذكر القديس لوقا  
ذلك نفسه بالفاظ مختلفة قائلاً :

واذا رايت اورشليم قد احاطت بها الجنود فاعلموا حينئذ ان خرابها قد اقترب  
فحينئذ الذين في اليهودية فليهربوا الى الجبال والذين في داخلها فليخرجوا والذين في  
البلاد فلا يدخلوها

ان الانجيليين يشنون عن معاني اقوال بعضهم وان قسنا هذه الآية يسهل لدينا ان  
نتفهم ان الرجاسة المذكورة في دانيال هي الجنود حول اورشليم وهكذا عبر عنها الاباء  
القديسون وبويده لنا العقل مصداق ذلك . لان الرجاسة حسب عادة الكتاب  
تدل على الضم ومن ذا الذي يجهل ان الجنود الرومانية كانوا يحملون على الوبتهم  
صور اهتمامهم وقياصرهم الذين كانوا يتعبدونهم اكثر من كل الالهة . وقد كانت تلك  
الالهة موضوعاً لتهملهم على عبادة ما عليها ولما كان دخول الاصنام الى الارض المقدسة  
محرمًا بامر الله لم تدخل ثمة العلامات الرومانية ولهذا نرى في التاريخ ان الرومانيين  
طالما اعتبروا اليهود لم يسحقوا بادخال علاماتهم الى اليهودية ولذلك عند ما عبر  
وبتيلوس هذه المناطقة ليكر على العربية محارباً استناداً على رواية التاريخ كان يفود  
جنوده دون علامات لان الرومانيين كانوا يحترمون وقتنذ دين اليهود ولم يكن من  
رغبهم ان يمشوا هذا الشعب ما يناقض دينه

اما في ابان حرب اليهودية فلم يبق الرومانيون براعون شعباً عازمين على استئصاله  
وبناء عليه كان يكتنف اورشليم وقت حصارها اصنام توازي ما كان للرومانيين من  
العلامات ولم تبد رجاسة بهذا التدراد لا ينبغي ان تكون في الارض المقدسة وحول  
أهيكال

ويعترض على ذلك بان هل هذه العلامات العظيمة هي نفس ما وهب المسيح

تلاميذه وهل كان الوقت يكتمهم من الأركان إلى الثرار لما أخذ نفوس يحاصر اورشليم  
 قائلًا إياها غير ممكن لأحدٍ منها الخروج . فعلى هذا عينه ثوقت غرابة هذه  
 السوءة فان اورشليم حوصرت مرتين في ذاك الحين فقد حاصرها في بادئ الامر  
 سبتينوس والي سوريا سنة ٦٨ بعد المسيح وحاصرها مرة ثانية نفوس بعد ذلك بربع  
 سنوات اي سنة اثنتين وسبعين ولم بعد في الحصار الاخير من وسيلة للفرار لان نفوس  
 أخذ يذل الجند في الحرب وباغت اليهود المتألمين في اورشليم وقت عيد الفصح ولم  
 يكن لأحدٍ من وسيلة إلى النجاة . وقد احبطت المترسات التي أقامها حول المدينة أمل  
 الاهالي في الأركان إلى الثراريين انه لم ير شيئًا من ذلك في حصار سبتينوس فانه أقام  
 عليه حصارًا في حيزٍ يبعد عن اورشليم ستة أميال . وكان عسكره يحيط بالمدينة غير  
 منشيء لسبيل ذلك اخذودا أو مترسات بل كان يوشح الحرب دون اعتناء وليث على  
 ذلك إلى ان بارحته الفرصة من فتح المدينة فان الروح والمنازعات الداخلية وكثيرًا من  
 حزب الرومانيين كانا ذريعة لافتحها فلم يكن في ذاك الايام ممرًا لم يحاول النجاة بل  
 ان التاريخ يذكر صريحًا ان كثيرين من اليهود خرجوا من اورشليم . فكان اذ ذاك  
 وقت الخروج والعلامة التي اعطاها ابن الله تلاميذه ولذلك قد ميز بكل صراحة بين  
 الحصارين فان المدينة تكون بالحصار الاول محاطة بالمجود فقط ولا تكون محاصرة  
 حقًا فيكون للذين في اليهودية ذريعة إلى الفرار إلى الجبال وتكون بالحصار الاخير محاطة  
 بمنزلات واخاذيد فيكون القضاء على الذين داخلها بالهلاك

فامثل المسيحيون كلام سيدهم وان يكن فيلقى كثير منهم في اورشليم . واليهودية فلم  
 نعتبر بتاريخ يوسفوس اوسواه على أن شيئًا من ذلك العدد كان لدن اثنتانها وعكس  
 ذلك ان المسيحيين لجشوا إلى مدينة بيللا في الجبال الدانية من الثنار على حدود اليهودية  
 والعربية وذلك كانه مقرر في تاريخ الكيسة وكل ما نقله الينا الآباء الاقدمون

ومن ذلك يمكن ان نستنتج كم من مرة احذر المسيحيون بنوع صريح اذ لاشيء اهم  
 من انفصال اليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح من الذين امنوا به فان منهم من قطن في  
 اورشليم لعاقب عن اثمهم من ترح من المدينة كما ترح لوط من صادوم ولجشوا إلى مدينة  
 حثيرة ومنها كانوا يراعون وهم في روع . وهول كل مفاعيل غضب الرب واحكامه التي  
 شاء ان ينقذهم منها

وقد يوجد عدا نبوات المسيح نبوات تلاميذه منها نبوات القديسين بطرس وبولس وذلك لان اليهود لما كانوا يبرحونها بالعذاب الاليم وها شاهدان ليسوع المسيح المنبعث من الاموات انذراهم اذ سلخوا للام بدثارهم القريب وقالان اورشليم لا بد من ان تنتوِّض من الاساس وان اهلهما يهلكون جوعاً وقنوطاً وينفون من ارض آبائهم نفيًا موبدًا ويمسحون متشعنين في كل المسكونة كالاسرى ولذلك اجل قريب المآتي فهذه المصائب برمتها سوف تقع عليهم لانهم هزئوا بابن الله وامتنوه بعد ان بدادهم بمعجزات عظيمة

فهذه النبوة قد حفظها الآباء الافدمون عن لسان الرسل وتمت حالاً بنوع صريح وقد فاه القديس بطرس بنبوءات كثيرة وهي اما ان تكون قد اوجبت اليه بنوع خاص او عند تعبيره كلام سيده فان فليقون احد مؤلفي الوثنيين قال حسب ما يشهد اوريجانوس ان كل ما فاه به هذا الرسول قد تم بكل دقة

وعلى هذا لم يكن يحدث شيء لليهود الا تنبأ لهم عنه وتبدل دينا علة مشقاتهم بخفارتهم ليسوع المسيح وتلاميذه لان ابان النعمة والرحمة جرى عليها القضاء وكان قد ازف ابان الهلاك

فاصبح اذا جد فيقيوس في اناذ اليهود والهيكل عبثاً فان الحكم عليهم كان قد صدر من العلاء فاصبحت حجارة النبأ كالهباء المنثور

وان يكن احداً للملوك الرومانيين قد جرب عبثاً ان يمنع دثار الهيكل فقد جرب سواه عبثاً ايضاً ان يهتف وقد فكر جوليانوس المجاهد الذي شرع ان يجارب ضد المسيح بان يكذب نبوءاته ولما فصد ان يقيم للمسيحيين اعداء الداء من كل ناحية تنازل وانقض ضدهم اليهود المزدولين من العالم ويعثم على ان يقيموا هيكلهم وقدم لهم مبالغ عظيمة وعضدهم بكل قوة الدولة الرومانية . فاصح الى هذا الحادث باسدي وانظر كيف الرب يرذل الملوك الجبابرة فهذا يشعرنا به جميع الآباء القديسين والمورخين الكنائسيين وبينونه بانار لا تزال من ازمانهم . واقضى ان الوثنيين انفسهم يتخفون ذلك لان اميانوس مارسيلينوس الوثني الدين والمدافع بغيرة عن جوليانوس ينسبنا عن هذا الحادث بقوله لما كان البيوس يعضد والي الاقليم ويسرع بعمار البناء على قدر امكانه هب من الاساس كرات نارية وزعزعت اركان العمار بهزات قوية واحترق

الفتنة الذين آتوا الى اعماقهم وقد اصبح من المستحيل الدنومين ذلك الحبل فنبذوا  
المعبل

واما موعر خيال الكنيسة فيوردون النبا عن ذلك الحادث يدقه كبرى ويذكرون  
ان نار السماء خامرت بوقنتذ نار الارض . وقصارى القول ان كلام المسيح اصبح ثابتاً  
وذلك ما حمل بوجها الذهبي الثم على ان يقول ابن الرب اقام على الصخرة بيعة لا  
تترزعزع وبنار الهيكل ليس بوسع احد انهاضه اى لا احد يمكن له ان يفوض ما اقامه  
الرب ولا احد يمكن له ان يقيم ما قوضه

وليدع عن الابن اورشليم والهيكل ونزفون الى الشعب نفسه الذي كان اثماً  
هيكلك الرب الحي واصبح الآن عرضة لغضبة ومن المفرران اليهود اصبحوا اكثر  
سقوطاً من هيكلكم ومدينهم لان روح الحق لم يبق بينهم وبطلت النبوة وبرحت المواعيد  
التي كانوا يستندون عليها آمالهم ولم يبق شيء قائم في ذلك الشعب ولم يترك من البناء  
حجر على حجر

وايقظ الان كيف سلموا نفوسهم الى الضلال والى اية درجة انصلوا فكان المسيح  
قد قال لم : انا اتيت باسم ابي فلم تقبلوني وان اتى اخر باسم نفسه قبلتموه ، فنبذ ذلك  
الحين استولى عليهم التثمل حتى انهم صاروا متأهين ان يسلموا انفسهم لانه لم يكنهم  
ان الانبياء الكاذبة سلموا المدينة الى نبغوس فان اليهود واصل ابايهم من اليهودية  
طردهم منها لان حبيهم لاورشليم حمل كثيرين منهم على ان يتخذوا ميثاوي في ارسومها  
العافية . وهاك مسجاً اخر دجالاً ياتي ويوشم خرايم لانه بعد ان مضى على افتتاح اورشليم  
خمسون سنة شرع برخوخياش المزدول اللص الجرم يقول في الحبل نفسه الذي مات فيه  
مخلصنا انه كوكب يعقوب المذكور في سفر العدد لان معنى اسمه ائيم كوكب وتقدم  
اليهود كانه المسيح فقنوا اثره اكياس اشهر الريانيين وكل الذين يدعوم اليهود حجاجهم  
ودخلوا في حزب هذا الرجل دون ان يبت لبيهم عازمة تبدل على يعقوب . غير ان اكياس  
كان يقول لم ان المسيح لا يلبث الا ان يبدو وقام اليهود مع كل الدولة الرومانية  
وانجازوا الى برخوخياش الذي كان يعدم ملك العالم فقتل ادرينانوس معهم نجوا من  
سبابة الف ووضع على عوائقهم نير العبودية ونقام من اليهودية نقياً موعيداً ومن ذا  
الذي لا يدري ان روح التكذيب قد استولى على قلوبهم فانهم لم يقبلوا محبة الحق

والخلاص ولذلك يبعث إليهم الله بعلم الضلال حتى يصدقوا الكذب فمهما كان  
 الغش فانه كان كافياً لخداعهم فقال في هذه الايام احد منافقي الشرق عن نفسه انه  
 المسيح فاخذ اليهود بمجنون حوله وشهدناهم في ايطاليا وهولاندا والمانيا وماس بتأهبون  
 لبيعوا امتعتهم ويتركوا كل شيء ويتبعوه وفكروا حالاً انهم مزعمون ان يستولوا على  
 العالم لما بلغهم ان مسيحيهم أسلم وترك دين موسى

## الفصل الثالث والعشرون

في ضلال اليهود النابع لما انف وكيفية تعبيرهم عن الانبياء

لا تعجب من سقوط اليهود في هذه الغرة ولا من تشعبهم في هذه العاصفة بعد ان  
 جفوا عن طريقهم فمذه الطريق كانت قد رسمت لهم في النبوءات ولا سيما في النبوءات  
 التي كانت توعد الى وقت ماني المسيح فنذروا هذا الان عمر دون تهيئة ولهذا تراه  
 وقتئذ جائحين الى الافك مزورين عن الطريق

ايذن لي هنيئة كي ارفع لديك تسلسل غرهم وكل كدحهم في ولوج الحق وان  
 الطريق التي يضل بها تنصل بالطريق العظمى واذا اعتبرنا ذلك من حيث ابتداء  
 الضلال امكن لنا السعي في الطريق المستقيمة بكل تأكيد

فقد راينا ياسيدي ان قد يوجد نوعان تبيينان لليهود وقت ماني المسيح وهما نبوة  
 يعقوب ونبوة دانيال وكلاهما تشير الى آثار ملكة يهوذا في وقت جيئة المسيح الا ان  
 دانيال يبين ان دنثار هذه الملكة التام سوف يكون ناتجاً عن موت المسيح وقال  
 يعقوب بنوع صريح ان المسيح الذي يكون رجاء للامم اي مخلصاً لهم ياتي وقت سقوط  
 ملك يهوذا ويقم له ملكة جديدة لا تكون موهلة من شعب واحد بل من كل شعوب  
 الارض وان كلام هذه النبوة لا يمكن ان يخرج لغیر معنى ويتج تعبيره من تقليد اليهود  
 الثابت بهذا الخصوص

ومن ذلك نعيم الاعتقاد الذائع بين الربانيين الاقدمين والمذكور ايضاً في التلمود  
 وهو انه في الوقت الذي ياتي فيه المسيح يبطل وجود النضاة اي انه لاشيء اهم عندهم  
 لمعرفة مجيئ المسيح من ملاحظة وقت سقوطهم في هذه الحالة العيسة التي ذكرناها



وحقيقة الامر ان بدءهم كانت حسنة. ولولم تكن افكارهم منتهكة بالعظمة الدنوية لما كان امكن لم ان يجهلوا المسيح الذي كانوا يخالونه بسلطته كمنه حتى يشتركوا بملكه فالركن الذي وضعوه كان مقرراً حالاً عندما جاز هيرودس الاول وحدث التغيير في حالة مملكة اليهود ابان لم وقت سقوطهم المرسوم في النبوءات فلم يكن عندهم من ريب في محي المسيح وفي ظهور هذه المملكة الجديدة لانه كان مزعماً ان ينجذ فيها كل الامم وما تقرر لديهم صريحاً ان قد تزع منهم كل سلطان بالموت والحياة وهذا كان لديهم تغييراً عظيماً لانه قد كان محفوظاً لهم دائماً الى غاية ذاك الحين مهما كان السلطان الذي رخصوا له حتى انهم في بابل في اثناء سبائهم لم يبرحوا مستولين عليه وما يبين ذلك تاريخ سوسان. وهذا كان تقليداً ثابتاً عندهم وقد نبذ ملوك فارس الذين اتنوه الى اوطانهم هذا السلطان بموجب اوامر خاصة قد لاحظناها في محملها وقد ذكرنا ايضاً ان الملوك السلوسيديين قد ضاعفوا هذا التمييز وما انقصوه ولا حاجة هنا لتذكر ثانية ملك المكابيين لان اليهود قد عثقوا واصبحوا اشداء ورهبة في قلوب اعدائهم وقد اكتفى بومبايوس الذي اوتهم كما ذكرنا انما ان يفرض عليهم جزية ويجعلهم بحالة تمكن الشعب الروماني ان يتصرف فيهم لدى الانقضاء كما يشاء. ولذلك قد ترك لهم ملكهم وابقى له كل سلطته ومن البين ايضاً لدى الجميع ان الرومانيين كانوا يتصرفون هكذا وكانوا لا يسمون الحكومة الداخلية في البلاد التي كانوا يتركون فيها ملوكها الوطنية

وغاية الامر ان اليهود انفسهم يذعنون انهم فقدوا هذا السلطان بالموت والحياة اربعين عاماً فقط قبل دنار الهيكل الاخبار ولا ريب ان هيرودس هو اول من اضرب بحريتهم رجاء ان ينقم من مجلس السنداران لانه اضطر هو نفسه ان يتحاكم فيه قبل ان يصير ملكاً. ثم لكي يجمع اليه كل سلطة اخذ بقوض هذه الجمعية التي كانت كجمعية المشايخ المشبه من موسى وكجلس مشورة الشعب الدائم اذ كان يجري السلطان العالي. فمن ثم فقد هذا المجلس رويداً سلطانه حتى انه اضاعه تقريباً عند محي المسيح الى العالم فصارت الاحوال سيئة جداً في عهد اولاد هيرودس لما صارت مملكة اركيلاوس التي كانت حاضرتها اورشليم تحت ولاية معتمدين من قبل ملوك رومية. وفي هذه الحال السيئة لم يبق لليهود ادنى سلطان في الموت والحياة حتى انهم اضطروا الى ان يلجئوا الى ييلاطوس ليمتوا يسوع المسيح الذي كانوا يرغبون في موته في اية حالة كانت ولما

او عز اليهم هذا الوالي الواهن ان يقتلوه ثم انفسهم اجابوه بصوت واحد لا يسوغ ان نيت احدا

ولهذا قتلوا يعقوب اخا يوحنا بوساطة هيرودوس والقوا ايضا القديس بطرس في السجن . ولما ازمعوا على موت القديس بولس اسلموه للرومانيين كما صنعوا بيشوع المسيح . واما نذر ذوي الغيرة الكاذبة ( اي الذين آلموا على نفوسهم ان لا ياكلوا ولا يشربوا حتى يقتلوا الرسول ) فيدل على انهم كانوا موقنين بهبوط سلطانهم ليقتلوه شرعاً وان يكونوا قد رجوا القديس اسطفانوس بالحجارة فذلك كان ناجماً عن ثورة لم يمكن للرومانيين التمكن من ردعها لان المؤججين تلك الثورات كانوا من المدعوين بذوي الغيرة

وبناءً عليه اصبح من الشؤن المثبتة من المؤرخين ومن اقرار اليهود واحوالهم ان نحو وقت ما أتى المسيح ولا سيما لما شرع يبشر بانجيله كان اليهود قد فقدوا السلطة الزمنية وما امكن لهم ان يشاهدوا فقد هذا السلطان الابتذكرون نبوة يعقوب التي كانت تنذرهم ان في زمان المسيح لا يبقى بينهم سلطة ولا قضاة ولا سلطان . وقد لاحظ احد مؤرخهم الاقدمين هذا الامر وافر ان الصولجان قد خرج من يهودا ولم تبق السلطة بايدي مشايخ الشعب لان السلطان العام نزع منهم وهبط مجلس السنداران ولم يستمر اعضاؤه يعتبرون كقضاة بل كعلمين وهكذا قد حان الان حسب اعتقادهم لمجيء المسيح . وبما انهم كانوا يشاهدون هذه العلامات المفردة لما أتى المسيح الملك الجديد الذي يتدلوا ملكه فوق سائر الامم فكروا بالحقيقة انه مزعج ان يأتي فشاخ النبا عنه في البلدان الدانية وكدوا في الشرق كله ان سوف يخرج من اليهودية من يملك الارض عن قريب . وذكر ناسيت وسباتون هذه الاشاعة المستندة على آراء مفررة ونبوة قديمة في كتب اليهود المقدسة وذكر يوسيفوس هذه النبوة بالحرف الواحد وقال ايضا مثاهم انها في الكتب المقدسة ولا ريب ان اعتبار هذه الكتب كان عظيماً جداً في الشرق لان قد شوهد مراراً عديدة ان ما تنبأوا به كان قد تم بانواع مختلفة وظروف متباينة وان اليهود كانوا متيقظين اكثر من غيرهم ليراعوا هذه الحوادث التي كتبت لتعليمهم ولهذا قد عرفوا زمان ما أتى المسيح الذي او عز اليه يعقوب وحده بسقوطهم وهكذا ملاحظاتهم بشأن حالتهم كانت موقفة ولم يزهقوا زمان ما أتى المسيح بل

عرفوا انه مزعم ان يأتي في الوقت الذي اني به بالحقيقة . ولكن يا للعجب من ضعف  
 البشر وتكبرهم للذين سبوا جهلهم الفظيع . فاخفى نواضع الخلق عن هؤلاء المتكبرين  
 العظمة الحقبة التي كان يلزمهم ان يحدوها في المسيح بل انهم كانوا يرغبون في ان يكون  
 ملكاً كملوك الارض ولهذا قال مدهوناً هيرودس الاول انه هو نفسه الملك الموعود  
 به لليهود لانهم كانوا في دهشة من عظمة هذا الملك وفخه لانه اغنى اليهودية ولو كان  
 جائراً وهذا ايضا مما سبب بدعة الهيروديين المذكورة في الانجيل مراراً وعند الوثنيين  
 انفسهم لان الشاعر بروس وشارخ اشعاره يخبراننا ان الاناس كانوا يحتفلون في اليهودية  
 ميلاد هيرودس الملك كما كانوا يحتفلون بنهار السبت وذلك كان في زمان نيرون  
 ايضاً

وقد سقط في هذا الخطاء عينه ايضاً يوسفوس المؤرخ فان هذا الرجل العالم  
 بالنبوءات كما يقول عن نفسه اذ كان كاهناً ومن اخلاف الكهنة انه درى بحقي هذا  
 الملك الموعود به يعقوب وان ذاك المحي كان يقارن لوقت هيرودس لانه يبين لنا  
 بكل اعتناء دثار اليهود البين ولكن بما انه لم يبر في امتث شيئاً يوافق افكاره ذات المطامع  
 كما ظن في المسيح اخروقت النبوة ونماها لوي سبازيانوس مؤكداً ان هذه النبوة تدل  
 على هذا الملك الذي صار امبراطوراً في اليهودية .

وعلى ذلك كان يعاكس معنى الكتاب الاقدس ليوطذ ذهانة فيالته من اعمه  
 البصيرة فقد ودان ينقل امل يعقوب ويهوذا الى الامم ويطلب يوسفازيانوس ابن  
 ابراهيم وداود وبني لملك وثي من هو مزعم ان ينير العالم وينقذهم من الاصنام  
 وكانت ظروف الزمان تقوم بناصره ولكن فيما كان يثني يوسفازيانوس ما قاله  
 يعقوب عن المسيح كان ذوو الغيرة الذابون عن اورشليم ينسبون ذلك اليهم وبالذكوة  
 على هذا المبدأ وحده كانوا يعدون نفوسهم بملك العالم ويؤيد ذلك يوسفوس وبهذا  
 كانوا ارضى منه لانهم كانوا لم يحالوا امتهم قصداً ان يطلبوا تقيم المواعيد التي اعطي  
 اباؤهم اياها .

فلماذا لم يتفحوا عيونهم عند سماعهم هذه الاشاعة العظيمة التي كانت تفرع اذانهم لما شرع  
 الرسل ينذرون الامم بالانجيل ويشيدون ملك المسيح في كل الارض  
 وايه من ملكة اعز من هذه الملكة فانها تنبض على زمام التقوى ويتصر بها الحق

على الاصنام ويبشر بها بالحياة الالهية للامم الضليلة وان مملكة القياصرة لم تكن سوى زهاء باطل بالنسبة لهذه المملكة الحقيقية. بيد انهم لم يكن لهذا الملك الزهو الكافي لدى اعيان العالم.

فيجب على المرء ان يقتضي عنه الافتخار البشري ليعرف المسيح. ومن الثابت ان اليهود كانوا يعرفون الزمن ويرون الشعوب المدعويين لاله ابراهيم يسوع المسيح وتلاميذه حسب نبوة يعقوب ومع ذلك لم يعرفوا هذا المسيح العلن لم يجمع الادلة ولوانه ثبت ارسالته في ملك حياته وبعد موته بكل انواع العجائب فجمده هؤلاء العميان لانه لم يبدُ به الا العظمة العارية عن كل الظواهر التي توثر في الحواس ولانه كان انبيا فتمع مطامعهم لا للقيام بناصرها.

ومع ذلك كانت الظروف والحوادث تقسرم على ان يخالوا احيانا اوهاهم قسرا عن فهم قلوبهم. وكانت الاشياء تعد بظهور المسيح في وقت السيد لانه العزة جنى انهم فكروا ان يوحنا المعمدان يكون هو المسيح لانه ادشهم بعيشته القشفة والخارقة العادة والعجبية وبدا انهم اكتفوا بزهو هذه الحياة العجيبة لانهم لم يجدوا عظمة العالم كلما كانوا يطلبون واما حياة المسيح البسيطة والاعتيادية فكانت تجعل هذه العنول الساذجة والمتزاهية تائف منه لانهم لم يكونوا يتاثرون الا ما يورث في حواسهم. وخلا ذلك فيما انهم كانوا قاصدين عن كل ما يؤول الى ارتدادهم الحقيقي لم يشاءوا ان يعجبوا الا ما يعتبرونه امرا لا يقتدى به. وبناء عليه لم يثقوا بيوحنا المعمدان الذي فكروا ان يكون مستاهلا ان يكون المسيح لما هدام الى المسيح الحقيقي. واما المسيح الحق الذي كان يقسرم على اقتفاء اثره عند وثوقهم به بدا لديهم دينيا جدا لدن تستنهم به

وبناء على ذلك التصور الذي قام باعبائه اليهود لدى بدو المسيح في تلك الاثناء كان عزيزا جدا حتى ان ذلك استمر فيما بينهم اكثر من عصره فخالوا ان نسبة النبوات لا بد لها من سعة. ولا يقتضي ان تكون محصورة في معنى مفرر ولذلك لم يكن يفهم بينهم ملك نحو من مائة سنة الا عن المسيحيين الافاكين الذين كان القوم يفتونهم او عن الانبياء الافاكة الذين كانوا يندرونهم. ولم ير شي يضا في ذلك في الاجيال الماضية ولم يغالي اليهود باستعمال اسم المسيح الى وقت ان كان يهودا المكابي ينفوز بالظالم نظفر عظيم او وقت كان اخوه سمعان يعنهم من نير عبودية الامم او وقت ان كان

هبركان الاول بثخ البلاد مقداراً عظيماً لان الوقت وهذه الأدلة لم تكن بموافقة واخذوا في وقت المسيح يتكلمون عن كل هؤلاء المسحاء واما السامريون الذين كانوا يطالعون في خمسة اسفار موسى نبوة يعقوب اتخذوا لم كاليهود مسحاء لانه بعد ان تقدم على ماتي المسيح زمن قصير اقمنا اثر المبتدع دوزيته

وسيمون الساحر الذي هو من تلك البلاد كان يزعم ايضاً انه ابن الله وكان بدعي تلميذه متاندراته مخلص العالم وكانت الامراة السامرية تعتقد منذ ايام يسوع المسيح انه سوف ياتي لانه كان مقرراً لدى الشعب وكل من يقرأ نبوة يعقوب ان المسيح مزعج ان يبدو لدى احوال كذلك

ولما مضى الزمن وشق عليهم ان ينتظروا امراً عرف اليهود بالاخبار ان المسحاء طراً الذين تباينوا لم يكن منهم الاّ بنقدوم فقط من مشاقهم بل انهم ثقلوا عليهم فطال عليهم الزمن حيثئذ دون ان يبدو بينهم مسحاء حديثاً . واما برخوخيباس فهو آخر من اقرؤا بارساليته في بداية الاعصار المسيحية الا ان التأثير القديم لم يبرج تماماً وبدلاً من ان يعتقدوا بظهور المسيح كما فعلوا في اياك الملك ادرينانوس اخذوا يتفوهون في عهد خلفائهم الانطونيين ان المسيح بارز في العالم لكنه لم يبد للعيان لانه منتظر اليها النبي ليكرسه وذاك القول كان ذاتاً بينهم في ايام جوستينيانوس . وقد نرى في التلمود تعلماً آخر اقترحه اقدم علمائهم فانه يقول ان المسيح قد اتي حسبما قال الانبيا لكنه متوار في رومية بين المتكدين ذوي المسكة

بيد ان هذا الوهم لم يجر لدى العقول قبولاً وقد التزم اليهود ان يقرؤا ان المسيح لم يات في الوقت الذي كان يحق لهم ان ينتظروه فيه حسب النبوات القديمة فمبطوا الى لجنة اخرى واشكوا ان يقتطوا من مائاته لتقدم الزمن على وقته وقد اقتنى الكثير منهم قول احد الربانيين المشهورين المحفوظ في التلمود فانه لما رأى ان الوقت قد مضى قضى على ان الاسرائيليين لم يعد لهم ان ينتظروا المسيح لانه قد بعث اليهم بمثل حزقيال الملك وحقيقة الامر ان هذا الرأي لم يكن لدى اليهود سديداً بل كان عندهم مكروهاً اسكن . لما تعمس عليهم ان يعرفوا الاوقات التي عينتها الانبياء ولم يمكن لهم ان يتخلصوا من حباله تلك الورطة اعتمدوا تلك الالفاظ التي في التلمود واتخذوها كنفاعة لاعتقادهم وهي : ان كل اجل معين لماتي المسيح قد اصبح فارطاً وبناء عليه ان كل

من بعين زمن مجيئه يصيح ملعوناً ومثل ذلك مثل سفينة ماخرة في اليم اجتنفها الريح  
عن تسيارها المستقيم فنط الریان من سلامتها فيترك حيثئذ الامور تجري في اعتنا  
ويدع التفادير تسري حسب هواها

ومنذ ذاك الحين امتطوا غارب الجهد ليلغوا النبوءات التي تعين وقت مجي  
المسيح ولذلك لم تصفق وجوههم من ملاشاة تقاليدات ابائهم وكل ذلك من دأبهم اذا  
استمروا على نزع هذه النبوءات من ايدي المسيحيين

وقد افضى بهم الامر الى ان قالوا ان مغزى نبوة يعقوب ليس منوطاً بالمسيح واما  
كتبهم القديمة فنقيم على قولهم هذا نكبراً فان التلود يعزو هذه النبوة للمسيح وشرحنا  
لمغزاها بطابق شرحهم الذي حازلديهم اكثر اعتباراً وذلك اننا نرى في تلك الكتب  
هذه الالفاظ نفسها وهي ان اخلاف يعقوب وكل شعب اسرائيل سوف ينحصر في بيت  
يهوذا ومملكة يهوذا ويخرج من هذا البيت قضاة وروساء الى ان ياتي المسيح ويصير مملكة  
جديدة مولفة من كل الشعوب

وذلك ما كان يشهد به امام اليهود في بداعة الاجيال المسيحية اعلامهم الذين  
ذهب صيتهم بالشهرة والاعتبار فيما بينهم وعسر عليهم ان يلغوا بغنة هذه التقاليدات المقررة  
ولهذا لم يخجلوا اليهود على ان ينكروا ان نبوة يعقوب منوطة بالمسيح ولو كانوا قد  
انكروا انها تطابق لما ناه ولم يركبوا متن تلك الجراءة الا بعد ان مضى على ماتي المسيح  
ومن طويل يوم كان المسيحيون يضيقون عليهم بالمجدال وكانوا قد رأوا ان تقاليدهم  
نفسها تحدى بهم شزراً

واما نبوة دانيال فكانت تحصر مجي المسيح في حيز اربعماية وتسعين سنة منذ السنة  
العشرين لحكم ارتخشستا ذي اليد الطويلة

ولما كان هذا الحيز ينتهي في سنة اربعة الاف للعالم كان اليهود تقليد قديم وهوان  
المسيح سوف يبدون نحو آخر سنة اربعة الآلاف للعالم ونحو الفين سنة بعد ابراهيم ودليل  
ذلك ان رجلاً عظيماً شهيراً لدى اليهود يدعى اليا غير اليا النبي علم ذلك قبل ميلاد  
المسيح ولم يبرح تعليمه محفوظاً في التلود .

فقد رأيت ياسيدي ان هذا الاجل قد تم بمجيء مخلصنا لانه بدا بالحقيقة نحو الفين  
عاماً بعد ابراهيم واربعة الاف عاماً للعالم ومع هذا كله فلم يعرف به اليهود . ولما حبطت

أما لم زعموا ان آثامهم قد اُخترت مجي المسح الذي كان مزعماً ان ياتي ومنطوق التاريخ  
مقرر بنفس اقرارهم فما اصفى اوجههم واجهلهم "فانهم قد اعلقوا بارادة البشر حلول  
اجل عنه الرب صريحاً في نبوة دانيال

ومن المشاكل التي تعرفل اليهود ان دانيال برقي ان وقت مجي المسح يكون قبل  
دثار اورشليم وبناء عليه فلما تم هذا الحادث الاخير اقبض ان يكون الحادث المزمع  
ان يتقدمه قد تم ايضاً

فجفف يوسفوس عن جادة الصواب وذلك قد حسب جيداً الاسابيع التي تأتي  
بعدها دثار اورشليم ولما رأى حلول هذا الحين اذ اقام فيغوس الحصار حول اورشليم  
ذعب عنه الريب في حلول الوقت لذار هذه المدينة يدانه لم يعتبر ان هذا  
الذار اقبض ان يتقدمه مجي المسح وموته وبناء عليه لم يتنهم الا نصف النبوة

واما اليهود الذين عنبوه فارادوا ان يصلحوا هذا الخطا فاعتمدوا رجلاً من نسل  
هبرودس يدعى اغريبيا كان الرومانيون قد امانوه قبل دثار اورشليم بقليل من  
الزمن وزعموا انه المسح ولما علموا انه ملك ابقنوا انه المسح المذكور في نبوة دانيال النبي  
لكن ذلك دليل عمه بصائرهم اذ من المحال ان يكون اغريبيا هو الصديق وقديس  
النديسين وانتهاء النبوات كما كان مزعماً ان يكون المسح الذين تنبأ عنه دانيال وخلا  
ذلك فان موت اغريبيا الذي كان اليهود ابريامته لا يمكن ان يكون موت المسح المذكور  
في دانيال. فبناء عليه ان ما يزعمون ليس سوى افاصيص فارغة. فان اغريبيا الذي هو  
من ذرية هبرودس لم يهرح ان يكون من حزب الرومانيين وقد نظر اليه ملوكهم بعين  
الرعاية والرفق ولذلك قد تولى الامم زمناً مديداً في احدى مناطعات اليهودية بعد  
افتتاح اورشليم كما يشهد بذلك يوسفوس ومعاصروه

وعلى هذا ان كل ما يقترحه اليهود لبطلان هذه النبوة بشمول لحزبهم وهم انفسهم  
لا يتفقون بهذه التخيلات السخية وان امن مجن لدفعهم هو في المبدأ الذي اعتدوه ان  
لا يحسبوا ايام المسح وبهذا تمس عيونهم عن الحق اخيارياً. وينكرون النبوات  
حيث الروح القدس نفسه قد حسب السنين ولكن في اثناء ما هم ينكرونها اصبحوا  
بتمونها وببنون حنيفة منطوق هذه النبوات عن عمه قلوبهم وهبوطهم

فليبين على النبوات كل ما يشاؤون وقصارى الكلام ان دثارهم

الذي اوعزت اليه قد تم في الوقت المعين والحوادث اقوى من كل تنقيرهم فانه لولم يأت المسيح في هذه الاحوال السيئة لكان الانبياء الذين يثقون بهم قد خالوهم وخادعهم

## الفصل الرابع والعشرون

في ظروف ذات بال هُتِمَت وقت سقوط اليهود وفي تفاسيرهم الفاسدة يقتضي ياسيدي ان نلاحظ امرين طرأ وقت هبوط اليهود ووقت مجيء المسيح وذلك لتعيم الفحاهم . الامر الاول ان وراثة الكهنوت التي استمرت لاثنة منذ هارون قد انتهت وقتئذ والثاني ان التمييز في الاسباط والعيال المرعي الى ذاك الحين قد بطل حينئذ كما يفرون انفسهم .

وذلك لان هذا التمييز كان امراً ضرورياً الى وقت ما أتى المسيح اذ كان يقتضي ان يخرج من نسل لاوي خدمة اللاواني المقدسة ومن نسل هارون الكهنة والاحبار ومن نسل يهوذا المسيح نفسه فلو كان هذا التمييز لم يلبث الى وقت دثار اورشليم وما أتى المسيح لكانت ذبائح اليهود الغيت قبل حينها وحبطت آمال داود وانحطَّ مجده بان يدعى بابي المسيح لكن لما بدأ المسيح شرع به الكهنوت الحديث حسب رتبة ملكيصادق وبدأ الملك الجديد الذي ليس من هذا العالم فلم يكن حينئذ يقتصر الى هارون ولا الى لاوي ويهوذا وداود واخلافهم . ومن الثابت ان هارون لم يكن مقتضياً في الوقت الذي تلغى فيه الذبائح حسب دانيال وكان داود وبيته انما ما فرض عليهما لما خرج منها المسيح ابن الله وكان اليهود انفسهم تجمدوا املمم مشوا في هذا الوقت عيونهم الى العيال الذي دعوهم الى غاية ذاك الابان بكل عناية واحترام ديني .

وليس من دأبنا ان نضرب هنا صفحاً عن احدا دلة مجيء المسيح الذي هو اهم واخص لوادركنا ذلك وان كان لدى اليهود موضوع العثرة والكراهية وهو مغفرة الآثام باسم مخلص من آل منخفص الجناح راضح الى الموت وكان دانيال قد اوعز في الاسابيع الى هذه السبة السرية التي راعيناها حيث كان المسيح مزماً ان يقتل ويقرر الميعاد بموته وتنفذ قوة الذبائح القديمة وان احرزنا نبوة دانيال الى النبوة اشعيا نرى ذاك المعنى نفسه لاننا سنرى انه رجل الاوجاع وحامل خطايا الشعب وقدم حياته لاجل الخطايا



وشفينا نحن بفرحه . فاتح عينيك ايها المجاهد وانظر اليس باسم يسوع المسيح المصلوب  
 لشرك بمغفرة خطاياك ومن ذا الذي فكر ابداً بهذا السرو من ذا غير المسيح من يزعم  
 بمحو الخطايا بدمه ان كان مقدماً عليه او متأخراً هل اسلم ذاته عنوة للصلب ليحصل على  
 فخر باطل ويتم هذه النبوة الماثلة فلذلك يلزمك الصمت وان تحرم متعبداً لهذا التعليم  
 السامي الذي هو في الانجيل اذ لا يمكن ان يخطر في فكر انسان لو لم يكن حقاً .

فارتباك اليهود من هذا القيل عظيم جداً لانهم يرون في كتبهم آيات كثيرة  
 توعد الى آلام المسيح ولكن كيف يتعبر عن الآيات التي تشف عن مجده وانتصاره

فحل هذا المشكل هو ان يتصل الى الانتصار بالامتحان وينال المجد بالآلام لكن  
 ما لا يتصدق هو ان اليهود لبوا يعتقدون بمسحاء وذلك لاننا نرى التلود وكتباً  
 اخرى قديمة تضاهيه انهم يتظرون مسيحاً معذباً ومسيحاً مجداً الاول مات وقام  
 من الموت والثاني لا يزال سعيماً مغبوطاً مظناً الاول توافقته كل الآيات التي توعد الى  
 الوهن والضعف والثاني تليق به الآيات التي تشير الى الفخر والعظمة الاول ابن يوسف  
 اذ لم يمكن لم ان ينكروا صفات يسوع المسيح والثاني ابن داود بيد انهم لم يشاؤوا ان  
 يتنهموا ان المسيح ابن داود يقتضي له ان يجرع من الوادي قبل ان ينهض راسه اي يقتضي  
 ان يتالم قبل ان يتظفر كما يقول هو نفسه : يا قبطي الفهم وبطيئي القلب في الايمان بكل  
 ما نطقت به الانبياء اما كان ينبغي للمسيح ان يتالم هذه الآلام ثم يدخل الى مجده

وفضلاً عن ذلك فاننا لو عرنا للمسيح هذه الآية حيث اشعبا يعرب لنا عن رجل  
 الاوجاع مضروباً كالابرص بخطايانا لكان ذلك باستنادنا على تقليد اليهود القديم  
 والتقليدات الحديثة لانه قسراً عن اوهامهم يرى في التلود فصل بين لنا ان هذا  
 الابرص المثل بخطايا الشعب هو المسيح نفسه لان اوجاع المسيح المسبية عن خطايانا  
 المذكورة في الفصل هذا او في اسفار اليهود الاخرى ويذكر ايضاً مراراً دخوله المجيد  
 والمتواضع الى اورشليم راكباً اناً وتنسب اليه نبوة زكريا المشهورة . فلاي امر يشكي منه  
 اليهود فان كل شيء كان قد تصرح لديهم جلياً بانبيائهم لان تقليداتهم القديمة قد  
 رعت الشرح الطبيعي لهذه النبوءات المشهورة ولا شيء احق من هذا التريب الذي  
 كان يونهم به المخلص قائلاً . اذا كان المساء قلتم صحو لان السماء ممتلئة كالحة .

افتعلون ان تميزوا وجه السماء وعلامات الازمنة لا تستطيعون ان تعرفوها

فبينم من ذلك ان اليهود قد قضوا صواباً اذ قالوا ان وقت ماتى المسيح قد عبر  
لان يهوذا لم تلبت مملكة ولا شعباً وان الشعوب الاخرى اذ عنوا بالمسيح المزمع ان يرسل  
وان يسوع المسيح قد بدا لدى الامم وبهذه العلامة تقاطروا الى ال ابراهيم وامتدت  
بركة هذا الاب في كل الارض وانه بشر برجل الاوجاع وغفران الخطايا المهد بموته  
ومضت كل الاسابيع وتم خراب الهيكل والشعب عقاباً لموت يسوع الصديق ونهاية  
الامر ان قد ظهر المسيح بكل الصفات المعزوة اليه بتقليدات اليهود واحاديثهم ولم يبق  
لهم عذر على عدم ايمانهم .

ولهذا نرى منذ ذاك الحين كل ادلة ردلم التي لاريب فيها لانهم استمروا منذ زمان  
المسيح على ان يهبطوا من يوم الى اخر خائضين في لجة الجهل والشقا لا يخرجهم من  
تلك الورطة الاشد مشاقهم وروعهم بتكاثر سقوطهم في الضلال وبالاخرى تنقذهم جودة  
الرب وحدها لما ياتي الوقت المهد بحكمته تعالى ليعافهم على حجبهم وتكبرهم ومع  
ذلك لم يزلوا يخبرون لدى الامم وكراهية عندهم دون ان هذا الاسر الطويل  
يحلمهم على ان يؤثروا الى نفوسهم ويتبصروا في حالهم ولو كانت هذه الحملة كافية  
لان ننعهم .

لانه قد يمكن لنا ان نخطبهم بما فاه به النديس ابرونيوس وهو ما ذا تنتظروا ايها  
اليهودي الضاليل قد اقترفت من الجرائر كثيراً في عهد القضاة وصيرتكم عبادتكم  
للاصنام عبداً للامم المجاورة لكننا الرب رأفك ولم يبطو من ان يبعث اليك بمنقذك  
فضاعفت للاوثان عبادتكم في عهد الملوك واما الانم الذي هويت به في ايام احاز  
ومنس فلم يعاقبك الرب عليه الا بالسباء سبعين عاماً فاني حيثذر قورش واعاد اليك  
وطنك وهيكلك وذبائحك ثم بهظلك في زمان ويسار يانوس ونيغوس ثم شعث شملك  
ادريانوس خمسين عاماً بعد ذلك ولقد مضى عليك اربعة سنة وانت رازح تحت  
اوقار العبودية . فذلك ما كان يقوله ابرونيوس فقد تعزز هذا البرهان لانه اضاف  
اليه الف وخمسة سنة على دثار اليهود فلنقل له اذا بدلاً من الاربعائة عام ان من  
تسعة عشر جيلاً لم يبرح دثارهم وسباوهم دون ان يتخرج عن عواقبهم نير الاسترقاق .  
فاذا صنعت يا ايها الشعب المجاهد المتعبد لكل الشعوب وكل الملوك دون ان تؤدي  
للالهة الغريبة خدمة فكيف نسبك الرب الذي اصطفاك والى ابن ذهبت رحمته

القدية فاي اثم واية جريفة اعظم من عبادة الاوثان التي تنزل عليك عفاباً لا يمكن لها ان تخلصك منه انصمت لا يمكن لك ان تدرك ما هي الجريفة التي تقضي عليك شفقة بارتك تذكر كلام ابائك القائلين فليكن دمه علينا وعلى اولادنا وايضاً ليس لنا ملك سوى قيصر. نعم ان المسيح لا يصبر لك ملكاً اربع جيداً ما اصطفتبه امكت عبداً الفيصر وسائر الملوك حتى يدخل ملء الامم وبذلك يخلص كل اسرائيل

## الفصل الخامس والعشرون

في بعض ملاحظات منوطة بارتداد الامم وعمق مقاصد الرب الذي اراد ان يردهم اليه بصليب يسوع المسيح وبرهانات مار بولس في كيفية ارتدادهم على هذا النمط

ان ارتداد الامم كان امراً ثانوياً ينفضي حدوثه في وقت مجيء المسيح ودليلاً صريحاً على ما ناه فقد نوهنا كيف تنبأ الانبياء عن ذلك وباية صراحة كان ذلك وقد تحققت كل مواعيدهم في زمان المخلص ومن المقرر ان ذلك قد تم في حينه لا قبلاً ولا بعداً وايضاحه ان اثني عشر صياداً بعث بهم يسوع المسيح بعد ان شاهدوا نهوضه من الموت ليهذبوا الامم وهذا العمل الماثور لم يستطع الفلاسفة ولا الانبياء ولا الشعب اليهودي الذي كان تحت اكناف حماية الرب ومعتصماً بناموسه وذلك لان ارتداد الامم لم يكن معرضاً لعمل الفلاسفة والانبياء بل كان منوطاً بالمسيح وهو ثمره صليبه

وقصارى الامر ان المسيح ورسله اقضى ان يخرجوا من اليهود وان بداعة انتشار الانجيل تكون من اورشليم وكما قال اشعيا . يكون في اخر الايام جبل بيت الرب مستعداً في رؤوس الجبال وهذا هو البيعة المسيحية وتجتمع اليه شعوب كثيرة ويغالى الرب وحده في ذلك اليوم والاصنام تنسحق البتة

واما اشعيا الذي رأى كل تلك الامور فقد رأى في الوقت نفسه ان الناموس الذي يقضي على الامم يخرج من صهيون وكلمة الرب المزمعة ان تصلح الشعوب تخرج من اورشليم وهذا ما بعث المخلص على ان يقول ان الخلاص من اليهود وقد كان من الموافقة

ان النور الجديد المزمع ان يبر الام الخائضة في عباب الجهالة يند في كل الامصار  
 من المكان حيث كان لا يبرح فيه الى غاية ذاك المحين . وقد كانت الام مزمنة ان  
 تبارك وتقدس يسوع المسيح ابن داود وابراهيم وقد لاحظنا ذلك مراراً حتى يدنا  
 لم نلاحظ العلة التي بها كان يسوع منكبداً غوائل الصلب والعذاب وحده متقدماً  
 للام وظاهراً على الاصنام . ففسر لنا القديس بولس هذا السر العظيم في الفصل الاول  
 من رسالته الى اهل كورنتية فمن الشومون الخطيعة ان تنفهم هذا الكلام من اوله لانه قال  
 لان المسيح لم يرساني لاعمد بل لا بشر لا بحكمة الكلام لئلا يبطل صليب المسيح فان كلمة  
 الهالكن جهالة واما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله لانه قد كتب سايد حكمة الحكماء  
 وارذل عقل العلاء فاين الحاكم واين الكاتب واين فاحص هذا الدرر اليس الله قد  
 جهل حكمة هذا العالم . فلا ريب في ذلك اذ لم يمكن للانسان ان يتخلص من احبولة  
 غرته فاذا كان العالم وهو في حكمة الله لم يعرف الله بالبرهان فتدبحمن لدى الله ان  
 يتخذ الحكمة اي سر الصليب حث الحكمة البشرية لا يمكن لها ان تدرك شيئاً الا به ومن  
 ما رب الحكمة الالهية العجيبة ان الله جعل الانسان في العالم حيث حكمة الخلق تبدو  
 لديه كيف امال بصن بكل عظمتها وغناها ونظامها الكامل ومع ذلك لم يعرفه  
 الانسان لان الخلق التي كان يقتضي ان تستمض افكارنا الى العلاء قد اوفنتها واصبح  
 الانسان الاعى عبداً بكل جهالة وخشونة ولم يكنه وان يعبد عمل الرب بل افصى به  
 الامر الى ان عبد عمل يديه وقد كان دينة متوقفاً على افاصيص ذات هز وسخرية  
 كالافاصيص التي تداولها الصبية الاحداث فتجف عن الجادة النوبة وجعله الرب يساه  
 بوجه اخر لان العمل الذي يؤول الى حكمته لم يوشرفه نائبراً

فمرض عليه عمل اخر حيث عقله لا يحيط علماً وتعاريه الفكر وليس ذلك الا صليب  
 يسوع المسيح ولا يمكنه ان يدرك هذا السر بالبرهان بل باسر العقل تحت طاعة الايمان  
 وهي قادرة على هدم الحصون فيهدم الآراء وكل علو يرتفع من معرفة الله

فماذا نفهم في هذا السر حيث انه المجد حامل العار والحكمة الالهية تعامل معاملة الجنون  
 وحيث ذاك الثابت بعظمته الطبيعية لكنه اخلى ذاته اخذاً صورة عبداً صائراً في شبه  
 البشر وموجوداً كبشر في الهيئة فوضع نفسه وصار بطيع حتى الموت موت الصليب . فمن  
 ذلك تبيل افكارنا وحسب قول القديس بولس لاشي اجهل من هذا الذي من لم

يكن منيراً من العلاء

فهاك الدواء الذي اعده الرب لشفاء داء عبادة الاصنام لانه كان يعرف عقل الانسان ويعلم انه لا يلاشي بالبرهان الضلال الذي لم يكن البرهان وضعه واضاليل نسقط بها مبرهين لان الانسان يرتك احياناً بقياس وبرهانه. اما عبادة الاوثان فقد نأت من علة مناقضة لتلك لانها طرأت لدى ضعف الحكمة والقياس وتسلط الحواس التي كانت تود ان تجعل كل شيء من الصفات المتأثرة بها وبهذا قد اصبحت الالهية محسوسة مادية فكساها البشر هيئتهم واخجل من كل ذلك عيوبهم واهواءهم ولم يكن القياس له دخل في هذا الضلال المبين بل كان ذلك انقلاب الحكمة والصواب وتسلط الجنون والحق فان داولت رجلاً معتمداً بالقياس او اماله الحكمة عن خطة الصواب ثار هاتجاً واستولى عليه الداء العياء فما عليك الا ان تعزز مزاجه وتكظم حنقه والخلق الذي يثر ذاك الثوران . وبناء على ذلك لا يتبرأ جنون عبادة الاصنام به فما الذي ناله الفلاسفة بخطبهم النصيحة وانفاسهم السامية وبراهينهم السديدة فهل قوض افلاطون بنصائح المدعوة سماوية مذبجا واحداً من مذايح هؤلاء الالهة الغريبة التي كانوا يعبدونها بل كان ذلك بعكس الامر فانه اقام هو ولاذته وكل حكماء الجيل مذبح للالفك وزاغت عن الحق افكارهم واطلمت قلوبهم التي لا تنفذ انهم اصبحوا جهالاً بعد القول عنهم انهم حكماء لانهم عبدوا الخلائق قسراً عن انوار عقولهم الطبيعية

افلا يحق لبولس الرسول ان يهتف بآية اخرى قائلاً : اين الحكماء واين المكتاتب واين فاحص هذا الدهر اليس الله هو الذي جهل حكمة هذا العالم . وهل امكن لم ان يلغوا خرافات الوثنيين وهل فكروا ان قد ترتب عليهم ان يعارضوا علناً كل التجديف وقصارى الامر ان يتجنسوا الاعنات بل على الاقل الالهانة لتثيت الحق ومع هذا فلم يقوموا بعبد ذلك بل انهم كتموا حق الله وتخذوه مبداً يفتنونه وذلك انهم يفتنون بالشعب بالاشياء الدينية . ومن المقرر ان هذا الشعب الذي كانوا يافتنون منه اصبح مقدماً عليهم في امور خطيرة هي مسائل الدين اذ كان بيدي غاية الافتقار لكل نورهم .

فما اجدى بك اينها الفلاسفة الم يقل الرسول ان الله يظهر جهالة حكمة هذا العالم ويبعد حكمة الحكماء ويرذل فهم النهار

وعلى هذا قد ابان الرب بالاخبار ان انقضاء عبادة الاصنام لا يتم بالبرهان  
البشري ولم يستند عليه بشيء هذا الداء بل انه قد اتم ترذيله بسر الصليب وقد عالج  
في الوقت نفسه الداء فنجع به الدواء فاستأصل علته .

فلو سرحنا طرف الطرف في عبادة الاوثان لرأيناها ناجمة عن غفلتنا بذواتنا  
وذلك ما بعثنا على ان نتخير لنا الهة تضاهينا ليست سوى بشر قد تعرضوا للشبهات  
والوهن والمعائب وقد كان الامم يعبدون افكارهم ولذائذهم واهواءهم بهيئة الالهة الافاكة  
اما يسوع المسيح فقد اوجنا في طريق جديد لان فاقته وعاره وصلبيه تجعله طرأ  
مكروها لدى حواسنا وان افضى بنا الامر الى اتباعه اقضى ان نجالي نفوسنا ونبتذ كل  
امر ظهرياً ونصلب لاجل كل شيء ومتى نرى المرء من كل ما يميل اليه فساد يصير  
اهلاً لان يعبد الرب وحقائقه الازلية المزمع حينئذ ان يفوق كل فروضها

فلذلك تباد كل الاصنام والاوثان التي كانوا يتعبدونها على المذابح والتي  
كانوا يسرونها في خزائن القلوب لان هذه قد اقامت تلك  
ولقد كانوا يوردون العبادة للزهراء لان غرام الحواس كان مستولياً على الانسان  
الذي كان يود سلطانه

واقم لباحوس مذابح لانه اله السرور وكان الانسان يطوح نفسه الى ملذات  
الحواس ويقدم لها الذبائح لانها كانت لديه لذبة اكثر من معارف الخير . فاني المسيح  
بسر صليبه يرسخ في القلوب محبة الآلام بدلاً من محبة اللذائذ فتبددت حينئذ الاصنام  
التي كانوا يتعبدونها خارجاً لان التي كانوا يوردون لها العبادة داخلت لم يبق لها من  
الوجود لان ذوي القلوب النقية يعاينون الله كما يقول المسيح نفسه .

ولم يبق الله يكدر في ان يجعل الالهة تضاهيه بل قد اصبح يجهد نفسه في ان  
يكون مضاهياً لله بمقدار ما يسع له الضعف البشري

ان سر يسوع المسيح قد ابان لنا كيف يمكن للالهية ان تلبس ضعفنا وتتخذ بطبعنا  
دون ان تخط لان الكلمة قد تجسدت والذي كانت به صورة الله وطبيعته قد تلبس  
بصورة العبد دون ان يفقد ما كان له لانه غير قابل التغير في ذاته فاتخذ بطبع آخر  
اناطه به

فيا ايها الانسان قد رغبت في ان الالهة تكون مثلك بشراً مفسوداً فانت

بذلك الا ذوعي ميين فالان تعرض لديك عبادة جديدة هي عبادة اله وانسان  
معاً . وبالاخرى انسان لا يفتد شيئاً مما كان له باخذه ما هولنا فالالهوية لا يعرفها  
تغيير ولا تيل عن جلالها وليس بوسعها الا ان ترفع ما اتحد بها

لكن ماذا الذي يكون الرب قد اخذ منا اعيوبنا ووصفنا جل شانه عن ذلك فانه لم  
ياخذ من الانسان سوى ما صنعه . ومن المقرر انه لم يصنع فيه الوصا او العيوب بل  
صنع فيه الطبع فهاك ما اخذه ويمكن لنا ان نفوه قائلين ان صنع الميتونة وما يصحبها من  
الوهن احق عقاب على الخطيئة وان لم يكن ذلك في البدء من ما رب العلي . وبناء عليه  
نحسب اعمال الله العادلة ولذلك لم يتأخر عز شانه عن اخذها وبما انه اتخذ عقاب  
الخطيئة لا الخطيئة ابدى انه الصديق الذي بني سواه وصانوا لالجرم الذي يستحق  
النصاص

وبناء عليه بدت كل الفضائل في اله مونس بدلاً من الرذائل التي كان  
البشر يعزونها الى الههم ولكي يبدو ذلك في الامتحان الاخير بدت فيه العذابات المبرحة  
فلا نطلب اذاً الهاً اخر محسوساً سواه لانه وحده قادر ان يبد كل الاصنام وعلى صليب  
يلوح الظفر للزعم ان يتدرج اليه

ومغزى ذلك ان الانتصار معلن على جهل باد لان اليهود كما يقول القديس  
بولس : اليهود يطلبون الايات التي بها يزعم الله بشدة كل الطبيعة كما صنع لدى  
خروجهم من مصر ليعلم بنوع باد ظاهرين على كل اعدائهم واليونانيون يطلبون  
الحكمة اي خطباً منظمة على نسق خطب افلاطون وسقراط فاما نحن فنركز بالمسيح  
مصلوباً شكاً لليهود وجهالة عند الامم لآيات وحكمة واما للمدعوين من اليهود  
واليونانيين فالمسيح قوة الله وحكمة الله لان مستجمل الله احكم من الناس ومستضفو الله  
اقوى من الناس .

فهاك الضرية الاخيرة التي كانت يقتضي ان يصوبها علينا عقاباً لتكبرنا وجهلنا  
النفط لان الحكمة التي نقاد بها قد عزت سمواً حتى اننا اصبحنا تبذولديننا غواية وجهالة  
لدى حكمتنا ونظامها سام حتى انه اصبح يبدو لدينا ضلالاً

لكن وان كانت هذه الحكمة الالهية لا تدرکها بصائرنا تبذولديننا مفاعيلنا لان  
الصليب قد خرجت منه قوة بددت كل الاصنام وقد شاهدنا هبوط ذلك على

الأرض قسراً عن الساطعة الرومانية التي كانت تقوم بناصرها ولم يتم باعلاء هذه الآيات العظيمة حكماً أو شرفاً أو اعزاء هذا العالم

بل ان عمل الرب قد سري حسب مجراه لان ما كان قد بدا بعار المسيح قد تم بذل تلاميذه وتآمرهم وهاك ما قاله القديس بولس في رسالته الى اهل كورنثية انظروا دعوتكم ايها الاخوة انه ليس كثيرون حكماء بحسب الجسد ولا كثيرون اقوياء ولا كثيرون شرفاء بل اخنار الله الجاهل من العالم ليغزي الحكماء واخنار الله الضعيف من العالم ليغزي القوي واخنار الله الخسيس من العالم والمحقر وغير الموجود ليعدم الموجود لكي لا يفتخر ذو جسد امامه

ان الرسل والتلاميذ كانوا من احقر العالم وانهم كانوا كانوا ليسوا بوجودين ان نظرنا اليهم باعين بشرية يد انهم كانوا يظهرون على الملوك والمملكة الرومانية وكان البشر قد نسوا تكون الخليقة فجدده الله لما ابرز من هذا العدم بيعته التي اناح لها قوة عظيمة ضد كل ضلال ورذل مع الاصنام عظيمة البشر التي كانت مجناً يدافع عنها وصنع هذا العمل العظيم بقوة كلمته كما صنع العالم كله

## الفصل السادس والعشرون

في انواع عبادة الاصنام المتنوعة وفي ان الخواص والصوايح والجهل واحترام الآثار القديمة الباطل والسياسة والفلسفة والبدع اخذت بناصرها فظهرت البيعة على كل ذلك

ان عبادة الاوثان تبدولدينا واهنة بذاتها ومع ذلك يتعسر علينا ادراك القوة التي انتضت لسقوطها وحماقتها عينا تين ما كان من الصعوبة في ردعها لان هذا الانقلاب العظيم الذي طرأ على الحس العام يدل على الفساد العميق الذي صار في اصل النظر والعالم قد شاخ في عبادة الاوثان وبما انه كان مسيئاً باصنامهم اصبح كاصم لا يسمع لصوت الطبيعة الهائنة ضد هذه العبادة فكمن من القوة كان يقتضي لتهب بهم ذكرى معرفة الله الحق الذي كانوا قد ضربوا عليه حجاب النسيان وتشتل النوع البشري



من هذه الفساد التي تهور بها

فان المحاسن والشهوات طرأ والاغراض النفسية تذب عن عبادة الاله لان هذه العبادة كان جل نشأتها للملذات فان الطرب والملاهي واطلاق عنان الفساد كانت جزءا من الفرائض الدينية ولم تكن الاعياد الا ملاعب دنسة كالم تكن الثقة بشرية اصبح الاحتشام فيها متفيا باكثر اعناء ما كان في الاسرار الدينية فكيف يمكن ان تعتمد هذه العقول المفسودة على نظام الدين الحقيقي الطاهر المناقض للمحاسن والذي لا تعلق له الا بالخيرات غير المنظورة ولما كان بولس الرسول بناجي فيلكنس والي اليهودية في البر والعفاف والدينونة المقبلة استولت عليه الرعدة جزعا وقال اما الان فاذهب ومتى سمحت لي الفرصة دعوتك لان هذا الخطاب كان عسرا على رجل يود لو يتمتع بالملذات دون وسوسة وبأي وجه كان

اتريد ان تنظر الان فاعلية المنافع والمصلحة في الامور البشرية فاصغ الان فان النعمة الذين كانوا عاثين ببناء هياكل من فضة للالهة ارطاميس في افسوس وقت سقوط عبادة الالهة التي سببها وعظ القديس بولس في اسيا ونهض اعظمهم وابان لرفقائه ان مكسهم لا يلبث ان يزولهم وليس هذا فقط بل ان هيكلا ارطاميس العظيم يسي محنرا وثلاثي شينا فشيئا هذه العظة المسجود لها في اسيا وكل المسكونة ( كما في اعمال الرسل فصل ١٩ )

فما اعظم قوة المنافع وما اقوى جسامتها متى تجلب بنقاب القبرة على الدين فان اولئك النعمة لم يفتقروا الى غير براهمين لتبجيلهم فلما سمعوا ذلك انشطوا غيظا وطفقوا يصيحون ويقولون عظيمة ارطاميس الافسوسية واخذوا يحجرون رفقاء القديس بولس الى المشهد حيث اجتمع الشعب وحينئذ ضوعف الصباح واستمروا ساعيتين يهتفون قائلين عظيمة ارطاميس الافسوسية واصبح القديس بولس ورفقاؤه يكادون لا ينجون من ايدي الشعب لولامداركة الوالي انقاذهم خشية ان يحدث سمج اعظم من ذلك وزد فائدة الحكمة المزمعين ان يستطوعوا هم والهنم على فائدة اولئك الذين لم مصالح خاصة وعلى هذه زد مصالح المدن التي كان الدين الافاك يجمعها شهيرة كمدينة افسوس التي نالت امتيازاً عظيماً بواسطة هيكلها واغناها نقاظر الغريباء اليها وبناء عليه كانت الزويرة التي ثارت على البيعة الجديدة عظيمة جداً . ومن ذا الذي يتعجب

بعد هذا بان يرى الرسل مضروبين ومرجومين بالحجارة ومنروكين كالموتى وسط الشعب  
لكما فائدة اعظم من تلك ازمعت ان تهيج اعظم واسطة هي فائدة الدولة التي تثير مجلس  
شيوخ الرومانيين والشعب والملوك ضد البيعة .

وكان يرى في زمان قدم اوامر في مجلس المشايخ تمنع الاديان الغريبة في الدولة  
والملوك ادخلوا في هذه السياسة عينها المدولة العظيمة .

لان الموضوع كان لتصلح المغائب التي دخلت في الحكم فمن القوانين الاساسية التي  
عرضها مساناس على اوغسطس ان يمنع الاديان الجديدة التي كانت تسبب في الدولة  
بلايل فان هذا المبدأ هو حقيقي لانه لا يوجد شيء يهيج العقول باكثر شدة ومجملهم على  
ارتكاب الكبائر اكثر من المذاهب واما الله فقد شاء ان يبين ان تشييد الدين الحقيقي  
لا يسبب هذه البلايل وذلك من المعجزات التي تبين ان الله هو الفاعل ذاك الصنيع  
لان الكل يتعجبون اذ يلاحظون انه في برهة ثلاثمائة سنة كاملة احتللت بها البيعة كل ما  
اقترحه غضب المضطهدين لعذابها لم يكن احد من المسيحيين ابراراً واثراً متحرباً ضد  
الملوك ولا مخازناً الى الثورات العديدة والحروب المدنية التي طرأت وقتئذ وبطاب  
المسيحيون من الداء اعنائهم ان يسموا رجلاً واحداً ولم يبق قط منهم احد الى هذه الحروب  
لان التعليم المسيحي كان يوهل تابعيه الاحرام نحو السلطة الدينية لان كلمة المسيح كانت  
اثرت في العقول تأثيراً عظيماً بقولهم اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله

وهذا القول اناح للعقول نوراً ساطعاً . ولهذا لم يبرح المسيحيون يحترمون صورة  
الرب في الملوك المضطهدين الحق وصفة هذا الخضوع تبدي في كل ما كتب لمدا فتنهم  
حجة النظام العام ويلوح ايضاً ان المسيحيين لم يتخطوا تشييد الدين المسيحي الا من الله  
وهؤلاء البشر الذين هم على امة الموت ومتشبهون في كل النعماء الملكية والعناكر لم ينسوا  
نفوسهم وشبوا مرة واحدة في كل هذه الاجيال التي تعذبوا فيها ولم يكونوا فقط يمتنعون  
نفوسهم من التمرد والعصيان بل عن التذمر ايضاً لان يد الرب كانت في هذا العمل  
وليس سوى يد صهيون له ان يجبس البشر الذين حملهم الجور وهاجمهم على ان يتصلوا الى  
هذا الحد

وبالحقيقة ان قد كان يشق عليهم ان يعاملوا كاعداء الدولة والملوك طالما لا يتبنون  
الا الخضوع ولا يظلمون الا اثماد الملوك وسعادة الدولة ولكن كانت السياسة الرومانية

نظان ان اركانها ترعزعت لما كانت تشاهد انهم يحرقون الهتها لان رومية تنتشر بانها مدينة مقدسة منذ تشييدها ومكرسة منذ البدء للعناية الالهية ومكرسة من مؤسسها لاله الحرب وكانت تخال ان المشتري يسهر حاضراً في الكايتول اكثر من الاوليك وكانت تعزواتصارانها الى الدين لانها بواسطة عبادتها قد ظهرت على الام والهتها لانهم كانوا يفكرون هكذا وقتئذ حتى ان الاله الرومانية كانت مزمنة ان تسلط على سائر الالهة كما ان الرومانيين كانوا مسئولين على سائر الام . ولما قعت رومية بلاد اليهودية حسبت اله اليهود بين الالهة المتوعدة وبناء عليه فمن يشاء ان يولييه يكون يشاء هدم اركان الدولة وبانف من انتصارات الرومانيين وشوكة الشعب : وعلى هذا ان المسيحيين الذين كانوا اعداء الالهة كانوا يعدونهم في الوقت نفسه اعداء الدولة ولذلك كان الملوك يتهمونهم في استئصالهم اكثر من البرتيين والمركومانيين والداسيين وكانوا يذكرون في توارنهم دنار الدين المسيحي باكثر افتخار من قهر السمرانيين بيد ان افتخارهم باستئصال دين ذهب ادراج الرياح فانه كان ينمو من يوم الى اخر في ظلال السيف والنار وقد تالبت عليه النيمة والجور فكان ذلك عبثاً فانهم كانوا يتهمون اناساً يفلحون بالفضيلة الفاتحة بارتكاب رذائل تائف منها الطبيعة لانهم كانوا يتهمون بارتكاب الفحشاء مع الاقارب اولائك الذين لا يلتذون الا بالعفة . وكانوا يتهمون المسيحيين باكل اولادهم وانهم هم الذين كانوا يحسنون الى مبغضيههم ولكن قسراً عن هذا البغض العام كانت قوة الحقيقة تلزم اعداءهم ان يودعوا لم شهادة حسنة وليس احدٌ يحجل ما كتبه بليئوس الشاب الى تراجان الملك عن فضائل المسيحيين وبهذا بدت برائتهم ولكن لم يعفهم من العذاب والموت اذ كان يلزمهم بهذه المعاملة الاخيرة لتكملة صورة يسوع المصلوب فيهم لانهم كانوا مزمنين ان يذهبوا الى حيث يصلبون بموجب حكم جلي يقرر برائتهم

ان عبدة الاوثان لم تكن مصوبة كل قوتها بالعسف والجور بل كانت ترغب في بعض ادلة وان كان ركنها الجهالة وفساد الحس المشترك لانه كم من مرة جهدت في ان تخفي نفسها وكم قد تقصت وتغفلت لتخفي عارها فاحياناً كانت تظاهرها بالاحترام نحو الالهية لانها كانت تقول ان كل ما هو الهى غير معروف ولا احد يعرف الالهوت الا الالهوت وليس لنا سوا غية ان تنفوه بامور سامية كهذه وبناء عليه يقضي ان كلاً يقفوا آثار الافنديت بالدين الذي في وطنهم وهذه الافاويل اصبح الضلال ذو الكفر

المستولي على الارض عياناً وانحبس صوت الطبيعة الذي كان يبشر بالحق حقيقي منقطعاً  
ولقد كانوا يهجمون ان وهن العقل الزايغ عن قوم الحقجة يحتاج الى سلطة ثنية الى  
الاصل وبناء عليه يقتضي ان يتعلموا الدين الحق من الاجيال الدابة ولهذا قد ابنت  
لك باسيدي تسلسلها القوم من ابتداء العالم اما الوثنيون فبأية قدمية يفتخرون ومن  
منهم كان يطالع تاريخ وطنه ولا يرى فيه ابتداء الدين والالهة . فقد ابان فارون وشيشرون  
هذا الاصل دون ان تذكر سواها من المؤلفين او اننا نعلم هذا العدد الذي لا يحصى  
من السنين من خرافات المصريين واقاصيصهم السفهية ولقد كانوا يعتمدون  
ليلوحوا على ان قدميتهم هي موضوع فخارهم . وعلى كل كانت الهنم تتولد وتلاشى وعسر  
على هذا الشعب ان يثبت قدميته دون ان يبين بدأة الهة

وماك هيئة أخرى لعبادة الاصنام وهي انهم كانوا يودون لوجود العباداة لكل ما كان  
يعتبر احياناً فقد كانت السياسة الرومانية تكسر قسراً عن ممارسة الاديان الاجنبية وتاذن  
بعبادة الهة البرابرة بشرط ان تكون تلك الالهة تحت حيازتها وعليه فقد كانت ترغب  
في ان تظاهر بالعدل نحو كل الالهة كما كانت نحو كل بني الانسان . ولقد كانت آونة  
تقدم كبراء النجور لاله اليهود مع سائر الالهة ودليل ذلك اننا قد عثرنا على كتابة من  
جوليانيوس الجاحد فيها اباحة منه لليهود بان يوطدوا اركان المدينة المقدسة لينتظم فيهم  
لشدة الذبائح للاله الحق ولقد اسلفنا ان الوثنيين كان في عزهم ان يودوا العباداة لله  
ليكن مشركاً . ولم يتوقف على الملوك بان يسوع المسيح نفسه الذي كانوا يظهرون تلاميذه  
ان يكون له مذبح لدى الرومانيين ولم يروموا ان يعتبروا اعتباراً له ذاك الذي حكم  
عليه قضائهم بالعذاب والقي عليه اعباء العار كثير من مؤلفيهم فلا تعجب من هذا  
الامر الذي لم تخاف قط ريبة ولكن يقتضي ان تميز في بادئ الامر ما ينوب به المرء  
لدى بغضائه الشعواء من الحوادث المفردة التي يخال انها مبرهنة لديه . ومن البين ان  
الرومانيين لم يكونوا يعززون الى يسوع المسيح جريمة خاصة ولو كانوا اصدروا عليه حكماً  
ولذلك قضى عليه يلاطوس دون طيبة خاطر بل قد قسره على ذلك الحاح اليهود  
ونوعدهم . ومن الامور التي تبعث على الحيرة والاعتجاب ان اليهود انفسهم الذين كانوا  
علة لصلب المسيح لم يثبتوا في كتبهم القديمة اقل عمل له ينلم حيائه ولم يكن من وسعهم  
ان يجدوا فيه جريمة تغريهم بالاخفاف به الا قوله ان المسيح ابن الله وما نراه في الانجيل

يصدق على ذلك

وحقيقة الامر ان تاسيتوس يثبتنا عن عذاب يسوع المسيح في عهد نيلاطوس والملك طباريوس لكنه لم ينق لنا عن اقل جريح اوجبت له الموت الا انه مؤسس بدعة تكسح للجس البشري بالبغيضاء وانما مفعولة لديه فما هو ذا اثم المسيح وثلاثين ولم يمكن لالد اعدائهم ان يتهمهم الا بالفاظ مبهمة دون ان يبينوا اقل حادث مقرر لما كانوا يتهمونهم به

ولا ريب ان الوثنيين الذين لم يروا لم من جريفة يتهمون بها المسيح وثلاثين اذا احتلوا في اثناء الاضطهاد الاخير وبعد يسوع المسيح بثلاثمائة سنة اختطارات نيلاطوس النكاذبة التي بها حاولوا ان يخلتوا للمسيح ذنوباً قضت عليه بالصلب ولما كانت هذه الاختطارات لم يسج بها في الاعصار الغابرة لا في عهد دوميثيانوس ولا في عهد نبرون الذين قبضا على زمام الملك في بدأة الدين المسيحي وما من الاعداء المكاشحين للدين اصبح من مقرر الامر انها اختلفت فيما بعد اقتراحاً ولم يكن لدى الرومانيين ادلة قاطعة ضد المسيح حتى ان اعداءه قد ابتدعوها اعني باطاً

فما ك قضية اولى هي براءة يسوع المسيح غير المدنس وزد عليها قضية اخرى هي قداسة حياته وتعاليمه المعروف وان احدملوك رومية العظام اي اسكندر سفاريوس كان مندهشاً من يسوع ولطالما كتبت بامره بعض آيات من الانجيل في التوارخ المرقوشة على الابنية العامة حتى على قصره وانه قد كان يثني على المسيحيين الذين كانوا يظنون على الاحتياطات التي من شأنها انتخاب خدمة اللاوا في المقدسة ولقد كان يعرض بها لتكون اغوذحاً ولم يكنف بذلك كله بل كان في قصره بيعة صغيرة كان يقدم فيها قراين كل يوم صباحاً واطعاً فيها تماثيل الارواح المقدسة بخلها صورة يسوع وابراهيم بمنزلة من صورة اورفيوس . وكان له بيعة اخرى اصغر من الاولى اقام فيها صور اشيل وبعض الانام المشاهير اما يسوع فقد كانت له المثابة الاولى بين تلك التماثيل قذلك ما نصه احد الوثنيين وبويد كلامه بشهادة احد المولفين المعاصرين لاسكندر الملك الموما اليه فقد شهد لهذا الحادث اثنان . وماك حادثاً اخر يجمل على العجب كالاول وهو ان بورفيريوس وان يكن قد جاهر لدن حجة الدين المسيحي انه عدو له فيقر في كتابة المدعو الفلسفة بالنبوءات بان قد يوجد نبوءات توافق قداسة يسوع المسيح . بيد ان مجد ابن

الله ليبل ان تكون النبوات الكاذبة طرائق من شأنها انقائنا على كبره فقد جعلها لدن مجيئه  
معتودة اللسان فان هذه النبوات التي ذكرها بورفوريوس لم تكن سوى اختراع يحث لكما يهنا  
امر فرد وهو ما ذا كان الوثنيون يزعمون بكلام الهنم في يسوع المسيح . فيحقق بورفوريوس  
انه كان يوجد نبي يدعى يسوع المسيح وهو رجل بر اهل لان يكون خالدا واما المسيحيون  
فانهم يعكس الامر اناس يخامرهم الفساد والغرور ثم يذكروا نبوات الالهة هكات  
بانها تنوء عن المسيح انه رجل تعاضت ثقاه وان جسده الممت به العذابات المبرحة  
وصعدت نفسه الى العلاء بين الارواح الطوباوية وقد كانت تقول الهة بورفوريوس ان  
هذه النفس لا تحيط بها ادراك وقد اغرقت في لجة الضلال النفوس التي لم يقرر لها الحظ  
مواهب الالهة ومعرفة المشتري العظيم ولهذا اصبحت ذواتها من الداء اعداء الالهة فلا تنددوا  
في المسيح بل تأسفوا على ضلال اولئك الذين انبأتم عن سوء حظهم فلا ريب ان هذه  
الكلمات الخفية تعزل عنها المعاني لكما تدل بكل صراحة ان مجد مخلصنا قد ارغم  
اعداءه ان يجاهروا بمدح

وقد برى في يسوع المسيح امر ثالث خطير عدا بره وقد استهو وهو معجزاته التي قد  
نقرر ان اليهود لم يشدوا عليها تكبرا فاننا نرى في تلودهم التنويه عن بعض العجائب التي  
قام بها تلاميذه باسمهم لكهم اذا عاومل ان تستمر تحت غشاء الخفاء انه كان يصنعها  
بالسحر الذي تعلمه في مصر او باسم الله غير المعروف الذي لا تدرك اوصافه والذي يصنع  
كل شيء بقوة حسب اليهود وانه حظي به في قدس الاقداس باسم لا يحيط به ادراك  
اولان المسيح هو احد الانبياء الذين تنبأ عنهم موسى وهم مزعمون ان يغروا الشعب بعبادة  
الاصنام بمجزاتهم الخائلة . واما يسوع الظاهر بالاصنام الذي يبت انجيله في كل الارض  
ان لا يوجد الا اله واحد ليس يعوزهم ان يتبرأ من هذه التهمة وان الانبياء الحقيقيين لم  
يشيروا بالوهية اقل من الوهية وبناء عليه ان ما ينجم من شهادة اليهود هو ان المسيح قام  
باعباء المعجزات ليشهد ارساليته

ودخلة الامر ان اتهامهم ليسوع بانه صنع العجائب بالسحر رشح به موسى نفسه فكان  
الاحرى بهم ان يعبروا ذلك طرفا من نظر الفكر وقد كان ذلك اعتقاد المصريين  
القديم الذين اخذتهم الدهشة من المعجزات التي اتاحها الرب في بلادهم ليد موسى ولذلك  
كانوا يحكمون عليه بانه من اكبر السحرة . ويمكن لك ان نقف على كنه ذلك في يلبوس

وايلوس حيث يذكر موسى مع الساحرين المصريين بنيس ومعه المذكورين في رسالة مار بولس الذين ردلها موسى بعجائبه واما جواب اليهود فلم يكن بصعب فانهم قالوا ان غرور السحر لم يكن له منقول ثابت ولا يكون له غاية ليقرر عبادة الله الخفي كما صنع موسى وفضلاً عن ذلك ان الله يقبض على ازمة الامور ويصنع ما يستحيل ان يقتدي به العدو وهذه الحجج نفسها تبرئ يسوع المسيح من هذه التهمات الباطلة ولذلك لا تنفذ كما قد لاحظنا الآن ثبت ان عجائب المسيح غير منكورة

والحق يقال ان هذه العجائب مقررّة تقريباً محضاً حتى ان الوثنيين يتعسر عليهم كاليهود انكارها فان سالس الد اعداء المسيحيين الذي اوسعهم طعناً مفرغاً لذلك كل ضروب المحذقة من البداعة لم يمكن له ان ينكر كل عجائب المسيح ولو انه طلب بكل اعتناء كل ما يناقض الدين المسيحي لكنه كان يقول في سبيل المدافعة كاليهود ان المسيح اتخذ هذا السر من المصريين اي بالسحر وانه رام ان يعزوا الى نفسه القوة الالهية بالمعجزات التي كانت يتوخاها بهذا النوع الذريع ولهذا السبب نفسه كانوا يعتبرون المسيحيين كالسحر ولم تنزل عبارة من بوليانيوس المجاهد بوخذ منها انه يائف من عجائب المسيح لكنه لا ينكرها ويقول فولتير يانوس مثله برسالة الى القديس اوغسطينوس وهذا القول كان ذاتاً لدى الوثنيين كلهم

فبناء عليه لاستغرب ان الوثنيين اقاموا المسيح بين الهتهم اذ انهم معتادون ان يعتبروا البشر الذين يصنعون اموراً خارقة الهة واعرز طباريوس الى مجلس الشيوخ ان يهودا ليسوع المسيح اكراماً الهياً اذ انه الانبياء عنه من اليهودية وذلك لاربية فيه فان ترتوليانوس يذكره كامر شائع في المدافعة التي ابرزها باسم البيعة الى مجلس الشيوخ ولم يشأ ان يضعف دعواه البادي حتماً باستناده على اشياء منكورة يسهل دحضها وان رغبت في شهادة المؤرخين الوثنيين يقل له لمبريديوس ان ادريانوس اقام ليسوع المسيح هياكل كانت لا تزال في حيز الوجود في عصره وان اسكندر سفاريوس اراد بعد ان ادى له ماثر الاكرام خصوصاً ان يشيد له مذابح عامة ويقدمه في عيد الالهة

ومن المقرر ان توقف ايماننا بالمسيح على ما نقله اولئك الذين لم ينضوا الى لقيف تلاميذه امر خارج عن خطة العدل فان ذلك يكون وسيلة لطلب الايمان من غير امل والوقوف على كنه الدين بواسطة الذين لا يعتبرونه امراً خطيراً لانهم يعكفون على كل

شيء سواه ومن اليقين ان مجد يسوع المسيح اصبح ذا سطيع زاهر حتى ان العالم لم يتمكن من ان لا يهودي له بعض شهادات وليس من سعتي ان اورد لديك شهادة الله احق من شهادة اولائك الملوك

ومع ذلك فاني اثق ان قد كان لهم بذلك مقصد خارجي لأن بعض امور سياسية كانت تبعت على اكرام المسيح فانهم كانوا يزعمون ان الاديان طراً تتحد في النهاية وان كل الالهة البدعية تغدو شائعة لدى الجميع . اما المسيحيون فلم يكونوا يسلّمون بهذه العبادة المتزجة ولم يكونوا يحتفرون مراعاة السياسة الرومانية اقل مما كانوا يحتفرون ما فيها من الجور والفسوة لكما الرب اراد ان مبدأ اخري يحمل الوثنيين على ان يتركوا الهياكل التي اعدها الملوك ليسوع المسيح لان كهنة الاصنام اعلنوا للملك ادر يانوس حسب قول المؤرخ المذكور انفاً انه اذا كرّس الهياكل المشيدة للمسيحيين تهرج كل الهياكل عداها وان الجميع يعكفون على الولوج في دائرة الدين المسيحي لان عبادة الاوثان بنفسها كانت تشعر ان فيه قوة ظافرة لا يمكن للالهة الكاذبة مقاومتها وثبت حقيقته ما قاله الرسول وايّة موافقة بين المسيح وباعال وايّة الفة لهيكل الله مع الاصنام وعلى هذا اصبحت عبادة الاوثان حلقة الدثار بقوة الصليب ومردولة بذاتها وان وحده الله اخذت بتفررحتي ان عبادة الاوثان لم تكن في نهاية الامر قاصية عن هذا الاعتقاد فكانت تجهيران الطبع الالهي متناه في العظمة والسعة حتى انه لا يمكن ان يعبر عنه بلنظة واحدة او صورة واحدة وان المشتري ومرس وجينوس والهة اخرون ليسوا الالهة واحداً تضع قوته غير المتناهية وتمثل باسماء متباينة لكنهم كانوا يحيلون الدين الى رمز لما كانوا يتصلون الى هذه التواريخ المدنسة بالالهة وتوليدهم المردول وعشتم الفاحش واعبادهم واسرارهم التي لم يكن لها اساس الالهة الخرافات الغربية . واما هذا الاله الوحيد فكان العالم والشمس والنجوم والهواء والنار والماء والتراب واجزائها المختلفة المستورة تحت اسماء الالهة او العشق فياله من ملجأ واهن ذريع فانه فضلاً عن ان هذه الخرافات كانت عنرة للجميع وكل هذه الرموز متجاوزة الحد وثقيلة قد كان لا يرى رآها الا اله واحد هو العالم باجزائه حتى صار ركن هذا الدين الطبيعة نفسها وعليه اصبحت عبادة الخلائق موضوع الخالق .

ان الاعتذارات الواهنة عن عبادة الاوثان لم تنفع لدى الفلاسفة موقع التبول وان



يكن مأخذها من فلسفة الستوسيين اما سالكس وبورفيروس فقد طلب عضداً آخر في  
 تعليم افلاطون وفيثاغوروس . وهاك كيفية موافقتها لوحدة الله مع تكاثر الالهة الذاتية  
 فكنا يقولان ليس الآلهة عظيم واثمة متناه في القدرة حتى انه لا يتنازل ان يهتم  
 بالاشياء الدينية بل انه اكتفى ان يصنع السماء والكواكب ولم يتنازل ان يصنع يده  
 على هذا العالم الخفي بل خول امره للذين تحت يده وليس الانسان صنعة يديه وان  
 يكن قد خلق ليعرفه حيث انه عرضة للوثة ولهذا يستحيل الوصول اليه لانه نادر في العلا  
 وقاص جداً عنا واما الارواح السماوية التي صنعتنا فهي كوساطة بيننا وبينه ولذلك  
 يقتضي ان نؤدي لها العبادة

وليس علينا ان ندحض تخيلات الافلاطونيين التي كانت ايضاً توحى من تلقاء  
 ذاتها لان سر المسيح كان بلاشياء من اساسها فكان هذا السريعلم البشر ان الله الذي  
 صنعهم على مثاله لا يائب منهم البتة وان كانوا يفتقرون الى وسيط فليس ذلك بسبب  
 طبعهم الذي برأه الرب كما برأ كل الاشياء بل بسبب جرائمهم التي هم انفسهم اقترفوها  
 وفضلاً عن ذلك فان اطبايعهم لا تقصهم عن الله لانه يتنازل ويتحد معهم فيصير انساناً  
 وبهم وسيطاً ليس الارواح السماوية التي يدعونها للفلسفة ابالس والكتاب المقدس  
 ملائكة بل رجلاً تشبه به القوة الالهية والطبع الانساني الضعيف ويصبح دواء  
 شافياً لدائنا

ولو كان تكبر الافلاطونيين لا يستطيع ان يتنازل الى ذل الكلمة المتجسد ولكن  
 لم يكن يجب عليهم ان يدركوا على الأقل ان الانسان قادر ان يملك الله كما للملائكة ولو  
 كان اخر منهم قليلاً وبناء عليه فان الانسان مواخ للملائكة اكثر مما هو خاضع لهم  
 ولذلك لا يقتضي ان يتعبد لهم بل يعبد معهم بالاشتراك الذي صنعهم جميعاً على مثاله  
 وان تقدمه الانسان الذبائح لغير الله لم تكن من الدناة فقط من نكران جملة  
 ولا شيء يوازي غرة الوثنيين بهذا الشأن فانهم بدلاً من ان لا يعبدوا الآلهة كانوا  
 يعبدون الابالس

ولاسيما في الاحوال التي ابدت عبادة الاوثان ضعفاً لما كانت في الورطة الشديدة وفي  
 انتهاء الاضطهادات لما تح المسيحون على بورفيروس النجاء ان يقول ان الذبائح ليست  
 من العبادة السامية فانظر الى اية درجة من الغباوة قد اتصل فانه كان يقول ان

الاله السامي له المجد لا يقبل ذبائح لان كل ما هو مادي مدينس لديه فلا يجب ان  
يبرز له وان الكلام نفسه لا يجب ان يستعمل في عبادته لان الصوت هو كشيء مادي  
بل يقتضي ان يعبد سكوتاً بأفكاره بسيطة وان اية عبادة ادبت له على خلاف هذا النمط  
غير لائقة بجلالة السامية

وعلى ذلك يتأتى ان الله كلي العظمة لا يحيط بجلاله وصف ومن اكبر الجرائر ان  
نغالي في مدحهم ودخيلة الامر ان الذبيحة ليست لله وان كانت اقراراً بخضوعنا له المتناهي  
وبسلطانه المطلق علينا ويقر بذلك صريحاً بروفوروس نفسه . اليس هذا الرأي يبطل  
الدين ويجعل ذاك الذي يعترف به انه اله الالهة عرياناً عن العبادة

فان كان هذا الامر على ذاك النمط فما هي الذبائح التي كان يقدمها الوثنيون في  
هياكلهم فكشف هذا السر بروفوروس نفسه لانه قال بوجود ارواح مدينسة مخالطة ومضرة  
وانها بسبب كبرياءهم العياء تود لو تكون كالالهة وتبعث النوع الانساني على خدمتها  
فيجب تسكينها لئلا تضرب به فتمتد من ههنا الى مسرور يسكن المراح والملاعب ومنها من  
هو منقلب الوجه بحب روائح الدهن ويتغذى من الذبائح الدموية فما يفيد دحض هذه  
القضايا المستحيلة واخيراً قد كسب المسيحيون دعواهم لانه تقرر ان الالهة البرمها التي كان  
الوثنيون يقدمون لها الذبائح هي ارواح شريرة كانت تنفي الى ذاتها الالهوية بسبب  
تكررها وبناء عليه فان عبادة الاوثان لو اعتبرت من حيث هي هي تدوانها ناتجة عن  
الجهل السخيف لكننا لو اعتبرت من مصدرها بدت كعمل متفاد من بعيد دفعت الارواح  
الشريرة الى اقصى درجة من الغلو . وذلك ما كان يزعمه المسيحيون وما كان يعلمه  
الانجيل ويشك صاحب المزامير بقوله . ان كل الهة الامم شياطين اما الرب فصنع  
السموات

فبالله من جهل وعي غربيين قام بهما الجنس البشري فان عبادة الاوثان التي  
سقطت الى دركات الضيقة وصنعت حياة بذاتها لم تخرج في حيز الوجود ولم يكن من  
منتضياتها الا ان تلبس بعض بوادي وتفسر بالفاظ رشيفة لما وقع في الاذات لكي  
تدخل في العقول وحقبة الامرائيم كانوا يعجبون من كلام بروفوروس وكان بعد  
جميلك تلميذه كرجل الهي لانه كان يستر مشاعر معلمه بالفاظ خفية وان كانت عربية  
عن المعنى خفية

وقد خدع جوليانوس المجاهد هذه البوادي وان يكن عريقاً بالمهارة وانما بنا بذلك الوثنيون انفسهم لان اولئك الفلاسفة كانوا يمدعون العالم بسحرهم الذي كانوا ينجرون بها حقيقياً او كاذباً وبزهدهم الباطل وبمغاللتهم في قشافة المعيشة حتى انهم كانوا يعدون اكل الحيوان من الجرائر الكبيرة وتطهيرهم المدقق وتعاملاتهم التي كانت تنتهي بتجملات باطلة وبكلامهم الموه بالالفاظ الرشيقه الخالية من المعاني لسكني لم انطق الى الان بركن هذه العلة ولا ريب ان قداسة العوائد المسيحية وكراهية الملذات والنواضع الذي هو ركن الدين المسيحي كانت تذكر النوع الانساني وان وصلنا الى معرفة الحقيقة بان لدينا ان الكبرياء والذائد والنساد متفردة بالدفاع عن عبادة الاوثان

ولقد كانت البيعة تسأ صلها بتعليمها وطول اناتها . واما هذه الارواح الشريرة التي لم تهرح قط تخدع البشر وتجعلهم يظنون بعبادة الاوثان لم تنس ما لها من الشهرة بل انها سببت في البيعة هذه البدع التي اوعزنا اليها فان بعضاً من محبي التنقير وبعبارة اخرى محبي الاباطيل والشغب ارادوا ان يذيعوا فيها بين المؤمنين فلم يكتفوا بهذه الحكمة المعتدلة التي اوصى المسيحيين بها الرسول بل ارادوا ان يلجوا عمى الاسرار وزعموا ان يقيسوها على افكارهم الراضية . واخذ هؤلاء الفلاسفة المحدثون يمزجون القياسات البشرية بالايمان وشرعوا يقلون مصاعب الدين المسيحي لانهم كانوا يضيفون ذرعاً عن احتمال الجنون الذي كان العالم براه في الانجيل ولهذا قد ندوا استطراداً في كل قواعد الدين اي انهم نكروا التكوين وشرعية موسى التي هي الاسس الضروري لشريعتنا والوهية يسوع المسيح ونجسده ونعمته واسراره واصبحت كل الخناثي عرضة للانقسامات المشككة فان سلس وغيره يونيوننا على هذا الانقسام . وكانت تبدو عبادة الاوثان مظنة لانها كانت تعتبر الدين المسيحي كذهب حديث فلسفي سوف يحدث له ما حدث لغيره من المذاهب لانه كان يجترى كغيره الى بدع كثيرة وكانت البيعة تبدو لديهم كعمل بشري مزعج ان يوهي بذاته وكان يستج من ذلك ان لا تنوغل في التنقير في الدين اكثر من آياتنا ولان نشرع في تغيير العالم

ان الله لم يتغافل عن يبعثه لدن بلبلة هذه البدع التي كانت تدعى انها مسيحية لانه قد اراد ان يحفظ فيها قوتهم السلطة التي لم تكن للمبتدعين فانها كانت كاثوليكية عامة وكانت تنتمل على كل الازمنة وتمتد الى كل الانحاء وكانت رسولية لان تواتر الايام والخلافة

ومنبر الوحنة واصل السلطة لم تقتصر إلا عليها فكل أولئك الذين كانوا يغادرونها كانوا قد افروا أولاً ولم يكن يمكن لهم ان يمحوا علامة تجديدهم وسمة نردم وكان الوثنيون انفسهم يعتبرونها كالفن او كالمجموع من حيث تفرعت الاجزاء او المجدع المحي الذي كانت الفروع المنفصلة تتركه على اصله واما سالس الذي كان يونب المسيعيين على انقسامهم فقد كان يرى بيعة واحدة ممتازة عن غيرها تستمر اقوى من غيرها بين الكنائس المنفصلة ولهذا كان يدعوها البيعة العظيمة لانه كان يقول ان بين المسيحين من لا يسلّم بالمخالق ولا التقليدات اليهودية وبهذا كان يشير الى المارسيونيت وما كان يقول انهم يجوزون لدى البيعة الكبيرة قبولاً ولم يتعسر على الملك اوريلانوس ان يعرف في غضون البلبلة التي سببها بولس السموزاتي الكنيسة الحقيقية التي يناط بها بيت البيعة سوى ان هذا هو محل الصلوة اوييت الاسقف فحكم بها للذين كانوا مشتركين مع اساقفة ايطالية واسقف رومية لانه كان يرى ان لفيف المسيحين مستمر كل حين في هذا الاشتراك. ولما كان الملك قونسطانس يبلبل كل البيعة كان الاضطراب الذي الفاه بسبب دفاعه عن الاربوسيين لم يمنع اميانو مرسيلينون الوثني من ان يدري ان هذا الملك كان جانفاً عن المحجة القوية المهمة للدين المسيحي البسيط والمقرر بقواعدايمانه وتهذيبه وذلك لان الكنيسة الحقيقية هي ذات جلاله واستقامة لا يمكن للمبتدعين ان يفتدوا بها او ينكسوها بل انهم كانوا يعمسون الامر يشهدون لها قسراً عن ارادتهم! فان قنسطانس الذي كان يضطهد القديس اثناسيوس المدافع عن الدين القديم كان يرغب حسب قول كيليوس في ان يحكم عليه بسلطة اسقف رومية الفاتفة كل ما سواها وكان يبين بطلب الاستناد على هذه السلطة للوثنيين انفسهم ما كان ينقص بدعته وبهذا يكرم الكنيسة التي كان الاربوسيون قد انفصلوا منها وعلى هذا كان الوثنيون يعرفون ان يميزوا الكنيسة الكاثوليكية ولو اقتضى الامر ان يطرح احدٌ لديهم سوالاً قائلاً اين مجالسها وما هم اساقفتها فلا يخطئون بجوابهم اما البدع فلم يكن يمكن لها ان تفرغت من الجهد ان تخلص من اسم مشيدها فكان السباليون والبوليانيس والاربوسيون والبلاجيانيون وغيرهم يظنون غيظاً من الانقلاب التي تعطى لم وكل ذلك كان عبثاً. اما العالم فكان ينطق بالصواب رغماً عن ارادتهم ويسمي كل بدعة باسم مبتدعها لكن نظراً الى البيعة الكبيرة اي الكنيسة الكاثوليكية الرسولية قد كان من المستحيل ان تعطى اسماً غير اسم مشيدها يسوع المسيح. وعلى هذا فرغنا

عن كل ما افرغ المبتدعون من السعي لم يمكن لم ان يواروا هذا البيعة عن الوثنيين ولذلك كانت تبسط اليهم حجراً في كل انحاء البسطة وكانوا يتقاطرون اليها سرايات. ومن الامكان ان البعض كانوا يزورون في بعض مسالك مغرفة لكنهم البيعة كانت تهد الطريق الشاسعة حيث كان اكثر الذين كانوا يطلبون المسيح يلجونها وتبين ايضاً من الاختبار انه قد من عليها بان تجمع اليها كل الامم وهي وحدها كانت هدفاً لطعن الملوك المحدثين فان اوريجانوس يثبتنا ان ليس في المبتدعين الا نزر قد اضطهدوا حباً بالايمان وبلا حظ التديس جوستينيانوس الذي كان قبله ان الاضطهاد لم يلتحق بالمسيحية والمبتدعين الآخرين لان الوثنيين لم يضطهدوا الا البيعة التي كانوا يرونها ممتدة في كل اصقاع الارض ولم يكونوا يعترفون بكيسة يسوع المسيح سواءها فاذا افترقت عنها بعض فروع فليس ذلك امراً خطيراً فانها لا تفقد اذ ذاك تضاربها بل انها تنحج الى جهة اخرى وان ما نزع عنها من الافنان طيب ثمارها وحقيقة الامراننا اذا نفرنا في تاريخ البيعة نقرر لدنيا ان كل بدعة اخذت تناصبها لتضعف قواها عوضت عن خسائرها من جهة اخرى بامتدادها خارجاً وتضاعف النور والقوى فيها داخلياً اثناء ما كانت ترى الفروع المنفصلة عنها تذوي في محلٍ منفصل لان اعمال البشر اضحلت رغباً عن الحجم الذي كان ياخذ بايديهم فدام عمل الرب وظهرت الكيسة على الاصنام والضلالة

## الفصل السابع والعشرون

في ملاحظات عامة تناط بتسلسل الدين وانطباق بعض الكتب المقدسة على البعض

ان هذه الكيسة التي تعرض دائماً للندح غير مدحورة هي كاعجوبة مستمرة وشهادة ساطعة لاحكام الرب غير المتغيرة لانها لا تزال ثابته وسط البلابل البشرية بقوة غريبة نقضي باننا نراها متصلة بيسوع المسيح بتسلسل متواصل منذ الف وسبعائة سنة اذا اخذت الخلافة عن الشعب القديم وتحد مع الانبياء والاباء وعليه توول كل هذه الجوانب المدهشة التي شاهدها العبرانيون عياناً الى تثبيت ايماننا حتى الان وان الله الذي صنعها

لتثبيت وحدته وقدرته فاي أمر كان يقتضي له لحفظها أكثر من ذلك والسندات التي  
 تبينها أخرى من أن يسلمها بين أيدي شعب برمتي والتي صار نصها حسب تسلسل  
 الاوقاف وهماك ما نجده الى الآن في اسفار العهد القديم اي الكتب المنتهية في القدمية  
 في العالم التي حفظت لنا من الآثار القديمة معرفة الله الحقيقي ونظام عبادته في هذه الكتب  
 التي رعاها اليهود باحترام ديني ولم يبرحوا يحافظون عليها الى الآن في كل اصناف البسيطة  
 افيوز لنا بعد هذه ان تثق بخرافات مؤلفي الامم الاوغاد في اصل هذا الشعب  
 الخطير على قدر قدميته وقد لاحظنا ان تاريخ نشأته وملكوته ينتهي حيث يبتدي تاريخ  
 اليونان حتى انه لامل لنا بروية امر يعضدنا على ايضاح حوادث العبرانيين . ومن  
 المقرر ان اليونان لم يعرفوا اليهود ولا دينهم الا بعد ان ترجموا اسفارهم الى لغتهم واخذوا  
 يقطنون المدائن اليونانية اي نحو مايتين او ثلاثمائة سنة قبل المسيح وان جهالة الالهة  
 كانت عظيمة جداً لدى الوثنيين حتى ان اعظم مؤلفيهم لم يكونوا يعرفون من هو اله  
 اليهود ولقد كانوا يعززون الى المنتاهين في العدل بينهم وبين الوهة السماء والعلاء حيث  
 كان اليهود يشخصون بابصارهم الى المحل الذي كانت تبدو فيه قوة الله العلية وفيه مثابة  
 عرشه وعدا ذلك فان دين اليهود كان غريباً جداً ومناقضاً لسائر الاديان وان  
 سنتهم وسببهم واعبادهم وكل اخلاقهم كانت ممتازة فنجذبوا اليهم حمد الامم الفاطنين  
 بينهم وبغضائهم وكانوا يعتبرونهم امة تاف من كل الامم وان ما فرض عليهم من  
 المحارم التي يشتركون بها مع الامم صوبت عليهم الكراهية مقدار ما يحقرهم الجميع ان  
 الاتحاد الذي كان متصلاً بينهم ومراعاهم باحترام ديني لصلاتهم بروساء ملتهم اي  
 باورشليم والهيكل والاحبار والهيئات التي كانوا يبعثون بها من كل نحو وصوب كانا  
 يعملان فيهم رية للام فضلاً عن بغضة المصريين القديمة فان هذا الشعب قد عامله  
 ملوك مصر معاملة سيئة ولم يخلص من ايديهم الا بمعجزات شتى وتبين لديك من ذلك  
 العلة التي لاجلها عكفوا على خرافات بشأن اصله . فان كلاً يذهب كما يشاء وفي هذا الامر  
 وفي تفسير احتشالاتهم التي كانت تدهش من لم يكن يعرف لها اسماً ومصدراً . وليس بخاف  
 ان اليونان كانوا ذوي مهارة في خداع نفوسهم وقد كانوا يظلمون بالهشاشة وذلك اصل  
 الخرافات التي في جوستان وناسيت وديودور الصقلي وغيرها من مؤلفات المعاصرين  
 الذين تكلموا عن اليهود . وان يكن من الامور الجلية انهم كتبوا بالاستناد على اشاعات

غير مقيمة بعد مجر اجيال شتى دون ان يعرفوا شرائعهم ودينهم وفلسفتهم ودون ان ينظروا كتبهم ولربما دون ان يتصفحوها

ومع ذلك فرغاً عن الجهالة والوثني فكان من الثابت ان شعب اليهود وحده قد عرف من بدأة اصله الله الفاطر السماء والارض وفيها بعد كان وحده مستودع الاسرار الالهية ورعاها باحترام واهية دينية زائدين لان الكتب التي كان المصريون والشعوب غيرهم يدعونها مقدسة كانت قد فقدت من زمن مديد وكانت بعض آثار لانتكاد تكون مهمة في التواريخ القديمة وان كتب الرومانيين المقدسة التي كتب اسرارها مشيد دينهم نجا انلها الرومانيون انفسهم وامر بها مجلس الشيوخ ان تحرق خشية ان تكون عائقاً على نقض الدين . وغادر هؤلاء الرومانيون السبيل مهمل وان تكن تعد عندهم منذ ايام قديمة ككتب محترمة تشتمل على نبوءات لانهم كانوا يودون ان الناس يعتقدون ان في دولتهم ما رب الالهة ومع ذلك فلم يبينوا للشعب نسخة ولا آيات بهذا الشأن بل ان اليهود وحدهم رعا كتبهم التي كانت معروفة وقد انبطت بهم رعاية اثار ديانتهم الاصلية دون سائر الشعوب القديمة وان تكن هذه الآثار مفعمة من ذكرى مجدهم وخيانتهم وخيانة آبائهم ايضاً واستمر هذه الشعب على وجه البسيطة ليأتي سائر الامم حيث نشعت بتسلسل دينه والعجائب والنبوءات التي تجعله غير مزعزع

فلما اتى يسوع المسيح وبعث به ابوه يتم مواعيد السنة ثبت ارساليته وارسالية تلاميذه بمعجزات جديدة تقيدت بهذا التدقيق عينه لان هذه الاعمال ذاعت في كل الارض . ومقتضيات الزمان والاشخاص والحال قضت بان يكون البحث عنها سهلاً على كل من اهتم بنجاة نفسه لان العالم قد فحص وامن وكل من تحرى الامور ونظر في اثار البيعة ولو قليلاً اذعن انه لم يحكم قط على قضية باكثر ثمن واكثر معرفة

لكنما يوجد في الاتصال الذي بين الهدين فرق يقتضي ملاحظته وهوان الكتب القديمة قد كسبت في ازمان متباينة ودليل ذلك ان اسفار موسى تختلف عن اسفار يشوع والقضاة وعن اسفار الملوك ايضاً لان الاسفار التي تنبي عن فتوحهم الارض المقدسة ومكثهم فيها بمعجزات بادية . ولكي يظهر الرب على خيانة شعب عاكف على الحواس تناول عدداً من الاجيال حيث وزع معجزاته ونبوءاته ليحدد مراراً الشهادات البادية التي كان بها يثبت حقائقه المقدسة . اما في العهد الجديد فقد اتبع طريقة اخرى لانه لم يكن

يريد ان يوحى بشيء جديد الى البيعة بعد يسوع المسيح لان فيه الكمال والتمام ولهذا  
كتب في ايام الرسل كل الكتب المقدسة التي الفت في العهد الجديد

اي ان شهادة يسوع المسيح واولئك الذين اراد ان يصطنعهم كشيود انبعاثو من  
الموت كافية لدى الكنيسة المسيحية وكل امر طراً بعد ذلك كان آيلاً لتشيدها لكنها  
لم تعتبر كموحى من الله الا ما كتبه الرسل او ما اثبتوه بسلطانهم . اما في الفرق نفسه  
التمام بين كتب العهدين فقد راعى الرب دائماً هذا النظام وهو ان تكتب الحوادث في  
وقت حدوثها في الان الذي يذيع فيه ذكرها . وعلى ذلك فكل اولئك الذين كانوا  
يعرفونها كتبوها والذين لم يكونوا يعرفونها اعتمدوا الكتب التي تضمنها وتشهد بها  
وسلوها طراً لاختلافهم معتبرينها حوادث ثمينة فراعوا الاختلاف حرمتها كل الرعاية

وبذلك تألف مجموع الكتب المقدسة في العهدين الجديد والقديم واعتبرت هذه  
الكتب من البدء كحقيقة لكل امر معطاة من لدن الله نفسه ولهذا استخنت كل ذاك  
الاعشاء واعتقد ان من غير منها او حرف كان كافراً فظيماً وعليه انصلت البنا وهي لاثزال  
محرمة غير متغيرة او بتقليدات اليهود الثابتة او بتقليدات المسيحيين الصحيحة والوثوق بها  
مفرراً لانها تثبت بدماء الذين كتبوها وباشهادهم واشهاد الذين قبلوها

ان القديس اوغسطينوس وغيره من الانبياء يسألون عن المسند الذي به تنسب  
الكتب الدنوية لازمة مفرقة ومولفين محققين فكل يجيب على الفور ان الكتب  
تماز بالمناسبات المختلفة بالشرائع والعوائد وتواريخ بعض الازمنة الخاصة والمولفين الخصوصيين  
وفضلاً عن ذلك بالاستناد على الشهادة العامة والتقليدات الثابتة فكل هذه الوسائل  
تحد لتقرر حقيقة الكتب المقدسة وتميز اوقاتها وتبين مولفاتها وان ما بذلوا من الجهد  
لحفظها على كيانها هو مقدار ما يكون التقليد الذي ابقاها لنا دون ريبه وبناء عليه لم يكن  
ذلك معروفاً فقط لدى الكاثوليك بل ايضاً لدى المبتدعين انفسهم ولدى غير المومنين  
لان موسى لم يفتأ يعتبر في كل الشرق ثم في العالم قاطبة انه مشرع اليهود ومولف الكتب  
التي نعزى اليه وان السحرة الذين اخذوها من عشرة الاسباط المنفصلة رعوها بكل احترام  
ديني كاليهود انفسهم وان تقليداتهم وتاريخهم في غاية التقرير بذلك الشأن وان شئت  
تتبع كل التسلسل فعليك بمراجعة بعض فقرات من الجزء الاول

وان هذين الشعبين المتناقضين لم يخلق احدهم منها الكتب الالهية بل انهما كليهما



اخذها من اصل واحد اي مند ايام سليمان وداود وان الاحرف العبرانية القديمة التي حفظها السمرة الى الان تدل على انهم لم يتبعوا عزرا الذي غيرها وبناء عليه خمسة اسفار السمرة وخمسة اسفار اليهود في نسخ اصلية كاملة لا تتعلق البعض منها بالبعض الاخر والمطابقة الكنية التي تبدو في جوهر المتن بين استقامة الشيعين اللذين اصبحا شاعدين عادلين متفقين بالشهادة دون ارتباط او بالاحرى انهما يتفقان قسراً عن عداوتها وان التقليد الوثيق وحده غير المتغير يوفق بينهما بفكر واحد وان الذين شاوروا ان يتنولوا وان لم يكن لقولهم من سندان هذه الكتب قد فقدت اولم توجد قط او صححت او تلفت حديثاً او غيرها عزرا ففضلاً عن ان عزرا نفسه يكذبهم فتدحض دعواهم ايضاً خمسة اسفار موسى التي لم تزل الى الان بين ايدي السمرة واطلع عليها في بداية اجبال الكنيصة اوسايوس القيصري والقديس ابرونيوس ومولفوا البيعة الآخرون وهي لم تزل على ما كانت عليه في بداية الامر. ويبدو ان هذه الشيعة الحفيرة لم تكن زمناً مديداً على هذا المتوال الا لتوهم شهادة لتدسية موسى

وان المؤلفين الذين كتبوا الاناجيل الاربعة لم يحصلوا على شهادة اقل من رضى المؤمنين وغير المؤمنين والمبتدعين بالاتفاق لان هؤلاء الامم الكثيرة العدد والمختلفي الاجناس ترجوا هذه الكتب الالهية حالاً بعد ان سطرت فجميعهم يتفقون على ما يناط بتاريخها ومولفها وان الوثنيين لم يناقضوا هذا التقليد لاساس الذي ندد فيها نحو بداية الدين المسيحي ولا جوليانوس المجاهد وان لم يكن يجهل شيئاً عما يشبههم كما انه لم يجهل شيئاً من ذلك الامر ولم يرتب احد من الوثنيين في حقيفة هذه الكتب بل انهم نسبوا اليها المؤلفين الذي نسبهم المسيحيون ولم يجتري المبتدعون انفسهم ان يزعموا انها ليست من تلامذة المسيح وان كانت سلطنتها تثقل عليهم. ودخيلة الامر ان قد كان يوجد عديد وافر من هؤلاء المشيعيين وقت بداية البيعة وقد سطرت الكتب المقدسة اراهم اعينهم وبناء عليه فلو كان يرى خداع بهذا الشأن لكان انكشف عن مفرقة وما كان نال نجاحاً

ولا ريب ان قد اجترأ مارسيوس وماسس اوفج المبتدعين طراً ان يتنولوا بعد مجيء الرسل حين كانت البيعة تمتد في كل اطراف الارض ان ثلاثة الاناجيل مصنوعة دون صحة وان انجيل القديس لوقا الذي كانا يوثرائه على غيره دون ابراز علة لذلك مزور

وهذا الرأي مناقض لتقليد الرسل الذي فناه تلاميذهم وإساقفة الذين خلفوهم في مناصبهم ولعمل الشعوب وقد قبلت البيعة كلها هذا التقليد مجمعة عليه

ولكن على أي رأي كانا يستندان فلا ريب أن استنادهم كان على روى وهمية لا على حوادث مفررة فكلمنا كانا يقولان أن كل ما هو مناقض لأربابنا لا بد أن يكون مثلثاً اختلافاً من غير الرسل وكما يوردان كنجية قاطعة لزعمها نفس أربابنا المنكرة عليها هذه الآراء نفسها كانت مناقضة للصواب حتى أنه لم يعلم كيف انما ولجت عقولاً بشرية . ولكي يمكن الريب في امانة البيعة كان يقتضي عرض نسخ أصلية تخالف نسخ الكنيسة أو إيراد أدلة قاطعة يعتمد عليها ولما شل هذان الأرتيكيان وتلاميذها أن يقدموا مثل هذه البراهين افهموا جواباً وإدوا سكوتاً ومن نفس سكوتهم تبين صريحاً أن لم يكن بوجود في القرن الثاني للكنيسة إذ كانا يكتبان أقل دلائل على كذب الأسفار المقدسة أو تزويرها ولا ضعف قرينة تخالف تقليد البيعة

وماذا الذي نقوله في اتفاق الكتب المقدسة والشهادة العجيبة الناطقة التي تودعها أزمته شعب الرب بعضها لبعض فإن أوقات الهيكل الثاني تقتضى أوقات الهيكل الأول وأنودنا إلى سليمان ونبتشنا أن السلم لم تنأى إلا بعد احتدام الحرب ويوصلنا فتوح شعب الرب إلى النضاة ويشوع والخروج من مصر وعندما نلاحظ كيفية خروج شعب بره من بلاد كان فيها غريباً تذكر كيفية دخوله إليها ثم تذكر الاثني عشر أباً وتصورنا أن هذا الشعب الذي لم يكن يعتبر نفسه إلا كمائلة واحدة يقودنا إلى إبراهيم الذي كان أصل هذه الأمة طراً . ليست شعري هل تماهت هذا الشعب على الهداية ولم يعكف على عبادة الأوثان بعد إياي من بابل فذلك مفعول العناب الذي صوته عليه جرائرة وإن كان يتفخر بأنه رأى في غضون اجيال شتى معجزات شتى لم يكن لشعب سواه أن ينظرها فيمكن له أيضاً أن يتفخر أنه كان منفرداً بمعرفة الله .

فعلى ماذا تدل الخيانة وعبد المظال والنصح وغيره من الاعياد التي كان الشعب يحتفلها منذ الزمان القديم اليس على ما هو منتهى عمة في كتاب موسى وهل يمكن أن يكون شعب ممتاز عن غيره من الشعوب بديك وسجاياه الخاصة وقد رعى منذ البدء تعالماً سامياً ومتابعاً وذكر أحياً في تسلسل الحوادث المرتبطة طبعا وفي الاحتفالات المنظمة

والعوائد العامة مستنداً بذلك على مبادئ التكوين والايمان بالعناية الربانية فهل يمكن  
شعب مثل هذا ان يكون دون تاريخ بنبي عن اصل نشأته ودون سنة تقيده عاداته ملك  
الف سنة مكث فيها في مملكة واحدة وهل يحتمل ان عزرا شرع على الفور يفرض عليه  
باسم موسى تاريخ اثاره القديمة والسنة التي دتمت اخلاقه وذلك بعد ان اصبح اسيراً  
وشاهد استئصال مملكته فليت شعري اية حكاية تنأى عن الصواب اكثر من هذه في  
هذا الافتراض ومن يمكن له ان يعتقد بذلك دون ان يكون جاهلاً جاحداً فلمكي يمكن  
فقد هذه الشريعة بعد ان اعطياها هذا الشعب كان من المنتضي استئصال هذه الامة او  
ان يكون طراً عليها تغيرات عديدة ومختلفة حتى تشوش معرفتها باصاها ودبنها وعوائدها  
فان كانت هذه البلوى قد حلت في شعب اليهود وان ستهم المعروفة صريحاً على  
عهد صدقيا قد فقدت ستم عاماً بعد هذا الملك رغماً عن اعتناء حزقيال وارمياو باروخ  
ودانيال الذين كانوا دائماً يستمدون عليها بمنزلة ركن قوي للدين وسياسة شعهم فاذا  
فرضنا ان هذه السنة قد فقدت قسراً عن هؤلاء الصديقين وغيرهم وفي الوقت نفسه  
الذي كان كثيرون فيه بنالون اكليل الشهادة حياً بهذه الشريعة كما تبين ذلك من  
الاضطهادات التي المت بدانيال والنبية الثلاثة فان كانت فقدت بوقت وجيز كهذا  
رغماً عن كل من ذكر واصبحت هكذا مضروباً عليها سحاف النسيان وان عزرا تصرف  
بها حسب ميله وهواه فيكون قد التزم ان لا يواف سفرأ واحداً فقط بل كان يلزمه  
ان يوافق في الوقت نفسه كل كتب الانبياء الاقدمين والمحدثين اي الذين كتبوا  
قبل السبي وبعده وفي مدته وكتب الذين قد شاهدوا الشعب يكتبون واسفار  
الذين كان الشعب يعي ذكرهم وكتب الانبياء فقط بل كتب سليمان ومزمير  
داود وكل اسفار التاريخ لانه لا يكاد يوجد في كل هذا التاريخ حادث خطير او  
فصل واحد من الكتب يمكن ثبوته اذا فصلناه عن اسفار موسى فان كل الاسفار  
تشكم عن موسى وكل ما فيها موسس على ما كتبه موسى ولا يمكن ان يكون بخلاف ذلك  
لان موسى وشريعته والتاريخ الذي كتبه هو الاساس والعماد في اعمال شعب اليهود  
ونظامه العام والخاص فيكون على عزرا مشروع غريب وحديث في العالم بان  
يورد اشخاصاً كثيرين يتكلمون بالاساليب وانواع مختلفة وكل منهم يتكلم بما يكون  
مطابقاً للآخر ويبعث شعباً برومته على ان يعتقد على الفور ان هذه الاسفار

هي الاسفار القديمة التي كان يودي لها احتراماً والمجدبة التي شاهد من نصها وذلك كانه لم يكن قط بسامع شيئاً وان معرفة الازمنة الحالية والغايبة الغيت فجأة . فهذه هي المعجزات التي يندب ان يعلم بها من لا يعلم بعجائب الرب ولا يقبل الشهادة التي تقرر بها انه قد قيل عن شعب برمتوانه قد نظرها بعينيه .

ولكن فان كان هذا الشعب لدن ابايو من بابل الى ارض آباءو جديداً بمقدار كذا وجاهلاً حتى انه كان لا يكاد يتذكر وجوده لانه قبل دون فخص كل ما شاء عزرا ان يسئله فكيف نرى في الكتاب الذي توخى عزرا كتابته كلها وفي كتاب نخبها معاصره كل ما يقوله في الكتب المقدسة . ومن ذا الذي كان يمكن له ان يجمعها يتكلمان عن شريعة موسى في محال متباينة علانية كان ذلك امر معروف لدى الجميع . وكان الكل يتداولون هذه الاسفار ولقد كانت في وسعها ان يرتبوا الاعياد والذبايح والاحتفالات وصورة المشيد ثانية والذبيحة والنظام وقصارى الامر ان كل شيء كان يتم لدن قولها حسبما نص في شريعة موسى عبد الرب

واما عزرا فيدعي في الكتاب كعلم في الشريعة حبا الرب اسرئيل به بواسطة موسى وذلك بهو حب هذه الشريعة والتواين التي كانت على يده وامره ارتخششتا ان يزور الشعب ويرتبه ويصلح اموره ومن ذلك يتأتى ان الامم انفسهم كانوا يعرفون شريعة موسى بانها شريعة لكل الشعب وكان كل علمائو يعتبرون هذه الشريعة كل آن انها قاعدت لا عالم ودستور لهم لان الكهنة واللاويين مبددون في المداين وترتبت وظائفهم ومراتبهم اتناً حسبما نص في شريعة موسى وان كل الشعب يندم تائباً فذلك لسبب انه مبدع الشريعة وان كان يحدد الهدى مع الرب بتوقيع خاص من قبيل كل الأشخاص فذلك بالتوكوه على الشريعة عينا التي كانت تلى لهذا السبب علانية بكل صراحة صباحاً ومساءً مدة ايام حجة امام كل الشعب الذي كان يلثم ليصبح لمنطوقها وهو يعتبرها كشرية آباءو . وكان العديد الاوفر من الرجال والنساء يسمعون القراءة ويعرفون التواين التي تعلموها منذ نعومة اظفارهم فاذا كيف امكن لعزرا ان يتلو امام كل شعب كتاباً معروفاً وهو نفسه الله ورتبه حسب هواه ولم يعثره احد على ادنى وصية او تحريف او تصحيف فانهم كانوا يتلون تاريخ كل الاجيال الماضية مبتدئاً من سفر التكوين ومنتهاً في عصرهم وكان الشعب الذي اراج عن عاتو مراراً حجة نير هذه

الشرعة بفعل هذا الشعب الثقيل دون معارضة لانه سير الامور بان احقاره لهذه  
الشرعة جذب اليه كل اصناف المشاق التي كان يتكدها لانه منع الرباء حسب نص  
الشرعة وذكر النافذ وجل ما كان قد عند للشرعة ولم يبد احد نحيه مقاومة فلو قدر  
ان هذه الشرعة تكن في حيز الوجود او كانت منسية لما رأيت شعباً من النطرة الانسانية  
يسعى بموجبها من مجرد طبعه

وان كان هذا الشعب يرمو بصنح ليلكلام حي وذكر يا ولجنا الذين كانوا وقتئذ  
يتنبئون وانتداه بالانبياء سلفهم لم يكونوا يذكرون الا موسى وشرعة الرب التي اعطاه  
ايها على جبل خوريب وذلك امر معروف في كل الازمنة وشعبة الامة . وان لم يكن  
ذلك كذلك فاذا يقال في هذا الزمن عيبه لدن انتفاء هذا الشعب بانه قد اعتجب من  
تقيم نبوة ارميا في ملك الببي سبعين عاماً فكيف اصبح سفر ارميا الذي صنعه عزرا او غيره  
من الانبياء بوجه نبوة يعين التصديق . فباية جديدة يمكن له ان يقع شعباً يرمو بالشيوخ  
الذين كانوا قد نظروا ولم لا يزالون منتظرين انتادهم العجيب الذي انذرهم عنه في  
كتبه او قد راها ان عزرا ونحوها لم يكتبها تاريخ عصرها بل كتبها باسمها مؤلف آخر  
وان بالذين قد صنفوا كل اشعار العهد القديم وما تلا من الاجيال عضد لها حتى ان  
مزورين آخرين قد غشروا لها تاريخاً ليقروا ما اختلفوا من التزوير

وما تلك الاحافة تبعث على التجل قبل لا من ان نقول ان عزرا ابرز الى الوجود فيورا  
كل هذه الاسفار الجبائية عن بعضها نقاشاً وزماناً يقولون انه ادخل اليها العجائب والنبوات  
التي تقرى الناس بان تعتبرها الامة فتكون هذه الضلالة اشر من الاولى لان  
هذه العجائب والنبوات هي مشقة بمقدار كذا في كل الاسفار ومكررة ومنهقة بعبارات  
مختلفة كثيرة الاستعارات عظيمة الوقع وباجاز القول انها داخلة ضمن الاسفار فكذا  
معتبرين ان يقتضي ان لا يكونوا قد تصفوها انه لا سهل عليهم ان ياتوا بها بضمها بان  
بضمونها اموراً لا يود المحدثون ان يروها فيها ولو منحوا كل ما يطلبونه فكل ما فيها عجيب  
والافري ركن الكتب المقدسة حتى انها تدوم قمرأ عن اكل اجتهاد . ولو قدرنا ان  
عزرا اضاف بعد الحادث النبوات الى ما كان قد حدث في زمانه فمن يكون اذ ذاك  
قد اضاف الحوادث التي تمت فيما بعد على عهد اشيوخوس والمكابيين وغيرهم وهل  
من الممكن ان يكون الله قد من على عزرا بروح النبوة حتى يظهر خداه مضاهياً للحن

وعلى ذلك يؤثرون ان يكون ذلك تزويراً على ان يكون قام به اشعيا او ارميا او دانيال  
او ان كل جيل كان منطوياً على مزور ذي سعادة يصيغ اليه كل الشعب ومزورين  
قد يبين يكونون قد اتخاؤا الى الكتب المقدسة محبة في الدين حتى انه بعد ان يكون  
القانون قد تم وتكون الكتب قد انتشرت في كل الارض بين اليهود وترجمت الى كل  
اللغات الاجنبية يكون ذلك لندار الدين في سبيل الغيرة على تفيده. فكل من الممكن  
ان شعباً برغمه يستعج دون عناية بكل ما يقتضيه الهياً سواء كان اعتقاده بذلك خطأ او  
صواباً وهل يتأتى ان احداً يمكن له ان يفتح المسيحيين او المسلمين ان يضيفوا الى الانجيل  
او القرآن فصلاً واحداً وربما ان اليهود كانوا يساهلون بمثل ذلك اكثر من غيرهم  
او انهم كانوا لا يحترمون كتبهم المقدسة كغيرهم. فيما لها من آراء خاملة تنسبت بها لما  
نشأ ان تلقى عن عوانتنا نهر السلطة الالهية ولا ترتاب حواسنا واخلقنا الا بعقلنا الضال

## الفصل الثامن والعشرون

في ان المصاعب التي يتخيلونها للكتاب المقدس يسهل دحضها  
لدى ذوي العقول الثاقبة

ليس من دأبك ان تقول ان البحث في هذه الامور صعب لانه لو كان صعباً  
لاقتضى ان نسلم اما بسلطة الكنيسة او بالتقليد المتواتر منذ اجيال عديدة او تنكس فاحصين  
الى النهاية ولا نتكر اننا نتملص عن هذا التفسير لدى قولنا ان يستلزم وقت تكرر أكثر  
عما نريد خلاص نفوسنا وذخيلة الأمر انه بدون ان نقلب بعناء عظيم كتب العهدين  
بنقضي ان ترى رسائل القديس بولس الحجة البديعة الحاوية سائر حوادث الوقت  
والاشغال والحركات التي تمت وقتئذ والتي لها صفات خاصة ولا ريب ان هذه  
الرسائل التي كانت مقبولة في الكتابين التي ارسلت اليها قد انبثت في غيرهما من  
الكتائب فذه وحدها تكفي لتفنع العقول المستقيمة ان كل شيء حق في الكتب  
المقدسة التي سلمها اليها الرسل.

وعلى هذا نرى ان بعض هذه الكتب يقوم بتناصر البعض منها لان اعمال الرسل

تأبئة للأجيل وتقدرة طبعاً رسالاتهم ولكن فلكي يكون كل شيء بالمطابقة تستلزم  
 أعمال الرسل والرسائل والأجيل في كل مصر كتب اليهود القديمة لأن القديس  
 بولس وغيره من الرسل يستشهدون دائماً بقول موسى وما كتبه وما قاله الأنبياء أو كتبوه  
 بعده لأن يسوع المسيح يستشهد بموسى والأنبياء والمزامير معتبراً أنها شهادات للحقيقة عينها.  
 ومتى أراد أن ينسر أسرارهم يتحدى بموسى والأنبياء وأذ يقول لليهود أن موسى كتب عنه  
 يحمل ما هو أكثر تحقيقاً لديهم أساساً وبذلك يقودهم إلى جرثومة تقليداتهم . ومع هذا كما  
 قلنا سابقاً الآن لننتف على ما يفترضون هذه الشهادة المعروفة وما هو مقبول لدى كل  
 الأجيال إذ لا يجب أن نؤمن أقوالهم بحجة قدمية هذه الأسفار لأنهم اجترأوا في إيماننا أن  
 ينسروا تعاليم في كل اللغات ضد الكتب المقدسة ، فإذا الذي يتعدونه ليثبتوا ابتداء  
 الأسفار الخمسة وما ذا الذي يفترضون به هذا التقليد الذي مضى عليه ثلاثة آلاف من  
 الأعوام وليس له من عضده سوى قوته الخاصة . ويؤخذ من تواتر الأمور أن لا شيء من  
 أقوالهم متتابع ولا شيء لديهم محقق ولا خطير بل ما يفهمون به بشأن التعداد والحال  
 والأسماء كآلة أو هام وأن هذه الملاحظات التي لا تعتبر في أي موضوع كان كمدخلات  
 باطلة ليس لها قوة نشين بها جوهر الأمور فإنها تلغ البنا ببراهين قاطعة ضد أشياء  
 متناهية في الأهمية . يزعمون أن قد يوجد صعوبات عظيمة في تاريخ الكتب المقدسة  
 صعوبات لا تبرز إلى الوجود لو كان الكتاب غير قديم أو قام بأعباء رجل ماهر  
 حصيف كما يقولون وكذلك أن هذه الصعوبات لم تكن لو كان الشعب الذي نقله البنا  
 غير مدقق في رعايته على كيانه ولو كانت له الحرية في تذليل صعابه وعدا ذلك فيه  
 الصعوبات التي تقيم من طول الزمان إذ تغبر الحال بالنظر إلى أسماها وأحوالها والتواريخ  
 تكون قد تناسلت ولم تعد توارى العيال تعرف ولم تصح الأغلاط المتأناة من النسخ المهمة  
 أو أن بعض حوادث نسبها النوع الإنساني بقي بعدها الأبيهام في جزء من التاريخ ولكن  
 هذا الأبيهام هو في تسلسل الأمور أو في ركبها فكلاً فكل الحوادث متناسلة وإن ما هو مهم  
 يفيد قدمية الكتب المقدسة وجوب تأدية الاحترام لها

يقولون أن قد يوجد تغيير في النص لأن الترجمات القديمة لا تنطبق على بعضها  
 وإن النسخة العبرانية عينها فيها منافية بين بعض فقراتها في حال شتى وإن نسخة السمرق  
 تختلف أيضاً في مواضع عديدة عن نسخة اليهود عدا الكلمة التي يسمونها بتغييرها

عمداً بشأن هيكلهم على جبل غريزيم والذي يستعجونه من ذلك هو ان اليهود او عزرا  
 يكونون قد زوروا خمسة اسفار موسى بعد الايات من السبي فكان من المنتضى ان تكون  
 النتيجة عكس ذلك لان الاختلاف الذي في النسخة السامرية يفيد تثبيت ما قد قررناه  
 وهو ان نسخهم لا علاقة لها بنسخة اليهود ولا يمكننا ان نتصور ان هؤلاء المنفصلين قد  
 اتخذوا شيئاً عن اليهود وعزرا اذ نراه بالعكس لم يخلفوا الا بقصة لليهود وعزرا والله  
 من الهيكل الاول والثاني روايتهم بشأن غريزيم ومن ذا الذي لا يرى انه لو صح زعم  
 الملحدين لكان هؤلاء المنفصلون انهم واليهود باخلاق الكتب ولم يتبعوهم لكن هؤلاء  
 المتمردين الذين رفضوا عزرا وكل الانبياء وهيكل اليهود الذي شاده سليمان واعده  
 داود وعين محله فماذا يجزمون في خمسة اسفار موسى الا قدميتها السابقة عزرا والانبياء  
 وسليمان وداود القديمة المجمعة عليها الايمان اليهودية والسامرية فما اعز سلطة موسى وما  
 اقوى حقيقتة اسفاره الخمسة التي بدلاً من ان ترعرعها الاعتراضات تثبتها بقوة عظيمة  
 كذلك نقول من ابن هذا التباين في النصوص والترجمات المتنوعة لعمرى انه لا  
 يتبقى الا من قدمية الكتاب نفسه وكيف اتصلت سلامة الذي تداولته ابادي الناسخين  
 منذ اجيال حجة واللغة الذي كتب بها بطلت ان تكون مستعملة ولندع هذه المنازعات  
 الباطلة ونبت الجدال بكلمة واحدة وهي فليقل لى اى شاء ما ذا يتبع من كل هذه الترجمات  
 ومن كل المان الا الشرايع نفسها والمعجزات عينها والنبوءات نفسها ونسلسل تاريخ نفسه  
 وتعليم واحد بعينه وقصاري الامر جوهر واحد نفسه . وساء عليه فما هو الضرر الناجم  
 من اختلاف النصوص وما الذي يهنا سوى ثبات هذه المكتب المقدسة وما ذا الذي  
 يمكن لنا ان نطلبه من الحكمة والعناية الصمدانية اكثر من ذلك .

واما من قبيل الترجمات فهل من سمات التزوير والحدوثية كون لغة الكتاب  
 المقدس قديمة بهذا المقدار حتى اننا لا نستجلى دقايقها ولا يمكن لنا ان نعبر عنها بنصاحة  
 او بلاغة او بكل الثوة او التدقيق الواجب لا لعمرى بل ان كل ذلك بينة وضيفة على  
 قدمية الكتاب ومن شاء ان ينقر في الامور الخفية فليقل لنا هل يمكن له ان يثبت  
 بالبرهان او بالتقدير احد المشاكل التي براما في بعض فقرات فلا اعتماد بذلك على  
 صحة النسخ وبما ان التفايد لم يدع التعليم الوثيق يتعرض للفساد فان وجدت اغلاط  
 اخرى فتنبذ البرهان على انه لم يكن احد يحدد شيئاً بهذه الكتب بروحه الخاص



وعليه فاليك قوة الاعتراض الم يصف شيء الى ما نصه موسى فمن اين  
يتأتى ان نرى قصة موته في آخر السفر الذي يعزى اليه والجواب اى عجب  
من ان الذين اتفقوا تاريخه اضافوا قصة موته السعيد الى كل اعماله لكي يجرزوا من  
الكل مجموعاً واحداً

ولننظر في الاضافات الأخرى فاحصين اهي سنة جديدة أم طمس حديث أم  
قاعدة للايمان أم عجيبة أم نوبة فما من احد افكر بزيادة شيء من ذلك ولا يوجد شيء  
بجملنا على الظن به ولا شيء بدلتنا البتة لان هذه الاضافة تكون قد ضمت الى  
عمل الرب والشرعية حرمت ذلك ومن يكن قد صنع ذاك فلا رية ان يكون  
سبب عثرة رائئة فماذا نقول اذا فيمكن ان يكونوا قد اتفقوا تاريخ نسبة باسحق او  
انهم اوضحوا اسم مدينة حرف لحوادث الزمان ومن ذلك انهم قرروا الوقت الذي  
بطل المن السماوي بعد ان افتات منه الشعب اربعين عاماً لان هذا الحادث أثبت  
في سفر آخر هو سفر يشوع فعانت عليه الملاحظة في سفر موسى فمكت حادثاً  
مقرراً ومشهوراً لدى كل الشعب . وبوجد اربع او خمس ملاحظات او حواشي على  
هذا النمط مأخوذة عن سفر يشوع او صموئيل او بعض الانبياء الاقدمين وبما ان هذه  
الملاحظات او الحواشي لا تشير الا الى حوادث معروفة لدى العامة وليس بالتسليم بها  
من خصوبة فلا عجب من ان تكون قد أثبتت في المتن ووصلت اليها بالتقليد مع غيرها  
فلا يبقى اعتراض مع ذلك لا يتفكرون عن اعمام عزرا وان تكن النسخة السامرية تبين  
لنا ان هذه الملاحظات ذات قدمية تفوق قدميته وقدمية انشاق الاسباط العشرة فلا  
يعبأون بذلك بل يعززون في اية حالة كانت كل امر الى

وان كانت هذه الملاحظات علنت في جبل اقدم فاسفار موسى الخمسة تكون  
اكثر قدمية وتزداد رعاية الحرمة لهذا الكتاب المقرر للملاحظات نفسها بقدمية متنامية ثم  
على هذا يكون عزرا قد كتب كل شيء ولكن ذهب من فاعركه ان قصده ان يجعل  
موسى ينكم ويكرن جعله يكتب بكل خشونة اموراً لم تتم الا بعده وعلى ذلك ايضاً يعود  
لازماً ان نقول ان كل التأليف مختلق ومزور بسبب زيادة عبارة عليه وان شهادة كل  
الاجيال والتسليم العام به لا تجديه شيئاً من المنفعة . والامر بالعكس فان هذه  
الملاحظات التي يستندون عليها هي براهين جديدة على حقيقة الاسفار ولصدق اولئك الذين

قاموا بها وللذين تفلوها وهل حكم بذلك على تفتيق كتاب كان  
بالاستناد على براهين ضعيفة ولم يكن ذلك إلا لأن هذا الكتاب هو عدو الجنس  
البشري لانه يفسر البشر على ان يرضخوا لمقاصد الرب ويقمع ايضا شهادتهم غير المنظمة  
فبناء عليه يقتضي محوه في اي وجه كان ويلزم تفتيقه لراحة النساد البشري

ولا تخال أن الكفر يتأتى دون عوزة في كل هذه الامور المستحيلة التي شاهدها  
قد خابرها وانما تنكر على موسى والانبيا المعروفين اسفارهم رغما بيشة النوع الانساني  
وكل قواعد العقل السليم وتجد تاريخهم لأن له منعولا عظيما في هذه المادة لامين وهما ان  
هذه الاسفار ممتلئة من كل هذه الحوادث العجيبة المزدانة بكل ظروفها الخاصة والمعروفة  
بانها حوادث ذاتة وجازية فاذا امكن تكذيبها سهل نكرانها والحكم باضجلاها ولولم  
تؤكدا على ذاتها لكانت همت من زمان مديد بذاتها ثم بعد ان ثبت تاريخها لا يبق  
امكان لانقضاء العلامة الثابتة التي تدل على الروحي الالهي الذي آثاره في أكثرها ولا  
ينكر تسلسل النبوات الشهيرة التي تكثر فيها

ولكني يحجبها هذه الاعاجيب وهذه النبوات فكف الكفار على الامور المستحيلة التي  
يعتقونها على الدهشة ولكن لا يجب ان يخالوا انهم بذلك تخلصوا من ايدي الرب لانه  
انقضى لاسفارهم المنديسة دلالة الهية ليس من الممكن انزالها وهي العلاقة بين المهدين . ولا  
رب ان ليس من احد ينكر ان كل العهد القديم كتب قبل المجدد وانه ليس هنا عزرا  
اخر يحمل اليهود على ان يخترعوا او يزورا كتبهم المقدسة لفائدة المسيحيين الذين يضطهدونهم  
ولسنا نحتاج الى حجة اخرى . وشيئين من تواصل المهدين ان كتبها من الوحي الالهي لان لها  
مقصدا واحدا وتسليما واحدا فان احدها بعد الطريق والكمال والاخر يظهرها ويوضحها  
واحدها يشيد الاساس والاخر يتم البناء وقصاري الامرات احدها يتبأ عما يديه  
الاخر كاملا ومصنوعا وبذلك نرى كل الازمنة مرتبطة ببعضها وشيئين لنا من هذا  
التسلسل ما رب الهى وان تقليد اليهود والمسيحيين لا يتأتى منها الا دين واحد وان  
اسفار المهدين ليسا الا مجموعا واحدا وكتابا واحدا

## الفصل التاسع والعشرون

في وسيلة سهلة للتزقي الى اصل الدين والوقوف على كنهه

ان هذا كله يضح لدى كل من يعبرها جانباً من الانتباه ولكن بما ان كل العقول ليست بقادرة ان تتزقي هذا القياس فلنقد العقول الواهنة قيادة بدوية لنوصلها رويداً رويداً الى الاصل

فليعتبر الناس الشرائع المسيحية من جهة والشرائع اليهودية من اخرى ويتطلبوا اسمها ويباشروا ما آتوا عليه من الشرائع المسيحية وينظروا بالتدقيق الى القوانين التي تترتب عليها اخلافنا ويلاحظوا كتبنا المقدسة اي الاناجيل الاربعة واعمال الرسل والرسائل الكاثوليكية ورموز القديس يوحنا والاسرار والذبيحة والعبادة ومن الاسرار سر العباد حيث يرى نكريس الانسان باسم الثالث الاقدس والافخار يستنبا اي السر الموضوع لمفظ تذكار موت المسيح ومغفرة الخطايا المتعلقة بها وتدير البيعة المسيحية عموماً والبيع خصوصاً والاساقفة والكهنة والشماسة الذين دعي بهم للقيام باعباء سياستها . وكل هذه الامور الحديثة المفردة العامة لا بد لها من اصل ولكن ما هو اصلها وابتدائها ايكون ذلك غير يسوع المسيح وتلاميذه لاننا اذا تدرجنا من جبل الى اخر رأينا ذلك فيه لا في جبل . قبله وتكون هذه الامور قد ابتدأت مشفوعة ببداة الاسم المسيحي فاذا قرر ان لنا معبودية واغخارستيا وكل ما ذكر فالواضح لذلك لا بد من ان يكون المسيح وهو الذي من على تلاميذه بارتقاء الدرجات وذكر اعماله واسطة نعمته . وان كل الاسفار المقدسة كتبت برمتها من عهد الرسل لا قبل ولا بعد وتفرع منها اصول السلطة الاستغنية وليس لها مصدر سوى ذلك . ولا غرو ان كان في اسافتتنا راس فذلك كان بين الرسل فمن هو الراس والاول بيننا فهو معروف هكذا من بدء الدين المسيحي كخليفة من كان الاول والرأس في عهد يسوع المسيح نفسه اي بطرس

اني اجترى على ان اثبت هذه كلها واما الامر الاخير فهو كامر مقرر لا يمكن ان يلج به نزاع او يخامر ريب لدى سليم النية ويستعمل ان يرتاب في الاحوال الاخرى ويسهل بيانها من كلام الذين غالوا في اقامة الجدل فيها ولا فرق في ذلك ان كان بسبب

الجهل او بسبب محبة المناقضة

فتلك في مبادئ الشرائع المسيحية ونظام المذهب فلتندرجن الان في هذا الطريق  
عنه لنصل الى مبادئ الشرائع اليهودية واصلا وبما اتنا وجدنا تلك المسيح دون ان  
تتطال الى ما وراء ذلك نلتجى ان نتصل بموسى بالطريق نفسها والبراهين عنها وان  
نتصل بالاصل الذي وضعه

ان لليهود ولنا شرائع وعوائد واسراراً وكتباً مقدسة واحباراً وكهنة وعبادة في  
الهيكل وان اكثرهم لم تنزل مرعية عندهم . وان الكهنوت كان قد ترتب في عائلة  
هرون اخي موسى وباتي الفرق بين الطغمة الكهنوتية من هرون واولاده اذ كل من يتعلق  
بقصته وكلهم يصدر من هرون دون امكان ان يعزوا الى من قبله . وان الفصح  
والاعباد الباقية ليست باقل قدمية وفي هذا الفصح كل شيء بذكر تلك الليلة حيث  
شعب الرب قد تخلص من نير عبودية مصر . وان عدد الايام نفسه بفصل هذين العبدان  
ثم عيد المظال القائمة بغصون خضراء التي كان الشعب يقطن فيها من زمن مديد  
كل عام سبعة ايام وسبع ليال تذكر ايام لمكثهم في البرية اربعين سنة . وقصارى الامر  
انه لا يوجد عند اليهود عيد ولا سر ولا احتفال الا وضعه موسى او قرره . وان يكون  
موسوماً بنوع ما يبد هذا الشارع العظيم

ولكن كل هذه الشرائع الدينية ليست من زمان واحد لان الخيانة وحظر اكل  
الدم ورعاية السبت هي قبل موسى وقبل السنة المكتوبة كما بضح ذلك من سفر الخروج .  
واما الشعب فكان حافظاً هذه التواريخ وموسى نفسه نقلها الى كتابه لان الخيانة تاتي من  
ابراهيم الى الامة ومن المعاهدة وحظر اكل الدم متصل بنوح والطوفان . وتواتر السبت  
يوصلنا الى تكوين العالم والى اليوم السامع الذي باركه الرب وحيث انه عمل العظيم .  
وبناء عليه فكل الحوادث الخطيرة التي توصل الى تعليم المؤمنين وثقتهم كان ذكرها  
مرعياً لدى اليهود وان هذه القواعد القديمة كانت تخرز في شعب الله بامتزاجها  
بالقواعد التي وضعها موسى قواعد دين الاجيال الماضية برمتها

وان قسماً من هذه القوانين التي كان اليهود يودون رعايتها لم تبقى مرعية بينهم في  
هذه الايام لان الهيكل قد دثر وبطلت به الذبائح والقرابين والكهنوت القديم الشرعي  
لان اولاد هرون لم يبقوا معروفين بين اليهود اذ كل الاسباط اخلطت معاً ولكن

بأن كل هذا كان لا يزال برمه لدن مأتي المسيح الذي كان دائماً يعزوه كلاً الى موسى لا يحتاج الى غيرها من البراهين ليحقق لدينا ان كل هذه الامور تأتي من عهد قديم ومن اهل الامة نفسها

وان لم يكن ذلك كذلك فلتشر في الامور مدققتين ونزولاً الى كل التواريخ اذ يمكن لنا الوقوف عليها ونقول قبل كل شيء لابد من ان نصل الى عزرا . لان المسيح قد اتى قبل اقامة الهيكل الثاني . ومن المثير ان هذا الهيكل شيد في ايام عزرا . وان المسيح لم يذكر في انجيله الا اسفار اليهود القانونية ولكن حسب تقليد الامة الدائم ان هذا القانون قد تم وانتهى في ايام عزرا دون ان يضيف اليه اليهود ادنى شيء فيما بعد . وكل هذا مما لا رية فيه بل مسلم من الجميع فبناءً عليه يكون هذا العصر كتاريخ مضاعف او محط عظيم له اهمية كبرى لتاريخ اليهود وخصوصاً لكنهم المتدسة . الا انه قد تقرر لدينا بكل صراحة انه لا ينتضي التوقف هنا اذ في هذا العصر يعزى كل شيء الى مبدأ اخر . اذ اسم موسى يبدو دائماً كاسم رجل يحترم الشعب اسفاره وكتبه وكل الانبياء الذين كانوا يعاصرونه او كانوا قبله واسفاره هذه هي اساس دين اليهود فلا نعتبر الان هؤلاء الانبياء موجياً بهم من الغلاء بل اناساً بدوا ازمة متباينة في عهد ملوك مختلفين . وان الشعب اصاح لكلامهم معتبراً انهم مفسرون للدين فينبغي من ذلك ان خلافتهم وخلافة الملوك الذين يتصل تاريخهم بتاريخهم ننودنا بصراحة الى اصل موسى الذي تنتهي اليه . لان ملاخي وحجي وعزرا وذكرنا الذين يعتبرون شريعة موسى انها موضوعة في كل آن يتصلون بزمان دانيال حيث يبدو صريحاً ان هذه الشريعة كانت معروفة لدى الجميع ويتصل دانيال نفسه بارميا وحزقيا اذ لا يبدو الا موسى والعهد الذي عنده مع الرب والانذارات والعقوبات المعلقة لمن لا يدين لها . وان الجميع يتحدثون بهذه الشريعة كأنهم يعرفونها منذ صباهم . ولا يذكرونها فقط كأنها امر مقبول في حيز الكيان بل تراهم لا يهتمون على عمل ولا يفهمون بكلمة الا يكون لذلك علاقة مكنونة بهذه الامة

ان ارميا بوصفنا الى يوشيا حيث اخذ يتنبأ وكانت شريعة موسى متعارفة وقتئذ ومشتهرة لدى الجميع بانها من تأليف ذلك النبي الذي كان الشعب يتصفها بتقليد ونبوءة التي كان يسلمها باذنيه . وقصاري الامر اي شيء جعل تنوى ذلك الملك

مشتهرة في الخارج اليس عكوفه من صغرته على هدم كل ما كل الاصنام التي اقامت عليها شريعة موسى تكبراً ولقد احتفل باهتمام خاص بالاعباد التي ابرمها . منها عيد الفصح وكل العبادات التي لم تنزل مكتوبة في شريعة حزقيا وارعد هو وشعبه اذ شعر انهم خلفوها غير عابئين بالرب الذي سنه ولكن لا يجب ان تتوقف ههنا . فان حزقيا قد احتفل احد اجداده بعيد الفصح بكل اعتبار لائق قاضياً الارب بان يتبع شريعة موسى . ولم يفتأ اشعيا النبي يوعز اليها وقد اقتناه بذلك غيره من الانبياء ولم يكن ذلك في عهد حزقيا فقط بل احتجاباً طويلاً في ايام سلو . ولما اصاب احد اجداده يوشيا بالبرص طرده الشعب من الهيكل تطبيقاً لنص الشريعة وفصلوه عن الشعب بكل الاحياطات التي قامت بها

فان هذا المثل المشهور في شخص ملك عظيم نبئنا ان الشريعة كانت دائماً مشخصة لدى ابصار الشعب ومعروفة عندهم كي لا تأتي من جرثومة اقدم منه وليس يشق علينا لثرتي من امازياس ويوشافاط واذا ورجعنا الى سليمان ابيه الذي يغري برعاية شريعة اباؤ بكلامه في سفر الامثال وهو : ارفع ياني وصية ابيك ولا ترفض شريعة امك اعقدها في قلبك في كل حين واعصها في عنقك وفي يديك في سيرك وتحافظ عليك في رقائك واذا استنبطت فهي تحذرك لان الوصية مصباح والشريعة نور وتوجيه الناديب طريق الحياة وفي قوله هذا لم يصنع شيئاً سوى انه كرر ما كان قد قاله ابيه داود : شريعة الرب كاملة ترد النفوس وشهادة الرب صادقة تحكم الغي . امر الرب مستقيم بفرح القلب ووصية الرب نية تبه العيون وكل هذه ليست سوى تكرار ما تقوه به هذه الشريعة نفسها واجراؤها وهاك ما نقوله . ولكن هذه الكلمات التي انا امرك بها اليوم في قلبك وكررها على بيتك وكلهم بها اذا جلست في بيتك واذا مشيت في الطريق واذا نمت واذا قممت واعقدها علامة على يدك . ولكن عصائب بين عينيك واكتبها على عضابد ابواب بيتك وعلى ابوابك ومن ثم قد ارسلنا ان تأتي هذه الشريعة بوسائل خفية او ان في الامكان مزاييلها للفكر بعد ان كان من المتعتم ان تكون مالوفة ومتناقلة بين ايدي السمع . ومن مفاعيل الخديعة انهم طفئوا كل الشعب والجنوة ان يدعن بان هذه الشريعة هي شريعة اباؤ دون ان يرى في كل الازمنة آثاراً لاربية فيها فذاك رأي محالي

واما الان فبما ان كلامنا مقصور على داود وسليمان نقول ان صنيعها العظيم الذي لم يبع ذكر من بين الشعب هو الهيكل . ولكن ماذا الذي صنعه هذان الملكان عندما اعدا الهيكل وشيدا هذا البناء الذي لا ضرب له فانها لم يضع شيئا سوى ما نصته شريعة موسى التي كانت قد اوعزت ان يتخيروا مكانا يحفل فيه عبادة كل الامة وتقدم فيه كل الذبائح التي انذر بها موسى . ويقام فيه نابوت العهد الذي اقامه في البرية وبذوع لائى قبة العهد التي شادها موسى لتكون رسما للهيكل الآتي وعلى ذلك لم تكن ساعة الا كان فيها موسى وشريعته حين . وان تذكرك هذا المشرع الشهير يتدرج من ملك الى آخر ومن سنة الى اخرى حتى يتصل اليه

فلنذعن اذا ان تقليدات موسى في اجلي بيان وانها نبعت على ان تكون منبعوعة وانها عرية من طائفة التزوير دون ربة ومراء وان الزمان الذي تاتي منه هذه الخلافة يتصل بعضه ببعض الاخر كي لا يبقى فيه ادنى فاصل او خلل يتكفلان بالتزوير فليت شعري علام نفوه باسم التزوير فانه لا يسوغ ان نتقبل وجوده لو كنا نهافت على شيء من الصواب . لان كل شيء ممثلي من شريعة موسى ومتناد بها ومستمدة نوره منها ومن اسفاره ويستحيل ان تكون قد تناست في برهة وجيزة . وقد اقيمت حجج راهنة على ان النسخة التي اقامها في الهيكل حلتيا الكاهل العظيم في السنة الثامنة عشر لملك بوشيا وتقدمت له كانت وحدها باقية وتنتد . وذلك لان ماذا الذي يكون قد قضى على باقي النسخ بالفناء . وما يكون قد طرأ على اسفار موسي واشعيا وعاموس ومينا وغيرهم من الذين كتبوا قورا قبل هذا الحين واسفار كل الذين اختلفوا بالعمل والتوى . فبناء عليه اين يكون ارميا قد تعلم الكتب المقدسة وهو الذي كان قد شرع ينسب قبل هذا الاكتشاف ومنذ السنة الثالثة عشر لملك بوشيا لان الانبياء كانوا يشكون من ان الشعب كانوا يخالفون شريعة موسى . ولم يكن اقصى بهم الامر الى ان فقدوها ولا تقرأ ايضا في الكتب ان احاز ومنسى وعمون وواحد الملوك الكفرة الذين كانوا قبل بوشيا حاولوا ائتلاف هذه الاسفار لان شروعا كهذا كان يبعث على الجنون والاحمال للمندار ما كان فيه من الكفر . وان ذكر هذا العمل لا يمكن ان يكون قد زال مطلقا ولو انهم راموا محو هذه الاسفار في مملكة يهوذا . بيد ان سلطتهم لم تكن تمتد الى اراضي مملكة اسرائيل حيث تكون قد رعت هذه الكتب . ويضح من ذلك ان السفر الذي اتى به الكاهن

العظيم للملك يوشيا الأ نسخة مدققة ومحفقة أكثر من غيرها يكون قد نص على عهد سلوه  
 ووضعه في الهيكل او بالاحرى ان هذه النسخة انما هي النسخة الاصلية التي امر بها هذا  
 الشارع الحكيم ان نقام جانب تابوت عهد الحرب لتكون ثم عليهم شاهداً : وهذا ما يشير  
 اليه كلام الكتاب المقدم وهو : وجد حلقيا الكاهن سفر تورااة الرب بخط موسى . ومهما  
 كان المعنى الذي توهمول اليه هذه الكلمات فمن البين ان لم يكن شيء اقدر من هذا  
 يتيقظ به الشعب القبي ونحبي غيرته بتلاوة الشريعة التي كانت كما ظن مهملّة ومن أكبر  
 الوسائل التي تنبئ بها النسخة الاصلية المهمة الموضوعه في الهيكل باهتمام موسى واوامره كشاهد  
 على نرد الشعب ومخالفة الوصايا دون ان نلجأ الى ان نتخيل الامر غير الممكن اي ان  
 شريعة الرب اصيحت منسوبة او لم يوجد منها الا نسخة واحدة . لكن ذلك بعكس الامر  
 فقد يتضح ان اكتشاف هذه النسخة لم يند الشعب شيئاً جديداً بل يحمله على ان يصيخ  
 لصوت معروف لديه وهذا الامر حمل الملك على ان يقول : اذهبوا فاسئلوا الرب لي  
 وللباقيين في اسرائيل وبهوذا من جهة كلام السفر الذي وجد لانه عظيم غضب الرب  
 الذي انصب علينا لاجل ان آباءنا لم يحفظوا كلامه ليعملوا بكل ما كتب في  
 هذا السفر

وبعد كل هذا لا يقتضي ان نعى بان نخص بنوع خاص كل ما خاله عدوه  
 الايمان والعلماء الدجالون والمتفقدون الزاهقون بشأن تزوير اسفار موسى لان هذه  
 الاشياء الحالية يعثر عليها في كل مكان وكل زمان لاسيما في عهد عزرائق في الشعب  
 نفوراً لا يمكن قمعها فيتمخض كشيء قديم ما لم يكن سمع به البتة وكشيء اتى من موسى  
 معروفاً مقررًا ما يكون قد وضع حديثاً بين ابايهم

ويلزم ايضاً ان لا يزيل الفكرة ما ينوط بالعشرة الاسباط وهو الامر الذي لا يكثر  
 تعداده لان هذا التاريخ هو من اهم الحوادث المنوطة بتاريخ الامة فان مملكة اسرائيل  
 الجديدة تكونت حينئذ وانقسمت شطرين وها مملكة داود ومملكة سليمان . وعليه فاذا  
 كانت اسفار موسى مكثت في الامتين كارث عام فلا ريب انها انت من آباء النبيين  
 قبل الانشقاق وبناء عليه فانها انت من سليمان وداود وصموئيل الذي كرس ملكاً  
 وعالي الذي تعلم صموئيل في ايامه وهو طفل عبادة الرب وحفظ الشريعة التي كان  
 داود ينشدها في مزاميره التي كانت عرضة لغناء الجميع وسليمان في احكاميه التي تداولها



ابادي كل الشعب وقصارى الامر انك كلما تاخرت في الاجيال ترى دائماً شريعة موسى مفرّرة ومعروفة لدى الجميع ولا يمكن ان ترى مفرّاً الا في سفر موسى نفسه وفي الاسفار المسيحية . ولا مفرّاً الا في زمان المسيح والرسل

ولكن ماذا الذي نراه في هذا المفر او ماذا الذي نراه في هذين المفرين اللذين لا يحولان وهما زمان موسى والمسيح . فأننا لا نرى اذ ذاك سوى الاعاجيب الساطعة والمعجزات الرائعة التي تبين كما سبق القول ارسالية هذا وذاك . فمن جهة ترى ضربات مصر وعبور البحر الاحمر والشريعة التي منّ بها الرب على جبل سيناء وافتتاح الارض وكل المعجزات الاخرى التي كانوا يقولون عنها للشعب انه شاهدتها باعينه . ومن اخرى ترى شفاء الامراض العديدة وانبعاث الموتى ويسوع المسيح نفسه الذي اثبت انبعاثه الذين شاهدوه وحققوه حتى الموت اي كل ما تمنناه لتقرير حقيقة حادث لان الله نفسه ( ولا اخشى ان اجترئ على ان اقول ذلك ) لا يمكنه ان يصنع شيئاً أكثر وضوحاً لتثبيت حقيقة حادث الابان يعرضه على شهادة الحواس ولا ان يبرز برهاناً لصدق الشهود اقوى من برهان موت في معصية العذاب

ولكن بعد ان تصدّنا من الفيتين اليهود والمسيحيين وصلنا الى جرثومة مناهية في الالوهة والغربة حتى لم يبق علينا شيء من كلمة صنيعنا الا تبين ان رابط هاتين الشريعتين اثبات من لدن البارئ تعالى ولا ريب انه يقتضي ان يكون رابط بين افعاله وان كل شيء يكون صادراً من مقصد واحد وان الشريعة المسيحية التي امت اخر الامر يجب ان تكون متصلة بالاولى وذلك امر لا يمكن لاحد نكرانه . ولا ينكر احد ايضاً ان اليهود كانوا ينتظرون المسيح ولم يزالوا ينتظرونه وان النبوات التي عندهم لا تسوّغ ان يرتاب بان المسيح الذي وعدّه به اليهود هو نفسه الذي نعتقد به

## الفصل الثلاثون

في ان النبوات تختصر في ثلاثة حوادث بينة

وان مثل ابن الله يقرب ارتباطها

بما ان البحث في النبوات الخاصة يناط بمجواث كثيرة لا يستعمل الجميع ادراكها

وان تكون ذات انوار باقر قد اصطفى الرب بعضاً منها جعلها محسوسة لدى الذين  
 توغلوا كثيراً في غباب الجهالة والهمجية فهذه الحوادث الساطعة التي شاهدها العالم كافة  
 هي التي قد بذلت غاية الجهد في ان اسلسها لديك . وجلها دثار شعب اليهود وارتداد  
 الامم وكلاهما حدثا معاً في الوقت الذي انتشر فيه الانجيل وبدا يسوع المسيح  
 فهذه الامور الثلاثة المتحد في تسلسل الزمان كانت أكثر اتحاداً في تسلسل احكام  
 الرب فقد شاهدتها جارية معاً في النبوات القديمة . واما يسوع المسيح المنسرب للنبوات  
 وارادة الرب ابيه فقد ابان لنا هذا الاتحاد باجلى بيان في انجيله لانه قد صرح ذلك  
 في مثل الكرمة ذات الالوان لدى الانبياء قائلاً ان سيد بيت غرس هذه الكرمة  
 اي الدين الحق الموطن على عهد ووكل بها عملة يجرسونها اي اليهود ويحبون ثمرته وارسل  
 عبيده مراراً وهم الانبياء . واما العمالة الجاحدون فقد اغرقتهم نفوسهم بان تعبدوا قتل  
 عبيده . ولكنهم حوادث بعث الهم ابنة فامتحنوه اكثر من العبيد فلذلك النجاة الرب ان  
 يتزع من ايديهم الكرم ويكل بعملة غيرهم اي يتزع عنهم نعمة ميثاقه فيسلبها الى الامم  
 فاقضى اذ ذاك ان تحدث هذه الامور الثلاثة معاً وهي ماتي ابن الله ورنزل اليهود  
 ودعوة الامم ولم يحوجه مثل لزيادة الايضاح بل ان واقعي الامر يتكفل ببيانه .  
 قد وضع لديك ياسيدي ان اليهود يذعنون بان مملكتهم اخذت تدحر في ايام هيرودوس  
 لدن ماتي المسيح الى العالم واما اذا كانت مخالفتهم لشرعية الرب تلتقي بهم الى ورطتهم يبتغ  
 في السلطة فدثارهم الاخير الذي لم يبرح في حيز الكيان لابد ان يكون عقاباً على اعظم  
 جريمة . فهذه الجريمة زائد بيانها وهي تجدهم المسيح الذي كان قد اتى ليعلمهم ويعلمهم  
 من نير الاسترقاق فلذلك قد اتى على عوانهم نير عبودية باهظ لا يطبقون الرزوح  
 تحته ولولا ان الرب برى وجودهم ليندموا المسيح الذي اذاقوه مرارة الصلب لبادوا  
 وهالك حادثاً ثباتاً عاماً هو دثار مملكة شعب اليهود طراً في زمان يسوع المسيح  
 وارتداد الامم فقد كان ذلك يقضي له ان يتم في الوقت عينه ايام كانت العباداة  
 القديمة تملأ في اورشليم واندثر الهيكل فاخذت اذ ذاك عبادة الاوثان تنافس في  
 كل الجهات وهب الشعوب الذين كانوا قد نسوا خالفهم منذ الوف سنين من ثبات  
 رقادهم المستمر

ورجاء ان كل الاحوال تنطبق على بعضها طفتت المواعيد الروحية تنتشر بانشار

الانجيل ايام كان شعب اليهود المنتهر والاسير في اقاصي البسيطة فقد المواعيد الزمنية وحبطت آماله بالحصول على العظمة الجسدية . ومن ثم انذر بالسماء كل الذين يتأسون بحمل الاجتهاد في سبيل العدل واخذوا يكشفون اسرار المحبة الانية موقنين ان السعادة الحقيقية قاصبة في هذه الارض عن مثوى الموت حيث تنكاث الخطايا والشرور والمشقات ومن لا يرى ما هنا رايًا سرمدياً متبعًا وتسلسل احكام الرب الذي اعد منذ بدء العالم ما ينمى في اخر نهائيه ويقرر امام اعين البشر العصاة المقدسة حيث يشاء ان يؤدوا له العبادة في الممالك المتباينة بخلافه سرمدية ثابتة فمن لا يرى هذا لا يستحق ان يرى شيئاً بل يطوح الى عمه القلب كأن ذلك اعدل العذاب واصرمه وامل ان يكون تسلسل شعب الله ساطعاً امام قلبي البصيرة انفسهم قبضة بان يكون محوساً وبنياً بمجداث لا يمكن لاحد ان يفهم عليها نكبراً الا اذا غمض مقلتيه اختيارياً كي لا يرى الحق لان العبرانيين كانوا متظرين المسيح فاني ودعا الامم كما قد نبي عنه والشعب الذي وثق بمجيئه انحاز الى الذي كان يستنظره بدون ان تحسن الاتصالات ساعة واحدة واصبح هذا الشعب منذاً في كل البسيطة ولم تبحر الامم تنحاز اليه وهذه البيعة التي شادها المسيح على وجه الارض رغماً عن الحجم لم تنزع البتة

## الفصل الحادي والثلاثون

تابع لما انف بشأن البيعة الكاثوليكية وبانتصارها على كل البدع

ياها من نغزية عظمى لبني الرب وباله من تأكيد عظيم يوطد الحنينة وذلك اذ يرون انهم مستطيعون ان يرتقوا استمراراً منذ انوشنبوس التاسع المستوي وقتند بكل فخر على اول كرسي البيعة الى بطرس الذي اقامه السيد المسيح رئيساً على الرسل ومن ثم اخذ الكهنة الذين كانوا في عهد الشريعة الموسوية يتصلون الى هرون وموسى وبعد ذلك الى الاباء وابنداء العالم . فباله من استقراء عظيم وباله من تقليد جميل وباله من تملسل عجيب فان كانت عقولنا بالطبيعة في ريب واضحت بسبب ترددها العوبة حججها الخاصة نتج ان نقرر وثبتت بسلطة محققة في المشاكل المختصة بالخلاص . ان يوجد سلطان اعظم من سلطان البيعة الكاثوليكية التي تحرز في ذاتها كل سلطان الاجيال

الآفة وكل تقليدات النوع الانساني الى ابتداء تكوينه  
وبناء عليه ان الجمعية التي وطدها المسيح المنتظر في كل الاعصار الغابرة على الصخرة  
حيث القديس بطرس وخلفاؤه مزعمون ان يحلوا بامر تثبت بتسللها وفي حامله  
بشبابها المستمر سمة يد الرب

وهذه المخالفة عينها ليس بإمكان هرة او بدعة او لغة اجتماعية ان تستأثر  
بها بل ذلك منوط ببيعة الرب ولا ريب ان الاديان الافاكة امكن لها ان تنتفي آثار  
البيعة في امور شتى واربابها يزعمون ان الله وحده شيدهم ولم يكن هذا الكلام الا فارغاً  
لان الله اذا كان فطر الجنس البشري وخلقه على مثاله فكيف يخدمه ويكرمه . وبناء عليه  
فكل شيعة لا توضح خلافتها من ابتداء العالم ليست من الرب ولذلك تحرر امام البيعة  
المقدسة كل الجمعيات وكل الشيع التي شيدها بنو الانسان في النصرانية وغيرها

والمبتدعون الذين قاموا باعباء شيع جديدة بين المسيحيين امكن لهم ان يسهلوا  
الايمان باقل رضوخ بمجدهم للاسرار التي تفوق المحس وامكن لهم ان يخللوا البشر بظواهر  
التفوى وان يثيرهم بفصاحتهم واهوائهم ويجذبهم بمجداته المذهب والفساد سواء كان  
عقلياً ام خلفياً . وقصارى الامر امكن لهم ان يخللوا نفوسهم او الغير اذ لاشيء ينطبق على  
الطبع البشري اكثر من هذا ولكن فضلاً عن انهم لم يتمكنوا من ان يفتخروا بصنيع  
مميزات مشهورة او يمحصر مذهبهم في حوادث مفررة يشهد لها اصحابهم بوجود ابداء امر  
يشق عليهم ليس في وسعهم ان يستروه وهو امر حدائهم . وهذا يبدي لدى كل بني  
الانسان ان قد انفصل مذهبهم وتابعوه والشيعه التي وطدوها عن هذا الجسم العظيم  
وعن البيعة القديمة التي اسمها يسوع المسيح حيث بطرس وخلفاؤه استولوا دائماً على  
اول مركز وجدهم كل المشيعين جالسين فيه . ولم يثنأ وقت الانفصال مفرراً حتى ان  
المبتدعين انفسهم لا يمكن لهم ان ينكروه ولا يجتريثون ان يحاولوا الخروج من الجحرثومة  
عينها بتسلل لم يكن قد انقطع البتة . وبهذا يقوم هن كل البدع التي ارتكبتها الانسان .  
وما من احد يمكن له ان يغير الاجيال الغابرة او يقيم له سلفاً او يزعم انه وجدهم اقتناء  
ان البيعة الكاثوليكية تسولي وحدها على كل الاعصار الفارطة باستفراء لا ينكر  
عليها لان الشريعة سبمت الانجيل ولم تكن خلافة موسى والاباء الاسلسلة واحدة متصلة  
بخلافة المسيح . ومن جل صفاته التي تثق بها غاية الوثوق في ان يكون مائتاه مناصداً .

وتعترف به ذرية تمتد الى انتهاء الاجيال لان يسوع المسيح هو امس واليوم والى  
مدى الدهر

وفضلاً عن ان البيعة المسيحية موطنة وحدها على اعاجيب الهية كتبت علانية  
غير مخشية عليه من ان تكذب في الوقت الذي حدث فيه . فهاك اعجوبة اخرى  
تستمر في سبيل تعزيز اولئك الذين لم يكونوا في ذلك العصر . وهذه الاعجوبة تقرر  
ما سواها من الاعاجيب وهي قائمة بتناع الدين الذي لم يفتأ يفوز بالضلال الذي  
حاول ازالته وزد عليه نتيجة اخرى هي نتيجة عناب اليهود البادي المستمر لانهم لم يقلوا  
المسيح الذي وعد به آبائهم . ومع ذلك كله فلم يزالوا يترقبونه وانتظارهم الباطل جزء  
من عنابهم ويبدون بارتقابهم اياه انه كان دائماً مستنظراً ويفررون حقيقة الدين  
كانهم حاملون كل تسلسل الدين مرقوشة على جباههم . وترى بلحظة كل من كان  
آتفاً فلماذا صاروا كما تراهم . والى اي شيء هم معدون . وعليه فان اربع او خمس  
حوادث مفررة فوق نور الشمس وضوحاً ابانت ان ديننا قديم كالعالم ويدي تالي  
الزمان ان لا نشاة لها بغير خالق العالم القابض على كل شيء هيده وهو وحده وامكن  
له ان يباشر هذا المارب ويقبض الى الغاية في كل الاجيال

وبناء عليه لا يقتضي ان باخذنا العجب كما يحدث اعتيادياً من ان الله يعرض على  
اعتقادنا مفنداً أكهنا من الاشياء الثلاثة بشانه وهي تفوق قوة العقل البشري ويقضي  
عليها بان تاخذنا الدهشة من وجود اناس في العالم يعملون قلوبهم كي لا يامنوا بعد  
العلم ان الباري وطد الايمان على اسر يتناهى في الوطود والراحة . فعلة هذا كله اولوا  
المتردة واستمسكنا بالحوادث وكبرياؤنا الشاحنة ولهذا نؤثر ان نخاطر في كل شيء  
على ان نفسر نفوسنا على الرضوخ ونؤثر ان نقالي في الجهل على اقرارنا بالحق ونؤثر ان  
نرضي رغبتنا الفاحشة ونرضي في عقلنا المتورد حربة الافكار في كل ما نشا على ان نرزخ  
تحت اقبال السلطة الالهية

ومن ذلك ينجم ان قد يوجد عديد واقر من الذين لا يتقنون والله يسمح بذلك  
لتعليم ياتيه لانه لولا عجز القلوب والغائصون في لجة الوحش وغير المومنين الذين في  
حجر البيعة لما كنا نعرف صريحاً فساد طبعنا العظيم ولا الوهنة التي نشلتنا منها المسيح .  
فلو كانوا لم يعارضوا حقيقة المقدسة لما كانت ابصارنا وقعت على هذه الاعجوبة التي

رعاهما قسراً عن كل المناقضات ولكننا نسبنا أخيراً أننا فزنا بالنعمة فالآن عدم امانة البعض بجمل البعض الآخر على الضعة ويدي المتمردون الذين يفاوضون مارب الرب الندرة التي بها يتم مواعيد البيعة غاضباً الطرف عن كل امر آخر فما الذي نرتقب لنرضخ انترصد من الله معجزات جديدة يجعلها عدية الافادة بتكرارها وان يحيط بها ابصارنا كما اعتادت على مسير الشمس وكل عجائب الطبيعة . فاننا نتظر صمت الكفة والعتاة . وان الصلاح والصلاح يعزبان معاً الرضوخ للحق . ويؤمن بنو الانسان قاطبة على اموالهم واطوارهم . وان العلوم الفاسدة التي تغطي البشر بقوة حدائثها لا تستمر تداهمهم . الا يكفيها ان نرى البشر غير قادرين ان يناووا الدين الا باظهارهم بضلالم المبين بطلان احكامهم . وان دفاعهم لا مسند لها الا الجهل والتكبر فالبيعة التي فازت بالاغصبار والفضالة ليس في امكانها ان تظهر في عقولنا على الحجج الزاهقة التي نستظهر بها على مقاولتها . ولا يمكن للمواعيد الالهية التي نرى نعيمها كل يوم ان تُصعدنا فوق المشاعر

ولا ينتقد الناس علينا بقولهم ان هذه المواعيد يتوقف نعيمها ولا يمكن لنا ان نتخبر بتنميتها الا بانهاء العالم اذ انها تمتد الى نهاية . وعكس ذلك ان ما قد تمّ ينبتنا عما هو مزعم ان يتم وكل النبوات القديمة التي تمت بكل صراحة تبين لنا ان كل شيء سوف يتم وان البيعة التي لا يقوى عليها المجيم حسب مواعيد ابن الله تمكث الى الابد وإلى انتهاء العالم لان المسيح الذي صدق بكل شيء لم يضع نهاية لكليانها

وهذه المواعيد عينها تؤكد لنا الحياة المستقبلية لان الله الذي صدق بتنميتها ما يناط في الزمان الحاضر لا يكون اقل صدقاً بتنميتها كل ما يناط بالزمان المستقبل فكل ما نشاهد ليس سوى استعداد له وان البيعة سوف تكون على البسيطة غير مفهومة ومزعزعة حتى ان كل بنينا يجمعون وتقبل بهم برمتها الى السماء مثواها الحق

وقد اعد للذين هم خارج هذه المدينة السموية تبريج سرمدتي ولن يبق لهم الا عذاب ابدي اذ انهم فقدوا بغير برتهم سعادة ابدية وبناء عليه سوف تتم احكام الرب ومواعيد مجال لا يغيرها تغير وان وعوده صادقة وحقيقية وكل ما يقبضه في الوقت يقررها بامرنا بامله او بالخشية منه في الابدية

فهاك ياسيدي ما ينبتنا عنه تسلسل الحوادث الدينية كما رفع لديك بوجيز العبارة .

وبواسطة الزمان بقودنا الى الابدية فعثرت على نظام محكم في مآرب الرب وسمه سلطنته  
 البيعة في استمرار شعبي وعلمت منه ان البيعة لها عضو دائم الوجود لا يمكن الانفصال عنه  
 الا بهلاكها وان الذين معتزلون بهذا العضو وقائون باعمال لائقة بامانتهم يفررون  
 انفسهم حيلة اذلية

فتحرر تسلسل حوادث البيعة التي توطد لديك كل مواعيد الرب واحكم على ان  
 كل ما يتصل عن هذه السلسلة ويزايل هذا الاستقراء وكل ما يرتفع بذاته ولا يأتي  
 حسب المواعيد المنوطة بالبيعة منذ ابتداء العالم مكروه . وافرح ما عندك من الجهد لتحرر  
 الى هذه الوحدة كل من يكون قد زايلها أغر الجميع بان يرضخ للبيعة التي بها ينطق  
 الروح القدس بنبواته

وان سوّدد اجدادك ليس قائم بعدم تركهم اياها فقط بل بانهم قاموا بناصرها  
 ايضاً واستأهلوا بذلك ان يدعوا بنبيها الابكار . فهذا من اعظم انباهم الجيدة . وليس لي  
 حاجة ان احدثك عن كلوقيس وكارلوس العظيم والنديس لويس بل اعتبر العصر  
 الذي انت فيه ومن هو الاب الذي اراد الله ان تولد منه . وقد امتاز هذا الملك العظيم  
 في كل امر بامانتها أكثر من سائر صفاته الحميمة فتراه يدرأ عن الدين داخل المملكة  
 وخارجها وفي اطراف العالم . والشرائع التي سنّها في من اعظم منرسات البيعة ولا تباين  
 سلطنته الموقرة بسبب صفاته الشخصية وجلالة صولجانه ملكه موطنة باكثر احترامه الا  
 لدن مدافعتها عن حقوق الرب فذلك حجز عن سماعنا صوت التجديف واخذ الكفر  
 يفرق خوفاً ولا ريب انه الملك الذي اعز اليه سليمان مبدد الشر بنظره وان كان  
 نعم البدعة بكل هذه الوسائل أكثر ما صنع اسلافه . لا بما انه يخشى منها على عرشه لان  
 السكينة احاطت الكل وطاقاً الجميع امام سلاحه غير انه يحب شعبه ويعرف ان يد  
 الرب اجلسته على عرشه ليس فوقه عرش . فينجب من ذلك ان احسن وسيلة يقوم بها  
 هو ان يستخدم سلطنته ليشفي قروحات البيعة

فاقتف باسدي هذا المثل الصالح واستبق لذريتك وانذرهم بالبيعة أكثر من هذه  
 المملكة العظيمة التي حكمها اجدادك منذ اجيال عديدة وان سرائك التي هي اجل  
 ما يكون في العالم تكون اول مدافعة عن حقوق صديقه وتبسط في العالم اجمع ملك  
 يسوع المسيح الذي يقبض لك ملكاً مجيداً

## الجزء الثالث

### في الممالك

### الفصل الاول

في ان نقابات الممالك رتبها الباربي عز وجل لتقع تكبر المملوك  
 ان لم يكن شيء يضاهي تسلسل البيعة الحقيقية الذي اوقنتك عليه فمع ذلك ان  
 تسلسل الممالك الذي قد عهد بي بسطها لديك لا يجدي منفعة لمن هو نظير جلالكم  
 من المملوك او للافراد الذين ينظرون في هذه المواضع العظيمة اسرار العناية الصمدية  
 أولاً — ان هذه الممالك لها شديد الوثائق بتاريخ شعب الله لانه تعالى اتخذ  
 الاشوريين والبابليين آلة للانتقام منه والفرس لنجائه وعوده الى اراضيه والاسكندر  
 وخلفاءه الاولين للدفاع عنه واتيوخوس ايفان وخلفاءه لتعويده على احتمال الشدائد  
 ثم الرومانيين ليدروا ملوك سوريا الذين لم يكونوا يفكرون الا باستئصاله لان بذلك  
 رعاية حريتهم . ومكث اليهود حتى مجيء المسيح تحت شوكة الرومانيين . وبعد ان مجدوه  
 وصلبوه اعانه الرومانيون على الانتقام الالهي دون ان يفكروا بذلك وجعلوا ذاك الشعب  
 العتوق هباءً منثوراً واذ ازمع الله ان يوظف شعباً جديداً من كل الامم ضم ملك  
 الارض والبحر الى هذه المملكة واتخذ كل تلك الاتصالات المتباينة التي لم يكن لها رابط  
 الى ذاك الحبل وسيلة لنشر انجيله . فاذا كانت الدولة الرومانية قاست في هذا الشعب  
 الجديد مدة ثلاثماية سنة اضطهادات عظيمة فوطد هذا الجور اركان البيعة المقدسة وادى  
 مجدها وايمانها وصبرها . وهكذا اقرت المملكة الرومانية بالرضوخ اذ وجدت ما فاقها  
 ظفراً وخضعت لهذه الكيسة التي طالما كانت عرضة للاضطهاد الشديد وكما ان  
 النياصق صرفوا اقصى جهدهم في اخضاع البيعة كذلك اصبحت رومية عاصمة المملكة  
 الروحية التي اراد المسيح ان ينشرها في كل المسكونة  
 وبعد ان ترعرعت السلطة الرومانية واعتراها رغماً عن وعدها لنفسها بالخلود ما



اعترى المالك السابقة من الدثار اذ اصبحت فريسة للبرايق لم تنزل رومية على عظمتها  
 برعايتها للدين المسيحي لان الامم التي اغارت على المملكة الرومانية واستولت عليها  
 اقبست منها رويداً رويداً الدين المسيحي الذي الان عرائك رجالها ولم يجد منوكها  
 الذين خلفوا النياصرة ما يوليهم اكثر مجداً من ان يدعوا محامين للدين المسيحي  
 وعلينا ان نطلع على غوامض الاحكام الالهية بالنظر الى المملكة الرومانية ورومية  
 نفسها. وقد اوضح هنا الاسرار الروح القدس ليوحنا وهذا الرسول المقيم من روح النبوة  
 والانجيل فسرهما في رؤياهم فكان يعز على رومية ان تنبذ عبادة الاوثان جانباً اذ شاخت  
 وهي مستمسكة بها. وزيادة على ذلك فان مجلس الندوة كان يحسب محاماة آلهة رومالوس  
 التي كان ينسب اليها انتصارات المشيخة القديمة مجداً وفخراً وقد سمى النياصرة من طلب  
 هذا المجلس على ايدي معوثية الغناء النصرانية وتشديد اصنامها لانه كان يخال ان دير  
 رومية عما كانت عليه من الخزعبلات عاراً يلتحق بالاسم الروماني. ومن ثم لم يكن  
 انذار الانجيل وغيره من النبوات الصادقة وارتداد الملكة فاطمة الى النصرانية مع  
 بلوكها الذين مهدوا الطريق الى هذا الدين كفواً اودع هذه العصبة الشهيرة المنصوية  
 على اعظم رجال رومية واشهرها خاصة وعامة عين غرثها. ولم يكنوا من ان يلحقوا  
 بها عاراً وينفوا اليها كل ما أَلَمَّ بها من الخطوب والازايا. ولو كانت النياصرة تعتمد  
 قبحهم لكانوا جددوا الاضطهادات القديمة. وكانت الامور دائمة على محورها في الجبل  
 الرابع اي السنة المائة بعد قسطنطين اذ تذكر الله الاحكام الديموية التي طرأت على  
 المسيحيين. وفي الوقت نفسه هتف الشعب الروماني الرائع في مراحمهم عند مشاهدتهم  
 دم المسيحيين فسلم هذه المدينة الظلمى لدم المسيحيين حسب قول يوحنا الحبيب الى  
 البرابرة وانزل بها البلايا الذرية التي اميطها بيايل قصاصاً لها. ولذلك دعوا رومية  
 بهذا الاسم. وهكذا سقطت بابل الجديدة كالقديمة وكان سقوطها عظيماً لانها تسببت  
 بالقدية بازدهائها لدى الفوز وبافتخارها بالاموال والملاذ وتدنست مثلها بعبادة  
 الاوثان وضهدت مثلها شعب الله. وانبا يوحنا الحبيب عن دمارها مترنماً فعربت  
 اذ ذاك من المجد الذي نالته بنوحاتها المتتمة الى الهاتها وامست مضغة في وسكانها في  
 افواه البرايق الذين تبوئوها اربع سنوات بعد ان نهوها وذهبوا برسومها ولم يعف  
 البرارة الا عن المسيحيين ولم يتم انتصار المسح الا بعد هجوم البرايق فبرزت مدينة

مسيحية من دمار رومية القديمة وامست مغابد الاوثان مضروباً عليها سراق النسيان  
بعد عنو رسومها

وعلى هذا فتسلسل الممالك عائد على الدين بالنفع وعلى شعب الله بالرعاية. وقد ابدى  
عز جلاله لانيائو تسلسل هذه الممالك كما ابدى لهم حالة شعبه المختلفة. ورايت من هذه  
النبوات ما يشعر بقدم مجتصر كانه رجل معد للانتقام من الشعوب المتناهية في  
الاردهاء ولاسيما الشعب اليهودي العاق وقبل ان ولد قوروش بمتي سنة اشهر اليه باسمه  
انه يكون ملكاً معداً لارجاع شعب الله وقصاص كبرياء بابل. ومنها دثار نينوى الخبز  
عنه بنوع صريح ورءيا النبي دانيال اذ يبسط لدينا بوجيز الكلام كل ما يحدث  
لمملكة بابل والماديين والفرس والاسكندر واليونان ويوعز الى عنو انتيوخس ايفان  
وقباحته والى ظهور شعب الله العجيب على هذا المضطهد للثيم. وتتشوق فيها ايضاً الى  
هبوط هذه الممالك بالتتابع اما الملك الروحي الذي كان المسيح مزماً ان يشيه فاشار  
اليه بصفاته الخاصة كي لا يستطيع احد ان يشد عليه تكبراً وهو ملك قدسه الله يثبت  
وحده خالداً وان طراً الدثار على باقي الممالك لانه ملك ابنه

وقد عرفنا من قول يوحنا احكام الله التي لم تخف عنا على اعظم مملكة هي مملكة  
الرومانيين وامست رومية كغيرها من المدن الشهيرة انموذجاً للعدل الالهي اذا هبط  
عليها نواب مدلهمة الا انها لم يلتحق بها ما التحق بغيرها اذ لم تنن الى الابد لان  
البلايا التي امت بها تفنتها من بقايا الاوثان وفي الان قائمة بالدين المسيحي الذي تبشر  
به في العالم كله وعلى هذا النمط ترى ان كل الممالك التي مر ذكرها قد آلت الى نفع  
الدين ومجد الله كما اعلن ذلك تعالى الى انبيائه

وعندما ترى في تأليفهم ان الملوك يلجئون الى حجر البيعة ويصبرون لها عضداً يتبين  
لك من ذلك دليل على انه تلجج الى التياصق والملوك المسيحيين وبما ان اجدادك  
اشتهروا بالذب عن الكنيسة وبغيرتهم في نشر تعاليمها فلا يشق علي بان اخصصهم  
صريحاً بهذه النبوات

ولما كان في قصد الله اتخاذ هذه الممالك ذريعة يتذرع بها الى قصاص شعبه  
او هدايته او انتشازه او حمايته اراد ان يوضح انه مبدا هذه التداير العجيبة اذ اعلن هذا  
السر لدى الانبياء. ولذلك مكهم من ان يشيروا الى ما كان في عزيمه ان يبرمه وقد

تأرا عن مسير هذه الممالك كما تنبأوا عن تسلسل شعب الله الخاص اذ لها ارتباط شديد  
مهم لما هو في قصده

وليكن لديك يقيناً انه كلما اعتدت على استقراء هذه الحوادث العظيمة واعادتها  
الى مبدئها ياخذ بك العجب كل ماخذ لدى اطلاعك على هاته الاحكام من لدن  
العناية الالهية وبقتضي ان نتتبع منذ حادثك هذه المعارف التي تغلي رويداً في غفلك  
ونعلم ان تعيد الى نظام الحكمة الالهية الامور الدينية المتعلقة بها

ثم انه تعالى يزينا بين الامثال الشهيرة ما يصنع بغيرها رجاء ان يعلن لنا دائماً  
مشيئة على ايدي انبيائه في ما يناط بالملوك والممالك التي يوطدها او يدمرها كما صنع  
بالممالك التي تكلمنا عنها ويعلم الملوك حقيقين جوهريتين وهما انه منشأ الممالك ومتيها  
ان يشاء وانه مستخدمها لمناصده في ما يناط بشعبه في الزمان والنظام المعينين وهذا  
ما يلزم الملوك ان يعتبروا انفسهم تحت سلطان مطلق ويجعلهم متبهرين لاوامر الله لكي  
يكونوا في كل فرصة تسنح لهم مضافين ما يؤول لمجده

اما تسلسل الممالك وان اعتبرناه بنوع عالمي فيجدي نفعاً عظيماً للممالك خاضة  
لان الكبرياء الملازمة لهذه الثوابت السامية تسقط لدى هذا المشهد واذ كان مشهد  
موت الملوك يبعث النوع الانساني على ردع اهلهم فكم بالاحرى يجب ان يؤثر فيهم  
سقوط الممالك عينها وهل في الامكان ان يبدي اباطيل العالم اكثر من هذه  
وعندما ترى الفياضة والملوك والممالك التي مادت لها الارض تمر كلح البصر  
وترى الاشوريين قديمين وحديثين والماديين والفرس واليونان والرومانيين يتساقطون  
بالتتابع ترى دوي سقوطهم يوضح ان لاشيء ثابت بين البشر وان التقلبات والاضطرابات  
هي من خصائص الامور الدنيوية

## الفصل الثاني

ان تقلبات الممالك لها خصائص يجب على الملوك النظر فيها  
ان نغفل ما يناط بارتفاع الممالك وهبوطها واسباب نجاحها وانحطاطها بين لك  
ان هذا المشهد ازيد جداء واكمل عظمة لان الذي هو مبرم ارتباط العالم ودائم مع

عظم قدرته ان يشيد النظام بان تتعلق بعض اجزاء هذا المجموع ببعضها . اراد هونتمه ان يكون لجرى الامور العالمية تسلسلاً وتناسلاً وذلك انه اقتضى ان يكون مناسبة بين صنات الشعوب والامم والمثابات السامية التي اعدت لهم . وهكذا لا يحدث تغير عظيم دون علة انت في الاجيال الفارطة عدا تلك الضربات المخارقة العادة والنظام الطبيعي اذ يريد الله ان يرينا عمل يده وحدها

وبما ان لكل الامور ما يقوم بابرازها ويبحث على اجرائها ويعود عليها بالنفع والجداء فمعرفة التاريخ قائمة بامعان النظر في النظامات المكونة التي هيأت الانقلابات العظيمة وفي الحوادث الخطيرة التي كانت سبباً لحدوثها

ولا يكفينا ان ننزل الى الامام اي ان نتمعن في هذه العوارض التي تنهي بغتة امر الممالك بل ينبغي للمرء ان يتوخى الامور ويتشوف الى الشؤون العالمية ان رام كمال معرفتها وعلمها . ان يتفحص الاميال والعوائد ولا سيما خصائص الشعوب المملكة عموماً والمملوك خصوصاً وكل مشاهير الرجال الذين كانوا سبباً لانقلاب الممالك والهيئة الاجتماعية بارتفاع مقامهم في العالم الى ذرى المجد والسيادة

وقد افرغت من الجهد كثيراً رجاء ان استدرجك من هذه الافكار المهمة المدرجة في اول جزء من هذا الخطاب . وقد امكن لك ان تطلع على اخلاق الشعوب والرجال العظام الذين تولوا امورهم . وقد ابنت لك الحوادث التي كانت ذات مفعول في المستقبل اجملت ملاحظات خاصة ذات نتائج قليلة الاهمية وذلك لانه افكارك الى النظر في تسلسل الامور العالمية العظيمة التي وددت لو افهمك ايها خاصة

وبما اننا مرورنا بسرعة على حوادث شتى لم نعرها من الشكر جانباً حسب مقتضاها لتعلمنا بتسلسل الامور فعليك الان بان تنتبه خصوصاً الى هذه الحوادث وتعود عنك ان تبحث عن المناهيل في عالمنا الناصية . وهكذا نقبس ما هو ضروري المعرفة حتى انه اذا لم نظر الآتي في هذه الاتفاقات الخاصة بان ان التفادير وحدها انتهت تشييد الممالك وخراياها واما اذا توخينا الامور عموماً فنرى انه يحدث غالباً ما يحدث بلعب الميسر اذ يستظهر اللاعب الماهر على خصمه بطول المدة . واقعي الامران ذاك هو الذي استدرك الامور عن بعد واهتم اكثر من غيره وادمن زماناً طويلاً على اشغاله العظيمة وقصاري الكلام انه التي بنفسه الى اشد الورطات والمخاطر . وان رعاية ذاته

في وقتنا انصب الدموي الذي حدث به الشقاء بين الملوك على الملك والسلطة في  
مدينتنا في النهاية حتى انه استخدم الاقدار لتنظيم مقاصده  
فلا يعاني بك فتور ان تبحث عن علل الانقلابات العظيمة حيث لا شيء يؤول  
الى تنفيذك مثل ذلك ولكن اجبت عنها خاصة في تسلسل الممالك العظام التي توضحها  
كثيراً الحوادث العظيمة

## الفصل الثالث

### في السيتيين والحبس والمصريين

اني لاعتدنا بين الممالك العظيمة ملكتي باخوس وهرقل اللذين افتتحا الهند  
والشرق فليس يتارنجها شيء يسير من الثقة ولا بافتتاحها تنابع واننا نكل امر مدحها  
الى الشعراء الذين جعلوها موضوعاً حملوا عليه حكاياتهم . واني لا اتعرض لذكر مملكة  
ماد المذكورة في تاريخ هيرودوث وهي تضاهي بامور كثيرة مملكة هنداتيروس  
المذكورة في تاريخ ميغستان ومملكة نيناوس الموما اليها في تاريخ يوستينوس وقد شادها  
هذا الملك زماناً وجيزاً في اسيا الكبرى . فالسيتيون الذين تولى عليهم هذا الملك  
قيادة الحرب قد طوا من الارضين شيئاً كثيراً ومع ذلك فلم يقوموا بفتوحات  
تستلقت اليها نظراً ولم يكن لاجلهم مملكة الماديين وقمعهم اهلها واستيلاؤهم على هذا  
النسم الذي عليه توطدت احكامهم الا بما قدر لهم الزمان من ملائمة السياريين . ولم  
يملك هؤلاء الفاتحون الا اثاني وعشرين سنة . وقد قضى عليهم طمعهم وكفرهم ونوحشهم  
بنقدان اسيا فبعد ان نزعوها من ايدي سباكسار بن فاراهرات ظهر عليهم وطردهم .  
وكان ذلك مبنياً على الخداع اكثر منه على القوة فانه لاذ باحد اطراف مملكته التي  
يملها الظافرون او بالاحرى لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها وترى هنالك صابراً  
مرتقياً الزمان الذي به يثير هؤلاء الفاتحون قبسة البغضاء العامة ويلقون بايديهم الى  
التملكة بسبب عدم نظام حكمهم . وبوجد في تاريخ استرابون اسم ملك الجيش المدعى  
بتاركون فقد نقله هذا المؤلف عن ميغستان ويدعوه الكتاب المقدس طاراق ومن  
الذي التي رعية اسلمته في العالم كله . في زمان سنشاريب ملك اثور ووصل بفتوحاته

الى عواميد هرقل التي على شواطئ افريقية واجتاز من ثمة الى اوربا ولكن ماذا الذي  
افيه به عن ملك لا يذكر عنه المؤرخون الا ببعض الفاظ ولم يكن اناساق تسلطوا وما  
الحبيشون الذين تولوا زمان الامور فنبذنا عنهم هيردروت انهم كانوا ذوي باس  
وهياكل اجسادهم كبيرة وعقولهم ثاقبة لكنهم لم يعتنوا كثيرا بتثقيفها بل كانوا يفتنون  
كثيرا بنوى اجسادهم ويشك اذرعهم وكانوا يتجربون ملوكا بالاقتراع ويجلسون على  
العرش الملوكي من كان اكبر جسما واعظم قدرة. ويمكن كل من معرفة سجاياهم والحكم  
عليها بمجادث رواه لنا المؤرخ هيرودوت وهوانه لما بعث اليهم ملك الفرس كامييز  
سفراء يجيئون عندهم ويخضعونهم واصحابهم يهدايا بتهادى بها الفرس وفي امة من  
ارجوان واسورة من ذهب وروائح عطرية هزئوا كل الهزبان اذ لم يجدوا فيها شيئا  
يعود على الحياة بالمجداء والمنفعة وامتنعوا السفراء اذ اتذروهم جواسيس كما كانوا حقا.  
غير ان ملكهم رام ان يسدي الى ملك الفرس هدية حسب مرغوبه فاخذ بيده  
قبوسا كان احد الفرس يكاد لا يستطيع حملها ولا يستمكن من ان يوترها فاوترها  
هو نفسه بحضور السفراء وقال لم: هذه هي النصيحة التي ينصح بها ملك الحبش لملك  
الفرس. فتمت استطاع الفرس ان يستعمل قوسي التي هي كبيرة وصلابة هكذا بسهولة  
فحبب بها انا فليانوا الى مناصبة الحبش ويحربون عساكر ازيد من عساكر الملك  
كامييز ومعنى نالوا هذه البغية فليودوا الشكر للالهة التي لم تخول الحبش الرعدة في  
امتداد شوكتهم خارج امصارهم

واذ قال ذلك حل القوس وطرح بها الى السفراء. ولا يمكن لنا ان نقف على نتيجة  
هذه الحرب الا ان كمييس غضب من ذلك وهرول الى بلاد الحبش كانه معنوه  
دون نظام او تروي في العواقب فملك عسكره جوعا في البادية قبل ان يدنو من  
البيدو. ومع ذلك فلم تكن شعوب الحبش عادلة كما كانوا يتباهون ولم يكونوا محصورين  
في بلادهم فان المصريين الجاورين لم قد اخبروا مرارا قوة استلهم وعرفوها. ولم  
يكن اناساق في امور هذه الامة الوعرية. وان تكن الطبيعة قد ابدت فيها بداية بدية  
شعائر حسنة فمع ذلك لم تجز قط ما بدأت به. وبناء عليه لا نرى بين اولئك  
الشعوب الا اشياء قليلة يمكن لنا ان نستفيد منها ونجري على مثالها فلنقتصر عن التكلم عنها  
ونلج قليلا عن الشعوب المنهضة.

فان المصريين هم اول من وجدت عندم اصول الاحكام فان هذه الامة الرصينة قد عرفت غاية السياسة الراحنة التي من مبادئها ان تجعل المعيشة غضة والشعوب سعيدة . وان حالة هواء البلاد غير المتغيرة قد جعلت العقول ثابتة لا يتغير بها اضطراب وبما ان النضيلة في الركن لكل هيئة اجتماعية فقد اتفقوا بكل اعتناء وكان مصدر فضائلهم معرفة الجميل وان السوءدد الذي انالهم الناس اياه لمغالاتهم في معرفة الجميل اكثر من جميع البشر بوخذ منهم يودون الالفة . فالجميل وثاق يرتبط به الاتفاق الخاص والعام . وان من يعرف الاحسان يود ان يوليئه احداً فاذا ساد الفضل استمرت الملائة بعمل الحسنى خالصة حتى اننا لا نرى ذريعة تصدنا عن الشعور بها . فشرائع المصريين كانت ساذجة منعمة عدلاً وفي الوسيلة التي تجعل الاتحاد سائداً بين الوطنيين . فمن جل مبادئها ان رجلاً استطاع انقاذ غيره من مغالب الهجمات ولم يفعل ذلك عوقب موتاً بصرامة يجازى بها الفاتل الجاني . واذا لم يستطع انقاذ الصعلوك من ورطة فعله ان يبذل الجهد في البحث عن فاعل الجريفة معه وقد عينوا حدوداً لمن لا يتم هذه الفرائض فلذلك كان الوطنيون يذاعون . وكانت كل المملكة متالبة القلوب على الاشقياء وكل من بنى مفسوراً عليه ان ياتي بامر يعود عليها بالمنفعة والشرعية تعين لكل هيئة التي ثبتت له ورائة من الاب الى الابن ولم يكن في وسع احدا ان يتقلد ههشتين ولا ان يغير حرفته . وكانت الحرف كلها ذات حرمة وكرامة . وقد اقتضى الامران بوجود مصالح واشخاص متفاوتة كما انه اقتضى ان يكون في الجسمان عيون لا يكون ضباؤها علة لامتهان الارجل واعضاء الجسم الفعلي فهكذا كان للسكنة والعساكر بين المصريين سمات اكرام خاصة . وكانت الحرف كلها خطيرة وحفيرة منظوراً اليها بعين الاعتبار والناس يخالون انهم لا يستطيعون ان يمتنعوا وطنياً ان لم يكن اقترف جريمة مها كانت اعماله بشرط ان تؤول الى النفع العام . وبهذه الوسيلة كانت كل الفنون زاهرة حائرة كمال الاتقان وان الشرف الذي كانوا يتطوقون به كان ممزجاً بكل شيء . وكانوا يصنعون احسن مما كانوا يترصدون صنعة فعاودوا ذلك كثيراً وتمنوا عليه منذ الصغر . ولكن كان لم شغل عام وهو درس الشرائع والحكمة . وان من كان يجهد الدبابة ونظام البلاد لم يكن معذوراً من العذل مها كانت احواله . ومع ذلك فكانت كل مقاطعة لها هيئة منوطة بها . ولم يكن يحدث

ادنى ارتعاج في بلد سعتها ليست كبيرة وكان الكسالى لا يمكن لهم ان يعثروا على  
قطعة من الارضين يتوارون بها اذ يرون هذا النظام الحسن . وكان كل شخص  
يعود على رعاية اعظم هذه الشرائع الحسنة وكلما بدت عادة جديدة كانت كأنها عجيبة  
في مصر لانهم كانوا دائماً يصنعون الشيء نفسه وكانوا يحفظون الاشياء الكبيرة بسبب  
الدقة التي يقومون باحتفاظهم الاشياء الحفيرة ولهذا ليس قطر كمبر ثبت شعبه على  
رعاية عوائده وشرائعه زماناً طويلاً . وان نظام الاحكام كان يضاف على تخليد هذا  
المبدأ ووقع الافتراع على ثلاثين قاضياً من المدن الاصلية اتاموا جمعية تعود على  
الملكمة وتنفي عليها . واعناد الشعب الأبرى على هذا المنصب الأعدل اهل البلاد  
واكملهم وكان الملك يعين لم دخلاً كافياً حتى اذا عثروا من ارتبا كانت امر المعيشة  
قضوا اوقاتهم كلها في ان يجعلوا الشرائع مرعية . ولم يكونوا يحرصون انفسهم بشيء من  
الدعاوى اذ لم يخطر لهم ان يجعلوا العدل حرفة لكسب المال . وحذراً من الخديعة كانت  
الاعمال متينة ومدونة في هذه الجمعية وكانوا يقلعون عن النصيحة الافكة التي تعي  
القلوب وتثير الشهوات ولم يكن من الممكن ابضاح الحقيقة إلا بنوع خال من الزخرفة .  
وكان رئيس المجلس يتزين بطوق من ذهب وحجارة كريمة يتدلى منه على صدره صورة  
تدعى الحق وكان ثقله بذلك دليلاً على ابتداء المجلس ومن كسب دعواه لدن المرافعة  
كان يضع عليه الرئيس الصورة علامة لاصدار الحكم ومن وسائل المصريين للحفاظ  
قواعدهم القديمة انهم كانوا يصنعون لها بعض احتفالات بكل ترو ورضوخ . ولم تسع لم  
اخلاقهم الرضية ان تضحي كاحتفالات ساذجة ومن لم يكن له اعمال وكان سلوكه حسناً كان  
المجلس بغض الطرف عن فحصة عنه فحصة الصارم ولكن كان في مصر نوع من  
الحكم غير اعتيادي لم ينج احد منه . فمن قضى عليه بشرب كأس المنون واسمه معتبر  
عند قومه كانت له بذلك تعزية كبيرة . فذلك امرٌ وحيد من الامور الدنيوية لا يستطيع  
الموت سلبه ولم يكن متاحاً في مصر ان يرثى الموتى اسواء فينضي ابراز حكم عام ليتاني  
الحصول على هذه الماثرة الخطيرة . وعند القضاء على رجل بالموت كانوا ياتون به  
للمحاكمة فتمه كان المدعي العمومي يصدر الدعوى فاذا كان في امكانه ان يبرز ادلة بينة  
على ان مسراه كان سيئاً عوقب ذكره واي اولاة الامران يدفونه وحظروا ان ينام  
له ضريح . وكان الشعب يتعجب من ساطة الشرائع التي لاتزال المر حياً اوميتاً وكان



كل يفرق من ذلك بروعه هناك ذكروا عائلته وإذا لم تثبت على الميت جريرة كانوا  
يدفونونه بكل تكممة واحترام وكانوا ينظرون له رثاء لا يذكرون فيه شيئاً من مملكته وكانت  
كل مصر شريفة ولم يكن فيها أحد ينال إبطاء من المدح ان لم يكن اجلاً لذلك  
وكن يعلم كم كان المصريون يحفظون اجساد موتاهم فنرى الى الان اجسامهم  
المحطية . وكانت معرفة الجميل نحو اقاربهم غير زائلة وكان الابناء اذا نظروا اجساد  
جدودهم يذكرون فضائلهم التي اقر بها الشعب العام ويستفزون لحجة الشرائع التي  
يتروكها لهم . ولمنع العارية التي منها يتولد الكسل والخداع والانتزاع امر الملك اشيس  
بان لا يتاح لاحد ان يستعير حاجة الا بشرط ان يرهن المستعير جسده اليه عند الاستعير  
منه ومن لم يسترجع هذا الرهن الثمين سريعاً يقضى عليه بان يكون ارتكب عاراً وكفراً  
وكان كل من تهرق روحه قبل ان يقضى هذا الغرض المهم محرم من الجنائز والدفن  
وكانت الملكية تنقل بالارث والملوك مفضيلاً عليهم ان يسيروا حسب الشرائع اكثر  
من غيرهم وكان بعض الشرائع خاصة سنها احد الملوك وهي قسم من الكتب المكرسة ولم يكونوا  
يشاحنون الملوك ولم الحق بان يفسروهم ويضيفوا عليهم . بل كان الشعب يحترمهم ويكرمهم  
كالالة فان العيشة القديسة نظمت الامور كلها فلم يكن يخطر للرعية ان يعيشوا مخالفين  
اجدادهم وكانوا يحتملون بلا مشقة تعبئة كمية اللحم ومقدار الاكل والشرب اذ كان من الامور  
الاعتيادية في مصر ان يكون الجميع متشفين . والمناخ يحملهم على التناعة وكانت كل  
ساعاتهم مبعدة لاشياء يصنعونها اذ اذابوا من النوم بكمية قرا وانحار يرم اذ العقل يكون وقتئذ  
صافياً والافكار رائنة صريحة فيتنان لم اذ ذاك تصور جلي احق في اشغالهم التي ينتمون فيها  
ولدن ارتدائهم البستهم كانوا يذهبون الى الهيكل لتقديم الضحية وهناك اذ كانوا  
يحاطون بخدعهم والذبايح على المذبح كانوا يحضرون الصلوة المتينة حكمة فيطلب ثمة  
الساكنين من الاله ان تهب الملك الفضائل الملوكية اعني ان يكون متعبداً للالة لطيفاً  
نحو الصالحين خطير النفس صادقاً صافياً مبتعداً عن الكذب حراً ضابطاً ذاته معافياً  
اقل من الذنب ومجازياً اكثر من الاستحقاق وبعد ذلك يتكلم الحبر عن الزلات التي يمكن  
ان يسقط بها الملك ولكنه كان يقترض ان الملوك لا تقع بها الا بالجدبة او الجهل ولعن  
الوزراء الذين كانوا يقدمون لهم النصائح السيئة ويخفون عنهم الحق . وهكذا كانت طريقة  
تعليم الملوك وكان الاناس يخالون ان الثريين يعظمهم وان الوسيلة التي لها الفاعلية في

تلقينهم الفضيلة في ابانة ما يتوجب عليهم بمداخ تطبق على الشرائع يلفتظ بها بكل احترام  
امام الالهة فبعد الصلوة والتضحية كانوا يملون امام الملك في الكتب المقدسة نصائح  
الرجال العظام وافعالهم ليحكم مملكته حسب قواعدهم ويحفظ الشرائع التي جعلت اسلافه  
ورعاياهم سعداء

والدليل على ان هذه النصائح كانت تصنع وتسمع بكل احترام هو لانها كانت ذات  
مفاعيل راحنة . فبين النيايين اي بين السلالة الملوكية الاصلية حيث الشرائع كانت  
مرعية بكل دقة وكانت متسلطة على الكل كان الملوك اذ ذاك اثبت الناس واعظهم  
برعايتها والمركريان اللذان اخترعا العلوم والترتيبات المصرية كانوا من ملوك نيا وكان  
حدهما قريبا من زمان الطوفان والاخر المدعو ( ترسيماجست او عظيما ثلاث مرار )  
كان معاصرا لموسى وقد استفادت كل مصر من تعاليمها وهما اللذان كانوا بافادتهما  
سببا لان تحصل نيبا على ملوك اشقيا قليلين وكان الناس يعنون عن الملوك الاردياء مدة  
حياتهم لابقاء الراحة العامة ولكنهم لم يكونوا يتقاعدون عن اصدار الحكم عليهم بعد موتهم  
وكان بعضهم يحظردفنه غير ان من كان يتندي بهم قليل . ومع ذلك فان اغلب  
الملوك كان الشعب يودهم كثيرا حتى ان كالا كان يذرف الدموع على فندانهم كانه  
يبكي على ابيه او اولاده وكانت عادة الحكم عليهم تبدو كانهما مقدسة لدى شعب الله بنوع  
انه قد استمر على ممارستها . واننا نرى في الكتاب المقدس ان الملوك الاشقياء كانوا  
يتمعون من الذفن في لجود اجدادهم . وينبشنا يوسفوس ان هذه العادة استمرت الى  
زمان المكايين وكانت تعلم الملوك انه اذا كانت السلطة رفعتهم عن الحكم البشري مدة  
حياتهم فانهم يجازون به لدن مساواة الموت اياهم بسائر الناس

وكانت عتول المصريين جائحة الى الاختراع غير انهم كانوا يستخذمون للشؤون  
المنيفة وكان المركريان اللذان حكماها قد ملاء مصر من الاختراعات العجيبة ولم يتركها الناس  
يجعلون شيئا مما يجعل الحياة سهلة . اما انا فلا تترك للمصريين وحدهم المجد الذي اولوه  
اوزيريس بكونه اخترع الفلاحة لان هذا انن قد وجد في كل الازمنة في البلاد الكلدانية  
من الارض التي انتشر الجنس البشري ويظن انه اخترع منذ انشاء العالم وان المصريين  
يجعلون زمن اوزيريس في الاجيال الخالية اذ يبدو جليا انهم قد خلطوا زمانه بابتداء  
العالم وقد راموا ان ينسبوا الى ذلك الزمان امورا كان اجلها قبل كل الازمنة المعروفة

بتاريخهم لكن ولو كان المصريون لم يخترعوا الفلاحة وسائر الفنون التي نراها قبل  
 الطوفان فقد انقنوها غاية الاتقان وافرغوا الجهد في سبيل تجديدها بين الشعوب  
 الذين قد انساهم اياها نوحشهم وليس مجدهم بذلك اقل ما لو كانوا اخترعوها . واخترعوا  
 فنونا كثيرة الاهمية ليس في امكاننا ان ننكرها عليهم ، وبما ان بلدهم لم تكن متشعبة  
 وسماوهم كانت صافية لاتتخالها غيوم كانوا اول من راقب سير الكواكب ونظم حساب  
 السنين وهذه الملاحظات قد اوصلتهم الى علم الحساب . واذا كان ما يقوله افلاطون  
 صحيحاً من ان الشمس والنهر علما البشر معرفة الاعداد اعني انه بدىء بالحسابات  
 المرتبة بحساب الايام والاشهر والسنين . فان المصريين هم اول من صنع ذلك وقد  
 عرفوا ايضا السبارات وغيرها من النجوم ووجدوا هذه السنة التي جلبت السماء الى  
 جديها والجئوا الى معرفة علم مسح الارض رجاء ان يعرفوا اراضيهم التي كانت مياه  
 النيل تغشيها واتصلوا بذلك الى الهندسة وكانوا يراقبون الطبيعة مراقبة حسنة وكانت  
 قوية وغزيرة بينهم بسبب الهواء الجيد والشمس الحارة وهذا ما جعلهم ان يخترعوا الطاب  
 ويتقنوه فبذلك كانت كل العلوم لديهم خطيرة جداً . وان مخترعي الاشياء المفيدة كانوا  
 يحصلون قبل موتهم وبعده على جزاء تستحقه اعمالهم . وهذا الذي جعلهم ان يعتبروا كتب  
 المركبين مقدسة وجعلوها كتابها كتب الهية . فاول شعب حاز المكاتب هو الشعب  
 المصري وان ما نلقدوه من الالفاب بعث الناس فاطبة على المسارعة الى اوج الامصار  
 المصرية والبحث عن مكنوناتها وكانوا بدعوتهم كنوز ادوية النفس فان النفس كانت  
 تشفي بها الجهل الذي كان فيها مرضاً عياء وجرثومة كل الادواء . وان الامور التي  
 كان لها المنافع الاول في عقول المصريين هي اعتبار الوطن والجنوح اليه وكانوا  
 يقولون ان الوطن هو مسكن الالهة التي حكمت فيه احتجاباً كثيرة غير معينة وكان  
 الوطن انشأ ارماطاً كثيرة وحيوانات متباينة ترويهن مياه النيل مع ان سائر الارضين  
 كانت غنية . واما الحكمة الذين كانوا يكتبون تاريخ مصر مع توالي الاجيال غير  
 المحدودة ويمثلونها حكايات واساباً الى الهتهم فكان قصدهم من ذلك ان يرسخوا في  
 عقول الشعب قدمية بلادهم وشرفها ومع هذا فان تاريخهم الحق كان متضمناً حدوداً  
 راهمة ولكنهم ارناوا ان يقالوا في فسحات شاسعة من الزمان الذي يدبهم من الازلية  
 ولذلك كانت محبتهم للوطن لها الاس الوطيد وكانت مصر اجمل بلاد العالم واخصها

ارضاً واتنمها بلدًا بنفوتها واتنمها شعبًا واغضرها معيشةً واحسنها محلاً واعظمها ملوكًا  
 وكان كل امر من اعمالهم ومقاصدهم عظيمًا. ويعسر تضديق ما قاموا به في نهر  
 النيل فان المطر لا يهطل في مصر كغيرها من البلدان ولكن هذا النهر الذي يسقيها  
 بفيضانه المنظم يقوم مقام الامطار والثلوج التي تنساقط في غيرها من البلدان  
 وقد ادخلوه مصر باقية لا تحصى طويلة عريضة جدًا. وكان بني قوى الارض  
 يياهم النافعة ويوصل المدن ببعضها ويقرب البحر الكبير بالبحر الاحمر ويرى التجارة  
 داخل المملكة وخارجها ويقويها على مكاشحة العدو وكان مفتيًا للبلدان ومحاميًا لها.  
 وكان الناس يغادرونه يسفح في البوادي غير ان المدن كانت مترفعة عنه باعمالها  
 القريبة كأنها جزائر في وسط المياه ترى وفي رفعة كل الحقل مغورة بمياه منه تحيها.  
 ولما كان فيض بنوع خارق العادة كانت البحيرات العظيمة التي انشأها الملوك تمد  
 افواهها الى ان تزدرد مياحه المنتشرة وكان قد هيء مصرف لهذه البحيرات التي كانت  
 تنفجها وتنقلها سدود لدن انتضاء الحاجة. ولم تكن المياه تستمر على الارض الا ربما  
 تحيها مخصصة. وهكذا كان استعمال البحيرة العظيمة التي تدعى بحيرة مبريس  
 او موزيس وهو اسم للملك الذي امر بانشاها. وتعتري الدهشة كلاً من الناس عند  
 شعوره ان قد كان لهذه البحيرة مائة وثمانون فرسخاً امتدت من ناحية لينة لثلا تلم  
 بالارض الجيدة خسارة لدن حضرها. وكان الملك يكتسب من الصيد شيئاً كثيراً. ولما  
 كانت الارض تثبت شيئاً كان الناس يتخذونه كنوزاً يغفرون عليها المياه وكان ثمة  
 هرمان على كل منها عرش عليه شخص عظيم الجثة احدهما تثال مبريس والاخر  
 تثال امراته وكلاهما يرتفع ثلاثماية قدم فوق ماء البحيرة ولهما الطول نفسه تحت غمرات  
 مياها وذلك من الادلة على انها انشئت قبل ان يمتلئ جوف البحيرة. وان الناس  
 انشئوها رحبة في عهد ملك واحد. ومن لا يعرف الى اي حد يمكن تدبير الاراضي  
 وتوفرها بحسب ان ما يقال عن تعداد مدائن مصر اقاصيص وحكايات. ولا يمكن  
 ان يصدق ما هي عليه من الغنى ولم يكن وقتئذ مدينة غير منفعة من الهياكل  
 العظيمة والنصور الشائعة. وكان فن البناء يبدو في كل اين سهو شرفه البسيط  
 والعظمة التي تملأ العقول وتدرجها وكانوا يبسطون في سرادات كبيرة التماثيل  
 والنقوش التي كان اليونان يتخذونها قواعد وكانت تبيه نهاي اجمل مدن العالم. وان

نقطة التي انشدها اودروس الشاعر كان الجميع يعرفونها وكانت كثيرة السكان  
منذ ما كانت رحية . وقد قيل ان عشرة الاف مجارب يخرجون اسواق من كل  
باب لها . وان يكن في هذا القول مغالاة فان شعبها كان عسرا الاحياء وامتدح  
اليونان عظمتها وكبرها لما رأوا دنارها لعظمة الاثار التي كانت فيها  
ولامراء ابن سواح عصرنا الموصول الى ذاك المكان حيث كانت تلك المدينة  
مرطقة لكانوا عثروا على اثار لا ضرب لها بين طولها لان اعمال المصريين من  
شاهان ابن نقاوي الزمان والمخطوب المدفنة . فكانت تماثيلهم تضاهي الاجرام الجسمية  
وعواميدهم شتى شاهقة . وكانت الملكة المصرية تدأب في البهاء والعظمة وترغب في ان  
تدهش عن بديع الابصار مع انها كانت تفر بروتة هندامها وقياساتها المحكمة  
واكتشف الناس في الصعيد هياكل وقصوراً لم تنزل الى الان في حيز الوجود بها  
عواميد وتماثيل لا تحصى وما يبعث على الحيرة والدهشة قصر لم تستمر طولوله الى الان  
الا لازالة عجد الاعمال العظيمة كافة

فاربعة من الاروقة الشاهقة المزينة على كلا المحدين باي الهول الموائف من  
مادة نادرة بعظمة جرمها في كمابر لاربعة ابواب تحجر الافكار بسموها ، فيما ارحبها  
واعظمها . وان الذين وصفوا لنا هذا البناء العجيب لم يقض لهم الزمان آناً يحولون  
فيه حولة وليسوا على اثبات من روية جانب منه ولكن كل ما رأوا منه مذهل  
وغريب . فاحدى القاعات المشيدة في وسط هذا النصر الباذخ كانت مركبة على ستة  
وعشرين عموداً يحيط بثمن الواحد منها اثني عشر ذراعاً ومتسبة الكبير الا انها متمزجة  
بمسلات صامتة الدهر ولم يستطع اهابها وما زالت الالوان قائمة بين اثار هذا البناء  
الغريب وحافضة الى هذا الان حديتها وجمالها الاول طالما كانت مملكة مصر تطيع  
افعالها سنة الخلود . وبما ان الان قد ذهب في العالم اسم الملك لويس الرابع عشر وذاع  
في كل الانظار البسيطة وهو يد بعيداً المباحث التي يتخذ منها اجل اعمال الطبيعة  
التي هي من متبادر الامران يكون ذلك موضوعاً يلقي به الرغبة السياسية اي ان  
كتشفت الحسن المتطورة طي قفار بلاد الصعيد وان تزيد في هندسة ابيتنا باختراعات  
لمصريين . فما الشوكة اوما هو الفن الذي استطاع ان يصير هذه البلاد اعجوبة العالم .  
واذ رأينا هذه الامور الغريبة في البلدان القاصية فماذا الذي عسانا ان نراه في العاصمة

وانما على مملكة مصر وحدها ان نقيم مآثر فاخرة مخجلة فلم تنزل مساهمتها الى هذا اليوم اجمل زينة في مدينة رومية سواء كان بزهائها او بارتفاعها . وقد آيست السلطة الرومانية من مضاماة المصريين وحسبت انها تزيد فخراً على فخرهم اذا نسنت بمآثر ملوكهم . ولم تكن مملكة مصر قد شاهدت من الابنية الشاهقة سوى برج بابل لما ابتدعت الاهرام التي نالت بهيبتها وعظمت راية الظفر بالاجيال والبراق . وان ذوق المصريين السليم حدام منذ ذاك الزمان الى مجرد ود المكائنة والنظام في البناء . آيست الطبيعة توموب من تلقاء نفسها الى هذه الهيئة البسيطة التي يشق على البشر جداً العود اليها اذا ما افسد الذوق حب الطرق الجديدة والافدام الغريب ومهما كانت من الامر فان المصريين لم يودوا سوى افدام مرتب لانهم لم يطلبوا اختراعاً ولا طريقاً الا في هيئة الطبيعة المتنوعة وتفتتها غير المحدود وطالما افتخروا بانهم وحدهم هم الذين ابدعوا كالاظمة اعما لا خالكة . ولم تكن الكتابات التي على الاهرام اقل اعتباراً من هذا الصنيع نفسه . وكانت كأنها تناجي الناظرين اليها واحدهن المبني من الآجر كأنه يحذر الجميع من مقايسته على غيره وانه يسمو علواً على سائرهم كما ان المشتري يتماثل على جميع الالهة الا انه مهما اجهد البشر نفوسهم فلا يلبث ان يبان وهن قوامهم وعدمهم في كل ابن . وكانت هذه الاهرام رموساً غير ان الملوك الذين شادوها لم يكن من سلطانهم ان يحدوا فيها وهكذا لم يتمتعوا بالمحصول على لحودهم

ولم يكن من ذآي ان انكلم عن القصر الهي المدعو لايرنسلو لم يثبت لما هبرودوث انه بنوق الاهرام جداً . فانه شيد على ضفة بحيرة مبرسي ومنح منظراً موافقاً لعظمته وتدا ذلك لم يكن قصراً واحداً بل لثيقاً من القصور الهية تعدادها اثنا عشر قصراً متصلة ببعضها على غاية النظام . وكان يكتنف ذلك الف وخمماية قاعة ممتزجة بالسطوح مستظلة حول اثني عشرة حجرة لاتبقي مخرجاً لمن رام دخولها قصد الزيارة وكان بقدر ذلك ابنية تحت الارض مهيأة لان تكون رموساً للملوك ومكاناً لعبادة الفاسج المقدسة التي قد سجدت لها هذه الامة الفاتنة بتور الحكمة الطبيعية . ومن يمكن له ان يرى ذلك ولا يعتربه خجل بل يتوكأ على عمه العقل الانساني

فلربما تاخذك الدهشة يا سيدي عندما ترى كذا عقلة في رموس المصريين . ففضلا على انهم شادوها بان تكون آثاراً مقدسة لتري الاجيال المستقبلة ذكر الملوك النظام

ومجدهم بحسبونها ايضاً كمنواي سرمدية . فمن الحق ان الدبار غدت فنادق ينظنها  
المسافرون ابدآ ينضون بها حيوۃ وجيزة لا تشج لم ينوال جميع مرغوباتهم وانما الديار  
الحقيقية في الرموس التي ازمعنا نحن ان ننظنها منذ احتساب شتى

ومن المقرر ان كدح المملكة المصرية لم يكن منصوراً على الجامدات بل كان جل  
اهتمامها متوقفاً على تثفيف البشر . وقد ايقن اليونان كثيراً ان رجالهم الشهيرين كهوميروس  
وفيشاغوروس وافلاطون وليكوركوس نفسه وسولون المشترعان الشهيران وكثيرون  
غيرهم لبس هنا موضع بسط الكلام عنهم ذهبوا فاكبوا على تعلم الحكمة في مصر ورام الله  
ان يتروى ويتنف على حكمة المصريين لانه شرع بذلك يكون قديراً قولاً وعملاً لان  
الحكمة الحقيقية تستخدم كل شيء والله لا يرغب في ان الذين يوحى اليهم يهلون الوسائل  
الانسانية الناشئة عنه تعالى على وجه آخر

وقد درس حكماء مصر السياسة التي تجعل العقول ثاقبة مكيۃ والاجسام قوية  
البنية متينة والنساء كثيرات النسل والاولاد اقوياء اشداء . وهذا كان الشعب ينمو وتزيد  
قوته وعدده

ولاريب ان البلاد سليمة طبعاً الا ان الفللفة علمت اهلها ان المرء لا بد له من ان  
يضافر الطبيعة ويكون مظهرها . ومن البين ان قد يوجد فن تثفيف الاجسام كما وجد  
تثفيف العقول وقد عرف الاقدمون جيداً هذا الفن الذي اسد لنا عليه جلياب  
التواني بعد ان اتصل اليه المصريون . ولقد طالما مارسوا القناعة ولاسيا الاشغال في  
سبيل هذه الغاية الماثورة . ففي احد مضامير الممارك العظيمة التي شاهدها هيرودوت  
عيمائانيين ان حجاج الفرس كانت سهلة الثقب وحجاج المصريين صلدة جداً فحاجي الصغور  
التي حولها فذلك يدل على رخاوة جيش الفرس وقوة المصريين وبطشهم اللذين  
يتأنيان عن القناعة والاشغال الشاقة . وقد اُجري في مصر بهارة عجيبة السير على  
الارجل والخيول والعجلات ولم يكن في البسيطة كلها اناس جديرون بامتطاء الخيول  
كالمصريين . واما اشعار ديودوروس ايانا فانهم اهل الكفاح بان يكون تمريناً يجلب  
قوة خيرة سريعة الزوال فيوعز به الى كفاح المصريين المتجاوز الحد الذي عابه اليونان  
وتخذوه غير لائق بالاحرار مع انهم توجهوا في ملاعبهم الفائزين مراراً . الا انه يابق باهل  
المكرمة اذا اُجري بعدالة . واشهرنا ايضاً ديودوروس نفسه ان مركون اله المصريين

ابداع اصوله مع فن تثقيف الاجسام . فعلمنا ان نصيح ايضاً لما يقوله هذا المؤلف نفسه  
 فيما يتطابقن الموسيقى فقد اهتمن المصريون كثيراً بالموسيقى المودية الى الرخاوة واحسبوها  
 ذريعة لترفع الشجاعة من الابطال وقالوا ذلك يودي بهم الى التخت والرخاوة وحقيقة  
 الامر ان هذا الفن العظيم يرفع قوى العقل ويطرب القواد بالحنانة المنسقة وليس من  
 الحق والصواب ان يناف منه المصريون . فقد روى العلامة ديودوروس نفسه ان قد  
 اوجك الهمم مركور وقد ابداع ايضاً لهم آلات الطرب . وفي احفالاتهم وهم حاملون اسفار  
 ترسيماجيست كان يسير المنزل في مقدمتهم وبينهم رمز الى الموسيقى ( لا علم لي به ) وكتاب  
 التيسايج . وخلاصة الامر فان المصريين لم يباح افكارهم شيئاً من شانه ان يهذب العقل  
 ويرفع شان القواد بقوى الجسم وكانوا يقومون برواتب اربعمائة الف جندي رعاية  
 لابناء وطنهم الذين طالما تعودوا التمرينات الحربية وقد كانوا يحفظون شرائع الجندية  
 بكل سهولة او بالاحرى كانت الطبيعة تخولهم ذلك فان الآباء كانوا يلثونها على بنينهم  
 علماً بانهم مزعمون ان يثقلهم بالهن الحربية كما يختلف الابن اباء في سائر الوظائف  
 وكان النوم المشحون برداء الجندية منظوراً اليهم بعين الاحترام والكرامة بعد ذرية  
 الاجبار وكانوا يسمون شرقاً على سائر المخلوقين كما في بلادنا . وليس من داني الحكم على  
 المصريين انهم كانوا في غابر الزمان امة حرة فجمعهم للجنود المنظمة كان امراً زهوقاً  
 وكانت ممارستهم الاعمال الحربية ومعاودتهم صورة الحروب عبثاً . انما لا يصبر الناس  
 جنوداً مستعنين بالمواقع الا في المعارك الحقيقية وطالما ود المصريون السلام لانهم كانوا  
 يودون الانصاف ولم يكن لهم حاجة للجنود الا للدفاع عن انفسهم فلذلك لم يفكروا  
 قط في ان يوجهوا نيران الوغى قصد الافتتاحات بل كانوا يكفون بما هو لهم وبما يخصهم  
 عاলাম . وقد امتدت مملكة مصر من جهة اخرى وبعثت نخلات الى جميع الامصار  
 انتشرت بهم الشرائع والآداب وتوافدت سكان المدائن الشهيرة على مصر ليقفوها فيها  
 ويعلموا عوائد اهلها القديمة ويمجروا من بنايع اديانهم الحسنة واستشاروهم كثيراً في  
 اصول الحكمة وذلك لما عزم سكان اليديا على تشييد ملاعب الالومبيالك التي هي  
 اشهر ملاعب اليونان بعثوا برسالية حافلة يطلبون بها تصديق المصريين عليها معهم  
 وتلقوا منهم وسائط حديثة لاقناء البسالة . في اثنته الخاريين . وقد استولى المصريون  
 بحكمتهم زماناً وبانت الشوكة لديهم اعظم من مملكة توطدت اركانها بصايل الاسلحة



وقوى الجنود وأما ملوك تاب وإن كانوا أقوى من ملوك مصر كافة فإنهم لم يحملوا قط على الممالك الدانية . ومن سواغية الامران يقال انهم سلبوها من ايدي الاجانب لانهم استولوا عليها فسرّا عن ارادة قاطنيتها والحال انهم فاقوا سموّا على جميع الفاتحين بما اخذوا فيقتنون . ولست دائباً في كلامي الى اوزيرس هازم الهنود فمن المئزرانه ياخوس نفسه او احد الابطال المئو بهم في الاقاصيص المروية فابوس وسترس سواء كان عمله بيل غريزي او مجت خلق او سلطان هائف كما يزعم المصريون قد ازمع على ان يصير ابنه من اشهر الفاتحين فشرع كمادة المصريين ابي بالا فكار السامية وامران ياتوه الى القصر الملوكي بجميع الصبية الذين ولدوا في اليوم الذي ولد فيه سزوستريس فاعني بتثنيهم وتدريبهم كاولاده وكان يقيهم على مائة واحدة بجانب سزوستريس فاشهرهم الصفات الحسنة ولهذا لم يكن له وزراء امينون ذوو حمية لدن اضطار القتال نظيرهم . ولما طعن في السن حنكهم بن الحرب اذ اضرم على العرب نار الوغى فالتجأ هذا الشاب حينئذ ان يكابد شدة الجوع والظاء وارزح تحت نير شوكته هذه الامة المتوغلة في العصيان الى ذاك الحين وبعد ان عاود الاشغال الحربية بافدامه على هذه الفتوحات وجه ابوه افكاره نحو غربي بلاد مصر ففهم على اقليم ليبية وارفع تحت نيره قسماً عظيماً من هذه البلاد الشاسعة . وفي ذلك الوقت غيبت به برائن الردى وتركه املاً لمباشرة كل ما يرغب فيه ففهم في فكره ان يفتح العالم بامتدح الا انه قبل ان يراى مملكته استندرك الامان داخلها وملك افنة شعوبه بسخاؤه وعدله وجعل الاحكام في نظام تام بمخاضه العظيمة ومنع ذلك فند كان يتأهب لمصادمة الاعداء في جيش الجيوش واقام عليهم قادة الشبان الذين رباهم والد معه على مائة واحدة وكان عددهم ينوف على الف وسبعماية كلهم جديرون بان يلقوا الحماسة والبسالة وروح النظام ومحبة الملك في قلوب الجيش كله . ولما اتم ذلك على هذا الاسلوب دخل بلاد الحبش واغرى الحبشيين بان يوهبوا له الجزية وهكذا ادمن على التور في اسيا . واورشليم هي المدينة الاولى التي شعرت بداءة بدء بيتاس جنوده ولم يستطع رجوعهم الجري الى مقاواته بل سلب منه سزوستريس خبرات ابنه سليمان وامواله فهكذا قضت العناية الالهية للملك الشرير عتاباً اليائماً ففري سزوستريس بلاد الهند اكثر من هرقل وباخوس ووصل الى اكثر ما وصل اليه فيما بعد الاسكندر العظيم لانه البلاد قمع التي وراء نهر الكج ومن ذلك يمكن لك ان تستشعر

هل قاومت البلاد الدانية عزه. فتغلب على السيتيين حتى نهر النيايس لان بلاد ارمينية وكبادوقيه رضخا لاورام ونواهيہ فترك نخلة في مملكة كولكوس القديمة حيث عوائد المصريين لم تنزل ثابتة ومستقرة الى هذا الحين. وقد رأى هيرودوت في اسيا الصغرى اثار ظفر من بحر الى آخر مع كتابات فاخرة بشأن سزوستريس ملك الملوك وسيد السادات

وقد وجد منها في اقليم تراسا ايضا. وامتدت مملكة سزوستريس من نهر الكانج الى نهر الطونة وانما صعوبة المعيشة صدت عن اقتراء بلاد اوربا فعاد بعد تسع سنوات من سفر ينفلة جميع الشعوب الذين ارهتهم بالغنائم والانعام فمنهم من دافع ببسالة عن استقلالهم وحررتهم واخرون سلموا دون ادنى مقاومة وقد صرف العناية سزوستريس بان يوعز في اثاره ونواحيه الى اليون بين هؤلاء الشعوب باحرف رمزية تدعى (ابروغراف) حسب عادة المصريين وقد اخترع الرسوم الجغرافية برسم عليها مملكته واقام مائة هيكل شهيرة توطدت في سبل نسيج الالهة الذائفة عن المدائن وجعل جل ذلك منصورا على تذكار فوزه واعلنت بكتابات ان هذه الاعمال العظيمة قد تجزت دون ان تعني رعاياها وكان بعد من سوذده ان براعيم وان لا يهلك في آثار فوزه سوى الاسرى. وقد اتفنى بذلك اتزوج الملك سليمان فلم يستقدم هذا الملك الحكيم في الاعمال العظيمة التي خالفت اسمه وذكرى ملكه سوى الشعوب المستعبدين والمودعين الجزية لحكمومتهم. على ان الرغبة اعدت لالاعمال اخرى اعظم واشرف فكانوا يعملون فن الحرب واصدار الاوامر للجمدية ولم يستطع سزوستريس ان يفتني اثارا اعظم من ذلك فترجع في دسب احكام مصر ثلاثة وثلاثين حولا ونعمم بانتصاره زمنا طويلا. ولو لم تبعثه الكبرياء على ان يجعل الملوك الذين قمعهم يجررون مركبة لكان اهلا لكل مجده وفخر. ومن البين انه انف من ان يموت كسائر الناس. ولما امسى لدن شيبوخيم اعجب الفخر وغادر المملكة المصرية لثروة وفيرة ومع ذلك فلم تبلغ مملكته بعد موته النسل الرابع الا انه بقي منها الى عصر طباريوس قيصر اثار متفخرة تدل على عظمتها وسعة دائرتها ان المملكة المصرية عادت فورا الى ما كانت عليه من طبعها وهو الرغبة في السكينة حتى انه كتب ان سزوستريس كان اول من اوهن عزائم المصريين بعد فتوحاته خشية من وقوع العصيان وبناء عليه لم يتخذ هذه الوسيلة الا كاحتياط على خلفائه. فانه

لم يكن يخشى من شعوبه بأساً فانهم كانوا يودونه ويخزون امام عظمته سجداً نظراً لما  
 انطوت عليه تنبياه الحديدة من الحكمة والحلم ولذلك لم يكن هذا الفكر لائقاً بملك  
 اخذت منه العظمة والمهابة كل ماخذ ولولم يكن كذلك لكانت مغادرته بسالة رعاياه  
 في حيز الوهن ضرباً من عدم استدراك الوسائل الكبرى لتوطيد اركان فتوحاته . ومن  
 المقرر ايضاً ان هذه المملكة العظيمة لم تثبت مطلقاً . ولا مندوحة للإنقراض في اي وجه  
 كان لان روح الانقسام والشعب اخذا يتدان في بلاد مصر . وقد اغار ساباكون الحبشي  
 على هذه المملكة في عهد الملك انيزيس الاعى فعامل الشعب بالرفق والتؤدة وقام  
 بشئون خطيرة لم يبلغ اليها احد من الملوك الوطنيين فلم يربداً اعتدال كما عند اله لانه  
 بعد ان مضى خمسون عاماً من حكمه السعيد عاد بالين الى بلاد الحبش انقياداً لاوامر  
 بعض الناصحين له فذلك امر خالاهاماً من لدن الالهة . ومنذ ذاك الحين هبطت  
 المملكة بايدي ساتون كاهن فولكان المعروف بالبر والقي الاله قليل المعرفة عدم  
 الخبرة في الامور الحربية . وقد اهل قوى الجندية اذ عامل الجيوش واهل الحرب معاملة  
 سيئة ومنذ ذاك الحين لم يعضد المملكة المصرية سوى جنود اجانب ومن ثم امتدت  
 في مصر بلايا عظيمة فان المصريين تنهروا لم اثني عشر ملكاً يقتسمون بينهم الحكم  
 وهم الذين بنوا الاثني عشر صرحاً التي تالف منها اللابيرنت وان تكن  
 المملكة المصرية لم تسدل على عظمتها القديمة ذيل النسيان فقد امست واهنة القوى  
 ونشعبت في عهد هولا الملوك الاثني عشر واصبح احدهم المدعو بسامانيك ملكاً  
 باعانة الاجانب له فقامت به المملكة واستمرت عزيزة قديرة مدة خمسة او ستة احكام  
 ملوك . وقصارى الامر ان هذه المملكة القديمة بعد ان مكثت نحواً من ستاية عام  
 اضعف ملوك بابل وملوك الفرس قواها وامست فريسة لكامبيز الذي هواغبي من  
 الملوك طراً

ان الذين عرفوا جيداً اخلاق المصريين استدلوا انهم لم يكونوا امة حربية . وقد  
 اوعزنا انفاً الى اعله ذلك لانهم قد عاشوا في الطائفة نحواً من الف وثلاثماية سنة لدن  
 بروز الملك الفاتح الشهير اعني به سزوسنريس فهكذا قسراً عن ارادة جنودهم المرعبين  
 بعناية جريئة راينا اختياراً ان قوتهم كانت قائمة بالجيوش الاجانب وهذا من اعظم  
 الاوقام والمعائب التي يمكن للمالك اقترافها . لكننا الامور البشرية ليست ابداً على كمال

ومن الامور العسيرة الوصول الى ثروة التكال في فنون السلام واللوازم الناجمة عن الحرب ولكن ليس من الجيد الطيف استمرار هذه المملكة ستة عشر نجلاً وقد حكم في مدينة نابهم في الفترة بعض المحبسين ومنهم سباباكون وثاراكاً حسب ظن الاكثرين الا ان المملكة المصرية تحذت هذه الافادة من قوائم خالتها المنظمة وقوانينها المرتبة غير ان الاجانب الذين افتخروا غادروا عوائدهم جانباً وتسلطوا بغزائهم : وعلى هذا لم يكن المصريون يعتقدون بحكومتهم بتغير ملوكهم وحكامهم . وقد شق على مصر احتمال الفرس وابوا الرضوخ ليرحم الثبل الا ان المملكة لم تكن ذات بطش وضولة كما افننا لماثاة هذه السلطة القديمة بقوة جيوشها . وقد التجأ اليونان ان يملوها لانها كهم في امر آخر . وطالما اندوها بالاعانة سلفا وذاادوا عنها وكانت تسقط دائماً في عهد ولاد ملوكها الاولين الا انها استمرت متمسكة بعوائد القديمة وامست غير جذيرة بان تسلق احكام ملوكها الاقدمين وشرايعهم ومع انها تمسكت بامور كثيرة على عهد نبولماوس وخلنائو فان اختلاط عوائد اليونان والشرقيين كان عظيماً جداً حتى انه لم يبق امتياز بين عوائدهما وعوائد المصريين القديمة

فلا نسأل اذا ان ازمنة ملوك مصر القديمة غير مخففة حتى في تاريخ المصريين انفسهم لانه يثق علينا ان نجد محلاً للملك اوزيندياس الذي نرى منه آثاراً عظيمة يتشبه ديدودوروس عنها وادلتساطعة على خروبه ويلوح ان المصريين لم يكونوا يعرفون اباسروسيس الذي لم يكن هيرودوت وديودوروس وان شوكنه تبارت من الاثار التي في العالم اكثر من توارخ وطيف هذه المحجج وغيرها تبين لنا انه لا يقضي ان يصدق كلها روية لما المملكة المصرية بشأن قدميتها كما كان يخال البعض مع انها هي نفسها لا تعرف ازمنة ملوكها الذين ملكوا ناصبة الشهرة اكثر من غيرهم

## الفصل الرابع

في الاشوريين القدماء والحديثين والماديين وقوزش

ان ملكة المصريين العظيمة تعتبر كأنها منفردة عن غيرها وليس لها استغناء متصل كما نرى وما يبقى علينا ذكره هو اكثر تحقيقاً وثوارخه اشد يقيناً

ومع ذلك فلم يبقَ علينا الا اشياء وجيزة مخفية تناط بمملكة الاشوريين الاولى  
وبوجيز الكلام نقول : في اي اين شاوروا ان يعينوا مبدأها اتباعاً لآراء المؤرخين  
التيانية جاء نينوس لما كان العالم مجتزأ الى ممالك شتى حقيرة امرأوها ينهمكون في ان  
ينظروا الى ذوائهم أكثر من ان يزيدوا قوة واذا كان يفوق من يدانونه في القوة  
والجبرأة اضعفهم قوماً بعد قوم واقصى انتصاراته جدّاً في ناحية المشرق . ثم ان امراته  
سامريس التي احرزت في المطامع المنوطة بها غالباً ينجسها مما لا يوجد اعتياداً بهنَّ  
ثبتت افكار بعلم الرحبة واتمت توطيد هذه المملكة

فلاريب انها كانت عظيمة . وكبر نينوا الذي يفوق كبر بابل كما يزعم البعض  
بوضع ذلك جلياً . ولكن بما ان المؤرخين المدققين لا يذهبون الى ان هذه المدينة  
قديمة كما يذهب لها غيرهم لا يحكمون انها عظيمة بمقدار كهذا . فلو كانت قديمة ورحبة  
تطبيقاً لقول المورخ الافاك كئازياس ومن له الثقة بكلامه يعلم ان المالك الصغيرة التي  
يقتضي لنا ان نفائسها عليها تستمر زمناً طويلاً . ومن الحق ان افلاطون الراغب في  
البحث عن الاشياء القديمة والنظر اليها يضع مملكة تروادة على زمان بريام تحت ولاية  
سلطنة الاشوريين لكنه لا يرى شيئاً من هذا في مؤلفات امبروس الذي كان عليه  
ان لا يهمل حادثة كهن لما في قصص ان يسي مجد بلاد اليونان . ويمكن الوثوق بان  
الاشوريين كانوا معروفين قليلاً في جهة المغرب لان شاعراً كهذا عالماً محباً للبحث عن  
الشؤون ليزين اشعاره من كل ما من شأنه ان يناط بموضوعه لم يذكرهم فيها ابداً .  
ومع ذلك فحسب التعداد الذي رايناه أكثر موافقة للصواب نقول ان زمان  
حصار تروادة كان اعظم عصر الاشوريين اذ تمت فيه فتوحات سبراميس التي لم  
تنتشر الا في جهة المشرق فان الذين يصانعونها كثيراً جعلوها تحصر اسلحتها في هذه  
الاربعاء فانها شاركت نينوس في مقاصده وانتصاراته ثم لان جوستين الذي يغالي في  
مدحهم يحطه بنهي فتوحاته من جهات الغرب على حدود ليبية

ولا علم لي في اي آن اتصلت نينوا بفتوحاتها الى تروادة اذ يرى ان نينوس  
وساريس قاما بشيء مثل ذلك . وجميع خلفائهما عاشوا في ومن عظيم منذ ولدها  
نينياس ولم يقوموا الا باعمال نادرة جداً حتى ان اسماءهم كادت لا تصل اليها . ومن  
الغريب ان مملكتهم امكن لها الفرار مع اننا لا نثق بسعتها . ولاريب ان فتوحات

نزوسنريس انقصتها كثيراً . ولما كانت هذه الفتوحات قصيرة رليس لها من شغلائي  
مستند آل بنا الامر الى ان البلدان التي ملصوها من ايدي الاشوريين وهي معتادة على  
اجتغال سلطتهم تكون قد آبت اليهم طبعاً حتى ان هذه المملكة استمرت ذات شوكة عظيمة  
متمتعة بالراحة والسكينة الى آن ابدى فيه ارباس رخاوة ملوكها المدمنين على النوارى  
في زوايا قصورهم ولم يفض الامر بسردانا بابل الى ان يكون محترقاً فقط لذي الرعية بل  
قضى عليه الامر ان يكون غير مطاق

ولقد شاهدت المالك التي خرجت من دثار مملكة الاشوريين وهي التي منها  
مملكتنا نينوا وبابل . فملوك نينوا استسكوا بلقب ملوك اشور وكانوا يزبدون غيرهم قوة  
وباساً لكن كبرياءهم كانت متجاوزة كل حد لانهم افتتحوا مملكة اسرائيل او السامرة ولم  
يدراهم عن ان ينعلموا مملكة يهوذا في ايام حزقيا الملك الا يد الرب ومعجزاته ولم يعد  
يعلم في اي حيز يمكن ان تحصر شوكتهم اذ فازوا عما قليل بمدينة بابل التي تدانينهم  
وهي التي كلت فيها قوى السلالة الملوكية

واما بابل فكان يبدوانها لم تبرز الا لتستولي على اقطار البسيطة طراً والدليل  
على ذلك ان شعوبها كانوا على جانب عظيم من سداد الراي والبسالة وكانت الفلسفة  
والعلوم بينهم رياضاً دانية النطوف ولم يكن في الشرق كله جنود تحاكي جنود المكدانيين  
وكان الناس يعجبون في الاعصار القديمة من نضارة هذه البلاد التي جذبت  
باهاال قاطنيتها حرائثها . وحداها خصماً الى ان تكون في ايام ملوك فارس القدماء  
قسماً ثالثاً للمملكة وبناء عليه فملوك اشور افتتحوا ونعظموا من زيادة مملكتهم بانضمام  
هذه المدينة المثرية اليها فباشروا اذ ذاك مقاصد جديدة . وفكر يختصر الاول ان  
مملكته لا تكون جديدة به ان لم يل اليه العالم قاطبة . ورام يختصر الثاني الذي فاق  
سلفه سمواً بعد ان فاز فوزاً غربياً وفتح فتوحات مدهشة ان الرعية تؤدي له عبادة  
الاله اخرى من ان يحكم كملك . فآية صنعت لم يبق باعبائها في بابل واي اسوار واي  
ابراج واي ابواب واي صيانة لم يباشرها . وقد لاح ان برج بابل القديم اوشك ان  
ينجدد بعلومه بكل باعال وان يختصر اراد ان يهدد ثانية السماء وان تكن يد الرب  
اهبطت كبريائه فمع ذلك خامرت رموس خلفائهم لم يتأسوا على احتمال سلطة  
من يدانونهم فعولوا على ان يرضخوا للعديد الاوفر تحت نير عبوديتهم ولذلك انف

منهم المجاورون واصبحوا يصفون عن احتمال ذريعا فأبى عليهم المحمد ملوك ماد  
والفرس وقبما عظيما من شعوب المشرق لكنهما الكبرياء نجولت بسهولة الى  
الفسوة . وبما ان ملوك بابل كانوا لا يحسنون معاملة الرعية غادرهم السواد الاعظم منها  
وسادات عظام وانجازوا الى قورش والماديين لكنهما بابل المعتادة على التسلط وقمع  
الاعداء لم تبالي بتالب هؤلاء الاعداء المكاشحين لها . بيد انها بعد ان كانت تخال ان  
لا تعمل بها ابدي النهر والغلبة امست اسيرة بايدي الماديين الذين كانت تزعم انها  
تتكلم اي تكميل ثم التفت بها كبرياؤها الى هذه الهلاك

واما نصيب هذه المدينة فكان غريبا فقد دثرت بعدلها فان نهر الفرات كان  
ييدي في سهولها الشايعة ما كان يديه نهر النيل في سهول مصر . ولكي يجعله الناس  
سهل الاستخدام افنضى الامران يفرغ في شأنه شغل وعناء اكثر مما استعملته مصر في  
سبيل النيل فانه كان يجري على خط مستقيم ولم يكن له كالنيل فيضان فذلك افنضى  
ان يصنعوا في البلاد كلها افنية حجة ليمكنوا من ان يستولوا على الارضين التي زادت  
في نفاها هذه الوسيلة فاصبحت غرضه نضرة ورجاء ان يخففوا زحف مياهها الهائجة لجثوا ان  
يقودوا مجرى باقية متوازية وينشئوا بحيرات كثيرة زانها ملكية حكيمه بقاء غريب  
فان نتوكرس والى لانبث المذهب بنايونير اوبلشصر ملك بابل الاخير في التي قامت  
باعتها هذه الشعوب الخطيرة . غير انها هبت بان ييدي امورا اعظم من ذلك فانه رفعت  
على نهر الفرات حجرا حجرا لضم طر في المدينة الذين كان يفصلها عرض النهر المتزايد  
فانقضى الامر ان تنصب دولة نهر كبير كذا بنجويها الى البحيرة العظيمة التي كانت  
تلك الملكية قد جفرتها ولدن ذلك اقامت البحير الهبة موادها المثينة وكسبت صفتي  
النهر خرفا من السفلى الى حجرة متناه من العلو وغادرت له درجات مكتسية خرفا ايضا  
ومزينة بشغل حسن يضاهي شغل اسوار المدينة . فالتجهد في هذا الصنيع كان بضارح  
عظمته عجاا الا ان هذه الملكية الحكيمة لم يطرق ذهبا انها كانت من الوساطة تعلم  
اعداها كيف يديهم الاستيلاء على المدينة فان البحيرة التي جفرتها بنجوها قورش  
وسيلة لان يحول اليها ماء النهر لما ليس من ان يخرب بابل بقوته اوبالاجاعة فتفتح من  
جهتي المدينة سبيلا اختارت اليه الانبياء

فلم تعتد قط بابل انها زائلة كباثر الاشياء العالمية ولو لم تستأثر بذاتها استبقارا

نبحث على الضلال لما رماها الله في حيز العالم ولما عسر عليها استدراك ما فعله قورش.  
 لان عملاً كذا كان على وشك الحدوث وكادت توقع بالنفس برعايتها جميع المحدثات  
 غير انهم لم يهتموا بسوى الولاة والملاذ ولم يكن فيهم نظام اورثاسة صدق عليها وبذلك  
 تدثر الاستحكامات والفلاخ والممالك القوية فامتد الخوف في كل اين وزهنت روح  
 الملك الشرير واراد كثر بنوفون الملقب بملك يابل الاخيران يوعز بنولو الي بلشصر الذي  
 ارانا اياه دانيال معاقباً بمهطقة تبعث الرائيين على العجب العجيب

واما الماديون الذين فوضوا مملكة الاشوريين الاولى ففوضوا الثانية ايضاً كأن  
 هذه الامة اقتضى لها ان تكون دائماً منافضة لعظمتهم الا ان قبيلة الفرس الراضعة لاجلهم  
 نالت بيسالة قورش الكبير فوزاً عظيماً في هذه المرة الاخيرة

وحقيقة الامرات الفصل في ذلك لهذا البطل الذي قد ربي بالصرامة والنظام  
 حسب عادة الفرس وهم الشعوب الذين اخذوا وقتهم بكون على التيم والسياد وقد  
 اعتاد قورش منذ لدونة الحدائه على معيشة فنتة وحرية . ولقد كان الماديون يهتمون  
 بداءة يده في الاشغال والمعروف على اصلاء نيران التبال فاعتداهم الوهن ليكثره نعمهم  
 واصبحوا مغتربين جد الحصول على قائد كذا فتخذ قورش غنام ويهيب اسمهم في المشرق  
 مظهرآ له وعنادآ الا انه كان يني امل نجاحه على الجنود الذين قادهم من بلاد فارس  
 فقتل في لول موقع بملك بابل وكسر الاشوريين فطلب الظافر مبارزة الملك الجديد  
 واذا ايلان شيخ باسمه ابدي انه ملك حكيم شديد الحرص على دماء رعيته واقرن السياسة  
 بالشجاعة . لانه خشية من ان تدثر تلك البلاد الخصيبة التي كان يهدمها غيبة باردة  
 بعث الفرس على ان يعنوا عن الجرائة ثم انه اثار حسد الشعوب الدانية على دولة  
 بابل المتكبرة التي اوشكت ان تنقرس المالك طراً وقصاري الامراته احرز تحت اعلاوه  
 الفخر الذي انبسط بحله وعدله وقوة اسلحه وبهذه الامور الخطيرة اخضع لسلطته هذه  
 الامصار السابعة من الارض التي فرج منها مملكته

وبذلك ارتفعت هذه المملكة فصيرها قورش قوة جداً حتى اصبح من الامم  
 الواجبة ان تزيد في ايام خلفائه ولكن اذا شئت ان تنهم على دنارها وجب عليك ان  
 تقابل الفرس وخلفاء قورش باليونان ولا سيما الاممكندر



## الفصل الخامس

### في الكلام عن الفرس واليونان والاسكندر

ان الذي افسد عوائد الفرس كما يميز بن قورش فابوه الذي نشأ وقت اصطلاح  
الفن والمحروب لم يهتم في تهذيب خليفته الذي كان مزماً ان يخلقه على ولاء مملكة  
عظيمة كما هذب هو نفسه . ومن المنذر على الامور البشرية ان ارتفاعاً عظيماً يضر بالنضيلة  
اما داربوس بن استاب الذي تدرج الى العرش الملوكي من الحالة العامة فابدى خصالاً  
حمية في ممارسة السلطة واهتم في اصلاح البلايل الا ان الفساد كان قد صار عاماً وان  
النظارة كانت قد افسدت في العوائد كثيراً ولم يرع داربوس لذاته كفوهم من القوة  
ليتمكن من اصلاح غيره فاخذ الفساد ينمو في عهد خلفائه وتغلغل الفرس فات كل  
المحدود

ولم يبرح الفرس على بعض انواع العظمة والشرف وان يكونوا قد فقدوا كثيراً من  
فضائلهم القديمة بتمكهم في الملاذ بل حافظوا على شيء عظيم ذي بال . وهل يمكن ان  
يرى اشرف من الالة التي كانوا يصوبونها على النفاق الذي كان لديهم ثريباً وعبياً مشيناً .  
ومن الامور المهينة عندهم بعد الكذب ان يكون الانسان ذا دين فعبشة ذياك المرء  
كانت تبدو لديهم باعثة على الوصاات والمعائب ممهنة بمقدار ما كانت تبعث على  
الكذب ثم انهم كانوا يعاملون الملوك المدحورة بالثوودة والوقار وذلك كرم مغروس  
في سجابا سرائهم ولقد كانوا يغادرون بني هولاء الملوك يفضون في بلادهم بكل خصائص  
عظمتهم اذا كانوا قادرين ان يواطئوا الفائزين

وكانوا على جانب عظيم من الرزاة كراماً على الغريبين لم الخيرة في استخدامهم  
يعتبرون اهل الاستحقاق ولا يتقاعدون عن استخدام الوسائل في سبيل امالهم ايام اليهم .  
لكن من الثابت انهم لم يصلوا الى غاية معرفة الحكمة التي تعلم كيف يحكمون فان دولتهم  
العظيمة لم تنفأ مضطربة طول ايام حكمهم ولذلك لم يستطيعوا ان يجدوا ذلك الفن  
العظيم الذي قد استخدمه منذ ذاك الوقت الرومانيون وهو ان يجرزوا جميع اجزاء  
المملكة ويصيروها مجموعاً كاملاً

ولهذا لم يمكثوا زمناً مديداً دون خصام وإن كان فيهم شيء كثير من النظام فانهم كانوا يعرفون قواعد الانصاف والعدالة . ومن ملوكهم من اجتهد في رعاية الشرائع بكل دقة فكانوا شديدي العقاب على الوصحات والجرائم ولفرط عدالتهم ترام اذا غفروا لاحد ذنباً ثم آب اليه بعد المغفرة ارهقوه عنائاً بالما فكان لهم قوانين شتى حسنة اكثرها نص فورش وداريوس بن استاسب وقواعد يتوكلون عليها في الحكم ومشورات مرتبة يستظهرونها وترتيب عظيم في الوظائف جملة . ولما كانوا يقولون ان العظام الذين بالنون المشورة هم اعين الملك واذ انه كانوا يوعزون بذلك اليهم اي ان وزراء الملك تضاهي اعضاء الجسد فكما ان الاعضاء لا تبدي امراً لذاتها بل اعمالها مصروفة في سبيل خدمة الجسد هكذا الوزراء فايها لا تقوم بامر غير مقصور على خدمة الملك الذي هو راسها وخدمة كل المملكة فهو لا الوزراء يقتضي ان تكون لهم الخبرة بجميع قوانين الحكومة القديمة والسجل الذي كانوا يخفون به الحوادث الخالية كان دستوراً لذريرتهم فيدون فيه كل الخدمات التي قام بها كل فرد خيفة ان يبقوا دون مجازاة لان ذلك تريب على الملك وعار على الدولة وكان من عوائدهم الماثورة انهم يبعثون الافراد على صنع الخبر العام اذ يعلمونهم ان من فرائضهم ان لا يضحوا نفوسهم لنفوسهم بل للملك والمملكة فكان الملك يصرف عنايته في سبيل نجاح الحراثة ولذلك فان من كان في عهده ذلك الفن وكانت ولايته منفوتة به اكثر من غيرها كان الملك يوثق على غيره بالمنة والانعام الباهظة . وكما كان لسياسة الجنود وظائف معينة كذلك كان مثلها للحراثة فكان الملك مقيماً لهذا الفن وظيفتين احدهما لحفظ البلاد والاخرى لحراستها وكان يذود عنها سيبين بنشاط ورغبة حباً بالخبر العام . وان الذين كانت تقدمهم الكرامة والحسنى بعد الذين فازوا في مضمار الوغى هم الذين اتجوا اولاداً كثاراً وكانوا يغالبون في الجاه الفرس الى الرضوخ للسلطة المملوكية فان ذلك كان ينفيهم الى العباداة الوثنية وكانوا يبدون انهم عبدى ليسوا كرعابا راضخين بالافول لسلطة شرعية فذلك كان من مآرب الشرقيين وربما كانت طبيعة هؤلاء الشعوب الحادة يقضى عليها ان تكون مطلقة وشديدة القوى

وقد اخذ العجب افلاطون من كيفية ترتيبهم لاولاد الملوك ولا سيما اعطاهم اياها لليونان دستوراً للتربية الكاملة . فلقد كانوا ياخذونهم من ايدي الخصية لدن بلوغهم السنة السابعة من اجمالهم ليعلمهم ركوب الخيل وممارسة الصيد وادن ارهاقهم اي وصولهم

الى السنة الرابعة عشرة كانوا يعينون لتعليمهم اربعة رجال من افضل اهل المملكة واحكمهم  
فقال افلاطون ان اولم كان يعلمهم السحر في لغتهم اى عبادة الالهة حسب القوانين  
القديمة وعرائع زورواست بن اورو ومارز الثاني كان يحسنهم على ان يعتادوا على النطق  
بالحقبة والحكم بالعدل والثالث كان يعلمهم ان لا يغادروا الشهورات ثلثون بهم ليكونوا  
دائما اخرازا وملوكا بالحقبة ويلتكونوا ذواتهم وارادهم والزراع كان يعزز شجاعهم على  
الرهب الذي يجلبهم ارقاء ويطلب منهم الثقة اللازمة جدا للحكم. وان السادات المحدثين  
كانوا ياتون في دار الملك مع اولاده وكان اولئك المحدثون يصرفون في غدا منهم كامل  
العتاة لا يدعونهم يسمعون او يتظرون امورا غير لائقة وكانوا يؤذون الملك حسبا عن  
سلوكهم وكان اذا ذاك يعاقب كلا او يجازيه حسبا يستحق فالشبان الذين كانوا  
يشاهدونهم كانوا يتعلمون منهم الفضيلة ومعرفة الطاعة والامر

فما كان يرجي من ملوك الفرس وكبرائهم بسبب هذا النظام لواجتهاد وان يرشدوهم  
في كبرهم كما اجتهدوا في تعليمهم وقت ضعفهم لكن عوائد الامة المنسودة كانت تقود  
بهم الملاذ التي في وسع حسن التهذيب مقاولتها ومع ذلك ففسرا عن رخاوة الفرس  
واعتنائهم في المحاسن والزينة بقضي ان ثرائهم لم يكونوا خالين من البسالة لانهم لم  
يتزخروا بلباسهم بالبشالة ويبدون بها ادلة عظيمة لان فن الحرب كان مقدما عندهم كما  
يجب له لانه فن يمارس في ظلاله سائر الفنون ولكنهم لم يتوصلوا ابدا الى ختبة هذا  
الفن ولم يعلموا اى مفعول في الجندية للصرامة والنظام وترتيب الجيوش وقوانين التمرين  
والمعسكر والوسائل التي تتخذ لتسيير هذه الجيوش العظيمة دون اختلاط في وقت مناسب  
وكانوا يخالون انهم انما المقصد لدن اخرازم شعبا كبيرا كان يذهب الى الحرب  
بعزم كاف لكن بلا نظام وكانوا يرتكبون بعيدا وافر من الاشخاص الذين لا فائده  
بهم فان الملك كان ياتي بهم غير مثقل غايهم وكانوا على جانب عظيم من الرخاوة  
والوهن. ولكنهم ارادوا ان يعكفوا بيت الجنود في المعسكر على الترفه والملاذ  
كما يعكف عليهم عادة الملوك حتى ان هؤلاء الملوك كانوا ياتون الى ساحة  
القتال معهم نسائهم وسرايهم وخصيتهم وسائر ما يستقدمونه في سبيل ملذاتهم وكانوا  
ياتون معهم بالاراني الذهبية والفضية وكل الامتعة الثمينة وكل ما يلزم للفنون وقصاري  
الامر كل ما تنماج اليه النفوس المترفة. فالجندية التي كانت مؤهلة على هذا النمط

ومرتبة بعد يد. وافر من الفساد كانت مثقلة بكثرة عديد الذين لإبحاريون فيه هذه  
الخسارة لم يكن من امكانهم ان يثيروا باتفاق ولم تكن الامور تصدر في وقتها بل كانت  
تجري في المواقع حسب التقادير دون ان يتمكن احد من اصلاح هذه الانقلابات  
وفضلاً عن ذلك فقد اقتضى لم ان يشعروا ذلك حالاً ويتزعموا الى مقاطعة اخرى لان  
هذا الجميع الغير المطاع لم يكن له من الثروت الضروري شيء يسير ولا ما يبعث على  
المللّة ولذلك قضى عليه ان يباد في وقت وجيز ان لم يكن له من ذريعة تمكنه من  
الحصول على الذخائر

ومع كل هذا الموكب العظيم كان الفرس يدهشون الشعوب الذين لم يكونوا اشدّ  
منهم في الحرب واما الذين يحسنون معرفتها فكانوا يعدون ضعفاء لسبب انفساهم او  
مدحورين بكثرة اعدائهم. ولهذا اصبحت مصر راضخة لنوكة الفرس وان تكن عظيمة  
قديمة ذات نظام وطيد وفتح ملكها سزوستريس مدائن كثيرة. ولم يكن خارجاً عن  
استطاعتهم ان يفوزوا باسيا الصغرى والمارات اليونانية التي افسدها الزمن لسكنهم لما  
بلغوا الى بلاد اليونان راوا ثمة مقاومة لم يكونوا من قبل يفكرون بها وفي جندي مرتبة  
وقادة ماهرون وعساكر قد اعتادت على قشافة المعيشة واجساداً لها العناء فدانت  
لدى ذوبها بالخاصات والممارسات العادية. ولا ريب انهم راوا جنوداً قليلين لكنهم  
يشبهون هولاء الاجسام القوية اذ بيان انها منصوية على اعصاب قوية وعقول ثاقبة  
وفضلاً على ذلك فان هولاء الجنود القليلون كانوا على جانب كبير من النظام يرضفون  
لاوامر قادتهم ونواهيهم حتى انهم كانوا يظنون انهم روح واحدة اذ كانت حركاتهم  
واحدة.

اما اليونان فكان عندهم امر اعظم من هذا وهو سياسة ثابتة تستدرك الامور ويمكن  
لم ان يسلموا بما لم يخاطروا ويدافعوا لدن الاقتضاء. وما يزيد على ذلك كله ان قد كان  
فيهم شجاعة جعلها حب الحرية والوطن غير متوقفة. ولقد كانت الالهية واليسالة سمييتين  
مغروستين فيهم ودمت اخلاقتهم من قبل ملوك ونجل انوا من مصر ونشروا بسبب  
توطنهم منذ زمان. قدّم في ارجاء هذه البلاد المتباينة نظام المصريين الحسن في كل ابن  
ومن ذلك تعلموا الممارسات الجسدية والقتال والتسليح وامتطاء الخيل وركوب العجلات  
وسائر الممارسات التي ملكوا ناصيتها بسبب تيجان الاوابياك الفاخرة. وعلمهم المصريون

امراً هو الرضوخ والتسليم للشريعة حياً بالخير العام لانهم لم يكونوا كمن لا يفتكرون بصوى اشغال الخاصة ولا يشعرون بمخطوب الملكية الا متى لحقهم منها شيء او متى قلقت بها راحة عيالم . بل اليونان كانوا قد تعلموا ان يتخذوا ذواتهم انهم هم وعيالم عضو لجسد واحد اي المملكة فكان الاباء يرمحون في عنول بنهم هذا المبدأ وكان الاولاد يتعلمون وهم موثوقون بقاط المهد انهم مترصدون الوطن ان يكون لهم اما نحرص عليهم في حجرهما اكثر من الالهات . فان كلمة المدن لم يكن مغزاهما محصوراً لدى اليونانيين في الانسانية والطف والامثال المتبادل الذي يرفع الناس للالفة الاجماعية بل كان الرجل المتمدن من يود الوطن ويعتبر نفسه كأحد اعضاء المملكة يسلك بحسب الشرائع ويتخذ معها حياً بالخير العام غير معتد على احد . واما الملوك القديمون الذين نالهم بلاد اليونان في بلدان متباينة فهم مينوس وسيكروبس وتامان وكريسفوت واريسين وباروكل ومضارعون لم غيرهم اذاعوا هذا المبدأ في الطائفة قاطبة وكان الشعب يودهم طراً لانهم صنعوا له خيراً وملكوا السنة لالائهم كانوا يصانعونه .

فيذا الذي اقوله عن صرامة احكامهم واي مجلس كان احفل من مجلس الاروباج الذي كانت البلاد اليونانية تودى له الكرامة برمتها حتى افضى الامر بالناس ثمة الى ان يتقوا ان الالهة قد بدت فيه فكان مشتمراً منذ الايام القديمة وقداً سيكروبس على خط مجالس مصر . فلم يكن من جمعة حفظت زماناً مديداً كهذا شهر صرامتها الندية وقد كانت النصيحة الخداعة قاصية عنها

فلما تنف اليونان خالوا ان في امكانهم ان يسوسوا نفوسهم فاصبحت حكومة اكثر المدائن جمهوريات الا ان الشارعين الحكماء الذين برزوا في بلدان متباينة وهم ثالس وبيثاغوروس ولوكبركوس وسولون وفيلولاس وكثيرون غيرهم من الذين يذكروهم التاريخ ثبطوا قدم الحرية عن ان تمول الى الفساد لان المن المستونة بكل سداحة حرست الشعوب على تميم الواجبات وهدتهم الى صنع الخير البلاد العام . واما تصور الحرية الذي اوله هذا السعي فكان غريباً لان الحرية التي كان اليونان يتمتعون بها هي حرية راضخة للشرائع اي الحق نفسه الذي يعرفه الشعب طراً لانهم لم يكونوا يشاؤون ان الاشخاص يتسلطون بهم فان القضاء الراهبين منة تقيم واجبايم

كانوا يصحون كالافراد الذين ليس لهم سلطة الا بمقدار ما يتخذونه من الخبرة والعالم  
وكانوا يتخذون الشريعة كسلطان فهي التي كانت ترتب القضاة وتحدد سلطتهم وتعاقبهم  
على تصرفاتهم السيئة

وليس من دأبنا ان نبحث هنا عن هذه الافكار هل هي راهنة او زاهنة بل نقول ان  
بلاد اليونان كانت راضية عن ذلك وكانت تؤثر بواعث الحرية على بواعث الرضوخ  
الشرعي وان تكن هذه بحقيقة الامر اخف من تلك . فيها ان كل اللة اجتماعية لها فوائد  
منوطة بها فالقائنة التي كانت بلاد اليونان تنالها هيئة حكومتها هي ان الرعية كانت  
تود كثيراً الوطن حتى ان كل فرد من ابناؤها كان في استطاعتها ان يندرج الى اسي  
المراتب

ان ما ابدته الفلاسفة لرعاية بلاد اليونان غير قابل للتصديق . وطالما كانت هذه  
البلاد حرة اقتضى ان يترتب عليها مجئ راهنة قوانين العوائد المحسنة وقواعد اللة  
الاجتماعية فان فيثاغوروس وثابيس واناكزاغوراس وسقراط واراشيناس وافلاطون  
وكرينوفون واريستو وغيرهم ملئوا بلاد اليونان كثيراً من هذه المبادئ المحسنة .  
ولارب ان قد وجد عديد وافر من المجانين تلقوا باسماء فلاسفة الحكماء الذين كانوا  
يتنفون آثارهم الذي كانوا يعلمون الناس ان يضحوا صوامعهم الخاصة وحياتهم ايضاً  
للسالح العام وانفاذ الملكية . ومن احكامهم المتداولة ان ينفي ان يفجرد الانسان عن  
الوظائف العامة اولا بلا حظ الا الخير العام

فليت شعري علام تنصر كلامنا على الفلاسفة مغادرين الشعراء جانباً فانهم هم  
الذين كانت ابادي الشعب تنساق لمداولة اشعارهم وكانوا يتعلمونها فترخ في ادمغتهم  
وان اسكندر اشهر الفاتحين كان يعتبر اومبروس انه معلم يثق به وان من دأبنا ان يفري  
بالرضوخ وحب الوطن فهو وكثيرون غيره الذين كانت تاليفهم جريئة الجداء والقبول  
لم يضمنوا منظوماتهم سوى الفنون النافعة للحياة البشرية ولم يقصدوا سوى الخير العام  
والوطن والاللة الاجتماعية وذاك الهدن والنهذيب العجيب اللذين نكلنا عنها انفاً

ولما وصلت بلاد اليونان الى هذه الحالة كانت تنزل الى اهل اسوا ذوي الاجسام  
الخفية والمتروكين بالخبير الباطلة والزينات الخفية يعمون الامتهان  
واما كيفية حكومتهم التي لم يكن لها حد سوى ارادة الملك العاتكة على جميع الشرائع

حتى على الشرائع المقدسة كانت تبعث اليونان على ان ينكصوا عنها فاتهم كانوا ياتون  
من البربر كل الامة

وولجت هذه البغضاء قلوبهم منذ ايام قديمة وصارت فيهم سمية . وما كان يشوق  
الناس الى استظهار شعر اومبروس هو انشاده . ظهور اليونان على اسيا . فكانت الزهرة  
تخرج الى اسيا ويعنى بالزهر الملاذ والعشق والرخاوة . ويخرج الى اليونان جينون ابي الرزاة  
والود الافتراضي والريخ ابي النضاعة والمثري ابي الحكمة السياسية . وكان في عهده  
اسيا ايضا مارس المنوحش ذو الاخلاق الوعرية ابي الحرية المحمدة بكل شراسة . وفي  
عمره اليونان باللاص ابي الحرب المضطربة بنظام . وباسن يفيد العقل ومنذ ذاك  
الحين ابغضوا ان الفهم والشجاعة فساها الطبيعيان

وقد كانت البلاد اليونانية تضيق ذرعاً عن ان ترى اسيا تفوز بها ولو حملت على  
عائتها هذا التبريرة لكانت اعتمدت انها اخضعت الفضيلة للذة والعقل للجسد والشجاعة  
الحقيقية لقوة وحشية قائمة بكثرة الجموع وقد كانت مفعنة من هذه الاعتمادات لما حمل  
عليها دارينوس بن هستاناب وكريسيس بجيوش لا يصدق العقل عديدها الوافر .  
فتاهب لدن ذلك كل من الفينيقيين ليدود عن حربيهم . وقد كانت اذ ذاك اكثر  
المدن اليونانية جمهورية . ومع ذلك فقد تالبت برمتها تحت اواء الصالح العام . فغادر  
اهل اثينا مدبتهم بكل طيبة خاطر معروضينها للثعب والحريق بعد ان انقذوا الاولاد  
والشيوخ والنساء وجعلوا كل الذين كانوا اهلًا للقتال بركبون البحر . ثم ان شرذمة  
قليلة العدد من اللاسيديين قصدت ترويت غسكر الفرس عن التسيار قرب مضيق  
ضعب المسلك . ولكي يتبين للفرس انها اليونانيون حملوا هم ومانتهم دفعة واحدة . راغبين  
في ان يموتوا موتاً لا مندوحة لهم عنه ليضحوا لوطنهم من هؤلاء البرابرة جمعاً لا يحصى  
عديدهم . ويغادروا لوطنهم مثال جرائقهم يستع بها من قبل . وقد راي الفرس وجهم  
لذي مقاومتهم هذه العساكر . وذاك النظام . وشعرت مراراً حمة لدى خسراتها بفضل  
النظام على العدد وعدم الترتيب بفضل الشجاعة التي تخافها الفنون على شراسة ليس  
فيها تروية

ولم يبق حيلة للفرس المقموعين مراراً سوى ان يلقوا الشقاق بين اليونانيين  
وكانت الحالة التي وجدوا فيها بسبب انتصاراتهم تسهل لهم هذا المشروع . فكما ان الخوف

كان قد جمعهم كذلك النضر والأمان قطعا بحال الاتحاد وبما انهم اعتادوا على الحرب والنزوح اجبروا بينهم نيران القتال بعد ان زال خوفهم من الفرس . لكن ينبغي ان نبين هنا بأسباب العبارة حالة اليونان وأسرار السياسة فنقول

ان اثينا ولاسيدميونيا كانتا جمهوريتين لما الاهمية الكبرى بين الجمهوريات التي كانت بلاد اليونان متعلقة منها . ولم يكن ذلكا اكثرهما كان في اثينا ولا قدرة اكثرهما كان في لاسيدميونيا . فاثينا كانت جاذبة الى الملاهي ولاسيدميونيا الى قسافة المعيشة والاشغال وكنائهما كانت تحب الحرية والمجد . اما في اثينا فكانت الحرية مقبولة شعور الفساد واما في لاسيدميونيا فكانت الشرائع الصارمة تشدد عليها . وهما كانوا يظنون عليها في الداخل كانت تحاول ان تمتد بملكها خارجا وكانت اثينا ترغب في ان تملك ولكن على غير مبدأ لان ضالحها كان مخطأا بالجمهورية وكان قاطنوها يهرون في فن سلك البحار واصبحت مصرية بسبب البحر الذي كانت طلبه سائلك وكانت تؤذ ان يكون كل شيء لها راضيا لكي تستخر وخذها مالكة التجارة وقد امت لها الوسائط للحصول عليها اموالها التي الفت بها هذه الرغبة

اما لاسيدميون فكان فيها خلاف ذلك فان الاموال كانت مهمة لديها وكما ان شرائعها كانت ابلة لصنعها مشيخة حرية كذلك كانت اللذة الوحيدة الآخذة بالباب هالها مفضورة على السلاح . ولجل ذلك كانت متمكنة في الطبع وثابتة على حكمها وواباما بسبب عيشتها المراتية . وكانت اثينا تنفرها بحسن الطبع وكان الشعب متوغلا في زمام الحكم ولا ريب ان قد كان الفلسفة والشرائع في هذه العقول الذكية متاعيل خمسة اركان الرشيد وحين لم يكن كفوا ليهديهم . وقد افادنا احد عقلائهم المختبر اخلاق بلادها ان الخوف كان واجبا هذه العقول المتوغلة في عباب الحرية ولم بعد وشيلة لسياستهم عند ما ظهور سالامين ازال خوفهم من الفرس وحيلت افسد لهم شيئا . وما يجد ان العالم الالهية وظنهم انهم في طائفة ولم يعودوا يصيغون لكلام المحكام . واذ كانت الفرس تمت سلطة شديدا جدا كانت اثينا (حسب قول افلاطون) مضابة بخربة خارقة الحدود وهاتان الجمهوريتان المختلفتان بغوائدها وسلوكها كان البعض منها معرقلا بالانتماء الاخر فحدد ان تحضما كل اليونان وكانت كئاهما عدوين يذهب اختلاف ملحا لهما لا بعدد مؤالفة طائفتها



ولم تكن مدن اليونان قبل سلطنة اعدائها لانه فضلاً عن ان كل مدينة كانت تود ان تحافظ على حريتها كن جميع مدن سلطنة هاتين الجمهوريتين شديدة عليهن فان سلطنة لاسيديون كانت شاقة وصارمة وكانت عوائد شعبها تتراسى لدى العيان انها قريبة من الوحش ثم ان حكماً معتقاً كان يجعل العنول مكبرة وخجيرة جداً عدا ان الناس كانوا عازمين دائماً على مواصلة الحرب بلا انقطاع

فكان اللاسيديون يودون لو يحكمون والناس يرهبون لم احكاماً . اما اهل اثينا فكانوا يوقنونهم لطفاً وحسناً ولم تكن لثة تقارن لثة النظر الى مدينتهم اذ كانت فيها الاعياد والملاعب مستمرة . وان يكن الذكاء والحرية والشهوات تحدث بينهم مشاهد جديدة فان سلوكهم المتقلب لم يكن يرضي مواخيرهم وكانت الرعية تبغض المشاق فاذا قضى عليهم ان يجهلوا غربة ملوك شعب مصانع فاي شيء اكثر خطراً من غرائب ملك مفسود بالمصانعة

ولم تكن هاتان المدينتان تبعان لليونان ان تستمر متمتعة بالسكينة . وقد شاهدت ياسيدي ان حرب البلايونز وغيرها كانت من اسبابها حسد اثينا ولاسيديونيا وهذا الحسد نفسه الذي كان يعكر راحة اليونان كان عناداً لها يضافرها على المتعوط تحت سلطنة احدى هاتين الشقيتين

ونظر الفرس الى حالة اليونان فكان سر سياتهم قائماً برعاية هذا الحمد بين اعدائهم واثارة الشقاق بينهم . وبما ان لاسيديونيا كانت مطاعاً فانها كانت اول من جرم الى خصام اليونان وكان قصدهم بهذه المداخلة ان يستولوا على كل الامة ولهذا بذلوا ما عندهم من الجهد ليهزموا اليونان ببعضهم مرتين زماناً يجعلونهم يؤمنوا بالكون وايندأت حينئذ مدن اليونان ان تلقي نظرها على ملك الفرس الذي كانت تدعوه الملك الكبير او الملك بالذات كانوا اخذت تعد نفسها من رعاياه . ولم يكن في امكان روح اليونان التذم ان يهبوا من غفلتهم اذ اشرفوا على المتعوط تحت نير العبودية وبين ايدي البرابرة . واخذ ملوك صغار من اليونان يناوون هذا الملك الكبير ويخربون ملكة . فلذلك ارهب اجريلاس ملك لاسيديونيا هو وفلق قليل يعرف نظاماً وجزراً قلوب الفرس وايات انهم يستطيعون ان يغلبوا ولم يضع لافتيحاته حداً الا انشقاق اليونان . وفي هذا الوقت حدثت ثورة قورش الصغير على اخوه ارتخششتا وكان معه عشرة

الاف من اليونان لم يمكن تفريقهم بهزيمة عسكر العامة وقيل انه قتل بيد اخيه واضح  
اليونان لانصبر لم بين الفرس في نواحي بابل ولم بقدر ان تخششنا على ان يفرهم بالتسليم  
اختياريا او ارغاماً فازمعا طراً بقلوب صالدة على ان يخرجوا بلادهم مشتبين الى بلادهم  
فقالوا بذلك او طارهم . فكتب هذا التاريخ كسينوفون في كتابه المدعو بعودة عشرة  
الآلاف او بغزوة قورش الشاب . وقد شعرت أكثر من قبل ان اليونان يربون جنوباً  
لا يتهرون ولا يدحرون ولا يرضخهم لعدم ضعفه بقاومهم لدن الاتحاد سوى انشفاق  
بطرا بينهم

وقد احتفظ فيليبس المكدوني البابل المحصيف على ما تاتي له من مملكته الصغيرة  
المختة من التقدم على المدائن والجمهوريات وذلك لان السلطة الملكية لم تكن وتنفذ  
مقيمة . وقد اصبت حصافته وسالته مظهراً لانه اقدر ملك في بلاد اليونان . وقصر  
اليونانيين على ان يسيروا تحت لوائه لحاربة العدو العام الا انه قتل في اثناء هذه الحوادث  
وخلفه ابنه الاسكندر بملكه واطاراه فرأى المكدونيين اقواماً حنكهم الايام وعلمتهم خوض  
المعالم يسودون على سائر اليونانيين بالشهامة والنظام ويشهد لذلك فوزهم مراراً فصار عوا  
اليونانيين بفوزهم بالفرس ونظرائهم وكان داريوس التايبض على زمام الملك عادلاً في  
زمانه شجاعاً كريماً توده الرعية ولم يكن خائفاً عليه لتتيم ما روى عنل ولا عزم لكما  
اذا اردت ان نقابله بالاسكندر فترى في هذا عقلاً ثاقباً سامياً وشجاعة غير معهودة من  
قبل ورغبة شديدة في اذاعة الاسم التي صبرته بفضل التفاهت على المخاطر والاعمال  
والموت على اضاغة ادنى درجة من الجهد . ولقد كانت له ثقة بان كل شيء يرضخ له كانه  
رجل مرد أصطنه القنادير ان يكون رجلاً في سائر الناس وكان يلقي هذه الثقة في  
قلوب قادته حتى في قلب ادنى جندي من جنوده الذين كانوا يظفرون بهذه الذريعة .  
وان قاست مشاق فبذلك يمكن لك الحكم لاي من التتبيين يكون الفوز معداً واذا  
زدت على ما ذكرناه فضل اليونان والمكدونيين على اعدائهم لا تبنت ان الفرس لا بد لم  
من تغير ملك اذا حمل عليهم بطل كهذا هذه الجنود فلدن ذلك ترى الاسباب التي  
آلت الى دنار الفرس ونجاح الاسكندر . وما سهل فوزه موت ممنون الرودي القائد  
الوحيد الذي كان الفرس قادرين ان يقاوموه به . ولقد كان يحق للاسكندر ان يجر  
ثوب النصار فوزه هذا القائد الشهير لدن مبارزته وذلك لان ممنون كان يوتر على

المخاطرة بمعركة عامة ضد اليونان ان ينازعهم كل المسالك ويمنع عنهم الزاد ويحاربهم في بلادهم ويفسرهم بشدة عزمو على الابواب اليها ليدافعوا عنها فاستدرك الاسكندر ذلك وغادر في مدينة اثينا بطرا جنودا كافية لرعاية اليونان وألصق بجذعه من هذه الحباله فان ممنون مات لدن اغارته التي تقسر لاسكندر على الرجوع وتخيف اليونانيين فارضح ان ذاك الاسكندر كل شيء.

ودخل هذا الملك العظيم بابل بسهولة وفجز لم ير العالم لها من مثيل . وبعد ان ثار اليونان واخضع بسرعة عجيبة كل المال التي تحت سلطة الفرس اغار على الهند . وذلك اما ليوطد مملكته من كل ناحية او ليجعل اسمه اشتهر من اسم باخوس وتقدم بافتتاحاته اكثر من هذا المنتخ العظيم الا ان ذاك الذي لم تكن الانهار والجبال قادرة على ان تثبط قدميه اضطر ان يخضع لمساكن العناية الطالبة للراحة ويأتي بالانثار الفاخرة التي غادرها على ضفة نهر اراسب عندما ارجع عساكره على غير الطريق التي داسها وفتح كل البلاد التي وجدها في طريقه

وعاد الى بابل مهابة متحزما لا يفتتح بل كاله الا ان هذا الملك العظيم لم يبق الذي شاده اكثر من حياته التي كانت قصيرة فمات في اجل الثلاث والثلاثين سنة وقت ان كان عازما على تنعيم مآرب تحدا ما انسان واعدا نفسه بأمال النور والنجاح . ولم يكن في استطاعته ان يرتب اشغاله تاركا من بعده اخا اليه واولادا صغارا يسوا املان لان يقوموا بهذا العب العظيم الا ان انفس شيء على مملكته ان قد غادرها فاداة علمهم ان لا ينجحوا الا الى المطامع والحرب وعلمهم ان يقدموا على التعدادات عندما يغادر الدنيا ورجاء ان يدراهم عنها وخشية من ان يناقضوا لم يحمران بتم له خليفة او وصيا لاولاده بل تنبا ان اخذاه يحتفلون جنازته بمبارك دموية وهكذا مات في لدونة الحداثة منتفيا بالارزاق الويلة . ودليل ذلك انك قد شعرت بشطر ملكه وخراب بيته الرائع فاغاري على مكدونية التي حكمها اجداده منذ اربعة مديك كانتا ارث ليس له من وريث . وبعد ان اصبحت فريسة اقوام استولت عليها عائلة اخرى فذلك ترى ان هذا الدائح الذي كان اول من قبله البسطة اصبح آخر ملك من نسبه . ولو كان لم يقط بلادها لما دبت المطامع في قلوب قادته . ولقد كان في امكانه ان يغادر لاولاده ملكا يبد انه لما كان مقتدرا جدا . اصبح علة لدثار اهله وهذه هي ثمة هذه التوحات

وكان موته السبب الوحيد لهذا الانقلاب العظيم لكننا يجب ان ندعن بما يعود على  
عمن وهو انه لو وجد على كامل الارض انسان اهل للقيام بهذا الملك التسع والمتح حديثاً  
لما كان سوى الاسكندر لان عقله لم يكن في ادنى درجة من بساطته ولا ينبغي ان نعزو  
ذلك كله الى الخطأ منه ولو كانت عائلته قد سقطت به مراراً لكانت نعزو ذلك  
الى الموت . الا اذا شاء الناس ان يقولوا ان رجلاً سحله طمعه على ان يقدم على الشؤم  
كها ليس في امكانه ان يقوم بامر تدبيرها

وهما بك من الامر فاننا نرى في نموذج ان يوجد عدا الغلط الذي يقتضيه الانسان  
بغباوته ويمكن له اصلاحه جهة واحدة لا تصطلم تمكك ملاصقة للمقاصد البشرية وهي الموت  
لان كل شيء يتأق له المصير فوراً من هذه الجهة وهذا مما يلجئنا ان نقول : كما ان  
الاشياء المشبهة بالملاصقة للامور البشرية علّة للهبوط كذلك من يقدر على ان يوطد  
مملكة وبرعاً ما نؤثر بالجد على من يفتح مملكة ويفوز فوزاً في المعامع  
وليس حاجة ان انبئك مسبباً عن فناء الممالك المتفرعة من مملكة الاسكندر  
اي ملك سوريا ومكدونيا ومصر والعهلة العامة هي ان الاهلين الجثوا ان يرضخوا لسلطة  
اقوى من سلطانهم وهي شوكة الرومانيين ومع ذلك فاذا اردنا ان نبحث عن حالة هذه  
الممالك الاخيرة نرى حالاً علل هبوطها المتواتر وان اقواها وهي مملكة سوريا نزلت  
بها الضربة الاخيرة بسبب انشقاق ملوكها بعد ان تزعمت بسبب رخاوة الامة

## الفصل السادس

في الكلام عن دولة الرومانيين واستطراذ الدولة

فرطجة واحكامها السينة

قد وصلنا الى هذه المملكة العظيمة التي طوت تحت جناحيها سائر ممالك العالم  
فمنها خرجت الممالك العظيمة في البسيطة التي نحن قاطنوها ولم نزل الى الان نرى  
شرائعها التي يجب علينا ان نعرفها اكثر من غيرها . فلقد قرأت تاريخها المسهب  
الشهير بكل استفراده . تأمل بعوائد الرومانيين والازمنة التي بها يناط قلب هذه  
المملكة الفسيحة فنهم اسباب ارتقاء رومية وعلل الانقلابات العظيمة التي طرأت في

ملكها . فكان الشعب الروماني اشد كبرياء من كل قبائل الارض . اجرا من الكل لدن الشدائد اكثر نظاماً في مشوراته واثبت في تعاليمه وازيد كدحاً واجتهاداً ليس مجزاعاً في وقت الرزايا بل اجلد من الشعوب طراً واذا كي عقلاً من كل من داس اديم الارض . فمن اناس كمن ذكر تألفت المجندية التي كانت مبنية على السداد والنظام بسباسة متانة من الحكمة . ولا تخشى لومة لائم اذا قلنا ان كل روماني كان حب حريته ووطنه محبوباً في قواده . فهذان الامران كانا يغريانه بمحبة غيره لانه ان كان يحب حريته قضي عليه ان يحب وطنه بمثابة ام تشيع قلبه من الاحساسات المؤثرة وكان الرومانيون واليونانيون يتصورون تحت اسم الحرية مملكة لا يكون فيها احد عبيداً للشرعية والشرعية فيها اقوى من كل شيء . ومع ذلك وان كانت رومية منذ بروزها تحت لواء ملوكي فكانت لها ايام تحكم فيها ملوكها بحرية لا تليق بمملكة ذات نظام . وقد كان الشعب يتغير فيها الملوك ويقرر هو نفسه الشرائع ويبدل احكام نار الوعى او نشر الوية السلام ويشهد بذلك تيليس هو ستيليس الذي لم تكن له الجراحة ان يقضي على اوراس او بيرره . فان اوراس ارتدى برداء المجد لاستظهاره على كورياس واخوته لكنا لحنه العار العظيم يقتلو اخن . فلذلك غادر الملك امر القضاء للشعب . ولم يكن اذ ذاك للملوك الا الولاء على الجيوش والسلطة في الجمعيات الشرعية فاطبة وعرض الاشغال عليها ورعاية الشرائع واجراء الاوامر العامة . ولما فكر سرفيوس تيلوس ان يجعل لرومية مشيئة زاد في افئدة الشعب الذي كان قد اسمى حراً بحبة الحرية بكاملها في ايام الفناصل . ونفرق خوفاً اذ نفراً في التاريخ ثبات برنبوس الكتيب لما مات امام عينيه اولاده الذين واطشوا التركيبين على الدسائس التي قاموا بها في رومية رجاء ان توطد بذلك سلطتهم . وزاد الشعب بالحرية ثباتاً بعد ان راي قتضله يفضي في سبيل الحرية عائلته الخاصة . ولا يقضي ان تنعجب من ان كل الشعب يمتن في رومية اجتهادات الشعوب الدانية الذين حاربوا امل ان يرجعوا التركيبين الذين كانوا قد نفوا من رومية وجعلهم الملك بورسينا تحت كف حمايته عينا . وقد تاتي ان الرومانيين يودون بشتاتهم لويوتون احراراً وكان الشعب اشد ثباتاً من المجلس وتوافد الشعب على الملك رافعين اليه ان يتقاعد عن الاخذ بناصر التركيبين لان رومية ازمنت ان تخاطر بكل شيء لرعاية حريتها . وانما تؤثر قبول اعدائها داخلاً

على قبول ظالمها فلما اعتجب بورسينا من صلف هذا الشعب وجرأة بعض أهله غير  
العادية عزم ان يترك الرومانيين يتمتعون بالحرية التي كانوا يعزفون ان يدافعوا عنها  
حسناً وقد كانت مفضلة لديهم على كل كنوز ثروات الارض

قد شعرت ان الفقر لم يكن شيئاً لدى هذا الشعب منذ ابتدائه وبعد ان نجح في  
اموره بل انهم كانوا يعتقدون ان الفقر وسيلة للاستمساك بحريتهم الكاملة . فما من  
رجل اشد حرية من الرجل الذي يكفي يسير من العيش ولا يتوكل على احد ياخذ  
بيده . وليس له من عناد او نصير على كسب معاشه سوى تعبه وعمله . فهذا الامر كان  
الرومانيون يتخذونه ديدناً فانهم كانوا يعتقدون من المواشي يحرثون الارض ويتمتعون  
عن كل ما كانوا يستطيعونه يعيشون بالاقتصاد والعمل . فهذه كانت حياتهم فذلك  
كانوا يقومون باود عائلاتهم ويعودونهم على اعمال كهن

وقد حقق تيت ليف المؤرخ بقوله . انه لم يرق قط شعباً استمرت فيه الفناعة  
والامساك والفقر بشرف وافتخار . وان اعظم ارباب المجلس وان كانوا لم يلاحظ سوى  
ظواهرهم كانوا يختلفون قليلاً عن الفلاحين ولم يكن لهم سلطة او بهجة الا بين المسموم  
والمجلس ومع ذلك فكانوا ينتمون في امور الفلاحة وسائر متعلقاتها اذ كانوا يتدافعون  
الى قيادة الجيوش . وهذه الامثال كثيرة في التاريخ الروماني فان كيربوس وفابريسيوس  
القائدين العظميين اللذين ظهرا على الملك يروس الغني لم يكونا يملكان سوى آية  
من فخار واذ قدم السمينيون النصار واللين لكيربوس اجابهم ان لثمتهم ليست قائمة  
بالحصول على النصار انا بالاسنيلاء على من عند ذلك . وبعد ان ظفروا وغنوا بالجهمورية  
من غنيمة الاصداء لم يكن عندهما ما يصرف في سبيل دفتها . فاستمرت هذه الفناعة في  
غضون حرب القرطيين ايضاً ففي اثناء الحرب الاولى طلب ريفولوس قائد الجيوش  
الرومانية الاذن من المجلس للتزوع الى دسكرو ليحرث ارضها لانها هجرت اثناء غيبته .

ونرى بعد دثار قرطجة امثالا عظيماً تدل على السذاجة الاولى فان اميلوس بولوس  
الذي زاد الخزينة العامة بكنوز ملوك مكدونيا القديمة كان يعيش بالفناعة القديمة  
ومات فقيراً . واذ خرب مومبوس قورتية ضحى خيراتا الوفيرة لمنفعة الناس طراً .  
ومن ذلك يفهم ان الاموال كانت محقرة وان فناعة القادة الرومانيين وعفتم كانوا  
تلقين العجب في قلوب الشعوب المدحورة . ومع كل هذه الحجة المفرطة للفقر لم يوفر

الرومانيون شيئاً لعظمة مدبنتهم وجمالها . وكانت الاعمال العامة هكذا منذ ابتدائها . ولم تفعل رومية منها ولو انما اصبحت ملكة البسيطة . والكاييتول الذي اقامه تركوين المتكبر والهيكلي الذي اقامه للشعري في هذه القلعة كانا اذ ذاك جديرين بعظمة اكبر الالهة ويحجد الشعب الروماني وكل ما هو عدا ذلك ينطبق على هذه العظمة . وان الهياكل المعتبرة والاسواق والحمامات والاماكن العامة والشوارع العظيمة والاقبية ومجاري الماء واخاديد المدينة كان لها عظمة كبيرة جداً لا يمكن الوثوق بها لولا ان يشنها المؤرخون كلهم وتحققها الآثار التي نراها الان . وماذا الذي اقوله لك عن احتفال الانتصارات وطفوس الديانة والالعاب والمناظر التي كانوا يقومون بها في سبيل اللعب فمن المفرانهم كانوا يبذلون كل ما يسمح لهم الزمان باسرافه في سبيل افراح التوم عموماً وحملهم على التصور العظيم بوطنهم العام . ولم يكن التنفير الا في العائلات الخاصة فكل من كان يزيد في دخله ويجعل اراضيه أكثر خصباً بصنعه وشغله ولا يسرف ماله بل يعيش بقناعة كان يعد نفسه يفوق الجميع بالحرية والقوة وحسن الحظ ولا شيء اقصى من الرخاوة في هذه الحجرة . ولقد كانوا يخرجون الى الصرامة او القسافة وكل ما يتبقى عنه التوحش والهيبة لكنهم لم يتغافلوا عن ان يقيّدوا انفسهم بشرائع حسنة . وهذا الشعب الذي كانت فيه الحرية فاضلة على مثلها في الشعوب كلها كان اذ ذاك ارضخ شعب لاوليائه والسلطة الشرعية . فلا غرو ان ترتيب جنود شعب كهذا يقتضي ان يكون عجباً لان الطاعة المالية والمنظمة كانت في اجسام جنوده الاقوياء البنية والذائعي الضيمت بالبسالة وكانت شرائع المجندة قاسية جداً لكنها كانت لازمة لان النصر كانت خطرة وغالباً مينة الذين كانوا يقبضون عليها وهم خارقون سبيل النظام . وكان كل من يولي الادبار او يولي السلطنة او يتجاوز صفته يلقى قتيلاً بايدي قومه حتى كل من يتحرك او يستل سيفه دون امر قائده كانوا يحدّثونه على الارض مقتولاً وكانوا يقبضون ايضاً ان كل من يضع سلاحه امام عدوه او يسلم نفسه اليه اسيراً بدلاً من ان يموت لاجل وطنه شريفاً لا يروخه . يد ولا تصرف في سبيل انتفاذه مضافة . فكانوا يغادرونهم اللاعلاء حاكمين انهم اعضاء قطعت من الجمهورية . ولقد تصفحت في تاريخي فلنوروس وشيشرون قصة ريفلوس الذي اوعز للمجلس ان يترك الاسرى لاهل قرطجة مخاطرًا في حياته . وفي الحرب التي اضرمت ضد انيبال وبعد غلبة الرومانيين اي في الزمان

الذي فيه رومية كانت قد وهنت لكثرة الخسائر ولم يكن لها عساكر كافية رغب المجلس في ان يدحج ثمانية الاف عبد بالسلاح مخالفاً عادته اخرى من ان يشري من الرومانيين الماسورين مقداراً من الرجال يقابل ذلك مع ان ذلك يكلفه لا بقدر ما كلفه اقامة هذا الجندية الجديدة وقد سنوا ان لابد من ان كل جندي روماني يكون قائداً وتخذوا ذلك سنة لا يباح لهم ان يخالفوها وبذلك كنت ترى الجيوش الرومانية ولو لعبت بها ايادي الفریق كانت تخارب بكل بسالة منتظمة اطرافها تظل تستमित في الممعة مادام فيها رمق من الحياة . وقد المع الموزع سالت ان قد كان بين الرومانيين جنود كثيرين يعاقبون اذا حاربوا دون نظام اشد معاقبة من الذين يغادرون مواضعهم ويهربون وذلك لان القادة كانوا يشددون في تعذيب شجاعتهم اكثر من اشارة رخاوتهم . وكانوا يزيدون على البسالة جودة العقل وفن الاختراع وعدا انهم كانوا نياماً كانوا يقبسون من كل ما كانوا ينظرونه في سائر الشعوب من الترتيب والنظام في الحروب وقصارى الامر من كل ما يسهل المحاربة والمدافعة وقد قرأت في مورخات سالت وغيره كل ما تعلمه الرومانيون من جيرانهم واعداهم . ومن ذا الذي لا يتعجب انهم فعلوا من اهل قرطاجنة اختراع القوارب التي ظفروا عليها . وغاية الامر انهم اقتبسوا من كل الشعوب الذين عرفوهم كل ما يحتاجون اليه للانتصار عليهم . ومن الامور المفرقة لديهم ان الغوليين كانوا يفوقونهم بقوى الجسم ولم يكونوا اقل بسالة منهم . وابناء المورخ بوليب بان الغوليين الذين كانوا اكثر عدداً من الرومانيين اظهروا في الممعة اخيرة جراءة عظيمة . يد انهم وان كانت عزائمهم قوية قد ظفروا بالرومانيين لانهم كانوا يعرفون ان يخفروا لهم اسلحة اقوى من اسلحتهم وبراوا النظام ويتصدوا فرصة الهجوم في الممعة وفرصة ملاقات الصفوف وبوميد ذلك المورخ بوليب وقد شعرت ياسيدي بوقوفك على تاريخ قيصر ان الرومانيين الذين كانوا تحت قيادة هذا الفرم العظيم ففعلوا غالباً بسبب مهارتهم في فن الحرب لا بشجاعتهم وكان اذ ذاك المكثونيون الذين لم الاهتمام الكبير في رعاية نظام الجندية الذي قام به فيلبوس ولا سكندر يظنون ان جنديهم لم تكن تغلبهم ولم يكونوا يخالون ان العقل البشري يمكن له ان يري شيئاً اثبت من ذلك ومع هذا كله فان بوليب نفسه وثقت ليقف قرواً بانه اذا لاحظنا فقط كيفية الجيوش الرومانية والجيوش المكثونية فلا بد لنا من ان نحكم بالانتصار للجيوش



المكدونية الذين لم يكونوا الا فرقة واحدة مربعة مكشوفة من الانحاء كلها غير متحركة  
 كأنها قطعة واحدة وبما ان الجيوش الرومانيين كانوا منقسمين الى فرق متباينة وكثيرة  
 كانوا اسرع كثيراً وتأهين لكل نوع من انواع الحركات المجدية فلا يخلو ان يكون  
 الرومانيون قد تعلموا سريعاً تقسيم العساكر الى فرق كثيرة او عرفوا ذلك من تلقاء  
 انفسهم . وان يبقوا ككتائب من المسكر متربصة في مجبوحة الاستنظار رجاء ان تدافع  
 او تاخذ بايدي المتفرقين والمتزعزعين من اية جهة كانت من الجيش . وقررات هذا  
 الجرم الثقل الضخم يكون بالحقيقة هائلاً جداً اذا سقط على جيش غيره دفعة واحدة .  
 لكننا قال عنه بوليب انه لم يمكن له ان يستمر على حاله زماناً طويلاً بخاضية الطبيعة اي  
 بالمتانة والثبات اذ يلزمه محال خاصة اقيمت لشان ذلك فان لم يكن له من ذلك  
 شيء لم تعرقل او بالاحرى نشعت بحركته الخاصة فحيث يتعسر عليه الالتئام مرة اخرى . اما  
 الجيوش الرومانية المختزنة الى كتائب صغيرة فترى جداء ومنفعة في كل الحال وتنظم  
 بها فانهم يمدونها ويفترقون اليها حسب ارادتهم دون صعوبة ويجمعون بلا مشقة .  
 تراهم اهلأ لكل نوع من الانقلاب او الحركات العسكرية . وغاية الامران  
 لم حركات متباينة ولها على وقوة اكثر من القوة المتجمعة وينجم من ذلك حسب  
 قول المؤرخ بوليب ان الجيوش المتجمعة يلزم لها ان تخضع لم وان مكدونيا لا بد لها من  
 الاندحار . فاننا نرى لك عظيمة لدن تكلمنا عن هذه الامور التي رفعها اليك امير المعلمين  
 وتراها مستعلة بامر لوبس الكبير بكل عجب حتى اني لا اعرف هل المجدية الرومانية  
 تأتي لها نظام احسن من ذلك . لكن من قطع النظر عن تشبيه المجدية الرومانية  
 بالمجدية الافرنسية اكتفى بالقول انك رايت الجنود الرومانية سواء كان بالنظر الى  
 معرفتها باستيلائها على المحال الموافقة او الى حفظها الصارم كل اوامر الحرب فافت كل  
 الذين بدوا في الاعصار الخالية

ولا حاجة الى التكلم عن اليونان بعد مكدونيا فانك شعرت بان المكدونيين كانوا  
 ينفون اليونانيين بامور كثيرة ومن ذلك يمكنك ان تحكم على الامور كلها فلم تبد انينا  
 منذ زمان الاسكندر شيئاً فان التولين الذين فازوا بحروب كثيرة كانوا يوثرون  
 الطاعة على الحرية متوغلين في الهمية يوثرونها على الباس والبسالة وقد بذلت لاسيديومنيا  
 جهدها في اضرام الحرب بعد نشأة كليومين ونشأ فيليومين بغيرب الاكابين فان رومية

لم نثر الحرب على هذين القائدين العظميين غير ان فيليبوسين الذي كان في زمان انيبال وسيبيون حكم بعد نظر الى صنع الرومانيين ان حرية اليونانيين ستنهي وان الرومانيين انتصروا على شجاعة الغوليين واليونان فان الشعوب الذين كانوا يتهافون على اضرار الحرب كانوا يطاطئون الرووس امام الرومانيين فضاقتهم على الفوز الادارة المنظمة وقيادة انيبال الذي استظفروا عليه فلم ير شيئاً يساوي فخر جنديتهم ولم يكن لهم شيء في حكمهم يتفخرون به نظير افتخارهم بنظام الجندية فاعتقدوا ان ذلك لا بد ان يكون اسماً لملكهم وانه اول شيء بدا فيها واخر شيء فقدوه لانه كان منوطاً بتأسيس جمهوريتهم احسن امر في الجندية الرومانية ان لا يثنوا على البسالة الزاهنة ولم تكن مبادئ الفخر الباطل التي اودت بكثير من بنينا معروفة بين شعب ممثلي من الجند وان نرى سيبيون وقبصر الذين كانوا اعظم رجال الحرب واشجع الرومانيين انهما لم يتعرضا للخطر الا وقت الحاجة بل كانا دائماً في الحذر المبين ولم يكونا يتظران شيئاً من قائده لم يتمكن من امتلاك نفسه . وكانوا يبقون للخدمة الحقيقية افعال المجاعة غير العادية ولم يكن الرومانيون يرغبون في افتخام المعارك التي تؤدي بهم الى ارتكاب المخاطر ولا في الانتصارات التي يتاقى منها اهراق دماء كثيرة حتى انه لم يكن اجراً من الجيوش الرومانية ولا اكثر تحفظاً منها وبما انه لا يسوغ اضرار حرب اذا لم تكن قوة كافية لذلك يفتضي ان نلاحظ سياسة المجلس الروماني الفاضية فاذا اجبشنا عن هذا المجلس في ايام الجمهورية نرى انه لم يكن وقتئذ جمعيات توخت الاعمال حق التوخي فاحصة اياها بنور سراً وعلناً ناظرة في عواقب الامور راغبة في الخير العام

ولم يانب الروح القدس من ان يثبت ذلك في سفر المسكايين ويمدح كثيراً سمو حصافة هذه الجمعية المغتذية من لبان الحكمة وما من احد يتخذ لنفسه السلطة الا بنور العقل . وكان جميع اعضاؤها الملتزمين تحت راس واحد ينهكون في ما من شأنهم خبير اليوم غير منغرضين او حاسدين

واما بالنظر الى رعاية السرفيدكر لنا تيمت ليف بشأن ذلك مثلاً سامياً وهو انه بينما كان الناس هنالك يفكرون في ان يوجهوا على الملك برسي حرباً واتى الى رومية عدوه ملك برغام المدعو اومانس وافتخار الحزب الذي يكاشح له بالبغضاء اشهر

مقاصد امام الجمعية وتم الامر منقضيًا باتفاق اراء جمعية مولفة من ثلاثاية رجل  
 فمن ذا الذي يخال ان هذا السر يبقى معلومًا ولا يقف عليه احد الا بعد مضي اربع  
 سنوات اي انجاز الحرب وما يبعثنا على العجب والدهشة وجود سفرا برسي في رومية  
 لمراقبة الملك اومانوس. وبعثت جميع مدائن اليونان واسيا التي كانت تخشى ان تندخل  
 في هذه المعركة سفراءها وبذل الجميع جهدهم في ان يكتشفوا على عمل خطير ينشأ  
 عنه امر عظيم غير انه لم يمكن لاحد من السفراء قاطبة ان يكتشف على ما جرى في  
 المجلس ولم تحدث حاجة لكم السربان تجرى المعاقبات او تمتع انصالات التجارة مع  
 الاجانب او الوعيد الشديد على من تعدى هذه الشريعة بل ذلك كان مكتومًا  
 اخبريًا لزيادته في الامة.

واما رومية فاحولها مدهشة جدًا فان الشعب هنالك يمدق دائمًا في المجلس  
 بهيون الحسد ويمثل مع ذلك لكل ما يامر به ويعلم اليه في الفرص التي يراها موافقة  
 وليس لدن روميو التملكات العظيمة التي يعلم ان سوف يقدم عليها فكنت ترى  
 حينئذ الشعب يمدق بنظره في هذه الجمعية الملتزمة بالحكام ويتنظر مراسيمها كأنها وانف  
 الهية وقد طالما علم الاختدار الرومانيين بان قد نشأت عن هذه التصائح سبب انقاذ  
 المملكة. وكان من العادة ان ترعى الشرائع القديمة وروح الجمهورية في مجلس الندوة  
 وهناك تم المقاصد التي يراها الجمهور طبقًا للبادئ. واعظم شيء وجد في الندوة هو  
 ان الاعضاء لم يتعدوا مارب شديدة في سوى البلايا العظيمة وفي الحالة التعميسة التي  
 عبرت فيها الجمهورية اي انها تضابقت في بدء نموها ونشأتها داخلًا بسبب وكلاء الشعب  
 وضيق عليها خارجًا الفولسكيون الذين فازوا بالنصر. فان رومية لم تياس ولم تكن مجزاعًا من  
 ان تاخذ بثارها فكان في مقدمتهم اعظم رجال رومية واشهرهم في الممارك واكرمهم وابقضهم  
 للعدوان واعلم الا انهم اشرسهم طبعًا واغضبهم خلقًا فراموا ان يكونوا من ابناء الوطن  
 رغما عن اهلالي وبعد ان تبوتوا مقاطعات عديدة واصبحوا مستولين على البرية بأسرها  
 عمدوا الرومانيين بالهلاك ان لم يرضخوا لما طلبوا منهم ولم يكن اذ ذاك في رومية  
 جيوش او قادة في هذه الحالة التعميسة فيما كانت الاخطار تكتنف رومية من كل  
 جانب برز امر من مجلس الندوة مفاده تحريض الشعب على ان يلقي الموت ولا يسلم  
 لدى عدو شيًا كي السلاح قصد ارغامهم. فاما ان يوطئوه على شروط عادلة بعد ان

ياقي عنه الاسلحة او يتصبون عليه ويشنونه الى الراء . وقد بعث الشعب الى قورليان والدته لتصل عن عزيمه . وهاك بعض ما فاهت به امامه . نبي اثبراً من الرومانيين الاتعلم ان لا يمكن لك ان تحصل على شيء يسير بالقوة الا بالتوسلات فسمع قورليان العاني هذا الكلام ووسامه ذلك امداد حياته واختار القوليون قادة غير قادتهم الا ان رجال الندوة استمروا معرقلين بمبادئهم واصبح الامر الذي اعلنوه بان لا يمتخوا شيئاً بالقوة اساً للشيعة السياسية الرومانية التي لم يحتفوا عنها في ايام الجمهورية

واما النصائح الالة الى اتخاذ مالا يسوغ ابرامه لم يبعثوا قط بها وكان الرومانيون لبني الغرائك زمان الانتصار لا الانكسار طالما كان مجلس الندوة يحافظ على مبادئ الجمهورية القديمة ويثبت فيها ما بقي من الرعية فمشاً من هذا الروح نفسه ما رب اتخذها مجلس الندوة مراراً وهي ان يظنوا بالاعداء بالقوة الجبرية دون استخدام المكر والخدعة حتى الخدائع التي يسوغ استعمالها احياناً انتهاء الحرب لانه لم يكن يقوم بذلك حياً بالشرف الكاذب ولا تجاهلاً عن الشرائع الحربية لكنه لم يقض قضاء ماضياً في سبيل مصادمة العدو جبار الا ان يساب عنه المشورة التي يستطيع ان يحصل عليها بقوته حتى اذا ماخارت قوة العدو وفر من امام وجهه مدبراً لا يرى له ملاذ الا في حى الظافر فذاع حيث قدر هذا الراي السديد والفكر الثاقب في الامصار الشاسعة والدانية فاعتمد الجميع اذا ان لا قوة ثقاوي قوتهم فلذا كانت الاعداء تطرح السلاح جانباً لدن افئكارها في هذه المبادئ ومن كان يخاف اليهم لم يكن يخشى غائلة وبيلة

واما الان فانك شعرت بما طراً على اوربا من الهاجس العظيم اذ برح بها الملك بوك الباسل وغزاهما واذعن العالم طراً ان لا احد سواه خافى بان يضع الافتتاحاته حراً

فان تصرف مجلس رومية الشديد بالاعداء خارجاً اعجب منه داخلاً فان ارباب النواب الحكماء كانوا مراراً جمة يتقادون لاهمال الشعب حتى انهم كانوا في ايام الشدة والبلابا يخلصون نفوسهم بالواجبات اكثر من سواهم . بل انهم كانوا يعفون عامة الشعب من كل فريضة مستنديين على ان الفترة يودعون للجمهورية خراجاً مع انهم يكثرون في سبيل اعالة ابناءهم فابدى مجلس الندوة انه عالم بما يتوقف عليه غنى المملكة الحقيقي . فاثرت هذه الشرائع الحسنة تأثيراً عظيماً في قلوب الشعب حتى انهم اصبحوا قادرين

على ان يتخذوا وطنهم من مخالف العدو ويطردوه يسألهم وقت الشدائد  
 الا انه لما كان الشعب يوم ما يعود عليه بالعدل كان المجلس ينذره عذاباً بسلطانه  
 كما ينتضي لكل جمعية توفرت فيها اسباب الحكمة . وذلك كتراع حدث بين شعب  
 أردني وسكان مدينة فاستحق ذلك التراع ذكرًا في التاريخ خالداً وهاك ملخصة وهو ان  
 هذين الشعبين تنازعا في بادى الامر على الارض ادعاهما كل منهما . وبعد ان كلاً  
 من الصدام اتفقا على ان يبسطا دعواهما لدى مجلس رومية الذي كان وقتئذ ناشراً  
 في تلك الاقطار لواء العدل الذي يشهد له به الشعوب الدانية فبعد ان خاض المجلس  
 في البحث عن ذلك تبين بالبرهان ان هذه الاراضي التي يدعيها الفريسيان في ملك  
 الشعب الروماني شرعاً وعدلاً . وان يكن مجلس الندوة متيقناً ان الشعب قضى لنفسه  
 بالعدل فلم يستطع ان يتحمل ان الرومانيين ينظاهم بكونهم يتكذبون بكرم اخلاقهم الطبيعية  
 ولان ينبغي رجاء جيرانهم الذين فوضوهم بهذه الدعوى . فافترغت الجمعية جهدها  
 بان تلتفي هذا الحكم العادل الذي حكم به الشعب بالارض لنفسه علماً ان قد يحدث  
 من ذلك شيء يلم بها وهو ان النضاة يضعون ايديهم على ارض وقع التراع عليها فبعد  
 صدور هذا الحكم حتى شعب أردني حقاً عظيماً لعلوا انه صاحب الحق وتلك السلاح  
 قصد الانتقام . فلم يلبث المجلس الا ابان لم جهراً ما أثرت به هذه الاهانة التي تأتت  
 عليهم ومن المثير ان لا يتمكن من الغاء حكم الشعب . الا انه بعد هذه الاساءة اذا راموا  
 ان يثبوا بمجلس الندوة لاصلاح ما ساءهم فلم الحق بهذا الادعاء فحيثئذ يعني المجلس  
 بارضائهم كثيراً حتى لا يبقى لهم محل للشكوى . فوطد الاردنيون رجاءهم على هذا الكلام  
 فحدث لهم امر من شأنه تدمير مدينتهم فتوافدت عليهم الفجعات بامير المجلس فجدلوا  
 بذلك كثيراً وعلوا ان قد عوض عنهم اكثر من الاراضي التي سلبها الشعب منهم . ولم  
 يكن اذ ذاك منهم الا ان يثبوا على اخلائهم الامناء بما لا يمكن المبالغة في اطرائه غير ان  
 مجلس الندوة لم يتألك الا ان ارجع اليهم الارض التي بها قضى الشعب الروماني لنفسه  
 والتي ذكر ذلك الحكم الثوري

وليس من داني تعداد الافعال الحسنة التي قام بها رجال الندوة فكم من الاعداء  
 الذين انقذوهم من ايدي رعايا منافقين لم يتكلموا صدقاً ولم يبرؤا في اقسامهم . وكم  
 قضى بالردل على اراء كانت قد فازت بالنجاح فيما مضى . وانما قصدي ان ارفع لديك

ان هذه الجمعية المكرمة لم نجبن في محبة الشعب الروماني سوى امور عظيمة. وابتدت في كل الاحوال تصوراً سامياً بارادتها. متيقنة ان صيتها كان سنداً وعتاداً للمالك كافة. ومن المعلوم ان قد كان للعقاب والثواب اعتبار عظيم لدى شعب مغدّى بلبن الحكمة. عدا ان الخدمة والرغبة في نجاح الملكة كانتا الوساطة الوحيدة للتقدم في المناصب وكذلك كان للافعال الحربية مجازاة حسنة لا تسوم الشعب شيئاً ولكن لأحد لثمتها عند العامة لان مجد هذا الشعب الحربي متعلق بها ولم يكن الجنود يعتبرون من السمات البهية الا علامات الفضيلة طالما عزّ لديهم تاج دمي أو أكليل من اوراق السندبان. او القار او بعض نباتات مرذولة ولا امتياز افضل لديهم من امتياز يتأتى عن افعال عظيمة

وان مجلس الندوة الذي كان استفسانه يقوم بمثابة المجازاة كان يعرف ان يونس او يمدح لدى الاقتضاء. ولدن نجاح المعركة كان يثني الفناصل والنادة على الجنود او يلومهم اذا كانت اعمالهم سيئة. وهم انفسهم كانوا يترصدون بفروغ صبر حكم الندوة الذي كان يقضي بشتات الجنان والراي السديد غير مندش بعض الحوادث. وكانت الاماديج ثمينة لصدورها عن معرفة خفية. وكان النوبس يؤثر كثيراً في ذوي النفوس الكريمة ويفسر الضعفاء على تميم واجباثهم. وطالما خشى الجنود عقاباً يلحق بالافعال المنكرة يبدان الجزاء والمجد المعدّين لهم كانوا يرفعان عنفولهم الى درجات سامية. ومن كان يستطيع ان يلقي في قلوب الشعب الجند والمجد في الاشغال وتظيم الامة وحب الوطن كان يحق له الافتخار لابنداعه قوانين جديدة لانشاء رجال توفرت لهم اسباب العظمة. ولا ريب ان رجالاً هذه صفاتهم هم اركان المملكة وقوتها. ولقد ابداع باري الطبيعة في جميع البدان رجالاً ذوي عنول ذكية وبطش عظيم الا ان على البشر الاستجداء بالطبيعة لتثنيهم. وما يثنتهم ويهذبهم قوة العواصف وسمو الهمم التي تمتد الى عنول بني الانسان كافة وتنتقل سريعاً من الواحد الى الآخر. فما الذي يقرن شرفنا بالبالسة العظيمة في المواقع والجرأة في اقتحام الاهوال اليس ذلك الاعتقاد الذي اقتبسناه منذ الصغر. ونترر باتفاق الشعب ان الرجل الشريف يكون عديم الخس والشهامة ان لم يكن ذا بالسة. وقد تشرب جميع الرومانيين هذه المأثر الحميدة. ولقد طالما كان الشعب يسابق الشرفاء ليسلك بموجب هذه المبادئ.

السلمية . وفي ابتداء اجيال رومية المحببة كان الولدان يشتغلون في الاشياء منذ  
 الحداثة ولم يكن القوم يمدحونهم الا بعبودية الاسم الروماني فكانوا يتداعون الى الحرب  
 لدن صدور ايام الجمهورية . وثمة يشتغلون دائما معسكرين صيفا وشتاء خاضعين  
 لاوامر قادتهم حتى الموت او الظفر . واما الاباء الذين لم يهذبوا ابناؤهم بمنتهى هذه  
 المبادئ ليحملوهم جديريين بخدمة الملكة فكانوا يتخصون امام الولاة والحكام لينضوا  
 عليهم كجبريين بالنظر الى الشعب الروماني . وبناء على ذلك كانت الانام العظام  
 يصبرون غيرهم عظاما ويكسبونهم فخرا واخلافا شريفة . وليس من الصدفة ان رومية  
 كانت تنفق سواما بالجد والعظمة بل ان الملكة الرومانية المولدة على النوع الذي  
 ذكرناه كانت ذات رجال صبرهم الامر الانف ابطالا

فالمملكة المنتظمة على هذا الدوال تشعر بقوة ليس لها من نظير ولا تليث ساعة  
 دون سند ونرى الرومانيين لم تحبط قط آمالهم بحسن احوالهم لا وقت ان جعلهم  
 الملك بورسينا يتصورون جوعا لدن حصاره مدينتهم ولا حينما احرقها القوايون  
 وردوا جميع بلدانهم وضيقوا عليهم كثيرا في الكايتول معبد الهتهم ولا عندما ارفعهم  
 خوفا ييروس ملك ابيروت وشعث شلم بافياك ولا اذ قتل منهم انيبال الظافر في  
 معركة فاما ما يتوف عن خمسين الف مقاتل فهم اشجع جنودهم وابطهم

فحينئذ دخل الفنتل ترتوس فارو المدينة ظاننا انه نال راية الظفر مع انه شطأ  
 شططا مبيتا وخسر هذه الموقعة العظيمة وذلك بسبب انه لم يأس من الظفر في وسط  
 هذه الاهوال التي كانت تكشفه . فشكر له رجال الندوة جهارا . ومنذ ذاك الحين  
 ازعموا حسب العوائد النديمة ان لا يصيغوا وهم في حالة هائلة كمن ان يمدحهم بعند الصلح  
 مها كانت ادله راحته . اما العدو فاخذ منه العجب كل ماخذ وعادت قوة الشعب  
 اليه وتيقن بالحصول على وسائل للنجاة بدرتها رجال الندوة العظام . ومن المثير ان  
 ثبات المجلس العظيم ما بين الآفات العظيمة التي طرأت على عقله لم ينشأ فقط عن  
 القصد الاكيد بعدم الرضوخ لطوارق الحداث بل عن معرفة وثيقة بقوى الرومانيين  
 وقوى اعدائهم . وقد عرفت رومية بمجرد تعداد نفوسها الامر الذي عاودته من عصر  
 الملك سرفيوس توليوس فلا ريب انها علمت بما عندها من الرعايا الخلقين بجبل  
 السلاح وبما هي على امل من الشبان الذين يتدرجون الى اعالي الجند يوما فيوما

ولذلك وفرت قواتها ضد عدو يأتيها من شواطئ افريقية لان صروف الدهر وحدها  
تبيّن في بلاد اجنبية حيث تأخرت التجديدات عن البلوغ اليه ونصراته التي كانت تسوء  
دماء مهراقةً امست مشومةً لدبها ولهذا مها حدث من التهلكات لم يكن على المجلس  
سوى ان يتهم لعل ما بقي له من الجنود الاشداء ولم يكن قط ذاسماً . ولما رأى  
قوات الجمهورية تناقضه بمقدار كذا لانهم لم يروا رومانين في معركة قانا والعصيان  
الذي ولي ذلك حتى انهم كادوا لا يستطيعون دفاعاً لوضيق عليهم العدو واستمر ثانياً  
في امره بيسالة غير مختش هلاكاً وشرع يراقب مسير الظافر . واذا تبين لدى المجلس  
ان انيبال بدلاً من ان ينجز فوزه عكف على الملاذ ارتاحت الى ذلك نفسه وعلم  
ان عدواً لا تاخذه الدهشة من نصراته ولا يتحين وقتاً يضافه على انقامها ليس من امكانه  
ان يفر بالرومانين

ومنذ ذاك الحين اخذت رومية تنتقم يوماً قيوماً بافتتاحاتها العظيمة . واما انيبال  
فرغاً عن كل بأس وطشو لم يلبث امامهم زماناً طويلاً لكنهما نقول ان انيبال بعد ان  
فاز مراراً حجةً شخ بانه وحسب الاستيلاء على رومية امراً سهلاً فحطت بذلك آماله .  
اما رومية فلم تنقد بسالتها اثناء هذه النوائب بل اقدمت على امور لم يسبق لها مثيل في  
العظيمة . ولم تلبث بعد معركة قانا الماثلة الا حاصرت مدينتي سيراكوزا وكابوا فالاولى  
لعدم استسكانها بوثاق اليهود والثانية لعدم رضوخها . فلم تستطع سيراكوزا بمجدها  
دفاعاً ولا باختراعات المهندسين اركيادوس الشهير وكثرت جيوش انيبال الظافر  
ليضافروا مدينة كابوا فكان ذلك عبثاً فان الرومانين قسروا هذا القائد ان يرفع  
الحصار عن مدينة نولا وبعد ذلك بزمان وجيز هم القرطجيون سييون وجيه في  
اسبانيا وقتلوا وفي كل هذه الحروب لم يحدث شيء على الرومانين يعود عليهم بالخطيئة  
فان خسائرهم حملتهم على ابداء كل ما عندهم من القوة ولهذا لم يكتف سييون الصغير  
ابن احد الفائزين المقتولين بقيام مهام رومية في اسبانيا بل ذهب لمحاربة القرطجيين في  
مدينتهم وطسها بطيساً

فان حالة هذه المدينة لم تمكن سييون ان يجد فيها المدافعة التي وجدها  
في رومية . وتوقن ذلك لدن نظرك الى نظام هاتين المدينتين فان رومية كانت في شدة  
قواها . اما قرطجة فلم يكن لها سندٌ ونصير الا انيبال ومجلس رومية كان على غاية عظيمة



من الاتحاد لانها كانت في الحبس الذي يشدها فيه الروح القدس في سفر المكابيين .  
 واما مجلس ندوة قرطجة فكان بسبب مخزبات قديمة منتحاً الى شطرين لا يمكن اتفاقهما  
 وكان هلاك انيبال برداً وسلاماً على قلوب الاعيان والعظام فيها . بيد ان رومية  
 كانت فقيرة جداً تطلب على الحراثة التي في علة لاغاثة جديدة باسلة لم تكن تنخر الا  
 بالجد والاسم الروماني مع ان قرطجة كانت مثرية بتجارها وكان اهلها منهمكون في  
 الثروة والمال غير متمرنين على فن الحرب . وبينما ان رومية كان جنودها الكثيرون  
 من فاطنيتها كانت قرطجة لا تتبع لها سياستها ان تجند الاجنبيين وكانت الخشية تنع  
 منهم احياناً على الذين اتخذوهم لهنهم اكثر منها من الذين ثبر الحرب عليهم . فكانت  
 هذه الورطة متأية من ناسيس قرطجة الاول ومن تواتر الايام فانها لم تنقاد عن  
 محبتها للمال والغنى حتى ان اريسطو كان يونيها كثيراً على ذلك قائلاً ان هذا الامر  
 ذريعة لان يفضل سكانها النقود على النضيلة . وقد قال هذا الفيلسوف ان هذه الجمهورية  
 التي توطدت لاثارة الحرب قد املت قواعدها ومارسها لكنها لا بلوح انه يونيها اذ  
 ليس عندها الا جنود اجنبية لكنها يؤخذ من هذه الثرائن انها لم تنشط في هذه الورطة  
 الا بعد ذلك . الا ان كثرة الغنى تسوق بالطبع الحكومة الجمهورية الى ارتكاب مثل ذلك  
 لان كلاً يود ان يتمتع بتجارته وانعامه متكرراً انه يعثر على كل امر بفيضان ماله  
 وعلى هذا كانت قرطجة تعد نفسها قوية لانها كانت مالكة عديداً وافراً من الجنود .  
 ولم تعلم من الاختبار ومن عنو جنودها المتكاثرة في الازمنة الاخيرة ان لا شيء يتكفل  
 بهلاك دولة نظير استنادها على اجنيته ليدود عنها مع انه يكون عارياً من كل غيرة  
 ورضوخ وامنية

ولا ينكر ان سمو عتل انيبال الثاقب اصح ما في سياسة دولته من الخلل . ومن  
 الامور التي تبعث على العجب ان لم يحدث في جيش انيبال المؤلف بمجوع مختلفة  
 لم يكن البعض منهم يسمع للبعض الاخر بل انهم كانوا معدي الكلمة راضخين لاوامر  
 قائدهم مدة ست عشرة سنة في بلاد اجنبية الا ان مهارته لم تكن بتأدية ان تعضد  
 قرطجة وقت ان هجم على اسوارها النائد سيون الماذق واصبحت حينئذ دون قوة  
 فافضى الامر باهلها ان يستغيثوا بانبيال الذي لم يجدهم الا بجنود اضعفهم انتصاراتهم  
 اكثر مما اضعفهم فوز الرومانيين . وزاد على ضعفهم ضعفاً طول السفر في البر والبحر

ولهذا انكسر انيبال ونهر قرت طرطجة التي استولت انفاً على افريقية والبحر المتوسط وكل تجارة العالم فالتزمت اذ ذاك ان ترسخ للبر الذي الفاء الظافر سيون على عاتقها . فهاك ما جناه من ثمر المجد والفخر جلد الرومانيين وصبرهم . لان الشعوب الذين يبسلون ويغلدون في اثناء النواصب لا يباسون من انهم يتمصون من حبال المشاق المبرحة بشرط ان لا يفقدوا املاً . وقد عرف بوليب المؤرخ ان قرطجة سوف ترسخ اوروبية واستنتج ذلك من نظام الجمهوريتين

فاذا كان الرومانيون لم يتخذوا كل هذه الوسائل السياسية والجنسية الا لكي يرفعوا دولتهم في مجوعة الراحة ويصدوا المعادين على الذين يواخونهم وجب علينا ان نظرى بالثناء على عدمهم كما اطربنا على بسالتهم وحكمهم . الا انهم لما ذاقوا حلواء الظفر ارادوا ان يجعلوا كل شيء راضعاً لشوكتهم . وجل مناصدهم كانت ان يستولوا على مجاربهم ثم على العالم بأسره . واملاً بئال مرغوبهم كانوا يعرفون ان يراعوا المتحايين معهم ويظفوا على الاتفاق بينهم ويلتوا اللينة والحسد بين اعدائهم ويتدخلوا في افكارهم فيكتشفوا على نوابيهم ليستدركوا اعمالهم ولم يكونوا يسهرون فقط على تصرف اعدائهم بل كذلك على نجاح مجاربهم لانهم كانوا يرغبون جداً في ان يشعروا بالدول القوية والمناعة فوزم فيستقدمون الوسائل لمقاومتهم من جهة اخرى حفظاً للموازنة وبذلك اخطأ اليونان في عصر بوليب المؤرخ عندما كانوا يبنون توسيع رومية الى التفادير لالحكمة منصودة وذلك لانهم كانوا يودون مجد امتهم . وكانت تدب فيهم الغيرة اذ كانوا يرون اناماً يتعالمون عليهم مجداً ولما كانوا يرون عن بعد المملكة الرومانية تتقدم وتنبو كانوا يعززون الى الصدفة حسب عوائد بني الاسان مفاعيل لم يكونوا يعرفون علها . ولم يكونوا قد دخلوا في الاحكام التي كانت تحرك هذا الملك العظيم اما بوليب المؤرخ فيسبب عشرته للرومانيين كان واقفاً على سياستهم المكنونة وبسبب ملاحظته سلوكهم في الحروب مع قرطجة حكم بعدله على الرومانيين اكثر من غيره من اليونان ونسب فتوحاتهم لا للتفادير بل لمقاصد متواضعة مبنية على الحكمة لانه كان يشاهد الرومانيين من البحر المتوسط يسرحون ايصارهم الى كل الانحاء حتى اسيا واسبانيا ويراقبون كل ما كان يجري ويتدرجون خطوة خطوة ويوطدون شوكتهم قبل ان يتدوا ولا يحملون نفوسهم احمالاً كثيرة ويكتبون برهة مناصدهم ثم يعلنونها للناس الاقتضاء فترصدوا غلبة انيبال ليقروا فيليبس المكدر في

مضافاً. ومتى شرعوا في امر لا يتوانون ولا يفرحون الا لدن انعامه ولا يتركون للمكدونيين فرصة يكون لهم فيها فرج وبعد ان ظهروا عليهم اعادوا الى اليونان من ازمته مدينة تحت اثقال العبودية الحرة التي لم يكونوا فيها يفتكرون وبذلك بشوا في الامصار الشاسعة تهمهم وحرمة اسمهم وهذا ما بين صريحاً ان الرومانيين لم يسارعوا لفتح العالم بالنفاد بربل بحكمة مقصودة

هذا ما شاهدك بوليب في اثناء نجاح رومية. واما دنيس البكارناس الذي كتب بعد تشييد الدولة الرومانية اي في عهد اوغسطس يستنتج من النتيجة عينها بعد ان تكلم بداءة عن ترتيب الجمهورية القديمة الذي هو تادراً ان يربي بذاته شعباً اهلاً للسلط ولا تعمل به ايدي الغلبة. وذلك كافر ليجعلك تنفي راي هؤلاء المؤرخين وتدحض راي بلونارك المتعثر لليونان النامي الى الفنادير عظمة رومية. واما عظمة الاسكندر فنسبها الى قوة حكمته وقضيلو

ولكن طالما بين هؤلاء المؤرخون مقاصد رومية المعتمد عليها الافتتاح يوضحون ظلمهم لان هذا النص لا يعزز عن المطامع بالسلط ولهذا رذلة الانجيل المقدس انما الفاسفة وحدها تكفي لان توضح ان القوة نالها بنو الانسان ليحافظوا على ما لهم لا ليخلصوا ما لغيرهم. وقد افتر بذلك شيشرون والثوانين التي سما لتتيم الحروب ترذل الرومانيين جهاراً. ولا ريب انهم اخذوا يعدلون في بداءة الحكم الجمهوري لانهم كانوا يتظاهرون انهم شديداً الرغبة في اضرار الحرب التي حصروها في حيز العدالة والانصاف ولا شيء اود من جمعية الفاسيوكس اي السفراء سواء كانت عقدها نوما تطبيقاً لما بنوه. واما دنيس البكارناس او انكوس ماريوس تطبيقاً لما يقوله تيف فيف فمكة الجمعية قد عفت لتبرز احكاماً سواء كانت الحرب عادلة ام لا. وقبل ان كان مجلس الندوة يتهمك في تاجيح الحرب او ان الشعب يتهافت عليها كان الفحص المادل مصروفاً في اسبابها ولما كان القيام بشأن ذلك يعدّ عدلاً كان مجلس الندوة يسارع الى تهميم. انما كان المحاربون يطلبون قبل شرعاً كل شيء من المجلس ولم يكونوا يستقدمون الوسائل الجبرية الا بعد ان يفرغوا كل انواع المساهمات

ولاريب ان هذا النظام كان امراً مقدساً. وما يشين المسيحيين ويرذلهم ان قد هبط من السماء اله ليثني بينهم سلاماً فلم يمكن له ان يثبت في قلوبهم محبة. فاما الفائت

أما من القوانين الخمسة أذا أصبحت بحصر القول صورة كاذبة . فان لذة الفوز والتحكم  
 في الزمانين ما كان عندهم طبعاً من الانصاف والاستقامة لان مداولة جمعية  
 الناس وكسبهم في صورة واحدة وان يكن الرومانيون يعاملون آونة اعداءهم  
 بالرفق في المودة فان الطمع لم يستمر سبيحاً للعدل ان يفوز في ارائهم والتألماتهم وفضلاً  
 عن ذلك فان ظلمهم كان يبعث على الخطر المبين لانهم لم يكونوا يستطيعون ان يواروه  
 تحت شعار العدل . وكانوا يرزخون تحت اثقال رقبهم الملوك والامم بحجة انهم يدافعون  
 عنهم مع انهم كانوا ذوي قسوة بربرية نحو الذين كانوا يقيسون عليهم تكبراً . وذلك  
 من دأب الفاتحين الذين يعلمون ان الرعبة قائمة باكثر الفتوحات . افسوخ الحكم  
 بامر كذا سوه . الذة قارطة في الاستيلاء فيتحداه بنو الانسان باعمال كم بربرية

وامل ان يلقى الرومانيون الهول في كل اين كانوا يغادرون في المدن المنتهضة مشاهد  
 مرعبة تدل على قسوتهم وكانت سمات الارهاق والتذلل تبدو عليهم نحو الذين كان  
 ينظر اليهم بعين التلى والبشعنة . ولم يكونوا يعفون عن الملوك بل كانوا يمتنونهم بقسوة  
 غريبة عدا انهم كانوا يكبلونهم بالسلاسل لدن الفوز بهم ويحرقونهم بالعجلات كالعبيد  
 غير انهم كانوا مع كل هذه القسوة الفاحشة التي كانوا يستقدمونها في سبيل  
 الافتتاح كانوا يحكمون بعد الفز الامم الراضعة لشوكهم لانهم كانوا يبذلون غاية جهدهم  
 ليدفوا الشعوب المتوعين لذة احكامهم ظانين ان ذلك من احسن الوسائل التي تتكفل  
 بفوزهم . فكان مجلس الندوة يقيد الولاة ويحكم بالعدل للام لان هذه اللجنة كانت ملاذاً  
 للظالمين ولهذا لم يطرأ سلب او نهب في الدولة الرومانية الا في اواخر الحكم الجمهوري  
 والى ذاك الان كانت شهامة الولاة وقناعتهم مدوحين في كل البسيطة

وبناء عليه فلا تعدن الرومانيون من زمرة هؤلاء الفاتحين المطامع الذين لا تتراح  
 نفوسهم الا الى النهب ولا يتوطد استيلاؤهم الا على دثار البلاد المفتوحة . فلا ريب انهم  
 كانوا يحسنون احوال المدحورين ويزيدونهم ارباحاً اكثر مما كانوا يسودون بينهم  
 العدل والحرانة والتجارة والفنون والعلوم بعد ما كانوا يعلمونهم ذوق الملة

وذلك ما اولاهم هذه المملكة التي تنفق كل ممالك العالم بزواتها ونظامها وعظم  
 اتساعها فان حد ودها كانت تمتد من نهر النرات والتنايس الى عواميد هرقل وبحر  
 الاثلاتيك وكانت كل الامصار والبحار راضعة لشوكها . يهول ملاحوها في محج البحر

المنوط فيقومون كل ساحاته مستقرين على كل الممالك التي حوله طولاً وعرضاً يحافظون عليه من طرفه ليقروا الاتصالات في مملكتهم . اما الان فياخذنا العجب عند رويتنا الشعب الذين هم ممالك عظيمة اي غالباً يرمونها واسانها كلها وغالب بربطايا الكبرى والبريا حتى شواطئ الدانوب وجرمانيا حتى نهر الالب وافر يقبل حتى قنارها المربعة التي لا يدخلها احدٌ وبلاد اليونان وتراسيا وسوريا ومصر وكل ممالك اسيا الصغرى والمالك التي بين البحر الاسود وبحر كاسيان والممالك التي اوعزت عليها اولم اشاء ان اذكرها لم تكن مدة احوال متواليه الا مقاطعات من المليك الرومانية التي كانت كل شعوب العالم حتى البربر تخضع شوكتها وقد بسطت في كل الانحاء سلطتها وشرائعها وتقدمها

ومن الغريب ان في مملكة كذره رعيه مكثفه اما شتي وممالك عظيمة شعوباً عظيمة كانت راضية لما لا يدب فيها تمرد الا قليلاً لان سباسبها كانت قد جعلت بوسائل عديدة ارفع لديك محصلها بوجيز العبارة ان الغل الرومانية التي نشأت في كل ارجاء المملكة يكون لها منعولان عظيمان اولها انهم كانوا لا ينقلون على المدن التي كانت فيها عديد كبير من ذوي المعسر . والثاني انهم كانوا يحافظون على الحال المهمة ويعودون الشعوب الغريبة على اخلاق الرومانيين وعوائدهم فذه الغل التي كانت ترجل ومما كل الامتيازات الخاصة كانت تمكك متعلقة بالحكم الجمهوري منفعه المملكة من السكان الرومانية

وعدا ذلك كان قسم كبير من المدائن كانت تبذل سكانها حقوق سكان رومية متخذة بها بصالحها ساهمة على المدن المجاورة لغربها برعاية واجباتها فحدث في اخر الايام ان كل دعايا المملكة اعتمدوا نفوسهم انهم رومانون وان الشرط المنوط بالظافرين التقي فيما بعد بالمتهورين ففتح لم مجلس الندوة ابوابه ونبوا امامهم على ان يركبوا مستقبلاً تحت الملك وعلى هذا اصبح الامم يعصب حلم الشعب الروماني شعباً واحداً وامست رومية وطناً للجميع

فكم من ملائمة جرت هذا الاتحاد العجيب الى كل الشعوب العائدين في ظل سلطنة واحد للتجارة وسفر البحر فان الشوكة الرومانية كانت قد اكتسبت كل شيء . وعدا بعض مقاطعات على التعم كان المجاورون يقيمون فيها قبسة الفلاقل وكان العالم

برمته في السكينة والامن . ولا مرأه ان بلاد اليونان واسيا الصغرى وسوريا ومصر  
واكثر مقاطعات غيرها لم تلبث دون حرب الا على عهد الرومانيين ومن هنا يؤخذ  
ان هذا الاتصال بين الامم كان آيلاً الى حفظ الرضوخ والاتفاق في كل جهات المملكة  
واما الجنود الذين كانت بهم رعاية النجوم فكانوا يشتبونها داخلاً فيما كانوا يدافعون  
عنها خارجاً ولم يكن من عوائد الرومانيين ان يشدوا قلاعاً في امصارهم ولا ان يحصنوا  
نجومهم ولم يقوموا بهذا الشروع الا على عهد فالانتينيانوس الاول لانهم كانوا آنفاً  
يحضرون قوة المملكة ورعايتها في الجنود الذين كانوا يبعثونهم الى ارجائها حيث  
يكونون قادرين ان ياخذوا بابادي بعضهم المعتين . وبما ان النظام كان يلزمهم ان  
يستمرروا دائماً في المعسكر لم تكن المدائن تآذى بمحضورهم . ولم يكن القانون العسكري  
يسج للعساكر ان يتجولوا في الحقول وعلى هذا لم تكن الجنود الرومانية تلبس التجارة  
او الحرثة . بل انهم كانوا يقومون في معسكرهم اسواقاً لا تختلف عن سواها بالاشغال .  
بل كان النظام مرعياً بكل صرامة والامر بكل شدة . وكان هؤلاء الجنود مستعدين  
للعمل عندما تدعوم الى ذلك ادنى حركة . وهذا امر كاف ان يحمل الشعوب  
راضين لتتبع واجباتهم لدن شعورهم ان جنودهم مؤتمنون دائماً للقيام باعمالهم  
ولم يكن شيء يبعد الراحة والامن في المملكة اكثر من نظام العدل والمجالس  
الذي سنه الحكم الجهموري وفصره الامبراطورون والفتاء فكان الشعوب كلهم حتى البرابرة  
بنظرون اليه بعبود . التعجب والدهشة . وبهذه الشرائع وحدها كان الرومانيون  
جديريين بان يستولوا على العالم . فضلاً على ذلك فاذا كانت الشرائع الرومانية  
بدت مقدسة وان عظمتها لم تنزل الى الان رقياً عن دثار المملكة فلا يكون الا لان  
التفعل يستتر في كل اينه وان لا شريعة تنطبق على مبادئ العدل الطبيعي نظيرها  
غيراته تسرا عن عظمة الاسم الروماني . وهذه السياسة المكونة وكل النظام السامي  
الذي نشأ في هذه الجمهورية المشهورة كانت رومية تتضمن في جوفها علة دثارها  
وهي ديمومة حمد الشعب لمجلس الندوة . او بالاحرى حمد لم الشرفاء . فرومبولس  
كان قد وضع لذلك امتيازاً اذا اقتضى ان يكون الملوك انام ممتازون بباطون بشخصهم  
الملوكي بروابط خاصة ليحكموا في الشعب بواسطتهم . ولهذا اصطفى الشعب الشيوخ  
والثقات منهم مجلس الندوة وكانوا يدعون شيوخاً نظراً الى سنهم ومناصبهم ومنهم نشأت

عائلات الشرفاء. ومع هذا فبما كانت السلطة التي ابتاعها روميلوس للشعب فانه اخضعهم تحت ولاء الشرفاء بوسائل استخدمها في سيدل ذلك. وهذا الرضوخ اللازم للحكم الملوكي حفظه في ايام الملوك. وحكم الجمهورية قائم استمروا مختارين من الشرفاء اعضاء مجلس الندوة وكانت الوظائف والولاء والرتب حتى الكهنوت منوطة بهم. غير ان الشيوخ الذين عثروا رومية لم يضربوا صفحا عن امتيازاتهم فديت اذ ذاك عنارب الحسد ولا حاجة لذكر الكافاليه ابي الخيالة الرومانية الذين كانوا مرتبة ثالثة ياخذون آونة بايدي احد المتشاحين وآونة بايدي الآخر الا ان السبب الحقيقي الذي كانت به رومية متعشة هو حب الحرية

لان مبدأ الجمهورية الاساسي كان قائما بان تعتبر الحرية اله غير منفصل عن الاسم الروماني وان الشعب الذي يكون قد اتى هذا المبدأ او بالاحرى خلق ليستولي على الشعوب كلها (ودعاه فرجيليوس الشعب الملك) لا بد ان يرضخ لشريعة لم يكن سنها هو نفسه. وكانت سلطة مجلس الندوة امرا واجبا يعدل سلطة غيره من المجالس ولو ذلك لكانت المجالس كلها ضحاية الا انه كان بالشعب يناط تقليد الولاة الرياسة ويؤتس الشرائع وتخدم الحرب ويدير الصلح وكانت له حقوق الملك الاساسي ويتخذ اهاية الملوك ولهذا كان يرغب في ان يوعز اليه ولكن لا يشاء ان مجلس الندوة يتصرف على امره. وعليه فكل ما كان يبدو بهيئة التعظم والامر او يرتفع عن غيره او كل ما كان يشين او يمس روح المساواة السائدة في دولة حرة يانف منه هذا الشعب المحر كل الانفة. ولهذا حب الحرية والمجد والتفوحات كان يقضي عليه بعدم الانقياد. والجرأة التي كانت تبغهم على ان يتشربوا كل الاعمال الخارجية كانت تسبب لهم انتقامات داخلية. وعلى هذا فان رومية الحريصة على حريتها شاهدت الشقاق ثائرا بين كل مراتب الامر. ولذن ذلك سرى الحسد الرائع بين الشعب ومجلس الندوة والشرفاء لان منهم من كان يزعم ان الحرية المفرطة تبدي نفسها ومنهم من كان يخشى ان السلطة التي من دايها ان تكون دائما معتدة ستجر جورا وعدوانا فلم ير الشعب ما بين هذين الطرفين حذاً اوسط. والعواصم الذاتية لم تنجح لم بان يستمروا في حدود الاراء العادلة. وان ذوي المعامع والعيان كانوا يشيرون روح الحسد ليتعبنوا زمانا ببالون في اغراضهم. وهذا الحسد الذي كان نارة متواريا

وطوراً بادياً حسب مقتضيات الأحوال لم يبرح حياً في القلوب حتى سبب الانقلاب العظيم الذي طرأ في أيام قيصر ومن خلفه

## الفصل السابع

### إيضاحٌ للانتقالات التي حدثت في رومية

يسهل عليك يا سيدي جداً أن نقف على بواعثها إذا كنت تبذل جهودك بدد شعورك بسجاي الرومانيين وتاليف جمهوريتهم بالاطلاع على بعض التي لها ارتباط وثيق . وإن كانت طرأت في أزمته قديمة جداً فجمعها زيادةً للإيضاح وهي : أن روميلوس الذي حنكته الحروب وهو المدعو بابن مارس (اله الحرب) شاد رومية التي أسكنها من أناس مؤلفين من رعاة وعبيد ولصوص توافدوا عليها يتخذونها ملاذاً لأن بابيا متفوح للواردين وإلى إليها أناس غزرم لم سعة بالفضل والنسب الخطير . فلذن ذلك اشعرت هذا الشعب الهيج روح الأقدام على كل شيء بالقوة النسرية حتى أنهم اتخذوا نساءهم من الواسطة . وبعد أن مضى على ذلك مدة أسس الانتظام والآن عرائكهم بشرائع مقدسة . فباشرا ابتداء الدين الذي كان يعتبره أساً للمالك وجعله ذا وقار وحظر دخول المذاهب الأجنبية والذباح التي لم يعاودها الرومانيون ثم خولفت هذه الشريعة التي كان صارفاً جل العناية في حفظها إلا أنهم ابتلوا منها شيئاً وتخبروا من الشعب اعظمه ليؤلف مجامعاً عاماً . دعاه مجلس الندوة والفة من ثلثائة من الأعيان الذين زادوا فيما بعد عدداً . ومنهم خرجت العائلات الشريفة وما بقي كان سوقاً أو شعباً وكان على مجلس الندوة أن يبحث عن الأشغال ويعرضها لدى الشعب . وكان بيت بعضها مع الملوك إلا أن أعيانها كان يبرزه لدى الشعب فصدق عليه . ويغما كان روميلوس في محل طرأت ثورة على عجل فتسابق إليه الشعب وقطعوه أرباً أرباً لأنهم وجدوه ناهياً بأوامر . ومن ذاك بدأ الاستقلال في تلك العصاة وشاع النبأ وتنتذر أن الإلهه اختطفن روميلوس إلى السماء قصد أن تخمد نيران غضب الشعب الذي كان يجب ملكه وإن يكون المذكور في المدينة مقاماً سامياً . فتشاد الرومانيون له مذبح . ثم إن نوباً يوميلوس أكبل تثقيف عوائدهم وسجايهم وتنظيم الدين غير مغبر شيئاً من



الاساس الذي اقامه روميلوس وذلك بعد ان خمدت نار الفتنة واستتب السلام .  
وسن توليوس هوستيلوس شرائع ثقيلة للنظامات العسكرية والبحرية واصاف اليه خلفه  
انكس مارتوس احتفالات مقدسة املاً بان تصير العسكرية مباركة ومقدسة وواصل  
بعك تركوين القدم عدد الاعيان في مجلس الندوة الى ثلثاية . وما ذاك الا ليكون له  
يو خصصة ويتوا على هذا العدد اجمالاً عديك ثم باشر الاشغال الشاقة التي كانت  
آيلة الى الراحة العامة

ونوى سرفيوس توليوس على تأسيس جمهورية يترأسها حاكمان يخبرها الشعب جازياً  
ان رياستها لا تتجاوز اكثر من عام . وتُخت الملوكة بغضة بتاريكوس الجبار وقويح الذين  
حاولوا ان ينهوها مرة اخرى متذوقين باللعنات الوحشية والى الشعب على نفسه انه لابد  
من ان يستمر على حريته وشار الى ذكره بروتوس المورخ وتبع بهذا التغيير كتابات  
سرفيوس توليوس . فكان الفضلان اللذان يخبرها الشعب ان يكونا من زمره الشرفاء  
يعاويان الملوك بالسلطة الا انها كانا يتداولانها ملياً ويغيران كل عام .

فاصطفى لهذا المنصب السنيح كلوتيوس وبروتوس لانها كانا مشتركين في الحرية  
وان يكن الاول منها قريباً للكراس التي سبب موتها هذا التغيير وانه كان يهتدى اكثر  
من غيره للانقسام من الامانة التي تانت فيها فلدن ذلك وقعت عليه الشبهة انه كان من  
العائلة الملوكة فطرد واقيم بمثابة فاليريوس بعد اياو من غزوة انفذ بها وطنه من  
القبائين والاثروستين الا انه اتمه بانه يرغب في الحكم الجوزي لانه بدأ ان يشيد صرخاً  
شاعراً على قمة اكمة باذخه واذ ذاك لم يكنف بالعدل عن تميم البناء بل انه بعد ان عاد  
والشعب بنظره بعين الرضي والمودة من شريعة ان الدعاوي لابد من رفعها لدن  
الافضاء الى الشعب الذي يناط به آونة الجزم بالحكم فضغنت هذه السنة بدأة بدء  
سلطة التناصل واتمعت حقوق الشعب . وبسبب الافتقار التي كان الاغنياء يعتون  
فيها الفقراء لفخصيل الديون ثار الشعب على التناصل والجلس ولاذ بجمل افنتين . وكان  
مدار هذه الجماهرات نوال الحرية الا ان الشعب الروماني لم يعتبره حرطالمام  
يكن له وسائل شرعية يقاوم بها المجلس فالجأهم الامران بفيه واكلاه مدعين يذودون  
عن حقوقهم فيساجلون الفناصل بالماناة والاستئناف فاما هؤلاء الفضاة فرغبة في  
ان تكون لهم السلطة كانوا دائماً يضرمون نيران الشقاق بين التناصل والشعب الذي

كانوا يصانعون القوم بقولهم لم ان اراضي البلدان المقموعة والتمن الذي اُذي عنها لابد  
من قهرته بين السكان ولم يفتأ المجلس يقاوم هذه الآراء الابلية الى دنثار الملكية لانه كان  
مزعمًا ان يضع ثمن الارض في الخزينة الوطنية . وكثيراً ما كان الشعب يتفاد بمشورة  
وكلاني البائين روح الشقاق الا انه كان ذا انصاف متعجباً من فضل الرجال الذين  
كانوا يناقضونه . والعلة التي كانت تقوم بتعميد هذه الثورات جروب متواصلة خارج بلادهم  
فمنه المحروب كانت تمنع سير الشقاق الى حد يسيء للعاقبة وفي اثناء ما كان الرومانيون  
فائزين بحروبهم وموسعين خطوات فتوحاتهم دب الحسد والضغينة فيهم وبعد ان ستم  
الحزبان من هذا الشقاق الذي كان يوعدها الملكية بالخراب اتفقا على ان يسنا شرائع ابلية  
الى راحتها والى تأييد المساواة اللازمة في كل مدينة حرة وكان كل منها يدعي ان  
هذه الشرائع منوطة به فزاد ذلك الحسد بهذا الادعاء وصمموا برأي عام النية على ان  
يبعثوا سفراء الى اليونان للاطلاع على شرائعهم ولا سيما شرائع سولون المتعارفة لدى الشعب  
كثيراً ووضعوا اذ ذلك الشرائع الاثني عشر لوجاً الا ان الدسفيراى الفضاة العشرة الذي  
نصوا هذه الشرائع نزعوا من وظائفهم لانهم تجاوزوا الحد باستعمال السلطة . وبينما كانت  
الراحة معتبة وكانت التراث تدل على ان تلك العنة العادلة توطد الى الابد الراحة  
العامة احندمت نار الشقاق بسبب ادعاء الشعب بمنصب الفصلية المنوطة الى ذلك  
الحين بالعزوة الاولى فاباحت الشريعة للسوقة ان يتقلدوا مناصب كهذه الا ان اعضاء  
مجلس الندوة اثروا على ان يقيموا ثلاثة حكام حديشين يعطون سلطة القناصل ويدعون  
تزيان على ان يتقلدوهم شرف الفصلية . فقبل الشعب بهذه الرتبة الجديدة واذا اكتفى  
بنوال حقوقه استعمل فوزه بقناعة واستمر على ان يسلم الامرية الى الشرفاء وبعد منازعات  
طويلة ابوا الى الفصلية واشترك الحزبان مع تواتر الايام بهذه المناصب وان يكن الشرفاء  
لم الامتيازات الكبرى بالانتخابات واستمرت المحروب متواصلة اياماً مديدة . واما الرومانيون  
الظافرون القاطنون في فلخ جبال السفقازوا بعد تاجيع الحرب مدة خمسية سنة باعدادهم  
الالاء وكل ايطاليا

ولدن ذلك ابتدأت المحروب الفرطجية وتعاضلت الاحوال حتى ان كلاماً من  
الشعبين ظن ان لا وجود له الا بهلاك خصمه واشتكت رومية ان تفتقر الا انها لم تجزع  
بل لبثت في ساحة العزم وحكمة مجلسها فتككل اخيراً صبر الرومانيين باكلبل النوز وتكلم

انيبال وقهر قرطجة سبيون الافريقي وانسطط احكام رومية الظافرة منه ما بقي سنة  
 براً وبحراً ورضخ العالم كله لسلطونها . وفي تلك الايام اي منذ خراب قرطجة اخذ المطامع  
 من الناس يطلبون الوظائف التي زادت عدداً وقيمة غير فاكرين الا بائالة الشعب  
 مصانعهم وبذلك انعكس الاتفاق الذي قد ابرم بين الفريقين من خراب قرطجة فان  
 الكراكين كانوا علة ذلك الاضطراب ومطالبهم باكورة كل الحروب الداخلية . ومنذ  
 ذاك الوقت اخذ الناس يحملون سلاحاً ويستخدمون القوة الجبرية وكان كل مجتهد  
 في ان ينال فوزاً يخصه بطريقة شرعية وحرية الاراء الا ان حكمة مجلس الندوة والحروب  
 العظيمة التي طرأت اخمدت نيران الخصومة . فماريوس الباسل الذي كان من السوقة  
 اثار الشعب بنصاحة جندييه وهيجهم بخطبه التي كان يقاوي بها الشرفاء وذلك ارتقى الى  
 اسي المراتب واماسولا الذي كان من الشرفاء فقد تراس على الحزب المائض واصبح  
 ماريوس يرنو اليه بعين التلى والحمد . واخذت حيثدر المكابذ والرشوة تستولي على  
 رومية . وان حب الوطن واحترام الشرائع لم يعادلهما امر . فضلاً على ذلك فان حروب  
 اسيا علمت الرومانيين التبرج والطمع في الحصول على المال . ولدن ذلك اخذ قادة  
 الجيوش يستميلون اليهم مودة الجنود الذين لم يكونوا من قبل ذلك يومدون لهم تكربة  
 الاكثونهم من ملدين السلطة العامة

واما سيلا فقد غادر عساكره ليتولون في الحرب التي شبت بينه وبين متريدات  
 ملك البون وما ذلك الا لسترضيمهم . واما ماريوس فقد كان يعد معاضديه انه  
 يقسم بينهم الدراهم والارض فبذلك اصبحا كلاهما مالكيين زمام جنودهما . فادعى  
 الاول انه يريد ان ياخذ بيد مجلس الندوة والاخر ان يقوم بناصر الشعب فاضطربت  
 بينهما حرب هائلة داخل المدينة فحل في اعوان ماريوس واعوانه الويل والشتار واكتسب  
 سيلا السلطة المطلقة ملتباً باسم ديكتاتور . فقتل من الشعب عدداً عظيماً وعاملهم  
 قولاً وفعلاً معاملة شديدة حتى في الاجتماعات الرسمية . ولما نال معظم السلطة وثبت  
 اعظم ثباتاً استعزل وآب بارادته الى درجة السوقة بعد ان ابان ان الشعب الروماني  
 يمكن له ان يجتهد سيلاً

اما بومبيوس الذي كان سيلاً قد اسي مقامه فقد استخدم قسماً عظيماً من سلطته  
 لكنه كان يدا من نارة الشعب وطوراً مجلس الندوة أمل ان يبقى ثابتاً في منصبه . اغما

مبله وغرضه الذاتي ربطاهُ بالحرب الأخير. وإذ ظهر على الفرسان والأسبانبوليبس  
والمشرق بأسره أصبح عظيم السلطة في الجمهورية ولاسيا في مجلس الندوة لكنما قبصر  
الذي أراد ان يكون له مساوياً انحاز الى الشعب. وإذ كان يتفدى بتقليده الوظيفة  
التنصية بمحامي الشعب المعاصي عرض لدى المجلس شرعية تقسيم الأراضي وشرائع  
أخرى تقرر بها عبون السوقة. وافتتاح غالباً اسماء الى درجات شاهقة من السودود  
والسلطة فاجتمع هو وبومبوس لمناصد ذاتية ثم افترقا بمحسد دب بينهما.

ولدن ذلك تأججت نيران الحرب الداخلية. فظن بومبوس ان اسمه يمكن له وحده  
ان يذب عن حريه فتوّر الى وهداث الخمول. وأما قبصر البصير بعبد التدمير  
فقد نال لواء النصر واستولى على الدولة الرومانية. ثم اخذ يجتهد الامور ليرى هل  
يستطيع الرومانيون ان يعاودوا الحكم الملوكي فحدها هذا الاختبار الى ان يكون ممهناً  
لدى الامه. واخذ المجلس يمتحنه انعاماً لم ينلها احد من قبله. وما ذلك الا ليزيد  
بغضة الشعب له ولم يلبث ان امانته داخل المجلس متغذبة ملكاً جائراً وقد كان  
للبصر اذ ذاك من الاجل تسعة عشر عاماً فتعبن الوقت لينار اياه ويجلس على عرشه  
خليفة له وما برح يكذب حتى اتخذ آل بيته اعداءه ومنازعيه حباً بتبسيم مقاصده الخاصة.  
فاصلطت جود ابيه تحت لوائه رغبة في الانعام والمبات التي من بها عليهم. ولدن  
ذلك قصت السلطة عن مجلس الندوة فاخذ كل يستحصل حنة بالنوة وبالعسكر  
والجنود الذين كانوا يخدمون من يزيد في انعامهم فهذه الحال السيئة بادت سلطة  
هؤلاء الرجال الثلاثة طالما كان في رومية اقوياء يقاومون العنف والجور. ثم ظهر قبصر  
وانطونيوس على برتيوس وكاسيوس فبادت معها الحربة فهذان الظانفران اهلكتا  
بيديوس الواهن وابرمما بينهما اتحاداً واجتزما الملكة بينهما مراراً. وبما ان قبصر كان  
متماهياً في المارة عثر على وسيلة تمكنه من الحصول على القسم الاوفر واحاز اليه رومية  
فناق بذلك خصمه. اما انطونيوس فقد جهد في ان يعزز سلطته لكنما ذلك كان  
عبثاً لان فوز قبصر باكسيك حرك كل الملكة لتكون تحت سلطته. ولما اخذ العياء  
من رومية كل ماخذ بسبب كثرة الحروب المدنية التزمت ان تنبذ الحربة جانباً  
املاً بالراحة.

ولما نالت سراء التياصرة مامورية الجنود تحت اسم امبراطور قبضت على زمام

السلطة المطلقة . وأما رومية فكانت في عهد القياصرة مجتهد بان تحرس ذاتها غير مبالية بتوسيع نجومها . ولم تقم بغزوة إلا لندراً عنها البرابغ الذين ارادوا الدخول الى المملكة

ولدن موت غاليلأ اوشك مجلس الندوة ان يرجع الحرية والسلطة القنصلية لولم يصح رجال الحرب الذين ارادوا ان يكون عليهم رئيساً مستمراً يندلونه عليهم السيادة . واذ عنايرون وعثا في الارض جائراً ثار المارثوسون وتخبر كل من المنخارين وازعاً وعلمت رجال الحرب ان تقلد الولاة منوطاً بهم فباعوا السلطة جهاراً من بودي لم عنها ثمناً باعظاً وتعودوا ان يخلعوا عنهم رداء الطاعة فباد بذلك النظام معها واصبح جهود الملوك الفاضلون في رعايته عثاً فان رغبتهم في ابقاء نظام الجندي الروماني القديم حملتهم على ان يحدق بهم الجنود بعيون الثعناء واللى . ولدن تغيير الملوك كان كل جيش يجهد في ان يصطي له ملكاً فينجبهم حيثدر حروب مدنية ومذايح مائلة ولهذا ارتخت اعصاب المملكة ونظام الجنود . فهذه الانقلابات قلت هبة الجيش الروماني وعظمته فنهض البرت من ناحية المشرق باسم الفرس الذين تنكروا في ما سلف مراراً جهة ومن ناحية الشمال امم كثيرة كانت قاطنة اراضي باردة جدباء حملتها عظمة اراضي الدولة الرومانية على ان تكر عليها وعزم الجميع على الدخول اليها مراراً . وعلى هذا لم يكن رجل واحد كافياً لان يحمل على عاتقه مملكة كهذه شاسعة مهجوماً عليها من الجهات كلها . فالحروب المتواصلة ورغبة العساكر في ان يتراأس عليهم قياصرة وملوك كانت بواعث تنكيلهم . وبما ان المملكة كانت احكامها اريثة تكاثرت الملوك طبعاً بتكاثر اولادهم . فماركوس اورليوس شارك اخاه بالولاة ونصب سفاريوس ابنه ملوكاً والجات الضرورة ديوقليسيانوس ان ينسم الغرب والشرق بينه وبين مكسيميانوس . ولما راي كل منها ان الاشغال اخضكت تخير له قيصرآ . وبسبب تكاثر عدد الملوك والقياصرة اصبحت الدولة مضنوكة بنفقات باهظة فاجترأت اذ ذاك المملكة وكثرت لحروب المدنية ثم قسم قسطنطين بن كلوروس المملكة ميراثاً بين اولاده واقننت ذريته آثاره من بعده ولم يبق بعد ذلك ملك حنائر وحن بالولاة

ان رخاوة اونوريوس وفالاتينيانوس الثالث كانت باعثاً كبيراً على اباداة ملكة الغرب فنهض البرابغ مراراً جهة ايطاليا ورومية واصبحت المداين فيها فريسة لم . فوقع

الغرب حيثئذ في هذه الاهال فاستولى التندال على افريقية والوزيقوط على اسبانيا  
 والفرنسيس على غاليا والساكسون على بريطانيا الكبرى والهارول على رومية برمتها ثم  
 فتحها الستر و غوط فتواري الملوك الرومانيون في الشرق وغادروا ايطاليا ورومية فريسة  
 للبرابرة . بيد ان المملكة الرومانية آبت الى ما كانت عليه من الباس والشد في ايام  
 يوستينيانوس بسبب شجاعة باليزار وناريس . فرومية بعد ما اخذت مرات عديدة  
 مكثت منوطة بالمملكة الرومانية . الا ان الشارقة لما رأوا ما فيها من الشقاق وما في  
 ملوكها من الذواني ظفروا بها وسلبوها اعظم جزء في الشرق واذافوها في هذه اللاحية  
 عذاباً مبرحاً حتى انهم لم يعودوا ينتكرون بايطاليا ولهذا استولى اللومبارديون على  
 الجبال الاكثر بها ونضارة في ايطاليا . فلما اصبحت رومية في ضيقة عظيمة لكثرة  
 تعدد باعهم المتواصلة ولم يدافع عنها ملوكها التجات الى الافرنسيس طالبة الاستغاثة منهم  
 فاجتاز بابان ملك فرنسا جبال الالب وقر اللومباردين وبعد ما درس كارلوس  
 الكبير رسوم سلطانهم تبوأ عرش ايطاليا اذ قناعته ابنت بقايا يسيرة لخلفاء القيصرية . وفي  
 السنة الثماني وائمة بعد المسيح انتخب الرومانيون ملكاً واسم ثانياً المملكة الرومانية .  
 فاصبحت بعد هذا معرفة على سمورومية وستوطها امراسل الادراك فترى هذه المملكة  
 الناشئة لاحتدام الحروب والمؤامرة للاعتداء على جيرانها دوخت جميع انظار العالم لانها  
 اتصلت بالسياسة ومن الحرب الى اسي درجة ثم انك ترى علل انشقاق الجمهورية ثم  
 علل هبوطها التي جلبها حسد اهالي الوطن ومحبة الحرية التي اخترقت الحدود . فلم يعد  
 يشق عليك ان تميز جميع ازمته رومية ان كنت تشاء ان تلاحظها بذاتها او بالنظر الى  
 سائر الشعوب فتري حيثئذ التقلبات التي هي مزعة ان تصدر عن ادارة الاشغال في  
 كل زمان . فاذا لاحظتها بالنظر الى ذاتها تراها اولاً في حالة ملوكية مرتبة حسب الشرائع  
 الاولى خاضعة للحكم الجمهوري عنوة فيسهل عليك معرفة نظام الحالة الجمهورية ثم معرفة  
 البدأة التي كانت لها في زمان سلطنة الملوك ولا تری باقل وضوح كيف كان ركن  
 السلطنة الملوكية الجديدة تنبت في زمان الحرية لانه كما انك فهمت ان ابتداء المشيخة  
 ومقاصدها نشأ في ملك سرفيوس توليوس الذي هو اول من اذاق الرومانيين طعم  
 الحرية كذلك شعرت ان حكم سيلابوري وان يكن موقوتاً وقصيراً يوضح ان رومية  
 وان كانت شديدة الخنزوانة قادرة ان ترسخ تحت نير العبودية كالشعوب الذين استولت

عليهم

ورجاء ان تنهم البامات على هذا الحد النظيف عليك ان تنظر في الزمنين اللذين عينتها لك بنوع خاص وذلك ان احدها وقت ان كان الشعب مفيداً في حدود بسبب المخاطر التي كانت تكتنفه من كل الانحاء والاخر اذا لم يكن يخشى من امر خارجي فارخى العنان لشهواته. فالميزم الجمهوري بين هذين الزمنين هو ان في الاول محبة الوطن والشرائع كانت تقيد الافكار وفي الثاني كل شيء كان يتم بالغرض النفسي والقوة الجبرية. فمن ذلك يتجلى ان في الزمان الاول منها رجال الامر الذين يتسلقون اعالي المناصب بوسائل شرعية كانوا يقيدون الجنود في رعاية النظام وبقوتهم متعلقين بالجمهورية واما في الزمان الاخير يوم كان الاغصاب يسود على كل شيء فما كانوا يفتكرون الا بمداواة الجنود لكي يشركهم في مقاصدهم رغماً عن سلطة مجلس الندوة. فبسبب هذه الحالة الاخيرة التفت نيران الحرب ضرورة في رومية وبواسطة المهارة بشأن ذلك اصبحت السلطة بيد رئيس واحد. انما متى تم الاشياء بالقوة تصبح الشرائع خالية من القوة والجور وحده يتكفل بصنع كل امر واصبح اشد الناس سائداً عليهم وقصارى الامر ان السلطة اصيبت في يد رجل واحد

وهكذا كانت الاشياء في رومية تترتب بذاتها حتى ان بوليب المورخ الذي عمر في زمان الجمهورية المتناهية في الزموا علم من مجرد نظره في الامور ان الدولة الرومانية لا تلبث برهة الا تعود الى الحالة الملوكية وبسبب هذا الانقلاب لا نحمد جنود الشقاق بين مناصب الجمهورية الا بسلطة مطلقة ومن جهة اخرى ان الحربة كانت مومومة جداً في رومية حتى لم يستقدموا الاغصاب والاكراه حجاباً بها فاقضى الامر ان يوهنوا رويداً رويداً بحيل متنوعة الى ان باقوا زمن يبيدونها فيه بالقوة جهاراً فالخذاع يبدأ حسب قول اريستو بمداواة الشعب ثم بالظلم والجور لئلا يهبطوا في ورطة اخرى لا بد منها بسبب رجال الحرب ولا محيص من هذا الشر الناجم من هذه الحالة

فلا ريب ان هذه المملكة التي شادها القياصرة كثر فيها السلاح ولهذا اقتضى ان تكون كلها حربية فتتظم وتثبت بالابراطورية وهي من الانقلاب التي يتولد عنها قادة الجيوش وامراء العساكر. وبهذا يتبين لديك انه كما كان الحسد يدب في الجمهورية بين الشعب والشرقاء كذلك كان في مملكة القياصرة داء يسري في اعضائها وهو قباحة

جنوداً الذين كانوا يواعث على اجلاس كل قيصر على السدة الملوكية اذ كان من المستحيل ان رجال الحرب الذين غيروا الملك واقاموا بدلاً منه ملوكاً يستمرون زمناً مديداً غير فاكربن انهم هم النابضون على زمام الولاة ولذلك يتصرفون بكيفية يرومون . ويمكن لك ان تلحق بالازمنة التي شعرت بها ما تدل على حالة الجندية وانقلابها وتبصر في الزمان الذي كانت فيه راضخة لمجلس الندوة والشعب الروماني والى الزمان الذي تعاقت بفادتها والابن الذي فيه استدرجته الى مدارج الساطعة المطلقة تحت القاب امبراطورين ثم الى الحزن الذي فيه كان الملوك بايديها ترفع مكاناتهم وتحفظها كما تشاء . فينجم من ذلك لديك الارتقاء والتمرد والحروب التي أنشأت عنها وابادة الجنود والدولة الرومانية بأسرها . فمنه هي الازمنة الاخيرة الشهيرة التي تدلنا على تغير الدولة الرومانية بذاتها واما الازمنة التي تنبئها عن حالتها بالظن الى سائر الشعوب فلا يصعب عليها امتيازها انما بقضى علينا ان ننظر في الزمان الذي كانت فيه تجاهد نظيراتها وهي معرضة للاخطار . وقد استمر ذلك اكثر من خمسمية سنة وانتهى بدثار الغوليين في ايطاليا ودمار دولة قرطجة . وفي الزمان الذي اضرمت فيه حروباً هائلة فانما كانت وقتئذٍ اشد وغير معرضة للاخطار واستمر ذلك ما بقي سنة الى ان تشيدت دولة القياصرة . وفي الزمان الذي فيه كانت حريصة على شوكتها وعظمتها . واستمر اربعماية سنة وانتهى في عهد ثيودوسيوس الكبير . ثم في الزمان الذي فيه دثرت من كل ناحية وهبطت رويداً وهذه الحالة استمرت اربعماية سنة فكان ابتداءها في عهد اولاد ثيودوسيوس الكبير وانتهى في حكم كارلوس العظيم

ولست بمجاهل يا سيدي ان قد يمكن اضافة حوادث خاصة الى علل دنثار رومية كجور الدائن على المدين فان بذلك ثورات عظيمة . وان كثرة السائفتين والعبيد الذين افعوا رومية وايطالياسبب هيجاناً عظيماً وحروباً دموية . فاذا اوهنت هذه الحروب الداخلية والخارجية قوى رومية شرعت تدخل الغرياء بين اهليها سواء كان بالاكره او نظية المخاطر ومن كثرتهم تعمس عليها ان تعرف نفسها . وغص مجلس الندوة بالبرابرة ولهذا اخذدم الرومانيين يمتزج بغيره . وان حب الوطن الذي بواسطته ارتفعت رومية فوق كل الشعوب لم يكن طبيعياً بل تلك الذين توافدوا اليها من الخارج ودب الفساد في اولادها بسبب هذا الاختلاط وكثرة المحبة بتكاثر الوطينيين المحدثين . وعكف ذوي



الفننة على وسائل لياشروا اعمالاً تبليل الافكار

وفي الوقت نفسه تعاضد عدد ذوي المسكنة والحاجة لكثرة البذخ والرفائل والكسل الذي نظموه في سلك العادات . واما الذين كانوا في اسواء حال لم يكونوا يجدون وسائل تمكنهم من امر معاشهم الا القيام بالثورات غير عائبين بخراب يتالي على الكون بعدهم وذلك ماحمل كتيسلينا على الاثارة قصد دثار رومية . فمن داب المطاميع الصعاليك الذين لا يخشون من فقدان شيء اثناء الرزايا ان يودوا الانتلاب واستظهر هذان النوعان من السكان في رومية واصبح اصحاب الحالة الوسطى الذين كانوا يعدلون الامور اضعف قسم فيها ولهذا اقتضى ان يستط الحكم الجمهوري ويمكن لنا ان نضيف على ذلك مهارة خاصة في الاشخاص فانهم سبوا حوادث عظيمة وهم الكراك وماربوس وسيلابومبيوس وجوليوس قيصر وانطونيوس واغسطس ولقد نوهت ببعضها انما كان جل اعنائهم ان ايين لك عال الشرور العامة اي الحسد بين المرتبطين وهو وحده كانت معرفته تهمك وتنتجح خطيرة لديك

## الفصل الثامن

خلاصة الخطاب الآنف وبها يضح ان كل شيء معاده

الى فعل العناية الالهية

نذكر ياسيدي ان وثاق العلل الخاصة التي تقيم الممالك وتبيدها مناط بامر العناية الالهية السرية فان الله قابض من اسي السماء على ازمة الممالك ويك قلوب البشر قاطبة فائنة بكيح الشهوات وطوراً يطلق لها الاعنة وبهذا يحرك كل الجنس البشري . ابود ان يقيم فاتحين . فانه يبعث بالتحوف امامهم ويلقي في قلوبهم وقلوب جنودهم جرأة تتوهم ذلك . ابود ان يقيم قضاة . فانه يبعث اليهم بحكمة خارقة وبصيرة وقادة ويعلمهم يستدركون الشرور التي تتوعد الملكة ويوطدون اركان الراحة العامة فانه يعلم ان الحكمة البشرية قاصرة من وجه فينيرها ويمد بافكارها ثم يغادرها وجهها فيعيها ويطررها ويرذلها بذاتها فتتلبك بتصوراتها الخاصة ويصبح احتراستها اخبولة لما يستخدم بمكة الوسيلة احكامه الهائلة حسب قواعد عدله الصائبة وهو نفسه يعد المعاولات

بالعمل البعثة وهو سبب هذه الضربات العظيمة التي عن بعد تبدو مفاعيلها ومتى شاء ان يضرب الضربة الاخيرة ويبعد الممالك نهوش الآراء وتمن القوة . فان مصر التي كانت في آنف الزمان حكيمة كانت تسير متشاحنة خيلاء وتجبيرة بكل امورها فان الله اذاع روح الدوار في ارائها فلم تدرك ما تصنع فهلكت . فلا تدخان الخديعة قلب بشري . فان الله يهدي من ضل ومن يحفر بضلال غيره يهوي الى وهدة هدلمية . وليس يلزم الخداع عقل الاسعاده الفسيحة وبذلك يحكم الله على كل الشعوب فلا نفوهن عن البث والنصيب . بل اذا تكلمنا عنها فليكن ذلك ذريعة الى سرجهلنا . وان ما نعدّه فعل الصدقة بالنظر الى آرائنا غير الوثيقة تنعكس حكمة سامية وهي العناية الازلية التي تتضمن كل العمل والمعلولات بنظام واحد ورتبة واحدة . وعلى هذا فكل شيء آبل الى غابة واحدة واننا لعدم فهمنا كل شيء نجد الصدقة او عدم الترتيب في الحوادث الخاصة

وبهذا يتحقق ما قاله الرسول وهو ان الله سعيد وهو وحده مستطيع كل شيء وهو ملك الملوك ورب الارباب . قطوبي انه فان راحته غير قلقه ولن تاتى برى كل شيء متغيراً وهو ثابت بغير الاشياء بعناية لا تتغير وهو وحده يهب السلطة ويتزعها وينقلها من رجل الى آخر ومن بيت الى بيت ومن شعب الى شعب وما ذلك الا ليعين انهم لم تكن لمن تسلط الا على سبيل العارية وبه وحده تقوم الطبائع وبذلك يشعر الملوك انهم راضخون لسلطة اسي من سلطتهم فانهم يصفون الاشياء بزيادة تروء او باقل فتتمكن اروهم من مفاعيل لم يستدركوها من قبل ولا يمكن لهم ان يتمكنوا من النظام الذي قامت به الاجيال النارطة في الاعمال ولا يمكنهم ان يستدركوا مجرى الاحوال مستقبلاً ولا من قسر الامور لئتم حسب معرفتهم فهو وحده قابض على كل شيء بيده ويعرف انباء ما وجد وما لم يوجد وهو الحاكم وحده في كل الازمنة ويسبق فيعرف كل المآرب والآراء

فان اسكندر لم يخالف فكره ان كل اعماله ستاؤل الى جلاء قاداته وان افتتاحاته تسبب دثار بينه ولم يكن بريتوس بعالم ان كان يلقي في قلوب الشعب الروماني محبة الحرية الفائقة بانه يلقي في الافكار مبدا هذه المجرة العظيمة الذي به يضفي الظلم الراغب الله في ان يبده اشد ما كان في عهد التاركينيين . ولم يكن من داب التياصرة بهداهنة

جنودهم ان يصبروا مستولين على المملكة وخلفائهم وقصارى الامر ان ليست سلطة بشرية  
 الاتخدم كرها لمقاصد غير مقاصدها والله وحده يصنع ما يشاء ولهذا اذا تعمدنا الاشياء  
 الخاصة بتبين لنا ان كل شيء عجيب. ومع ذلك فان الامور تتواتر بتسلسل ويبين لك  
 ذلك خطابنا هذا. ويكشفك غير مكررين ما فيها به عن غير ممالك ان ننظر في تسلسل  
 الحوادث التي طرأت في الدولة الرومانية وحدها من عهد روميلوس الى عهد  
 كارلوس الكبير. ولربما نخال اني اود اطالة الكلام عن شعب فرنسا وكارلوس الكبير  
 الذي شاد المملكة الرومانية الجديدة. ففضلاً على ان تاريخ كارلوس الكبير قسم  
 من تاريخ فرنسا الذي باشرت تأليفه انت نفسك وقد تقدمت فيه كثيراً فاني ابني  
 ذلك الى تاريخ آخر اقوم بتأليفه اذ به اكون مقصراً على ان اتكلم عن فرنسا وعن هذا المظفر  
 الذي ضارع بيسائه كل الذين اشتهروا في الاجيال الدابرة بل قد فاقهم بتنهاء وحكمته  
 وعدلوه وبظهر لك ذلك علل فاتحين آخرين وان هذه المملكة التي نشأت قبل كارلوس  
 بما بقي سنة نرى لما في خطابي محلاً ابسط فيه كلاماً عنها وقد ظننت ان من الخلق ان  
 ابدي لك بتسلسل واحد ابتداءه وانحطاطه. وعليه فلم يبق شيء اتكلم عنه في القسم  
 الاول من التاريخ العام فوقفت الان على اسراره واصبحت ملاحظات تسلسل الديانة  
 والممالك العظيمة حتى كارلوس العظيم موطوعة بعهدتك فانك تراها منخطة بذاتها  
 والديانة قائمة بقوتها الخاصة وتعلم حينئذ ما هي العظمة الثابتة وعلى اي  
 اس بنى الرجل الحكيم آماله

ثم



## اصلاح غلط

ان تقييد مدرج هذا الكتاب ومعريه وساير اعضاء الدائرة العلمية عن يروت وقت  
طباعة لمصلحة مدرسة الحكمة اوقع اغلاطاً كثيرة فيه اوجبت علينا فهرستها هذا والتحافه  
بهذه الترجمة

وجه	سطر	خطا	صواب
١١	١٩	تماليه	تمرحاله
...	٢٢	كادموس	قدموس
١٤	١٢	انشاء	النشاة
١٨	٠١	ايام	ايها
...	٠٧	احباب	اخاب
١٩	١٩	لسيديون	لسيديون اي صبرنا
٢٠	٢٣	هرقل	هرقلوس وهو ابن المشتري
٢١	٠٥	لائهم كانوا يزدادون بها	وكانت بلاد اليونان تزداد قوة وتعدياً
...	١١	يوناس	يونان
٢٢	١٦	سيراكيز في جزيرة سيميليا	سيراكوزا في جزيرة صقلية
...	١٨	يونان	اليونان
٢٧	٠٦	فاقام قورش ابن اخيه	فاقام قائدنا على جيشه قورش ابن اخيه مندانا امرأة كيمس ملك الفرس
٢٩	٠٢	اعظما	اعظم
٣٠	٢١	يل	بابل
٣٤	١٦	يهودا	يهودا
...	٢٦	حافظها	حافظوا

صواب	خطا	سطر	وجه
اماتوها	اماتوها	١٢	٠٢٥
سلوقوس... السلوقيين	سليكوس... السلوسيين	١٧	٠٤٧
فرصة	فرصة	٠٩	٠٦٢
خوض المعامع سنة ٨٦	خوض ٨٦ المعامع	١٢	٠٦٢
العدو	العدد	٠٢	٠٦٢
كانيلينا	كانيلنا	١٢	٠٠٠
لان اغنياق الحشرة وصيانه لم	لوان اغنياق الحشرة	٢٠	٠٦٩
بجملاه	وصيانه جملاه		
فكاشحه داشيوس واهرق دمه	فكاشحه لداشيوس الذي	١٨	٠٧٢
	اهرق دمه		
اما الملك داشيوس الذي كان يتم	يدراعتها الملك داس	٢٠	٠٠٠
بناصر الملكة	الدوايب الدامسة		
فكانت مدة ملكها بسيرة	فلم يلها عن الايقاع بالبيعة	٢٢	٠٠٠
	سوى مولاتهم للملك		
سايلوس	سباليس	٠٤	٠٧٤
زينب	زنوبا	٢٢	٠٠٠
السميساطي	السموذاتي	٠٢	٠٧٥
الفدية	الفديم	٢٢	٠٠٠
ارغم ان يلاين الاراطنة	ارغم ان يكون حاجدا	٢٢	٠٨٢
٢٨٦	٢٨٠٦	٠٦	٠٨٥
والشنيانوس	لانيانوس	٠٧	٠٠٠
لنفسها	لنسا	١١	٠٠٠
الغضب والحدة	الغيب	٠٧	٠٨٦
النوفات اي السائرة او العانة	النوفات	١٤	٠٠٠
البون او كسين اي البحر الاسود	البوان توكسان	٠٩	٠٩١

رد	نظر	خطا	صواب
١٠٠	١٢	الاشيوشين	الاطلاخين
١٦٢	٠٢	القدس	النديس
١٠٠	١٥	يقال حوستينوس	يقال له بوستينوس
١٦٨	١٢	الى مصب الدولغا	حيث مصب نهر النولغا
١٠١	١٠	الناباب	النابيات
١٠٢	٠٢	مارلوس	مرنال
١٠٠	١٤	كبرونيم	كبرونيم اي الزلى
١٠٣	٠٨	مارناس	مرنال
١١١	١٤	وانه المحرك الاول الذي كان يعرفه	والمحرك الاول اللذين كان يعرفهما
١٠٠	٢٢	الانثا	الانث
١١٧	٢٢	النعباب	النعبان
١٢١	٠٢	لغتهم السجاف الاولى	لغتهم الاولى السجاف
١٤١	١٢	موسى ( الثانية )	تسليم
١٠٠	٢٥	الصندل	الارز
١٤٥	٠٢	الشعوب	الشعوب
١٤٩	٠٢	سلته	وسلته
١٠٠	١٢	اليهم	اليه
١٥٠	٠٩	لضغب	لغضب
١٥١	٠٥	اسكلون	عسقلون
١٥٩	٠٢	ومقرغأ	ومقرغأ
١٦٢	١٨	اللاغيد يون... والسلاسيد يون	اللاغيدون... والسلقيدون
١٦٦	٢٦	يونا	بكونا
١٦٧	٢٠	واليونانية	اليونانية
١٦٩	٢٥	يعني وجودها	يعسر وجودها

وجه	سطر	خطا	صواب
١٧١	٢٦	لذن تناضل على الكهنوت	اذ تناضل على الكهنوت الذي...
		التي... وناذويل	ميركان واربتويل
١٧٤	٠٢	نمريض	ابراه
...	٢٦	لا وزن بلاله ويتطق به	لامقياس لما هو حاصل طوه ويته
		بوزن	بنياس
١٧٦	١٠	والى	الوالى
١٧٩	١٧	غير متباور	غير متساو
١٨١	١٠	بعضه	بعضه
١٨٤	١٥	لا	الا
١٨٩	٢٠	الدين	للدين
١٩٢	١٤	بطرس	بولس
...	١٧	الشعباء	اشعباء
١٩٥	٢٠	الرسل خلفائهم	الرسل وخلفائهم
١٩٩	١٧	تزوجوا (الثانية)	تزوجن
٢٠١	١٢	نيجوس	طيطوس وكذا بعد
٢٠٥	١٢	التي نرضع	التي لانرضع
٢٠٨	٠٨	الماجيسالي	الساخر
٢٢٥	٠٧	كله المالكين	كله الصليب عند المالكين
...	٠٩	الملاء	العنلاء
٢٢٧	١٥	لباخوس	لبخوس وكذا بعد
٢٢٩	٢٦	ان	انه
٢٢٦	٠٨	سالمس	شلموس
...	١٨	انه الانبياء	اناه الانبياء
...	٢١	وان رخصت	ومن يرغب
٢٢٧	٠٨	موا	من

وجه	سطر	خطا	صواب
....	٢٥	موضوع	موضع
٢٢٨	٢١	فقط من	فقط بل من
٢٤٠	٠٢	بها	به
٢٤١	٠٧	المارسيونيت	تباع مرشيون او مرقيون وكذا في عمل اخر
....	٠٩	السموذاتي	السموصاطي
....	١٤	السباليون والبوليانيت	السباليون والبولسيون
٢٤٢	٠٢	الاقواف	الاقواف
٢٤٤	٠٩	السييل عمل	كتب السيالات تباد
....	٢٢	لاث	وعن
٢٤٥	١٥	الانبياء	الاباء
٢٤٥	٢٢	الصحرة	الصحرة
٢٤٦	٢٤	مارسيوس ومانس	ماركيون وماني
٢٤٩	١١	صورة الملبود	صورة المذبح المشيد
...	١٢	في الشريعة حبارب	في الشريعة التي حبا الرب اسرائيل بينا
٢٥٠	٢٠	انها داخلة ضمن الاسفار	انها تقيم جرم الاسفار ولا يلزم الانسحاح
		هكذا معتبرين ان يقتضي	من الاسفار حتى يشمل لا التكذيب
		ان لا يكونوا قد تصفحوها	"بها بل ايجاد كل ما يكره المحدثون
		اذ لا يشمل عليهم ان	وجوده فيها واذا املنا بكل ما يقولون
		باتوا بما يضا فيها بان	فيستمر بلا مناص اصل هذه الاسفار
		يضمنوها امورا لا يود	المها
		المحدثون ان يزعموا فيها ولو	
		متمحا كل ما يطلبونه	
٢٥٥	٠١	ويل... كتاب كان	فهل... كتاب ايا كان



وجه	سطر	خطا	صواب
٢٨٦	٢٦	لانه البلاد قمع	لانه قمع البلاد
٢٨٧	١٣	واعلنت بكتبات	واعلن بكتابات
٠٠٠	١٧	اعدت لالاعمال	اعدت لالاعمال
٢٩٠	٠٦	احرزت في المطامع المنوطه	احرزت المطامع المنوطه غالباً
		بما غالباً يحنسها ما لا يوجد	يحنسها مع الشجاعة التي لا توجد
٢٩٣	١٧	اللاتين	الذين
٢٩٤	٠١	التعالي	التعالي
٠٠٠	٠٢	الحذرات	المحذرات
٢٩٥	٢٤	تزيينهم	تزيينهم
٢٩٦	٢٠	يرتكبون	يرتكبون
٢٩٧	٢٥	المجسديد	المجسدية
٢٠٠	٠٧	الحرية	الحرية
٠٠٠	٢٢	شعرت ... خسرانها	شعروا ... خسرانهم
٢٠١	٠٣	اسرار الساسية	اسرار سياستهم
٢٠٢	٠٦	اللاسير يونيون	اللاسيد يونيون اي السبرتيون
٠٠٠	١٢	تستمر متبعت	يستمر متبعتين
٢٠٧	١١	تبايف	تبطوس ليفيوس
٢٠٨	٠٤	بمجد	بمجد
٢١٠	٠٣	المحرال	المحركات
٢١١	٠٩	بنيا	بينما
٠٠٠	١٨	في الخبر العام	في الخبر العام اكثر منه
٢١٢	٠٢	معلوماً	مخنوطاً
٠٠٠	٢٠	الذين فازوا بالنصر فان	الذين انتصر الرومانيون عليهم
		رومية لم يئأس ولم تكن	لكمهم كانوا ياملون الاخذ بثأرهم
		مزعاً من ان تاخذ بثأرها	اذ كان

وجه	سطر	خطا	صواب
٢١٤	٠٤	مدينة	مدينة اريسي
٢١٥	٢١	عواصف	عواطف
٢١٨	٠٥	منهمكون	منهمكين
...	٢١	مجموع	مجموع
٢٢٠	٠٩	تيفوف	تيطوس اينوس
٢٢٤	٠٩	انه غير منفصل	انها غير منفصلة
٢٢٥	٠٦	بعض التي	بعض الحوادث التي
٢٢٦	١٩	ينظر	ينظر
٢٢٧	٠١	اذى	ادى
٢٢٩	١٢	وقد كان لتبصر اذ	وقد كان لتبصر ابنة اذ ذلك
...	١٤	ذاك حتى اتخذ آل	حتى اتخذ اعداء بيته ومنازعه مساعدين
			على تنعيم
			حبا بنعيم
٢٣١	٠١	بالندال ...	البندالة والواز يقوط اي الغلط الغربيين
			وبعد ما الاسطر غوث ابى الغلط
			الشرقيون
...	١٢	الثاني والمائة	الثمانية
٢٣٢	٠٢	البامات	الباعث
٢٣٣	٠٧	نخطها	نخطها
٢٣٤	٠٥	كتسلينا	كاتسلينا



36/6